الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس

الأستاذ الدكتور
عبد الواحد ذنون طه



الفتح والاستقرار العربي الإسلامي

في شمال أفريقيا والأندلس

تأليف

أ. د. عبد الواحد ذنون طه

دار المدار الإسلامي

الطبعة الأولى

حزيران/يونيو/الصيف 2004 إفرنجي

رقم الإيداع المحلي 5921/ 2004
ردمك (رقم الإيداع الدولي) ISBN 9959-29-205-3
دار الكتب الوطنية/ بنغازي ـ ليبيا

تصميم الغلاف: نقوش

دار المدار الإسلامي

أوتوستراد شاتيلا ـ الطيونة، شارع هادي نصر الله ـ بناية فرحات وحجيج، طابق 5،
خليوي: 933989 ـ 03 ـ هاتف وفاكس: 542778 ـ 1 ـ 00961 ـ بريد إلكتروني: szrekany@inco.com.lb
ص.ب. 14/6703 ـ بيروت ـ لبنان
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية: زاوية الدهماني، السوق الأخضر، ص.ب: 13498،
هاتف: 4448750 ـ 4449903 ـ 3338571. 21 . 00218 ـ فاكس: 4442758 . 21 . 00218،
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى ـ oeabooks@yahoo.com

الإهــــداء

إلى مَنْ كان لهما الفضل الكبير في حياتي

إلى روح كلٍ من والدي

وعمتي جبرية طه عبد الله



المختصرات

Alfonso III:	Chronicle of Alfonso III.
Chr. 754:	Chronicle of 754.
CHI:	The Cambridge History of Islam.
CMH:	The Cambridge Medieval History.
CTH:	Codex Throdisanus, ed. T. Mommsen and , P.M. Meyer.
Dozy:	Spanish Islam, by Dozy.
Dubler:	Uber Berbetsiedlungen auf der iberischen Halbinsel, by césar E. Dubler.
E.I.[1]:	Encyclopaedia of Islam, First edition.
E.I.[2]:	Encyclopaedia of Islam New edition.
Gayangos:	The History of the Mohammedan Dynasties in Spain, by P. de Gayangos.
González:	Collectio canonum ecclesiae Hispaniae, by González.
Isidore S.:	History of the Goths, Vandals and Suevi, by St. Isidore of Seville.
Katz: The	Jews in the Visigothic and Frankish Kingdom of Spain and Gaul. by Solomon Katz.
King:	Law and Society in the Visigothic Kingdom. by P. D. King.
Livermore:	The Origins of Spain and Portugal, by H. V. Livermore LV: Leges Visigothorum. ed. K. Zeumer, Monumenta Germaniae Historica, Lrgum Sectio I, Hannover and Leipzig, 1902.
Madoz:	Diccionario geográfico - estadistico historico de España

y sus posesiones de Ultramar. by P. Madoz.

Mansi: Sacrorum conciliorum nova et amplissima collectio, by G. D. Mansi.

Nast: A History of the Maghrib, by J. M. Abun-Nasr.

O'Callaghan: A History of Medieval Spain. by J. F. O'Callaghan.

Palacios: Contribucíon a la toponimia. by J. F. O'Callaghan.

Palacios: Contribucion a la toponimia árabe de Espana, by Asín Palacios.

Palencia: Historia de la Literatura arábigo-española, by Angel González Palencia.

Pons Boigues: Los historiadotes y geógrafos arábigo-espaçoles, by Franciso Pons Boigues.

Provençal: Histoire de L'Espagne Musulmane, by Lévi-Provençal.

Ribera: Las tribus árabes en Valencia, by Julián Ribera.

RIEI: Revista del Instituto de Esdudios Islámicos, Madrid.

Saavedra: Estudio sobre la invasión de los árabes en España, by E. Saavedra.

SGS: Stroheker, Germanentum and Spätantike, Zürich and Stuttgart, 1965.

Simonet, Glosario:
Glosario de voces ibéricas y Latinas, by Simonet.

Thompson: The Goths in Spain, by E.A. Thompason.

Toledo: The Councils of Toledo.

الإحاطة: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب، تحقيق: محمد عبد اللّه عنان، جزءان.

الإحاطة م. الأسكوريال: مخطوط مكتبة الاسكوريال.

الإحاطة م. تونس: مخطوط المكتبة الوطنية في تونس.

الإحاطة م. مدريد: مخطوط المكتبة الوطنية في مدريد.

الأنصاري: الذيل والتكملة للأنصاري.

الباجي: الخلاصة النقية للباجي.

البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب لابن عبيد البكري.

البلاذري: فتوح البلدان للبلاذري.

التكملة، نشر: الأركون: التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار، نشر: الأركون وكونثاليث بالينثيا.

التكملة ط. القاهرة: التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار، طبعة عزت العطار.

الجمان: الجمان في مختصر أخبار الزمان لشهاب الدين الفاسي.

الحلل: الحلل السندسية للأندلسي.

الخشني، قضاة: قضاة قرطبة لابن حارث الخشني.

الخشني، طبقات: طبقات المحدقين للخشني.

ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، لابن أبي دينار.

ذكر بلاد: ذكر بلاد الأندلس، مجهول المؤلف.

ذكر حدود: ذكر حدود بلاد أفريقية، مجهول المؤلف.

الرازي: أحمد بن موسى الرازي.

الرازي، نشر: جاينجوس: LA crónica del Moro Rasis، نشر جانيجوس.

الرازي، نشر سافيدرا: Fragmentos inéditos de la crônica Liamada de Moro Rasis, نشره سافيدرا ملحقاً لكتابه عن فتح المسلمين لإسبانيا.

عبيد الله بن صالح (المخطوط) كتاب الأنساب لعبيد الله بن صالح، مخطوط في الخزانة العامة بالرباط رقم 1275 ك.

عبيد الله بن صالح، تحقيق: بروفنسال: نص جديد عن فتح العرب للمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال.

أبو العرب: طبقات علماء أفريقية وتونس، لأبي العرب.

العمري، مسالك: مسالك الأبصار، للعمري.

العمري، وصف: وصف أفريقية والمغرب والأندلس، للعمري.

المالكي: رياض النفوس، للمالكي.

المقتبس، نشر أنطونيا: المقتبس، لابن حيان، نشر أنطونيا.

المقتبس، نشر الحجي: المقتبس، لابن حيان، نشر عبد الرحمن الحجي.

المقتبس، نشر مكي: المقتبس. لابن حيان، نشر محمود علي مكي.

المقدمة

يُعَدُّ كل من كتاب **جمهرة أنساب العرب**[1] لابن حزم، وما أورده المقري من اقتباسات عن كتاب **فرحة الأنفس**[2] لابن غالب، من أفضل المصادر عن استقرار المسلمين في إسبانيا. ولكن بعضاً من المعلومات التي وردت في هذين المصدرين كانت بعيدة عن الفترة المبكرة للفتوح بالإضافة إلى كونها معلومات قد اتصفت بالتعميم، ومع هذا فقد اكتفى بعض المؤرخين المحدثين بالاعتماد على هذين المصدرين فقط، عند وصف استقرار المسلمين في إسبانيا. وعلى الرغم من قيام الدكتور حسين مؤنس بدراسة مطولة عن العصر الإسلامي الأول في الأندلس، إلاً أنه لم يخصص إلاً بعض صفحات فقط عن استقرار المسلمين الحقيقي هناك[3]. ومن الناحية الأخرى فإن P. Guichard قد أدرك عدم إمكانية كتابة دراسة أصلية عن الاستقرار العربي في إسبانيا بالاعتماد على مصدر واحد فقط. ولكنه حاول أن يضع نظاماً لتسمية القبائل العربية في إسبانيا متخذاً كتاب **ابن الفرضي (تاريخ علماء الأندلس)**[4] نقطة للبداية في هذه الدراسة. ومع هذا فقد أبدى في الوقت نفسه تحذراً من أية استنتاجات يمكن التوصل إليها من هذا المصدر[5].

---

(1) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، 1962.

(2) المقري، نفح الطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968: 1/290 ـ 298.

(3) حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، 1959، ص 367 فما بعدها.

(4) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966.

(5) Cf. p. Guichard, *Al-Andalus*, Barcelona, 1976. pp. 341 ff, 346.

ومن أجل إعداد دراسة وافية ووصف شامل للاستقرار، كان من المفروض أن تتبع طريقة مختلفة في هذا البحث؛ طريقة تعتمد كل المصادر العربية التي لها علاقة بالتاريخ المبكر للمسلمين في شمال أفريقيا وإسبانيا، وبخاصة كتب التراجم والأنساب. يضاف إلى ذلك أن هناك عاملاً مهماً آخر قد اتسمت به الطريقة المتبعة في هذا البحث، ألا وهو تصنيف العشائر المستقرة. فلقد أُخذ بنظر الاعتبار عند ترتيب هذه العشائر، الوقت الذي دخلت فيه إلى إسبانيا، إضافة إلى أصولها القبلية.

لقد حدث كل من الفتح الإسلامي لإسبانيا، واستقرار المسلمين فيها، في آن واحد تقريباً؛ لهذا كان من الضروري القيام بدراسة مفصلة للفتح في بداية هذا البحث، إضافة إلى تقديم عرض للموقف في شمال أفريقيا وإسبانيا قُبيل الفتح. وفي الحقيقة يستحيل التوصل إلى فهم التاريخ العربي الإسلامي في إسبانيا دون توجيه الانتباه الكافي للأحداث في شمال أفريقيا. لقد كانت الاتصالات بين الجانبين، وبخاصة الفعاليات التجارية في وجود مستمر عبر قرون عديدة قبل الفتح. ولهذا فإن توزيعات البربر في شمال أفريقيا، ومناطق نفوذهم وطرقهم في الحياة قد وضحت في هذه الرسالة. ويمكن أن يُقال الشيء نفسه بالنسبة للأحوال العامة والخلفية الاجتماعية والسياسية في إسبانيا حتى زمن الفتح.

إن فتح إسبانيا جاء نتيجة للتعاون الباهر بين العرب والبربر، لهذا فإن ظروف هذا التعاون الذي كان مسبوقاً بصراع طويل بين الشعبين في شمال أفريقيا، قد شرحت أيضاً في هذا البحث. يُضاف إلى ذلك أن هذا البحث قد حاول أن يتتبع الجيوش العربية في شمال أفريقيا منذ الوقت الذي غادرت فيه الإسكندرية تحت قيادة عمرو بن العاص حتى وصلت طنجة بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد. ثم تتبع العرب والبربر بعد عبورهم المشترك إلى إسبانيا، بأقصى ما يمكن من جهد موضحاً أماكن وطرق استقرارهم، وعلاقاتهم مع السكان الأصليين، وعلاقاتهم مع الخلافة

والحاكم العام لشمال أفريقيا وإسبانيا، وفتوحاتهم في جنوبي فرنسا، وفعالياتهم، واهتماماتهم، ومنافساتهم الداخلية سواء فيما بين رجال القبائل العربية أو مع البربر حتى نهاية عصر الولاة. وأخيراً فقد ناقش البحث أيضاً الظروف التي أدت إلى دخول الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية وتأسيس الإمارة الأموية المستقلة سنة 138هـ/ 756م.

إنه لمن سوء الحظ أن يكون الكثير من المصادر المتعلقة بتاريخ المسلمين في إسبانيا مفقوداً. لقد أُتلفت أعداد كبيرة من المخطوطات العربية بصورة متعمدة سنة 950هـ/ 1499م وذلك نتيجة «للقرار المتعسف الذي اتخذه الكاردينال خيمينيث Ximenez، والذي سبب حرق ثمانين ألفاً من الكتب العربية في الساحات العامة لغرناطة»[6]. أما بقية المخطوطات التي نجت من هذا التلف، فقد ظلت في حوزة رهبان غير مثقفين، أو على رفوف بعض المكتبات، حتى جمعت من قبل الملك فيليب الثاني Philip II (1556 - 1598م) وحفظت في دير الاسكوريال، الذي ما يزال قائماً إلى الشمال الغربي من مدريد[7]. ومع هذا، فقد احترقت ثلاثة أرباع هذه المجموعة سنة 1082هـ/ 1671م لاندلاع حريق في الأسكوريال[8]. وربما تكون أهم هذه الكتب التي فقدت هي أعمال الرازي وابن حيان، وغيرهما من المؤلّفين البارزين في الأندلس.

وعلى الرغم من هذا، فقد اعتمدت هذه الدراسة عدداً من المصادر

---

(6) Pasucal de Gayangos, *The History of the Muhammed an Dynasties in Spain,* New York, 1964, reprint of London edition 1840-43, vol. I. pp. VIII-IX.
واستنادا إلى روبليس Robles الذي كتب ترجمة لحياة الكاردينال خيمينيث، فإن عدد الأجزاء التي أحرقت كان مليوناً وخمسة آلاف كتاب، انظر:
Gayangos, vol. I. p. VIII, note 2, cit, *Rebelión de los Moriscos, p. 104.*

(7) *cf. S. M. Imamuddin, «Sources of Muslim History of Spain»,* Journal of the Pakistan Historical Society, I, 1953, p. 358.

(8) Gayangos, Vol. I, p. IX.

الباقية عن تاريخ المسلمين في شمال أفريقيا وإسبانيا، من ضمنها الحوليات الإسلامية وكتب الجغرافية، والتراجم، والأنساب، مع بعض المصادر المسيحية الأولية التي ما تزال باللغة اللاتينية. وقد استفادت هذه الدراسة أيضاً من الدراسات الحديثة سواء ما وجد منها باللغة العربية أو باللغات الأوروبية، وذلك لمناقشة الآراء التي قدمها العديد من الباحثين المتأخرين والمعاصرين في أمثال سافيدرا Saavedra، ورينهارت دوزي R. Dozy، وليفي بروفنسال Lévi-Provencal، وسانشيث البورنوث San-chez-Albornoz، وحسين مؤنس. وهناك العديد من الدراسات الأخرى التي استعملت لتوضيح نقاط معيَّنة في هذا البحث، وبخاصة القواميس الجغرافية، والمؤلفات المتعلقة بدراسة فقه اللغة وأسماء المواقع الجغرافية وأصولها. ومن أهم الحوليات اللاتينية التي استخدمت في هذه الدراسة ما يأتي:

Mozarabic Chronicle of 754 وتدعى أيضاً بالأسماء التالية: *Crónica del pacence* (لأنها تنسب إلى Isidoro أسقف Beja, Pax Julia أو Isidoro Pacence) و *Anónimo de Córdoba* و *Continuatio Hispana,*[9]. ولكن في حكم الثابت الآن أن هذه الحولية لا علاقة لها بـ Isidore أسقف باجة Beja، وأنها على الأغلب كتبت من قِبل قسيس غير معروف في إحدى كنائس طليطلة Toledo، والذي ربما كان بالأصل من مواطني قرطبة Córdoba، وسكن في طليطلة وكان يتردد إليها [10]. وقد أطلق عليه المستشرق الإسباني سافيدرا ببساطة

(9) Luis G. de Valdeavellano, *Historia de España*, Madrid, 1968, vol, I. p. 51.

(10) Ibid., vol. I. p. 51: Sánchez-Albornoz, *Fuentes de la historia Hispano-Musulmana del Siglo VIII, Mendoza, 1942, pp. 23-24; R. de Abadal, «El* Paso de Septimania del dominio godo al-Franco a través de la invasión Sarracena 720-768», *Cuadernos de Historia de España,* XIX, 1953, p. 9; F. J. Simonet, *Historia de los Mozarábes de España,* Amsterdam, 1967, reprint of Madrid edition, 1904, p. 231.

اسم «اللاتيني المجهول» El Anónimo Latino[11]. وتغطي الحولية الفترة الزمنية الواقعة بين تتويج الامبراطور البيزنطي Heraclius في سنة 611م إلى سنة 754م/ 137هـ[12]، مقدمة معلومات قيمة ليس عن الامبراطورية البيزنطية فحسب، بل عن الإسلام أيضاً منذ قيامه، وعن مملكة القوط الغربيين. ويتصف مؤلف الحولية بعدم التحيز والموضوعية، وتعد حوليته المصدر المعاصر الوحيد عن فتح المسلمين لإسبانيا، وعن السنوات الأولى التالية من حكمهم هناك. وعلى الرغم من احتوائها على بعض الأخطاء، فإن مادة الحولية عن هذا العصر تعد ذات قيمة عالية جداً، وأنها بلا ريب أحد المصادر الموثوقة بها عن هذه العصور المبكرة من التاريخ الأندلسي، لأنها ترقى إلى منزلة الرواية الصادقة لشاهد عيان[13]. ولقد أشار مؤلف هذه الحولية إلى أنه قد كتب مؤلفين آخرين؛ الأول عن الصراع بين المسلمين في إسبانيا *Epitoma Temporum* والثاني عن حروب يوسف الفهري، وبقية الولاة السابقين له *Libro Verborum Deirum Saeculi*[14].

وهناك نوع من التشابه والعلاقات بين الحولية العربية ـ البيزنطية لسنة 741م، *The Byzantine- Arab Chronicle of 741* أو *Crónica Bizantina- Arabe de 741*[15]، وبين **حولية سنة 754م** *The Chronicle of 754* السالف ذكرها. وربما

(11) E. Saavedra, *Estudios sobre la invasion de los Arabes en España,* Madrid, 1892, pp. 5-6.

(12) Valdeavellano, op. cit., vol. I. p. 51.

(13) Cf. R. Shaw, «The Fall of the Visigothic Power in Spain», *The English Historical Review,* XXI, 1906, pp. 215-16; Ignacio Olagüe, *La revolución islamica en Occidente,* Guadarrama, 1974, p. 442.

وللمؤلف الأخير رأي آخر في زمن الحولية، فهو يعتقد بأنها كتبت في نهاية القرن التاسع أو بداية القرن العاشر الميلادي.

(14) *Chronicle of 754,* pp. 109, 161, 162 (no. 65, 70, 77). منشورة في ملحق رقم (2) لكتاب **أخبار مجموعة**، تحقيق: لافوينتي القنطرة، مدريد، 1867.

(15) وتسمى أيضاً: *Continuador der Biclarense* أو *Continuatio Byzantina Arabica a 741*

كان ذلك بسبب معاصرة مؤلفيهما المجهولَيْن (عاش الاثنان في النصف الأول للقرن الثامن الميلادي)، واعتمادهما على المصادر نفسها. وتشير هذه الحولية إلى تاريخ البيزنطيين والمسلمين في المشرق، إضافة إلى القوط الغربيين اعتباراً من وفاة الملك Recared[16]. كما تشير أيضاً إلى الفتح الإسلامي لإسبانيا. ويرجع بعض الكُتّاب أن أصل مؤلف هذه الحولية من الإسكندرية، بينما يرى آخرون أنه من سوريا. أما دوبلير Dubler فيقترح بأن الكاتب لا بدَّ وأن يكون قد عاش في بيئة ثقافية إسبانية ـ قوطية، كانت ما تزال تحتفظ ببعض التأثير البيزنطي[17]. إن موضوعية المؤلف التامة في رواياته عن المسلمين، دعت دوبلير إلى أن يستنتج بأن الرجل لا بدَّ وأن يكون قد اعتنق الإسلام، وعاش في الساحل الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة الايبيرية[18].

سُميت حولية البلدة *The Chronicle of Albelda*، أو Chronicon Albeldense، بهذا الاسم نسبة إلى دير Albelda قرب Log-rone، حيث عُثر على مخطوطة هذه الحولية التي تقدم ملخصاً عن حكم ملوك القوط الغربيين، وملوك أوفيدو Oviedo وبنبلونة Panplona إلى سنة 883م. ومن المعتقد أنها كتبت من قبل قسيس من طليطلة يدعى Dulcidio[19]. وتتعلق الفقرتان 77 و78 بحكم الملك لذريق Roderic، والفتح الإسلامي لإسبانيا، بينما تقدم الفقرة 79 قائمة بأسماء الولاة العرب في الأندلس. ومع هذا، فإن

انظر ملحق **أخبار مجموعة** رقم (1)، ص 145 ـ 146. وقد نشرت هذه الحولية أيضاً من قبل دوبلير César E. Dubler بعنوان:

«Sobre la Crónica árábigo-bizantina de 741 y la influencia bizantina en la peninsula ibérica», Al Andalus, XI, 1946, pp. 283-349.

(16) See: Valdeavellano, op. cit., Vol. I. pp. 50-51.

(17) Dubler, op. cit., pp. 296-97.

(18) Ibid., pp. 330-31.

(19) Valdeavellano, op. cit., vol, I. p. 51.

هذه القائمة ناقصة، والتواريخ التي تقدمها لحكم بعض الولاة مغلوطة أحياناً[20].

كتبت حولية ألفونسو الثالث، *Crónica de Alfonso III, The Chronicle of Alfonso III*، وتسمى أيضاً *La Crónica de Rotense*، وأمر بكتابتها الملك ألفونسو الثالث (866 ـ 911م)، وهي تتضمن حكم الملك وامبا Wamba (672 ـ 680م) إلى عهد ألفونسو الثالث. وهناك نسختان من هذه الحولية: الأولى، ربما تكون قد كتبت من قبل الملك نفسه، والثانية من قبل قسيس عالم أدخل بعض التحسينات على النص. وهذه الحولية متأخرة بعض الشيء من حيث الزمن عن **حولية البلدة** *The Chronicle of Albelda*، ولكن هناك بعض التشابه بين الاثنتين[21]. وعلى أية حال، فهي مفيدة تماماً لهذه الدراسة، وبخاصة عند بحث ملوك القوط الغربيين المتأخرين، والفتح الإسلامي، وحركة بلاي Pelagius في اشتوريش Asturias[22].

أما بالنسبة للمصادر العربية، فيعد أحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت 344هـ/ 955م) من أعظم المؤلفين الذين كتبوا عن تاريخ الأندلس. إن مسقط رأس والده، الذي جاء إلى قرطبة في حدود منتصف القرن الثالث الهجري 250هـ/ 864م لغرض التجارة، هو الري في إيران[23]. وكان أحمد الرازي يسمى بالتاريخي بسبب إسهامه الكبير في حقل التاريخ[24]، حيث

---

(20) نشرت ملحقاً لكتاب **أخبار مجموعة**، رقم (3) ص 163 ـ 165:
Chronicle of Albelda:

(21) Valdeavellano, op. cit., vol. I. p. 51.

(22) *«La Crónica Rotense», Chronicle of Alfonso III,* ed: Manuel Gémez-Moreno, *Boletin de la Real Academia de la Historia,* 1000, Madrid, 1932, pp. 609-615.

(23) قارن: ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت، 1973، ص 265 ـ 269؛ انظر ابن الآبار، **التكملة لكتاب الصلة**، نشر: عزت العطار، القاهرة، 1956: 2/ 670؛ المقري (برواية ابن حيان): 3/ 111.

(24) الحميدي، **جذوة المقتبس**، القاهرة، 1966، ص 104؛ ابن الفرضي، ق 1، ص 42؛ المقري (برواية ابن حيان): 3/ 111.

كتب مؤلفات عديدة في تاريخ الأندلس. يقول ابن حزم إن أحمد الرازي كتب كتاباً عن ملوك الأندلس، وهو **أخبار ملوك الأندلس**، وآخر عن وصف قرطبة عنوانه **كتاب في صفة قرطبة**، وصف فيه خططها ومنازل أعيان سكانها[25]، كما له أيضاً كتاب يحتوي على خمسة مجلدات عن أنساب العرب في الأندلس، وهو **كتاب الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس**[26]. يضاف إلى هذا، ما ألفه عن المسالك، والمراسي، والمدن الرئيسة، والأجناد المشهورة في الأندلس، وهو المعروف **بمسالك الأندلس ومراسيها وأمهات أعيان مدنها وأجنادها الستة**، وكتباً أخرى كثيرة[27]. ويضيف ابن الأبار إلى مؤلفات الرازي كتاباً آخر عن الموالي المشهورين في

---

(25) ابن حزم، **رسالة في فضل الأندلس**، نقلها المقري في **نفح الطيب**: 3/ 156 ـ 186، انظر، ص 173؛ الحميدي، ص 104؛ الضبي، **بغية الملتمس**، نشر: فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884، ص 104؛ انظر أيضاً:

F. Pons Boigues, *Los historiadores y geógrafos arábigo-espanoles,* 800-1450 A. D., Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition, 1898, pp. 62-63; A González Palencia, *Historia de la Literatura arábigo-espanola,* 2nd edtition, Barcelona, 1945 p. 144; C. Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Litteratur.*

نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار بعنوان: **تاريخ الأدب العربي**، القاهرة، 1969، انظر: 3/ 87؛ E. Lévi-Provencal, artical «Al - Razi», *Encyclopaedia of Islam,* Iest edition, Leiden, 1913 - 1934; حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**، العدد 7 ـ 8، 1959 ـ 1960، ص 254 ـ 255؛ F. Rosenthal, *A History of Muslm His toriography,* Leiden, 1968, P. 153.

(26) ابن حزم، **رسالة في فضل الأندلس**، ص 174؛ الحميدي، ص 104؛ الضبي، ص 104؛ ابن الآبار، **الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1963: 1/ 245، 2/ 366؛ اليعمري، **الجواب على الأسئلة في الفقه**، مخطوط في مكتبة الأسكوريال، رقم (1160)، الورقة 99 أ؛ انظر أيضاً:

Pons Boigues, p. 63; Palencia, p. 144; El. 1, «Al-Razi».

(27) ابن حزم، المصدر السابق، ص 160 ـ 161؛ الحميدي، ص104؛ الضبي، ص 140؛ مؤنس، **الجغرافية والجغرافيون**، ص 254 ـ 255. E.i 1, «Al-Razi».

الأندلس، وهو كتاب **أعيان الموالي**[28].

من المعتقد أن **كتاب مسالك الأندلس** الذي كرسه الرازي بصفة خاصة للوصف الجغرافي لإسبانيا، ما هو إلاً مقدمة لبحثه التاريخ **أخبار ملوك الأندلس**. ولقد بقي لنا قطعتان فقط من هذا الكتاب المزدوج، أحداهما ترجمة إسبانية، طبعت من قبل جايانجوس P. de Gayangos في سنة 1852[29]، وأكملت من قبل مننديث بيدال R. Menéndez Pidal[30]. وقد أُخذت هذه الترجمة الإسبانية عن نسخة برتغالية أعدها قسيس يسمى Gil Pérez وذلك بأمر من Dinis ملك البرتغال (1279 ـ 1325م). ويبدو أن معرفة Pérez باللغة العربية كانت محدودة، ولهذا فقد ساعده بعض المسلمين، وكان أحدهم يدعى المعلم محمد[31]. وفي سنة 1952م، استطاع الباحث البرتغالي Luis. F. Lindly Cintra أن يعثر على نص برتغالي صحيح للقسم الجغرافي من كتاب الرازي وينشره[32]، وقد قام المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال بترجمة هذا النص إلى الفرنسية ونشره في **مجلة الأندلس**[33].

---

(28) التكملة، ط. القاهرة: 1/40؛ بروكلمان، المرجع السابق: 3/87؛ Pons Boigues, P. 63.

(29) P. Gayangos, «Memoria sobre la autenticidad de la crónica denominada del Moro Rasis, *Memorias de la Real Academia de la Historia*, VIII, 1852.

(30) Catálogo de la Real Biblioteca Manuscritos, crónicas generales de España, Madrid, 1898;

وقارن: **فجر الأندلس**، ص 11؛ Palencia, P. 144; E.I 1, «Al-Razi». وقد ظهرت مؤخراً طبعة جديدة لحولية الرازي بعنوان: *Crônica del Moro Rasis* نشرها Diego Catalàn في مدريد عام 1975.

(31) Pons, Boigues, p. 64; Palencia, p. 145; E.I. 1 «Al-Razi».

(32) «Crónica general de España de 1344», edicáo critica do texto Portugués por Luis F. Lindley Cintra, *Academia Portuguesa de Historia*, II, Lisboa, 1952, pp. 39-75.

(33) Lévi-Provencal, «La description de l'Espagne d'Ahmad al-Razi», *Andalus*, I, 1953, PP. 51-108.

أما القطعة الباقية الأخرى من كتاب الرازي فهي باللغة اللاتينية ولقد ترجمت إلى الإسبانية من قبل سافيدرا في سنة 1892م ملحقاً لدراسته عن الفتح الإسلامي لإسبانيا[34]. وتبحث هذه القطعة بصورة خاصة عن ملوك القوط المتأخرين، وبدايات الفتح الإسلامي حتى المعركة الفاصلة بين لذريق Roderic وطارق بن زياد. أما الجزء المكمل لهذه القطعة فهو موجود في القسم التاريخي من ترجمة جايانجوس الإسبانية. ولكن هذا القسم الذي يضم تاريخ إسبانيا من عهد الفتح إلى زمن الحَكَم الثاني (350 ـ 366/ 961 ـ 976) قد تعرض إلى الكثير من الاختصار[35]. ونظراً لاحتوائه على أخطاء عديدة، فإنه ذو قيمة قليلة، وحتى أن نسبته إلى الرازي قد رفضت وشُكِكَ بها من قبل بعض الباحثين المحدثين[36].

إن فقدان معظم مؤلفات الرازي تقريباً قد عُوض إلى حد ما، وذلك لأن عدداً كبيراً من رواياته قد اقتُبس ودُون من قبل كُتَّاب آخرين. وأن هذه الاقتباسات تقدم أفضل المعلومات عن تاريخ المسلمين المبكر في الأندلس واستقرارهم هناك. لقد كانت كتب الرازي من أفضل المصادر التي اعتمدها المؤرخون العرب الذين كتبوا عن الأندلس. ويُعد مؤلَّفه **أخبار ملوك الأندلس** على وجه الخصوص مصدراً لكل من الكتب الآتية: **فتح الأندلس**[37]، **أخبار مجموعة**[38]، **وذكر بلاد الأندلس**[39]، يضاف إلى ذلك، أن كتاب الرازي

---

(34) See: Saavedra, Apéndice, «Fragmentos inéditos de la crónica Hamada del Moro Rasis», pp. 145-154, See also, pp. 8ff.

وقارن: **فجر الأندلس**، ص 11.

(35) انظر: الرازي، نشر: جاينجوس، ص 67 ـ 100.

(36) Cf. Pons. Boigues: pp. 64-66; Pakencia, p. 145.

(37) تُرجم إلى الإسبانية ونشر من قبل Don Joaquin de Gonzàlez الجزائر، 1889.

(38) تُرجم إلى الإسبانية ونشر من قبل Lafuenty y Alcàntara مدريد، 1867.

(39) مخطوط الخزانة العامة في الرباط رقم (85ج)، وكذلك نسخة المكتبة الملحقة بالقصر الملكي في الرباط رقم (558).

المذكور قد استعمل من قبل الكثير من كبار المؤرخين والجغرافيين من أمثال: ابن حيان، وابن الأبار، وابن الأثير، وابن عذارى، وياقوت الحموي، وابن الخطيب، والحميري، والمقري[40].

لقد كان الرازي واحداً من ثلاثة من أسرته الذين أسهموا في كتابة تاريخ الأندلس. كان أبوه محمد بن موسى الرازي (ت سنة 273/ 886) تاجراً معروفاً باطلاعه الواسع في العلوم والثقافة العربية، ومع هذا فهناك إشارات إلى أنه كتب مؤلفاً تاريخياً بعنوان «**كتاب الرايات**». ويقول الكاتب الأندلسي محمد بن مزين أنه عثر سنة 471/ 1078م في إحدى مكتبات إشبيلية على كتاب صغير من تأليف محمد بن موسى الرازي، اسمه **كتاب الرايات**. ويبحث هذا الكتاب في موضوع فتح الأندلس ويضم معلومات كثيرة عن القبائل العربية التي رافقت موسى بن نصير إلى إسبانيا. ولكن مع الأسف الشديد فإن هذا الكتاب قد فُقِدَ الآن، ومع هذا، فنحن ما نزال نمتلك بعضاً من فقراته التي اقتبسها ابن مزين، وحفظها لنا الكاتب المغربي محمد بن عبد الوهاب الغساني في روايته عن رحلة إلى إسبانيا سنة 1103/ 1691[41]. ولقد استفاد أحمد الرازي بلا شك من كتاب والده، كما استفاد أيضاً من شيخه قاسم بن أصبغ (ت 340/ 951) الذي كتب كتاباً في **الأنساب** من بين

---

(40) Cf. Sánchez-Albornoz, «Precisiones sobre *Fath al-Andalo RIEI*, IX-X, Madrid, 1961-1962, pp. 10-11.

(41) انظر: الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، مخطوط في المكتبة الوطنية في مدريد رقم (5304)، ص 99 ـ 102. وقد نُشر هذا الكتاب من قبل الفريد البستاني، تطوان، 1951. ويمكن العثور على مقتطفات من رواية ابن مزين في كتاب **فتح الأندلس**، ص 13، وفي **الرسالة الشريفية**، ص 197 ـ 200. وهذا الكتاب الأخير هو جزء من كتاب الغساني المشار إليه أعلاه. وقد نُشر هذا الجزء ملحقاً لكتاب ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، من قبل خوليان رايبيرا، مدريد، 1926، ص 191 ـ 214؛ انظر أيضاً:

Pons, Baigues, pp. 45-47; Palencia, pp. 144, 145; EI1. «Al-Razi» Sánchez-Albornoz, op. cit., pp. 10-20.

مؤلفات أخرى كثيرة، وهذا الكتاب أيضاً في عداد المفقودات[42].

ويُعد عيسى بن أحمد الرازي المؤرخ الشهير الآخر من هذه الأسرة. فهو قد أكمل ما ابتدأ به والده فيما يتعلق بكتابة تاريخ الأندلس إلى العصر الذي عاش فيه. ويشبه عيسى الرازي أباه من ناحية اعتماد مؤلفاته من قبل المؤرخين الذين جاءوا من بعده، من أمثال ابن حيان، وابن سعيد، وابن الأبار، وكما يذكر الكاتب الأخير، فإن عيسى قد كتب مؤلفين آخرين، أحدهما عن **الوزراء في الأندلس** والآخر عن الحجاب في البلاط الأموي في قرطبة، وهو الموسوم **حجاب الخلفاء بالأندلس** أو **الحجاب للخلفاء بالأندلس**[43]، ومع الأسف فإن هذين الكتابين يُعدان أيضاً من جملة الكتب المفقودة.

كان عبد الملك بن حبيب السُلمي (ت 238/ 852) هو أول أندلسي أصيل يكتب عن تاريخ بلاده. ولكن القيمة الحقيقية «لتاريخه» تبدو ضئيلة جداً. فقد ابتدأ بقصة الخلق، والأنبياء وحياة النبي محمد (ص)، ولهذا فإن اهتماماته كانت مركزة على المواضيع الدينية، والأحاديث النبوية. وعلى الرغم من ذلك فقد خصص بعض الفصول من كتابه، تعرض فيها إلى تاريخ الأندلس فروى أخبار الفتح، والولاة الأوائل إلى تأسيس الإمارة الأموية، كما بيَّن أيضاً بإيجاز تاريخ حكم سبعة من الأمراء الأمويين.

---

(42) ابن حزم، **رسالة في فضل الأندلس**، (المقري: 3/ 174)؛ الحميدي، ص 330 ـ 331؛ ابن الفرضي، ق1، ص 364 ـ 367؛ الضبي، ص 433 ـ 434؛ Pons. Boigues, p. 60.

(43) ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، نشر: الأركون وكونتاليت بالنثيا:
«Apéndice a la edición de la Tecmila de Aben al-Abbár», in *Miscelánea de estudios y textos Arabes*, Madrid, 1915, pp. 238-239;
الحلة السيراء: 1/ 138، 2/ 30؛ الأنصاري، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1965، قد 2، 5/ 491؛ بروكلمان، المرجع السابق: 3/ 88؛
Pons Boigues, p. 82; Palencia, p. 149; *EI*.1 «Al-Razi».

ويضم هذا الجزء من كتاب ابن حبيب، روايات أسطورية عديدة، مثال ذلك، ما يرويه عن فتوحات موسى بن نصير، التي ينقلها بصورة رئيسية عن شيوخه المصريين، مثل الليث بن سعد (ت 175/ 791) وعبد الله بن وهب (ت 197/ 812). والنسخة الوحيدة من تاريخ ابن حبيب محفوظة في مكتبة البودليانا في أوكسفورد. وقد قام الدكتور محمود علي مكي بدراسة وافية لابن حبيب، وكتابه، كما نشر الجزء الخاص بتاريخ الأندلس من المخطوط[44]. ودرس خورخي أغواردي الكتاب وحققه ونشره كاملاً في مدريد. 1991.

ويُعد كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس** لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز، المعروف بابن القوطية (ت 367/ 977)، أول مصدر أندلسي مهم بقي حتى الآن. وهو يتناول تاريخ المسلمين في إسبانيا منذ الفتح إلى زمن الأمير عبد الله بن محمد (ت 300/ 921). وتشير الجملة الأولى من الكتاب وهي: «أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال...» إلى أن ابن القوطية، وكما لاحظ العديد من الباحثين الآخرين، قد روى أو أملى كتابه هذا على بعض تلامذته، وأن أحدهم قام بتدوينه بأسلوبه الخاص[45]. والكتاب بصورة عامة يحوي أخباراً قصيرة، كتبت على شكل روايات منفصلة. وبما أن المؤلف هو من نسل سارة، حفيدة غيطشة[46] Witiza فقد

---

(44) See: M. A. Makki, See: M. A. Makki, «Egipto u los origenes de la historiografiá arábigo-espanola», *RIEI,* V, Madrid, 1957, pp. 157-248; See also: Gayangos, Vol. I, P. XXXI; Pons. Boigues, pp. 29-38; Palencia, pp. 141-144;

بروكلمان، المرجع السابق: 3/ 86.

(45) ابن القوطية، ص 2؛ بروكلمان، المرجع السابق: 3/ 89 ـ 90؛

F. Pons. Boigues, P. 84; Palencia, pp. 148-149.

(46) ابن القوطية، ص 6؛ ابن الفرضي، ق 2، ص 76؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق: احسان عباس، بيروت: 4/ 370؛ المقري: 1/ 266 ـ 267.

أورد أخباراً كثيرة عن الأسرة القوطية المالكة، وبشكل خاص أرْطَبَاس Ardabast، ابن غيطشة، وعلاقاته مع كبار الشخصيات العربية من أمثال الصميل بن حاتم الكلابي، وعبد الرحمن الأول[47]. وهذا بطبيعة الحال على درجة عظيمة من الأهمية، ولكن كتاب ابن القوطية يتضمن أيضاً الكثير من المعلومات التي أفادت منها هذه الدراسة، والتي تتعلق بشكل خاص بالاستقرار الإسلامي في إسبانيا.

وقد كتب أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم كتاباً عن فتح مصر بعنوان **فتوح مصر وأخبارها**. ولكن هذا الكتاب يشتمل أيضاً على روايات مهمة عن الفتوحات اللاحقة في شمال أفريقيا وإسبانيا[48]. وقد استقى ابن عبد الحكم معلوماته التي أوردها في هذا القسم من الكتاب عن رجال محدثين، بخاصة من أمثال الليث بن سعد، وعثمان بن صالح (ت 219/ 835) ويحيى بن بكير (ت 231/ 845). ومع هذا فإن رواياته عن الفترة التي تتعلق بموضوع هذه الدراسة تعد على غاية كبيرة من الأهمية، وذلك لأن ابن عبد الحكم هو أحد المؤرخين الأوائل الذين كتبوا في هذا الحقل[49].

وعلى الرغم من أن كتاب **تاريخ أفريقية والمغرب** المنسوب إلى إبراهيم بن القاسم الرقيق (توفي بعد سنة 417/ 1026)، مكرّس بالدرجة الأولى لتاريخ شمال أفريقيا، لكنه يتضمن أيضاً معلومات كثيرة تتعلق بفتح العرب لإسبانيا. وتعد كثير من رواياته على درجة عظيمة من الأهمية، هذا إضافة إلى أن بعضها لا يتوفر في أي مصدر آخر. مثال ذلك الروايات التي تتحدث عن جوليان، حاكم سبتة، والعلاقة بين سكان طنجة والحامية

(47) ابن القوطية، ص 36 ـ 40.

(48) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وأخبارها**، نشر: شارلس توري، نيوهيفن، 1922، ص 183 ـ 187، 192 ـ 225.

(49) بروكلمان، المرجع السابق: 3/ 75؛

See: Pons. Boigues, PP. 411-412; cf. *EI i.*, artical, «Ibn 'Abd Al-Hakam».

الإسلامية بقيادة طارق بن زياد[50] وهناك خلاف في نسبة هذا الكتاب إلى الرقيق[51]؛ فحمد طالبي مثلاً ينكر وجود أية علاقة بين الرقيق وهذا الكتاب، وهو يعتقد أن هذا الكتاب قد ألف في عهد لاحق لزمن الرقيق[52]. وعلى أية حال، فمهما قيل عن مؤلف **تاريخ أفريقية والمغرب**، فإن المرء لا يستطيع أن يتجاهل أهميته التاريخية ومن الواضح أنه لا بد وأن يكون قد كتب من قبل مؤلف كفوء[53].

وهناك أيضاً ثلاثة أعمال مجهولة المؤلف، وهي تعد من المصادر المهمة جداً عن تاريخ الأندلس، من الفتح إلى نهاية الخلافة الأموية في قرطبة. ومن المعتقد أن كتاب أخبار مجموعة، وهو أحد هذه الكتب المجهولة المؤلف، قد كتب خلال عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث (300 ـ 350/ 912 ـ 961)، وهو العصر الذي تنتهي فيه أحداث هذا الكتاب. ومع هذا فهناك من الباحثين من يرى أن زمن تأليف هذا الكتاب هو القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[54]. وقد قام المستشرق سانشيث البورنوث Sanchez-Albornoz بدراسة مفصلة عن هذا الكتاب ومحتوياته[55]. فخصص ثلاثة عشر فصلاً لمناقشة مواضيع مهمة تتضمن، أصل الكتاب، ومؤلفه، ومادته، وأثره على كتابة التاريخ في الأندلس، ودراسات مقارنة بين

---

(50) الرقيق القيرواني، **تاريخ أفريقية والمغرب**. تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، 1968، ص 73 ـ 76.

(51) انظر المنجي الكعبي في مقدمته لهذا الكتاب، ص 21 ـ 35.

(52) Muhammad Talibi, «Un nouveau fragment de l'histoire de l'Occident musulman 62-196/628-812 l'épopée d'al-Kahina», *Les Cahiers de Tunisie,* XIX, no. 73-74, 1971, pp. 20-21, 23.

(53) قارن: حسين مؤنس، «رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس»، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**، العدد 18، 1974 ـ 1975، ص 93 ـ 98.

(54) cf. Pons. Boigues, pp. 393-394; Palencia, pp. 146-147; بروكلمان، المرجع السابق: 3/ 88.

(55) C. Sánchez-Albornoz y Menduina, *El «Ajbár Maŷmû'a» Cuestiones historigráficas que suscita,* Buenos Aires, 1944.

هذا الكتاب وغيره من مؤلفات المؤرخين العرب، مثل ابن حبيب، وابن القوطية، والرازي، وابن الأثير وابن عذارى، والمؤلف المجهول **لكتاب فتح الأندلس**.

وتشير الروايات التاريخية التي يتضمنها كتاب **أخبار مجموعة** إلى الأحداث التي مرت على إسبانيا منذ الفتح العربي الإسلامي إلى فترة حكم عبد الرحمن الثالث. ومن أهم هذه الروايات التي لها علاقة بموضوع هذه الدراسة، هي روايات عبور طارق بن زياد إلى إسبانيا، وافتتاح قرطبة من قبل مغيث الرومي، ودخول بلج بن بشر والقبائل السورية إلى إسبانيا، والصراع بين هؤلاء، وبين المستقرين العرب الأوائل، والحروب التي وقعت بين العرب والبربر، ودور الصميل بن حاتم في أثناء ولايتي أبي الخطار ويوسف الفهري، ودخول عبد الرحمن بن معاوية إلى إسبانيا وانتصاراته التي حققها هناك. وبصورة عامة فإن هذه المعلومات المفصلة تعطي صورة واضحة عن الأحداث في الأندلس في أثناء الفترة موضوع البحث. يضاف إلى ذلك، فإن هذا الكتاب خال من الأساطير التي كانت شائعة في بقية الكتب الأخرى المؤلفة في العصور الوسطى. ولا يتطرق المؤلف إلى ذكر مصادره التي اعتمد عليها، ولكن من الملاحظ أن المقري ينقل في كتابه **نفح الطيب** فقرات طويلة عن ابن حيان وآخرين، وهذه الفقرات موجودة بنصها تقريباً في **أخبار مجموعة**(56). وقد يشير هذا إلى أن ابن حيان والمؤلف المجهول استعملا نفس المصادر، وربما يكون الاثنان قد نقلا معلومات عن كتاب **أخبار ملوك الأندلس** للرازي. ومن جهة أخرى فإننا إذا ما صدقنا أن كتاب **أخبار مجموعة** يعود بتاريخ تأليفه إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فإنه من المحتمل جداً أن يكون المؤلف المجهول قد نقل بعضاً من مادته عن تاريخ ابن حيان **المقتبس**.

(56) قارن: **أخبار مجموعة**، ص 15 ـ 19، 19 ـ 20؛ المقري: 1/ 269 ـ 271، 279.

وعلى العكس من مؤلف **أخبار مجموعة** فإن المؤلف المجهول **لحولية فتح الأندلس**، يشير إلى مصادره التي استقى منها مادته فهو يقتبس من عبد الملك بن حبيب وأحمد الرازي، وابن حزم وابن حيان، وآخرين غيرهم. وعلى الرغم من أنه لا يذكر اسم الرازي كثيراً[57]، لكنه يستعمل دائماً كلمة (قال) التي ربما تشير إلى أنه يعني الرازي نفسه. ولهذا فيحتمل أن قسماً من حوليته قد اقتُبس من مؤلف الرازي المفقود، **كتاب أخبار ملوك الأندلس**[58]. ومن المعتقد أن **حولية فتح الأندلس** قد كتبت من قبل مؤلف أندلسي بعد سنة 480/1087 وهو التاريخ الأخير المذكور في الكتاب[59]. وتتضمن مادة الحولية معلومات عن تاريخ المسلمين في إسبانيا منذ الفتح حتى عهد المرابطين، وتختلف هذه الحولية عن بقية المصادر التي أسلفنا الحديث عنها مثل **تاريخ افتتاح الأندلس، وأخبار مجموعة**، بأن حوادثها مرتبة زمنياً حسب السنين. ولكن تنسيقها من الناحية الفنية غير جيد، ومع هذا فهي غنية بالمعلومات المفيدة[60].

وهناك نسختان من الكتاب المجهول المؤلف الآخر «**ذكر بلاد الأندلس وفضلها...**». النسخة الأولى محفوظة في الخزانة العامة بالرباط رقم (58ج)، والثانية في مكتبة القصر الملكي بالرباط أيضاً رقم (558). وقد قام الدكتور حسين مؤنس بدراسة موجزة عن هذا الكتاب، كما نشر الجزء الخاص بقرطبة من المخطوطة[61]. ولكن يبدو أنه لم تُتح له الفرصة للاطلاع

---

(57) انظر: **فتح الأندلس**، ص 15، 32، 66.

(58) Cf. Sáchez-Albornoz, «Precisiones sobre *Fath al-Andalus,»* pp. 6-7; E. Garcia Gomez, «Novedales sobre la crónica anónima titulada, *«Fath al-Andalus»*, *Annales de l'Institut des Etudes Orientales,* XII; 1954, pp. 35, 36, 37.

(59) **فتح الأندلس**، ص 81.

(60) cf. Gomez, op. cit,. pp. 34-6.

(61) انظر: مؤنس «الجغرافية والجغرافيون في الأندلس» **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**، العدد 11 ـ 12، 1963 ـ 1964، ص 323 ـ 328؛ وانظر أيضاً: مؤنس، «وصف

على نسخة مكتبة القصر الملكي بالرباط لأن هذه النسخة تقدم الجواب على تساؤلات الدكتور مؤنس عن عصر مؤلف الكتاب. فاعتماده على النسخة الأولى التي تنتهي بسقوط الخلافة الأموية في قرطبة، جعله ينفي احتمال أن يكون المؤلف قد عاش في العصر الغرناطي أو ربما بعده. وقد أورد رأيه هذا على الرغم من عنوان المخطوطة الطويل الذي يشير إلى أن مادة الكتاب تتضمن إلى جانب وصف الأندلس وأهلها منذ العصور المبكرة حتى الفتح الإسلامي والحكم الأموي، ذكر سلالات أخرى مثل المرابطين والموحدين والمرينيين، والنصريين حكام غرناطة. وتضيف النسخة الثانية معلومات أخرى، كما تتضمن روايات عن تاريخ الأندلس في أثناء عصر ملوك الطوائف بعد سنة 400/ 1009[62]. وهذا بطبيعة الحال يؤيد صحة العنوان، ويحدد بأن المؤلف عاش في عصر متأخر جداً، كما يشير أيضاً إلى فقدان قسم لا بأس به من هذه المخطوطة.

وبغضّ النظر عن كون هذا المصدر متأخراً نسبياً، فإن المخطوطة ذات أهمية عظيمة بسبب اقتباساتها العديدة من بقية المصادر الأولية. وهذه تتضمن أعمال الكثير من المؤلفين من أمثال عبد الملك بن حبيب، وابن القوطية، وابن خرداذبة، والرازي، والرقيق، وابن بشكوال وابن حيان، والعذري، والإدريسي، ولكن أهم هذه الاقتباسات دون شك هي تلك المأخوذة عن الرازي وابن حيان، لأن المؤلف المجهول يشير باستمرار إلى اسميهما[63]، لكنه يستعمل أيضاً عبارة: «قال صاحب التاريخ»، أو «قال صاحب التأليف»، وذلك عندما يشير إلى أحدهما، أو ربما إلى كليهما. ويرى الدكتور مؤنس،

جديد لقرطبة الإسلامية» **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**، العدد 13، ص 161 ـ 181.

(62) **ذكر بلاد الأندلس**، رقم (558)، ص 245 ـ 249.

(63) انظر، المصدر نفسه، رقم (85ج)، ص 8، 21، 23، 51، 91، 136، رقم (558)، ص 5، 26، 28، 29، 68، 126، 188، 190.

أن الرازي هو المقصود بهذا اللقب، لأن المؤلف يربط على نحو واضح بين اسم هذا المؤرخ وبين اللقب «صاحب التاريخ»[64]. ولكن المؤلف يشير أيضاً إشارة مشابهة إلى ابن حيان[65]، ولهذا فإن رأي الدكتور مؤنس بشأن الرازي قابل للمناقشة. ويمكن للمرء أن يقرر باطمئنان، أن المقصود بهذا اللقب هو الرازي، وذلك في الأقسام الأولى من المخطوطة وبخاصة الفصول الجغرافية وتاريخ إسبانيا قبل الإسلام والفتح الإسلامي لإسبانيا، وفترة حكم الأمراء في الأندلس حتى عصر الرازي نفسه. بعد ذلك يستمر المؤلف المجهول في تأليفه معتمداً على كتاب **المقتبس** لابن حيان داعياً هذا المؤرخ الأخير بنفس الاسم المعهود: «صاحب التاريخ»[66].

وعلى الرغم من أننا لا نمتلك إلاً أجزاء قليلة فقط من كتاب **المقتبس** لابن حيان بن خلف بن حسين بن حيان (ت 469/1070)، لكن بقية هذا الكتاب يمكن إعادة تنظيمها من الاقتباسات الكثيرة التي حفظها لنا العديد من الكُتّاب الآخرين من أمثال المؤلف المجهول **لذكر بلاد الأندلس**، وابن بسام، وابن عذارى، وابن الأبار وابن سعيد، وابن خلدون، والمقري[67]. ويتناول كتاب **المقتبس** عادة أحداثاً وقعت في عهود سبقت الزمن الذي عاش فيه ابن حيان، ولهذا فهو يعتمد على مصادر أولية أخرى، كتلك التي تعود إلى ابن القوطية، والرازي، وعريب بن سعد، وابن الفرضي، وآخرين غيرهم[68]. أن الروايات التي أوردها ابن حيان، كانت ذات أهمية كبيرة في المساعدة على توفير المعلومات لبحث جوانب عديدة في أثناء إعداد هذه الدراسة.

---

(64) قارن: مؤنس، «الجغرافية والجغرافيون»، ص 323؛ انظر أيضاً: **ذكر بلاد**، رقم (85ج) ص 125، رقم (558) ص 176.

(65) المصدر نفسه، رقم (85ج) ص 153، رقم (558) ص 212.

(66) المصدر نفسه، رقم (85ج) ص 147، 153، 154، رقم (558) ص 204، 212، 213.

(67) Cf. S. Goldman, «Ibn Hayyan and place in Spanish-Muslim historigraphy», *Transactions of the Glasgow University Oriental Society,* **VII**, 1934 - 1935, p. 1.

(68) See: Pons. Boigues, pp. 152-153; Palencia, pp. 151-154; E.I. 2 «Ibn Hayyan».

عاش ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد في النصف الثاني للقرن السابع وأوائل القرن الثامن للهجرة/ الثالث عشر والرابع عشر للميلاد. وقد كتب مؤلفاً يعوّل عليه في تاريخ شمال أفريقيا وإسبانيا. ولقد ابتدأ ابن عذارى في الجزء الأول من هذا الكتاب بالحديث عن فتح شمال أفريقيا وتاريخها، مع ذكر الكثير من الأحداث المتعلقة بالدول الإسلامية التي حكمت في المنطقة حتى سقوط مدينة المهدية على يد الموحدين في سنة 602/ 1205 ـ 1206. ويتضمن الجزء الثاني فتح إسبانيا وتاريخ المسلمين هناك إلى قيام الدولة العامرية. أما الجزء الثالث، فهو مكرس للحديث عن بقية أحداث التاريخ الأندلسي إلى سقوط الخلافة الأموية في قرطبة، ثم دول الطوائف. ويشتمل الجزء الرابع على قطعة جليلة الشأن تختص بعصر المرابطين في المغرب والأندلس[69]. أما بالنسبة للعصر الذي ندرسه في هذا البحث، فإن أهمية كتاب **البيان المغرب** لابن عذارى تتضح في اقتباساته الكثيرة من مؤلفين سابقين خاصة وأن أعمال بعض هؤلاء الكُتّاب مفقودة، من أمثال عريب بن سعد (ت 370/ 980) الذي كتب ذيلاً **لتاريخ الرسل والملوك للطبري**. وقد نشر دي غوية De Goeje (ليدن 1897) الجزء الخاص بتاريخ المشرق من هذا الكتاب، بينما فقدت رواية عريب الأخرى عن تاريخ شمال أفريقيا وإسبانيا. وإلى جانب ابن عذارى[70]، فلقد استعمل كتاب عريب من قبل العديد من المؤرخين الآخرين، في ضمنهم ابن حيان[71] وابن الأبار[72]، وابن

---

(69) ابن عذاري، **البيان المغرب**، نشر: كولن وليفي بروفنسال، ليدن 1948 ـ 1951: 1/ 3 ـ 5؛ انظر أيضاً: بروفنسال في مقدمته للجزء الثالث من **البيان المغرب**، باريس، 1930. وقد أعادت دار الثقافة في بيروت نشر هذه الأجزاء مع الجزء الرابع، 1967.

(70) انظر: ابن عذاري: 1/ 3، 2/ 4.

(71) قارن: ابن حيان، **المقتبس**. ج5، مخطوط مكتبة القصر الملكي في الرباط، رقم (87)، ص 60، 84، 96، 105.

(72) انظر التكملة، نشر: الأركون، ص 263، 400؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 670.

الشباط[73]، والمؤلف المجهول لكتاب **مفاخر البربر**[74]. وقد اقتبس ابن عذارى أيضاً من ابن أبي الفياض (ت 459/ 1066) وهو مؤرخ أندلسي من مدينة استجة Ecija، ألف كتاباً في تاريخ المغرب عنوانه **العبر**[75]، وكذلك من أبي القطان الذي كتب تاريخاً شاملاً لشمال أفريقيا أسماه **نظم الجمان**[76]. ولقد أشار ابن عذارى في مقدمة كتابه إلى العديد من الكتّاب الذين اعتمد عليهم في تأليف سِفره **البيان المغرب** من أمثال: ابن حبيب، والطبري وعريب بن سعد، والرقيق، والبكري، وابن حزم، وابن حيان، وابن بسام وآخرين[77]. كما اقتبس أيضاً من الرازي في مناسبات عديدة، وبشكل خاص في أثناء حديثه عن تاريخ المسلمين في إسبانيا[78]. ويعد الجزء الذي نشره ليفي بروفنسال (باريس 1930) مفيداً أيضاً لهذه الدراسة، لأنه يتوفر على معلومات جمة تتعلق باستقرار المسلمين المبكر في إسبانيا[79].

ولقد تمَّ تأليف كتابين آخرين في العصر نفسه الذي عاش فيه ابن

(73) قارن: ابن الشباط، «**صلة السمط وسمة المرط**»، تحقيق: أحمد مختار العبادي، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية** في مدريد، العدد 14، 1967 ـ 1968، ص 105 ـ 107.

(74) مجهول المؤلف، **مفاخر البربر**، نشر: ليفي بروفنسال، الرباط، 1937، ص 48.

(75) قارن: ابن عذاري: 1/2 ـ 3؛ وانظر أيضاً: المقري: 3/182؛
Pons Boigues, pp. 138-19; Lévi-Provencal, «Un nouveau récit de la conquête de l'Afrique du Nord par les Arabes», *Arabica*,I, pp. 21-22.

(76) ابن عذاري: 1/20، 28، 42، 44، 55، 56، 67. ولقد توفي والد ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك، في سنة 628/ 1230. انظر: ابن الزبير، **صلة الصلة**، نشر: ليفي بروفنسال، الرباط، 1938، ص 131 ـ 132؛ انظر أيضاً Pons. Boigues, p. 275. ومحمود علي مكي في مقدمته لجزء من **نظم الجمان**، تطوان، 1966، ص، غ.

(77) ابن عذاري: 1/2 ـ 3.

(78) المصدر نفسه: 2/4، 6، 8، 13، 16، 24، 40، 62، 97، 110، 129.

(79) لقد نُشر جزء رابع من **البيان** يتعلق بتاريخ الموحدين وبداية العصر المريني من قبل المستشرق الإسباني أويثي ميراندا، A. Huici Miranda بالتعاون مع إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت، تطوان، 1963.

عذارى الأول مجهول المؤلف عنوان، **مفاخر البربر**، تمّ تأليفه في سنة 712/ 1312. ولقد دفع التوافق بين عصر ابن عذارى وتاريخ كتابة هذا المؤلف بليفي بروفنسال، الذي نشر الكتاب، إلى الاقتراح بأن ابن عذارى نفسه ربما يكون هو مؤلف هذا الكتاب[80]. ولكن الكتاب مخصص كلية للحديث عن شؤون البربر وأنسابهم، ولهذا فمن المحتمل جداً أن يكون قد كتب من قبل كاتب بربري، نقل في مناسبات عديدة عن كتاب مشهورين مثل الرازي، وعريب بن سعد، وابن حزم، وابن القطان، ومحمد بن أبي المجد المغيلي.

أما الكتاب الثاني الذي دُوِّن من قبل مؤلف معاصر لابن عذارى فهو مخطوط صغير يحتوي على بضعة مواضيع تتضمن أسباب البربر، وروايات أسطورية فيما يخص سكان شمال أفريقيا الأقدمين، وجزءاً صغيراً يروي تاريخ الفتح العربي لشمال أفريقيا[81]. ويدعى مؤلف هذا المجموع عبيد الله بن صالح بن عبد الحكيم، الذي كان والده أحد الرواة الذي أستقى منهم ابن عذارى مادة كتابه[82] وتُعد رواية عبيد الله بن صالح عن فتح شمال أفريقيا من أهم أقسام هذا المخطوط. ولقد درست هذه الرواية بعناية ونشرت مع ترجمة فرنسية من قبل المستشرق ليفي بروفنسال[83]. وعلى الرغم من قصرها فإن هذه الرواية تعد واحدة من أفضل وأهم النصوص العربية التي تبحث في تاريخ الفتح العربي لشمال أفريقيا[84].

---

(80) See: Lévi-Provencal, «Un nouveau récit de la conquêt de l'Afrique du Nord par les Arabes, pp. 22-23.

(81) ويوجد هذا المجموع الذي ينسب إلى كاتب يدعى أبو حيان في الخزانة العامة في الرباط تحت رقم (1275ك).

(82) انظر: ابن عذاري: 1/27.

(83) Lévi-Provencal, op. cit., pp. 17-43.

وقد قام الدكتور حسين مؤنس بدوره بترجمة دراسة بروفنسال إلى العربية، كما نشر النص العربي لعبيد الله بن صالح تحت عنوان: «نص جديد عن فتح العرب للمغرب». **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية** في مدريد، العدد 2، 1954، ص 193 ـ 239.

(84) Cf. Lévi-Provencal. op. cit., 24-25.

وإلى جانب هذه الرواية، وكتاب ابن عذارى السالف ذكره، فإن هذه الدراسة اعتمدت أيضاً على العديد من المؤلفين المسلمين الآخرين في ضمنهم ابن الأثير والنويري، وابن خلدون. وهؤلاء المؤرخون الثلاثة يقدمون الكثير من المعلومات المتعلقة بتاريخ المسلمين في شمال أفريقيا وإسبانيا. ولكن روايات ابن خلدون فيما يخص تاريخ الأندلس ليست غنية بالمعلومات وتحتوي أحياناً على أخطاء في التواريخ والأحداث. ومع هذا فإن ابن خلدون يُعد مصدر ثقة في تاريخ البربر واستيطانهم في شمال أفريقيا. ويُعد المقري (ت 1041/ 1631) أيضاً من المؤرخين الكبار، فقد كتب مؤلفاً متعدد الأجزاء في تاريخ الأندلس بعنوان **نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب**. وعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد كتب في عصر متأخر لكنه يُعد من أهم المصادر في تاريخ الأندلس. ويعود السبب في ذلك بشكل خاص إلى الاقتباسات العديدة التي أخذها عن مختلف المصادر الأولية الأصلية وفي ضمنها مؤلفات الرازي وابن حيان.

ويُعد كتاب **جمهرة أنساب العرب** لابن حزم (ت 456/ 1063 ـ 1064) من أفضل المصادر الباقية والمكرسة كلية للبحث في أنساب القبائل العربية. ولقد كان هذا الكتاب أحد مصادر ابن خلدون في رواياته عن أنساب العرب والبربر في شمال أفريقيا وإسبانيا[85].

استقى ابن حزم معظم معلوماته من مؤرخين أوائل وعلماء أنساب آخرين مثل الطبري[86]، والمسعودي[87]، وابن الكلبي[88]، ولكنه حينما

(85) للاطلاع على بعض اقتباسات ابن خلدون من **الجمهرة** انظر: كتاب العبر، بيروت، 1956 ـ 1961: 4/ 36 ـ 37، 246، 249، 251، 295 ـ 296، 316، 489، 580، 5/ 939، 6/ 176 ـ 177، 179، 181، 183، 191، 235، 262، 283، 284، 302، 420، 7/ 26، 111؛ انظر أيضاً: **كتاب التعريف بابن خلدون**، منشور مع العبر، 7/ 796 ـ 797.

(86) **الجمهرة**، ص 62.

(87) المصدر نفسه، ص 411.

(88) المصدر نفسه، ص 355، 359، 373، 487؛ وقارن: M. Hasan, «Ibn Hazm and his

يبحث عن أنساب العرب في الأندلس، فهو يعتمد إمّا على معلومات جمعها نتيجة أبحاثه الخاصة أو يقتبس من باحثين أندلسيين آخرين من أمثال الخليفة الحكم الثاني[89] وشيخه ابن الفرضي[90].

لقد تم استخدام مجموعة كبيرة من المصادر الأندلسية والأفريقية الشمالية في البحث لإعداد هذه الدراسة، وفي ضمن هذه المصادر، كتب التراجم لمختلف الطبقات من أمثال القضاة، والمحدثين، والكُتّاب، والعديد من الباحثين البارزين الآخرين في شمال أفريقيا وإسبانيا. ولقد زودتنا هذه الكتب بمعلومات جديرة بالاهتمام فيما يخص تاريخ هذين البلدين. والمجموعة الأندلسية من هذه التراجم ذات فائدة عظيمة لأية دراسة شاملة عن استقرار المسلمين في إسبانيا.

ويُعد كتاب **رياض النفوس** لمؤلفه أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (توفي بعد سنة 453/ 1061) من أحسن كتب التراجم الخاصة بشمال أفريقيا. فإلى جانب معلوماته المفصلة عن العلماء والفقهاء والقضاة في شمال أفريقيا حتى سنة 356/ 966، فإن المالكي يروي قصة الفتح العربي لهذه البلاد منذ سنة 21/ 642 حتى زمن حسان بن النعمان في حدود سنة 85/ 705[91]. ولقد اقتبس المالكي من كُتّاب ومؤلفين آخرين، من أهمهم الواقدي، وابن أسحق، وعبد الملك بن حبيب، وأبو العرب. وكان الأخير (ت 333/ 944) عربياً من شمال أفريقيا، كتب كتاباً مهماً في التراجم، وهو الموسوم **بطبقات علماء أفريقِيا وتونس**[92]. وانتفع من كتاب المالكي مؤلفون متأخرون

Jamharatu L-Ansab», *Journal of the Royal Society of Bangal,* Letters, XII, no. 1. 1947, pp. 7 - 18.

(89) ويشير ابن حزم إلى أن الحكم الثاني قد ألّف كتاباً في الأنساب، انظر: **الجمهرة**، ص 88، 100، 310، 399، 408، 424.

(90) المصدر نفسه، ص 220.

(91) المالكي، **رياض النفوس**، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1951: 1/ 3 ـ 38.

(92) أبو العرب، **طبقات علماء أفريقية وتونس**، تحقيق: علي الشابي ونعيم اليافي، =

آخرون، من أمثال عبد الرحمن الدباغ (ت 696/ 1296 ـ 1297) الذي ألّف كتاباً عن مشاهير المسلمين من أهل القيروان[93].

أما محمد بن حارث الخشني (ت 361/ 971 ـ 972)، فهو أحد العلماء الأوائل الذين كتبوا في موضوع التراجم في الأندلس. فلقد صنف كتاباً عن **قضاة قرطبة** البارزين[94]، كما ألّف كتاباً آخر عن العلماء في أفريقيا، يدعى **تاريخ علماء أفريقية**[95] ويوجد في مكتبة القصر الملكي في الرباط مخطوط يعود إلى هذا المؤلف يسمى **طبقات المحدثين** وهو يحتوي على مائة واثنتين وثمانين ورقة مكرسة للحديث عن مختلف المحدثين المشهورين في الأندلس. وفي ثنايا هذا الكتاب مادة قيّمة تخص الاستقرار الإسلامي المبكر في إسبانيا. ومع هذا، يبدو أن غالبية الباحثين لم يُتح لهم الاطلاع على هذا المخطوط أو استعماله. وقد نشر هذا الكتاب في مدريد 1992 بتحقيق: ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا.

وقد كتب أبو الوليد عبد الله بن محمد الفرضي (ت 403/ 1012) كتاباً آخر في التراجم بعنوان **تاريخ علماء الأندلس** وقام بالتذييل على هذا الكتاب، أبو القاسم خلف بن بشكوال (ت 578/ 1182) الذي ضمن كتابه **الصلة** معلومات كثيرة عن تراجم العلماء في الأندلس حتى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد[96]. أما أبو عبد الله محمد الأنصاري المراكشي (ت 703/ 1303 ـ 1304) فقد ذيل هو الآخر على كل من كتابي ابن الفرضي

= تونس، 1968؛ وانظر: بروكلمان، المرجع السابق: 3/ 79.

(93) الدباغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، رواية ابن ناجي التنوخي، تونس، 1320هـ، أربعة أجزاء، وانظر طبعة أخرى بتحقيق إبراهيم شبوح، القاهرة، 1968، جـ1.

(94) نُشر كتاب **قضاة قرطبة** مع ترجمة إسبانية من قبل خوليان رايبيرا، تحت عنوان: ***historia de los Fueces de Cordoda***، مدريد، 1914.

(95) وقد نُشر هذان الكتابان معاً تحت عنوان: **قضاة قرطبة وعلماء أفريقية**، منْ قِبَل عزت العطار، القاهرة، 1952؛ وانظر: بروكلمان، المرجع السابق: 3/ 88 ـ 89.

(96) ابن بشكوال، **كتاب الصلة**، جزءان، القاهرة، 1966.

وابن بشكوال وذلك بكتاب ثالث أسماه **الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصلة**[97]. وشرع ابن الأبار (ت 658/ 1260) بدوره بعمل ملحق أو ذيل آخر لكتاب ابن بشكوال دعاه **التكملة لكتاب الصلة**، وفيه استمر بعرض تراجم الأندلسيين إلى منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر للميلاد.

وأخيراً فإن هذه السلسلة من الكتب الملحقة أو المذيلة بلغت منتهاها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر للميلاد وذلك حينما قام أبو جعفر أحمد بن الزبير بتأليف كتاب جديد أطلق عليه اسم **صلة الصلة**.

ولقد استخدمت لأغراض هذا البحث أيضاً كتب أخرى مهمة في التراجم من ضمنها **جذوة المقتبس** للحميدي، و**بغية الملتمس** للضبي، و**الحلة السيراء** لابن الأبار و**الإحاطة في أخبار غرناطة** لابن الخطيب[98].

وأما بالنسبة للمصادر الجغرافية فإن هذه الدراسة اعتمدت على مؤلفات كل من العذري والبكري، والإدريسي، وياقوت الحموي، هذا بالإضافة إلى العديد من الجغرافيين المشارقة الآخرين من أمثال: اليعقوبي، وابن خرداذبة، وابن حوقل، والمقدسي، والأصطخري. وإلى جانب المعلومات الجغرافية، فإن هؤلاء الجغرافيين يقدمون أيضاً مادة وثيقة الصلة بموضوع الدراسة ساعدت على توضيح وشرح نقاط عديدة في هذا البحث. ولقد كانت هذه المؤلفات مفيدة بشكل خاص لعرض الخلفية الاقتصادية لشمال أفريقيا واستيطان البربر هناك قبيل الفتح العربي، وكذلك فإنها أسهمت في تقديم الشروح والتفسيرات المختلفة للاصطلاحات الجغرافية التي كانت تستعمل

(97) نُشر الجزء الأول من هذا الكتاب بقسميه في بيروت، بتحقيق: محمد بن شريفة. وحقق احسان عباس أقساماً من الجزء الرابع والخامس والسادس، ونشرها في بيروت، 1964 ـ 1965، 1973.

(98) نُشر كتاب **الإحاطة في أخبار غرناطة** في أربعة أجزاء في القاهرة، بتحقيق: محمد عبد الله عنان. وهناك الكثير من نسخ **الإحاطة** المخطوطة التي تتوزع في مكتبات عديدة في العالم.

لوصف بعض مناطق الاستقرار في إسبانيا. يضاف إلى ذلك، أن هذه المؤلفات ساعدت على إعطاء صورة واضحة لمصادر البلاد الطبيعية والثروات في الأقاليم المختلفة التي سكنها المسلمون. ولقد كانت هذه المعلومات على غاية كبيرة من الأهمية، وذلك في المساعدة على توضيح وتحديد المناطق المفضلة للاستقرار في إسبانيا. وتتضمن المصادر الجغرافية أيضاً معلومات متفرقة تخص استقرار القبائل العربية والبربرية في إسبانيا. ولقد جمعت هذه المادة القيّمة وأعيد تنظيمها في هذه الدراسة مع بقية الحقائق المستقاة من المصادر الأخرى، وذلك في محاولة لتقديم صورة حقيقية لاستقرار المسلمين في إسبانيا.



الفصل الأول

الجغرافية السياسية لشمال أفريقيا وإسبانيا

1 ـ شمال أفريقيا:

يُعد اصطلاح (شمال أفريقيا) اصطلاحاً عاماً، ولذا يستحسن قبل كل شيء أن تحدد المنطقة الجغرافية المشمولة بهذه الدراسة، إن هذا الاصطلاح يُعد مرادفاً لكلمة (المغرب) التي استعملها الجغرافيون والمؤرخون العرب، وذلك لوصف معظم المناطق التي تمتد من الحدود الغربية لمصر وحتى شواطئ المحيط الأطلسي[1]. وفي هذه الدراسة سوف يستعمل اصطلاح (شمال أفريقيا) ليشير إلى كل الأراضي التي تقع اليوم ضمن كل من تونس،

---

(1) ابن حوقل، **صورة الأرض**، بيروت، دار مكتبة الحياة، ص 64 ـ 65؛ المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، نشر: دي غوية، ليدن، 1906 ص 216؛ المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، نشر: دوزي، أمستردام، 1968، ص 258؛ ابن عذاري: 1/5. ومع هذا، فإن ياقوت، **معجم البلدان**، بيروت، 1957: 5/161 يرى بأن المغرب يمتد من مليانة إلى المحيط الأطلسي.

الجزائر، والمغرب. ولقد استعمل الكتّاب العرب أيضاً لفظة (أفريقية) التي كانت تختلط أحياناً بالمفهوم الكلي لكلمة (المغرب)[2]. ولكن أصبح واضحاً فيما بعد بأن (أفريقية) تعني تقريباً كل المنطقة التي تقع ضمن تونس وشرقي الجزائر[3].

إن دراسة الجغرافية السياسية لشمال أفريقيا زمن الفتح العربي تعد من الدراسات الصعبة، وذلك لأننا نتعامل مع منطقة واسعة، وجماعات مختلفة الأصول من السكان، يضاف إلى ذلك أن هذه المنطقة قد تعرضت إلى الغزو عدّة مرّات خلال تاريخها الطويل، فالفينيقيون، والرومان، والوندال، والبيزنطيون حاولوا على التوالي أن يسيطروا على أكبر مساحة ممكنة من هذه المنطقة الواسعة، ولكنهم لم يستطيعوا أن يبسطوا نفوذهم إلاّ على المدن الساحلية، وبعض المراكز الحصينة في الداخل. وهنا استطاع كل من الفينيقيين والرومان أن يمتزجوا إلى حد ما بالبربر المحيطين بهم، أما بقية البلاد، وبشكل خاص المنطقة الداخلية فقد ظلت تحت سيطرة البربر[4].

عندما قرر الإمبراطور البيزنطي جستنيان Justinian (527 ـ 565م) أن يحتل شمال أفريقيا في سنة 533م. فإنه كان يهدف إلى إعادة وحدة الإمبراطورية الرومانية[5]. ولكن جيشه فشل في احتلال كل المقاطعات

---

(2) البكري، **المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب**، نشر: دي سلان، الجزائر، 1857، ص 21؛ ابن عذاري: 1/ 5؛ مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية، 1958، ص 111 ـ 112؛ الأندلسي، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تونس، 1287هـ، ص 107.

(3) ياقوت، 1/ 228، وهو يرى أنها تمتد من طرابلس إلى بجاية أو إلى مليانة. ومن المفيد في هذا المجال ملاحظة قول سحنون (ت 240هـ/ 855م) الذي يرى بأن حدود «أفريقية» تمتد من طرابلس إلى طبنة، (انظر: الداوودي، **كتاب الأموال**، مخطوط في مكتبة الأسكوريال، رقم 1165، الورقة 17أ)؛ العمري، **وصف أفريقية والمغرب والأندلس**، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس، بدون تاريخ، ص 2.

(4) *The Cambridge Medieval History*, Cambridge, 1964, vol. II, p. 365.

(5) Saint Isidoré of Seville, *History of the Goths, Vandals, and Suvei*, translated =

الرومانية، فالمناطق التي احتلها البيزنطيون كانت أقل بكثير. فموريطانيا الثانية (الطنجية) تقلصت إلى سبتة، والقيصرية Caesarian فقدت أجزاءها الغربية، بينما فقدت طرابلس Tripolitania مناطقها الشمالية، أما نوميديا وأفريقيا البروقيصرية، وبيزاسينا Byzacenia فقد ظلت كما كانت عليه سابقاً(6). ولم يتمكن البيزنطيون أبداً من التوغل في داخل منطقة طنجة Tingitania، وحتى سبتة فإنها قد عزلت عن الأراضي المحيطة بها، ولم تتمكن من الاتصال بالمناطق الشرقية من شمال أفريقيا إلاّ بالبحر. وفي طرابلس كانت سيطرة البيزنطيين مقتصرة على الشريط الساحلي الذي يربط قابس بمنطقة برقة(7). وهي الأجزاء الشرقية من ليبيا.

قسّم البيزنطينيون الشمال الأفريقي إلى سبع مقاطعات وهي كما يأتي(8):

1 ـ Proconsular Africa (أفريقية البروقنصلية) تقع حالياً في شمالي تونس.

2 ـ Byzacenia (بيزاسينا) الأجزاء الداخلية جنوبي تونس.

3 ـ Numidia (نوميديا) تقريباً غربي تونس وشرقي الجزائر.

4 ـ Mauritania Prima (موريطانيا الأولى) (Caesarian, Sitifian) غربي بجاية إلى وادي الملوية(9).

---

from the Latin by: G. Donini and G. B. Ford, Leiden, 1970, p. 38; H. V. Livermore, *The Origins of Spain and Portugal,* London, 1971, p. 144; J. M. Abun-Nasr, *A History of the Maghrib,* Cambridge, 1971, p. 53.
ومما يجدر ملاحظته أيضاً أن جستنيان سار على السياسة ذاتها حينما تدخّل واحتل أجزاء من إيطاليا وإسبانيا.

(6) C. A. Julien, *History of North Africa,* translated from the French by: John Petrie, London, 1970, p. XV.

(7) Nasr, p. 56.

(8) Ibid., p. 56, cit., Charles Diehl, *L'Afrique byzantine,* Paris, 1896, Vol. II, pp. 107-110.

(9) تضم موريطانيا الأولى Sitifian فقط، بينما تتبع Caesarian موريطانيا الثانية، ولكن في أثناء حكم Maurice (582 ـ 602م) دمجت هاتان الولايتان كما في أعلاه.

5 ـ Mauritania Seconda (موريطانيا الثانية) سبتة والممتلكات البيزنطينية في إسبانيا وجزر البليار.

6 ـ Tripoliania[10] (طرابلس) غربي برقة إلى قابس.

7 ـ Sardinia (سردينيا) التي تضم أيضاً كورسيكا.

كانت كل مقاطعة يحكمها قنصل أو praeses (Paraesides) بينما كانت جميع المقاطعات ويضمنها كورسيكا وسردينيا يحكمها حاكم إمبراطوري Prefect يمارس كل السلطات المدنية، وكان مسؤولاً أيضاً عن الدفاع وإدارة القضاء[11]. ولكن في عهد الإمبراطور Maurice أعطي الحاكم المدني والعسكري منصب Exarch الذي كان أعلى من منصب الحاكم الإمبراطوري Perfect لأنه الممثل الشخصي للإمبراطور. وقد استمر منصب الحاكم الإمبراطوري Prefect في شمال أفريقيا ولكن حامل هذا اللقب أصبح موظفاً إدارياً يتلقى أوامره من الممثل الشخصي للإمبراطور أي الـ Exarch[12].

وكان قائد الجيش Magister militum مستقلاً عن الحاكم الإمبراطوري (Prefect) من الوجهة النظرية. ولكن في حالة توقع هجوم خارجي فإن صلاحية الحاكم الإمبراطوري وقائد الجيش تناط بشخص واحد[13].

لقد كانت البلاد مقسمة إلى أربع مناطق عسكرية هي:

1 ـ طرابلس Tripolitania عاصمتها كانت Leptis لبدة.

2 ـ بيزسينيا Byzacenia عاصمتها كانت Capsa، قابس Thevest تبة.

3 ـ نوميديا Numidia عاصمتها كانت Constantina, Cirta قسنطينة.

---

(10) لقد كانت هذه الولايات ملحقة إدارياً بمصر في أثناء حكم الإمبراطور Maurice.

(11) Nasr. p. 56.

(12) Ibid., p. 57.

(13) Ibid., p. 57.

4 ـ موريطانيا Mauritanias[14] عاصمتها كانت Caesarea شرشال.

وكان على رأس كل مقاطعة موظف يدعى dux دوق duke بينما كان موظف آخر مسؤولاً عن سبتة، وهو في مرتبة أقل تحت قيادة دوق موريطانيا Mauritanias. لقد كانت أعمال الدوق الأساسية هي الدفاع عن خطوط التحصينات الرومانية limes والسيطرة على قبائل البربر[15].

أما بالنسبة للدفاع عن الحدود، فقد أعاد البيزنطيون نظام خطوط التحصينات Limes التي ترجع للعهد الروماني. كما أعادوا بناء التحصينات التي دمرها الوندال. وبنوا تحصينات جديدة. ومع هذا فإنه من الصعب التصديق بأن هذه التحصينات كانت قوية إلى درجة تؤهلها للوقوف أمام أي هجوم خارجي، لأنها كانت مبنية على عجل. ولهذا فإن جوليان A. Julian كان محقاً حين وصف هذه التحصينات على أنها تمثل القوة الرومانية في حالة انهيارها[16].

ومن أجل حماية خطوط التحصينات عمد البيزنطيون ـ خاصة بعد توطيد سلطتهم في شمال أفريقيا ـ إلى إحياء نظام الاعتماد على الفلاحين المحليين Limitanei للدفاع عن هذه التحصينات[17].

تشير المصادر إلى وجود ثلاثة عناصر للسكان في شمال أفريقيا زمن الفتح العربي الإسلامي: البيزنطيون (الروم)، الأفارقة أو الأفارق، مفردها أفريقي، والبربر.

لقد استعمل الكُتّاب العرب اصطلاح الأفارقة ليشير إلى جماعة معيَّنة من السكان تختلف عن البربر، وفي أحيان أخرى استعملوا تعبير آخر، وهو

(14) لقد استُحدثت مقاطعة عسكرية خامسة فيما بعد لسردينيا.

(15) Nasr. p. 57.

(16) A. Julien, *Historia de L'Afrique de Nord*, p. 297 (نقلا عن: حسين مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، القاهرة، 1947، ص 19).

(17) Nasr. p. 57.

عجم أفريقية، أو الأفارقة الأعاجم الذي يعني الأفارقة من غير العرب[18]. ويرى غوتيه E. F. Gautier بأن هؤلاء كانوا من بقايا الشعب القرطاجني القديم[19]، ولكن هناك أدلة تشير إلى أن المؤرخين العرب نسبوا بعضاً من هذه الجماعات إلى أصول بيزنطية[20]. ولهذا فإنه لا بد من تأييد الاحتمال القائل بأن الأفارقة هم جماعات خليطة من المسيحيين من بقايا الشعوب السابقة، كالفينقيين، والرومان، والوندال والبيزنطيين، وحتى إن بعضهم يمكن أن يكونوا من الإغريق لأن ابن عذاري يشير إلى وجود ابن يوناني للكاهنة[21].

سكن هؤلاء الأفارقة بصورة رئيسة في المدن الساحلية، وبخاصة في مقاطعة أفريقيا البروقنصلية حيث عرفت مدينة قابس حتى بعد الفتح العربي، على أنها مدينة الأفارقة الأعاجم[22]. وعلى الرغم من وجودهم في كل مكان من السواحل فإن هناك أدلة في مصادرنا تشير إلى أنهم قد استوطنوا أيضاً في نوميديا بل وحتى في مناطق داخلية كالمنطقة التي تقع فيها مدينة فاس الحالية على سبيل المثال[23].

كانت تجارة زيت الزيتون المصدر الرئيسي للدخل بالنسبة لسكان

---

(18) ابن عبد الحكم، ص 170، وهو يشير إليهم أيضاً باعتبارهم خدما للبيزنطينيين؛ اليعقوبي، **كتاب البلدان**، نشر: دي غوية، ليدن، 1892، ص 348؛ ابن خرداذبة، **كتاب المسالك**، نشر: دي غوية، ليدن 1889، ص 86؛ البكري، ص 17، 56، 114؛ ابن عذاري: 1/ 38؛ ابن خلدون: 6/ 219.

(19) E. F Gautier, *Le Passe de Afrique de Nord,* Paris, 1937, p. 100 (نقلاً عن: مؤنس، المرجع السابق، ص 5).

(20) ابن عبد الحكم، ص 218؛ ابن خلدون: 6/ 221؛ السّلاوي، **كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، الدار البيضاء، 1954: 1/ 108.

(21) ابن عذاري: 1/ 37.

(22) ابن خرداذبة، ص 86؛ البكري، ص 17، 5؛ الإدريسي، **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، نشر: دوزي ودي غوية، ليدن، 1866، ص 121؛ ياقوت: 4/ 289.

(23) اليعقوبي، ص 348؛ البكري، ص 114.

الأجزاء الساحلية من أفريقيا البروقنصلية[24]. ولعله من المفيد أن نذكر بأن التجارة بصورة عامة كانت قد ازدهرت منذ فترات طويلة قبل الفتح العربي لشمال أفريقيا، حيث لعبت هذه المنطقة دوراً جوهرياً في الإسهام بتجارة كل منطقة البحر المتوسط، ناهيك عن دور برابر المناطق الداخلية الذين كانوا يسيطرون على طرق التجارة الصحراوية[25].

يقدم المؤرخون والكُتّاب العرب تفسيرات عديدة فيما يتعلق باشتقاق اسم البربر وأصولهم التي انحدروا منها، ولكنهم يتفقون على أن البربر أقوام هاجرت من فلسطين أو من اليمن، وأنهم يرجعون إلى أصول كنعانية أو حِميرية[26]. وهذا يدل على أن الأصول البربرية تعود إلى تاريخها القديم إلى الأقوام التي هاجرت من جزيرة العرب. ولا يمكن للروايات المخالفة لهذه الحقيقة أن تقف أمام الأدلة التاريخية الثابتة، أو أن تقدم أي تفسير بديل عن هذا الأمر[27].

ولقد حاول الاستعمار الأوروبي أن يضرب على وتر التفرقة بين العرب والبربر تحقيقاً لأغراضه في أحكام السيطرة على الشمال الأفريقي، فاخترع الأكاذيب التي تحاول أن تنسب البربر إلى أصل أوروبي آري، وتقطع صلتهم

---

(24) ابن عبد الحكم، ص 185؛ الدباغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، رواية ابن ناجي التنوخي، تحقيق: إبراهيم شبوح، القاهرة، 1968: 1/ 35 ـ 36؛ التجاني، **رحلة التجاني**، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1958، ص 65 ـ 66؛ ابن عذاري: 1/ 2؛ ياقوت: 3/ 223؛ عبيد الله بن صالح، نشر: بروفنسال، ص 217.

(25) انظر، ص

(26) ابن عبد الحكم، ص 170؛ البلاذري، **فتوح البلدان**، نشر: دي غوية، ليدن، 1866، ص 225؛ الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، نشر: دي غوية، ليدن، 1879 ـ 1901: 1/ 219، 516؛ الإدريسي، ص 57؛ المراكشي، ص 254؛ عبيد الله بن صالح، المخطوط، ص 19 ـ 20، 22 ـ 23؛ **مفاخر البربر**، ص 1، 64، 75، 76؛ ابن خلدون: 6/ 181 ـ 183؛ الفاسي، **الجمان في مختصر أخبار الزمان**، مخطوط في المكتبة الوطنية في تونس، رقم (18407)، الورقة 98أ.

(27) **الجمهرة**، ص 495.

العرقية بالعرب. ولكن من الصعب الطعن بروايات المؤرخين العرب، خاصة وأن النسّابة البربر بدورهم يوصلون القبائل البربرية بأصول عربية سواء، في جنوب الجزيرة العربية، أو ببلاد الشام. ويذكر ابن خلدون أن نسّابة زناتة ينسبون أنفسهم إلى حِمْيَر وإلى العمالقة، وأنهم يتفقون مع نسابة العرب على الأصل العربي لبعض القبائل البربرية[28]. وللحصول على المزيد من المعلومات المتعلقة بالأصول العربية للبربر يمكن للقارئ أن يراجع بحث الأستاذ عثمان سعدي الموسوم «الأصول العربية للبربر» المنشور في مجلة آفاق عربية، السنة الخامسة، العدد 9، أيار 1980، (ص 6 ـ 25).

وعلى أية حال، فإن وحدة الأصول العرقية بين العرب والبربر لا تحد بالضرورة من قيام الصراع بين الطرفين، والذي سنتحدث عنه فيما بعد، لأن هذا النزاع ما هو إلاَّ من قبيل الخلاف الذي يحدث بين أبناء العم الواحد، ولا يمكن أن يتخذ دليلاً على اختلاف الأصول العرقية.

ولا يوجد أصل عرقي للفظة (بربر)، لأن البربر أشتهروا في التاريخ بالبتر والبرانس. ولكن الغالب أن كلمة البربر اشتقت من Barbari اللاتينية، وهي اللفظة المقابلة للكلمة الإنكليزية Barbarian التي أطلقها الرومان على الأقوام التي لا تتكلم اللاتينية أو اليونانية[29]. ولو كان لهذه الكلمة مضامين عرقية لاخْتُفِظَ بها حتى بعد استقرار الإسلام بالمغرب مثلما بقيت كلمة «الأفغان» «والأرد» و«الترك» وغيرهم من الأجناس الإسلامية التي لا زالت مسلمة لحد الآن[30].

كان التنظيم الاجتماعي للبربر قَبَلياً منذ أقدم العهود التاريخية، ويصنف المؤرخون العرب قبائل البربر إلى الصنفين الآتيين: البتر، والبرانس، وكل

---

(28) ابن خلدون: 6/7، 187، 192.

(29) Nasr. p. 7.

(30) انظر: عثمان سعدي، الأصول العربية للبربر، **آفاق عربية**، العدد 9، 1980، ص 18.

من هاتين الجماعتين مقسم إلى قبائل عديدة، وبالإمكان تمييز بعض الجماعات الكبيرة والقوية زمن الفتح العربي الإسلامي، مثال ذلك القبائل البترية: لواته، نفوسة، نفزاوة، مغراوة، زناتة، مطفرة، مغيلة، مكناسة، مديونة، زواغة، والقبائل البرنسية من أمثال صنهاجة، مصمودة، هسكورة، أوربة، كتامة، هوارة، غمارة، أزداجة، مسطاطة، جزولة(31). وكما سنرى فيما بعد عند الحديث عن أماكن استقرار البربر، فإن معظم البتر عاشوا في مناطق السهول التي تتمتع بمناخ معتدل، بينما استقر البرانس في مناطق الجبال الباردة، ويرجح بعض المؤرخين المحدثين أن كلاً من لفظتي البتر والبرانس قد جاءتا من التمييز بين اللباس القومي الذي ترتديه هذه الجماعات(32). فسكان الجبال كانوا يرتدون برنساً كاملاً، أي بغطاء الرأس، ومن هنا جاءت اللفظة برانس، بينما لم يكن من الضروري للآخرين، أي سكان السهول، أن يلبسوا هذا اللباس، فاكتفوا بالبرنس من غير غطاء الرأس، أي أبتر، ولهذا سموا بالبتر.

لقد كانت غالبية هذه القبائل وثنية(33). وظل بعضهم هكذا إلى ما يقارب الثلاثة قرون بعد الفتح، كما هو الحال بالنسبة لجماعات من صنهاجة في غربي الصحراء الكبرى(34). ومع هذا فقد انتشرت فيهم الديانة المسيحية، وبشكل خاص في المناطق الساحلية حيث تأثروا بكل من الرومان والبيزنطيين، ولقد تحولت قبائل عديدة إلى الديانة المسيحية بخاصة قبائل زناتة في موريطانيا الأولى، وقبائل أوربة في جبال الأوراس، ونفوسة في

---

(31) ابن عبد الحكم، ص 205؛ **الجمهرة**، ص 495 ـ 498؛ ابن خلدون: 6/ 176 ـ 181.

(32) محادثة شفهية في 5/ 2/ 1977؛ وانظر: أحمد مختار العبادي، **من تاريخ الأندلس والمغرب**، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ص 16 ـ 17.

(33) ابن عذاري: 1/ 26؛ ابن خلدون: 6/ 212؛ Naser. p. 58; R. Bassel- C. H. Pellat, «Berbers». E. I2.

(34) ابن خلدون: 6/ 373.

طرابلس[35]. واستطاعت الديانة اليهودية أيضاً أن تحصل على بعض الأنصار من صفوف البربر في شمال أفريقيا، فقد اعتنقت جراوة قبيلة الكاهنة القوية، الديانة اليهودية، وكذلك فعلت جماعات من نفوسة في طرابلس، ومجتمعات صغيرة تقع في المناطق الغربية من الشمال الأفريقي حيث ظلت هذه المجتمعات باقية في العهود الإسلامية بعد الفتح[36].

في عشية الفتح العربي الإسلامي، كانت قبائل البربر تتوزع بصورة عامة في شمال أفريقيا على الشكل الآتي:

قبائل لواته[37]، نفوسه[38]، هواره[39]، وبعض من جماعات زنانة[40]، ونفزة[41]، وزواغة[42]، كانوا في منطقة طرابلس والصحراء التابعة لها في

---

(35) ابن عبد الحكم، ص 201؛ الرقيق، ص 61، 64؛ المالكي: 1/ 35؛ البكري، ص 33، 190؛ ياقوت: 5/ 297؛ **معالم الإيمان**: 1/ 64، 77؛ التجاني، ص 239؛ ابن عذاري: 1/ 36، 38؛ ابن خلدون: 6/ 214، 219 ـ 220، 7/ 15؛ **الاستبصار**، ص 121، 208؛ **الحلل**، ص 237؛ مجهول، **ذكر بلاد أفريقية**، مخطوط في الخزانة العامة في الرباط، رقم (787د) الورقة 8أ.

(36) البكري، ص 9، 85، 90، 115، 124، 148 ـ 149؛ الإدريسي، ص 69، 132، 134؛ ابن خلدون: 6/ 214؛ **مفاخر البربر**، ص 65؛ ابن أبي دينار، **كتاب المؤنس في أخبار أفريقية وتونس**، تحقيق: محمد شمام، تونس، 1967، ص 28، 34؛ *The Cambridge History of Islam*, Cambridge. 1970. Vol. II. p. 214; R. Basset-C. H. Pellat, «Berbers», E.I2.

(37) ابن عبد الحكم، ص 170؛ اليعقوبي، ص 342 ـ 243، 344، 345؛ الكندي، **كتاب الولاة والقضاة**، بيروت، 1908، ص 32؛ البكري، ص 5، 8، الإدريسي، ص 57؛ ابن خلدون: 6/ 204، 235؛ **الجمان**، الورقة 19أ؛ مجهول، **الذرة النثيرة في أخبار الجزيرة**، مخطوط في المكتبة الوطنية في تونس، رقم (18621) الورقة 68أ.

(38) ابن عبد الحكم، ص 170؛ اليعقوبي، ص 346؛ البكري، ص 9؛ ابن خلدون: 6/ 230.

(39) ابن عبد الحكم، ص 170؛ اليعقوبي، ص 346؛ الكندي، ص 32؛ المسعودي، **مروج الذهب**، بيروت، 1973: 2/ 95 ـ 96؛ البكري، ص 7، 12؛ الإدريسي، ص 57، 130، 132؛ ياقوت: 5/ 366؛ ابن خلدون: 6/ 284، 290.

(40) ابن عبد الحكم، ص 219، 224؛ ابن خلدون: 7/ 4، 109.

(41) المصدر نفسه: 6/ 189.

(42) البكري، ص 17؛ ابن خلدون: 6/ 264، 308.

الجنوب، وكان قسم من هؤلاء قد استقروا في المناطق الساحلية وبشكل خاص في طرابلس، وصبرة، وأجدابية، ومنطقة برقة[43]، بينما كانت الغالبية العظمى من الآخرين يتنقلون في المناطق الصحراوية[44].

لقد كان بربر هذه المناطق يقومون بالتجارة الصحراوية بين الداخل والساحل، ففي الجنوب كانت زويلة محطة شهيرة لتقاطع طرق القوافل القادمة من كل الأماكن المجاورة؛ إنها كانت تمثل بداية بلاد السودان[45]. لبدة، وكثير من الموانئ الأخرى على الساحل كانت في الوجود ومنذ قرون كمنافذ للتجارة الصحراوية على البحر المتوسط[46]. يضاف إلى ذلك، إن هناك علاقات تجارية كثيرة مع المناطق المجاورة، وبخاصة مصر التي كان يحمل إليها مواد كثيرة من برقة، مثال على ذلك، المواشي، والأغنام والأصواف والزيوت، والعسل، والقار[47]. وكان برابرة كوّار في الصحراء الجنوبية يتاجرون بالشب، الذي كان من أشهر المعادن الموجودة في منطقتهم، وقد غطت فعالياتهم التجارية مناطق واسعة بين مصر وورجلان ووصلت إلى المغرب الأقصى[48].

عاشت جماعات عديدة من البربر في مقاطعة أفريقية البروقنصلية وبيزاسينا في الجنوب، أي جنوبي تونس الحالية، وتعد زناتة، ونفزاوة، ونفوسة، ولواتة من القبائل الكبيرة هناك. كما كانت هناك أيضاً بعض العشائر الصغيرة التي تعود إلى هوارة قرب مرماجنّة، في وادي مجردة

---

(43) ابن عبد الحكم، ص 107؛ اليعقوبي، ص 344؛ البكري، ص 5، 7، 9،؛ ياقوت: 1/ 100، 4/ 25.

(44) البكري، ص 7؛ ابن خلدون: 6/ 235، 7/ 109.

(45) البكري، ص 10؛ الإدريسي، ص 132 ـ 133؛ ياقوت: 3/ 160.

(46) Davidson, *Africa in History*, p. 47.

(47) ابن حوقل، ص 69، البكري، ص 5؛ الإدريسي، ص 131.

(48) المصدر نفسه، ص 39 ـ 40؛ ياقوت: 4/ 486.

الأعلى[49]، ووزداجة ورداجة في منطقة باجة[50]، شمالي تونس، ومطماطة، غربي قابس[51]. لقد كان بربر زناتة شبه بدو يعيشون حياة الرعي والزراعة في مناطق السهول[52] بينما كانت جماعات زناتة الأخرى، ونفزاوة، وبشكل خاص تلك التي تعيش في مناطق الجريد جنوبي تونس، وبالقرب من نقطة وتوزر وقفصة، بدوية خالصة[53]. وعاشت بعض قبائل لواته ونفوسة بالقرب من قابس وصفاقس[54]. ولكن من المحتمل بأن معظم هذه القبائل كانت تتجول بين منطقة طرابلس في الشرق وأفريقية البروقنصلية وبيزاسينا في المغرب.

اشتهرت أفريقية البروقنصلية بمنتجاتها الزراعية، وذلك نظراً لخصوبة سهولها[55]. فبجانب الزيتون الذي أشرنا إليه سابقاً[56]، كانت تزرع مواد عديدة وتصدر إلى موانئ البحر المتوسط وبشكل خاص إلى إسبانيا، ومن هذه المواد على سبيل المثال، الحنطة[57]، والتبن[58]، والعنبر[59]، والزعفران[60]،

---

(49) ابن حوقل، ص 84؛ البكري، ص 146؛ الإدريسي، ص 119؛ ياقوت: 5/ 109.
(50) اليعقوبي، ص 349؛ البكري، ص 56.
(51) ابن خلدون: 6/ 251.
(52) المصدر نفسه: 7/ 48 ـ 49.
(53) البكري، ص 48 ـ 49؛ ابن خلدون: 6/ 199، 7/ 26.
(54) ياقوت: 5/ 289؛ ابن خلدون: 6/ 204، 236.
(55) ابن حوقل، ص 72، 74، 75، 86؛ البكري، ص 37، 41، 56 ـ 57؛ ياقوت: 1/ 314 ـ 315، 2/ 58، 3/ 223، 4/ 289؛ **الاستبصار**، ص 121؛ العمري، **وصف**، ص 4 ـ 5؛ **ذكر حدود**، الورقة 14أ.
(56) انظر أعلاه، ص وانظر أيضاً: ابن حوقل، ص 73؛ البكري، ص 20؛ الإدريسي، ص 106 ـ 107، 109.
(57) البكري، ص 47، 56، 57؛ الإدريسي، ص 109، 111، 115، 118؛ ياقوت: 1/ 314 ـ 315؛ **ذكر حدود**، الورقة 14أ.
(58) البكري، ص 75.
(59) المصدر نفسه، ص 46؛ ياقوت: 1/ 136.
(60) البكري، ص 46، 53، 146؛ الإدريسي، ص 117؛ ياقوت: 1/ 136؛ **الحلل**، ص 307.

والفستق[61]. وكانت طبرقة وتونس، وهما الميناءان الرئيسان في هذه المنطقة يعدّان منفذين للتجارة مع بلاد الأندلس (إسبانيا)[62]، وكون الملح مادة أخرى من مواد التجارة في الساحل الشرقي قرب المنستير، حيث كان يصدر من منجم للملح يمتلكه بربر لمطة، إلى الأقطار المجاورة[63].

وكما هو الحال بالنسبة إلى أفريقية البروقنصلية، فإن منطقة نوميديا، أي غربي تونس وشرقي الجزائر كانت تتمتع أيضاً بمناطق خصبة وكميات كافية من مصادر المياه[64]. وقد شجع هذا على استقرار قبائل كتامة وفرعها زواوة في منطقة قسنطينة الزراعية وفي المناطق التي تمتد إلى شاطئ البحر المتوسط قرب بجاية في الشمال، وإلى سفوح جبال الأوراس في الجنوب[65]. ويمكن أن نجد هنا أيضاً بعض المجموعات الصغيرة التي تعود إلى لواته، وزواغة، ومطغرة، وهي فرع من زناتة[66].

أما جبال الأوراس فقد كانت موطناً للعديد من القبائل البربرية، حيث سكنت فيها قبائل أوربة القوية[67]، وجراوة[68] ـ وهي فرع كبير من زناته ـ جنباً إلى جنب مع هوارة، ومكناسة، وكتامة، ولواتة، ونفرة[69]، منذ زمن بعيد قبل الفتح العربي الإسلامي. ولقد استقر فرع من لواتة، وهم مزاتة،

(61) البكري، ص 47؛ ياقوت: 4/ 382؛ **الاستبصار**، ص 103؛ **ذكر حدود**، الورقة 14أ.

(62) الأصطخري، **كتاب المسالك والممالك**، نشر: دي غوية، ليدن، 1870، ص 38؛ المقدسي، ص 239؛ البكري، ص 47، 57؛ ياقوت: 4/ 289.

(63) البكري، ص 36، 84.

(64) اليعقوبي، ص 351؛ البكري، ص 50، 55، 63، 73؛ الإدريسي، ص 96؛ ياقوت: 4/ 349.

(65) ابن حوقل، ص 87، 91؛ البكري، ص 63، 82؛ الإدريسي، ص 98 ـ 99؛ ابن خلدون: 6/ 204، 262، 301.

(66) البكري، ص 63، 145؛ ابن خلدون: 6/ 238، 264، 7/ 100.

(67) اليعقوبي، ص 351؛ البكري، ص 50.

(68) ابن خلدون: 6/ 214، 7/ 17، 22، 144.

(69) اليعقوبي، ص 350؛ البكري، ص 72، 144؛ ابن خلدون: 6/ 231، 235، 238.

وكذلك ضريسة، في منطقة الهضاب قرب باغاية، ولكن بسبب سوء الأحوال الجوية، كان على هؤلاء أن يرحلوا في كل شتاء إلى الصحراء لحماية إبلهم[70].

ويبدو أن نوميديا لعبت دوراً كبيراً في تجارة الشمال الأفريقي، فقد كانت قبائل كتامة البربرية تسيطر على مناجم النحاس والحديد في المنطقة الجبلية التي تعيش عليها قرب الساحل[71]. وكانت مجّانة تعرف بمدينة المعادن بكثرتها هناك[72]. كما أن أحد هذه المناجم، وهو منجم للفضة، كان تحت تصرف جماعات من بربر لواته[73]. أما مدينتي بجاية وبونة، فقد كانتا مركز التجارة لهذه المنطقة. ومن مينائيهما كان يتم تصدير العديد من المعادن والمنتجات الزراعية[74]. وكان هناك أسواق ومراكز تجارية في كل مكان في المناطق الداخلية[75]. وإلى الجنوب من جبال الأوراس، قرب باديس، التي كانت تشتهر بزراعة الشعير، كانت الطرق التجارية تتفرع لتربط السودان في الجنوب بطرابلس في الشمال، وبالسهول الشمالية الشرقية لأفريقية البروقيصرية[76].

امتدت موريطانيا الأولى من غربي بجاية إلى وادي الملوية في الغرب وقد عرفت هذه المنطقة فيما بعد باسم المغرب الأوسط. وتتفق المصادر على أن هذه البلاد كانت من أكبر مناطق استقرار قبائل زناتة البربرية

(70) البكري، ص 144 ـ 145.

(71) المقدسي، ص 226؛ البكري، ص 33، 83؛ **ذكر حدود**، الورقة 8أ.

(72) اليعقوبي، ص 349؛ ابن حوقل، ص 84؛ البكري، ص 145؛ ياقوت: 5/ 56.

(73) البكري، ص 145.

(74) ابن حوقل، ص 77؛ البكري، ص 54 ـ 55، 82؛ الإدريسي، ص 90 ـ 91، 116 ـ 117؛ ياقوت: 1/ 512.

(75) البكري، ص 63، 74 ـ 75؛ الإدريسي، ص 92، 95، 97، 103.

(76) البكري، ص 74.

المشهورة وفروعها الكثيرة[77]. ويعد ابن خلدون هذه القبيلة من أكبر القبائل البربرية في الشمال الأفريقي. فلقد ذكر بأن مناطق استقرارهم تمتد من طرابلس إلى الأوراس وجنوبي نوميديا، وإلى موريطانيا الأولى، وصولاً إلى وادي نهر الملوية[78]. ولكن غالبيتهم العظمى كانت منتشرة في هذه المنطقة أي المغرب الأوسط، الذي عرف باسم وطن زناتة[79].

تشير المصادر إلى أن بربر زناتة كانوا من القبائل البدوية[80]، ولكن هذا يمكن أن ينطبق فقط على أولئك الذين كانوا يعيشون في المناطق الداخلية من الصحراء، من منطقة تلمسان إلى نهر شلف، والتي تمتد جنوباً إلى أطراف الصحراء. وهؤلاء الجماعات كانوا يتألفون من مغراوة وبعض من بني يفرن، وفروع أخرى صغيرة من زناتة[81]. أما الجماعات التي عاشت في المناطق الساحلية قرب البيزنطيين، وفي المناطق الزراعية فإنهم لا بدَّ أن يكونوا جماعات مستقرة وليست بدوية[82].

وعلى أية حال، فمهما كانت طبيعة هؤلاء البربر، فإنهم جميعاً ساهموا في تجارة هذا الجزء من الشمال الأفريقي. فمن ورجلان في الصحراء، اعتاد البدو البربر أن يتاجروا بالذهب مع السودان وغانة[83]. وكذلك فإن تلمسان

(77) اليعقوبي، ص 352، 359؛ الاصطخري، **مسالك**، ص 44؛ البكري، ص 76 ـ 77؛ الإدريسي، ص 88؛ ابن خلدون: 6/ 203، 7/ 3 ـ 4، 100، 114، 156؛ **مفاخر البربر**، ص 46؛ السلاوي: 1/ 76؛ ابن الخطيب: **أعمال الاعلام**، القسم الثالث، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، بالرمو، 1910، ص 26.

(78) ابن خلدون: 7/ 14، 15، 22.

(79) المصدر نفسه: 7/ 3 ـ 4.

(80) الإدريسي، ص 88؛ ابن خلدون: 7/ 50؛ **مفاخر البربر**، ص 46.

(81) اليعقوبي، ص 352، 359؛ البكري، ص 52؛ الإدريسي، ص 87؛ ابن خلدون: 7/ 22، 24، 50، 96، 100، 106، 114؛ **مفاخر البربر**، ص 44.

(82) اليعقوبي، ص 352 ـ 353؛ البكري، ص 70 ـ 71، 75، 80، 142؛ الإدريسي، ص 89؛ ابن خلدون: 6/ 293، 7/ 15.

(83) الإدريسي، ص 121.

كانت مركزاً شهيراً لتجارة قبائل زناتة في العصور الإسلامية[84]، وليس لدينا أدلة على أنها لم تكن كذلك قبل الإسلام، بل على العكس فإن البكري، الجغرافي العربي، يذكر بأن فكّان، القريبة من تلمسان، كانت إحدى الأسواق الكثيرة القديمة لزناتة[85]. ويكن أن يضاف إلى هذه الحقيقة، وجود العديد من الأسواق والمراكز التجارية في المدن والمناطق المأهولة الأخرى[86].

وتنتشر على الساحل، من بجاية إلى مصب نهر الملوية، وفي الحقيقة على طول الساحل للشمال الأفريقي، المراسي العديدة، والتي ما هي إلاّ مراكز تجارية بين شمال أفريقيا وبقية حوض البحر المتوسط. ولقد كانت الاتصالات قوية مع إسبانيا على وجه الخصوص، قبل الفتح وبعده. وهناك العديد من الأدلة على أن هذه الموانئ كانت دائماً مكتظة بالسفن والتجار القادمين من إسبانيا[87]، وهذه الحقائق دونها بشكل واضح الكتاب العرب. فالبكري، على سبيل المثال، يذكر هذه المراسي ويدون أسماء الموانئ التي تقابلها على الشاطئ الإسباني، والمسافات التي تفصل بينهما، مثال ذلك مرسى قصر الفلوس الذي يقابل قرطاجنة، ومرسى تنس، الذي يقابل سانت بول Sant Pola في محافظة لقنت Alicante، ومرسى جزيرة وقور، الذي يقابل لقنت Alicante، ومرسى جنابية الذي يقابل دانية Denia، ومرسى الدجاج، الذي يقابل ميورقة Mallorca، ومرسى عجرود الذي يقابل دَلاية Dalias في محافظة المرية Almeria، ومرسى ترنانا، الذي يقابل بجانة Pechina في محافظة المرية، ومرسى جبل تمامسان الذي يقابل مالقة

(84) البكري، ص 76 ـ 77؛ الإدريسي، ص 82؛ ابن خلدون: 7/ 156؛ **ذكر حدود**، الورقة 27أ.

(85) البكري، ص 79.

(86) المصدر نفسه، ص 68، 69، 76؛ الإدريسي، ص 83، 85، 86.

(87) البكري، ص 61، 65، 66، 70، 86.

Málaga[88]. وكانت السلع المختلفة تُجلب من المناطق الداخلية لكي تصدر من هذه المراسي[89]، مثال ذلك الأنواع المختلفة من الفواكه، وبشكل خاص التين والسفرجل، وكذلك الزيوت، والأصواف، والعسل، والأغنام والمواشي، والقطن من وادي شلف، والكتان من متيجة قرب مدينة الجزائر الحالية، ومن منطقة طبنة، والحديد والزئبق من منطقة وهران، وأخيراً الحنطة والشعير وهما المادتان الرئيستان في التجارة، واللتان كان يؤتى بهما من العديد من المناطق الخصبة في البلاد[90].

وهناك بعض القبائل غير الزناتية كانت تعيش في أماكن مختلفة من هذه المنطقة. فمظغرة كانت تنزل قرب الشاطئ، شرقي مصب نهر الملوية، حيث تلتقي السفن بالقوافل القادمة من وجدة، التي كانت ملتقى الطرق التجارية الصحراوية في هذه المنطقة[91]. وإلى الشرق قليلاً وعلى الشاطئ ذاته كانت هناك أرض قبيلة كومية البربرية[92]، وفي الأجزاء الداخلية سكنت قبيلة مديونة بالقرب من تلمسان، كما فعلت بعض الفروع من قبيلة مغيلة التي استقرت أيضاً في منطقة تيهرت[93]. وكانت كل من قبيلتي لواته ولماية تتجول جنوباً بالقرب من الصحراء[94]. وبالقرب من مصب نهر شلف، وعلى وادية أيضاً، عاشت تلكانة، وهي فرع من صنهاجة. وعلى العكس من بقية صنهاجة البدو الذين كانوا يعيشون في منطقة الصحراء الغربية، فإن بربر

---

(88) المصدر نفسه، ص 81، 84، 89، 90، 99، 105.

(89) ابن حوقل، ص 76 ـ 79، البكري، ص 65، 76 ـ 77، 78، 88، 143، الإدريسي، ص 83 ـ 84، 100.

(90) ابن حوقل، ص 77 ـ 79، 85؛ البكري، 65، 69 ـ 70؛ الإدريسي، ص 83، 89، 100، 120، ياقوت: 5/ 83.

(91) البكري، ص 87 ـ 88.

(92) ابن خلدون: 6/ 257.

(93) المصدر نفسه: 6/ 257، 7/ 25؛ عبيد الله بن صالح (المخطوط)، ص 21؛ **مفاخر البربر**، ص 59.

(94) ابن خلدون: 6/ 236، 246.

هذه المنطقة كانوا تجاراً مستقرين[95]. ولقد كانت هذه المنطقة وما يجاورها من الجبال مأهولة بأبناء بعض القبائل الأخرى، مثل مغيلة، هوارة، مطماطة، أوربة، مطغرة، كتامة، ومكناسة[96]. وامتدت الأراضي التي استقرت فيها كتامة في شمالي نوميديا لتشمل إلى الداخل كل المناطق الغربية لبجاية وسطيف[97].

استناداً إلى التقسيم البيزنطي لشمال أفريقيا فإن موريتانيا الثانية تشمل سبتة والمناطق المحيطة بها فقط[98]. ولهذا فإنه من المستحسن أن يبحث استقرار البربر في المناطق الواقعة اليوم ضمن المغرب، تبعاً للتقسيم العربي لهذه البلاد. فالمناطق الشمالية من المغرب الواقعة بين نهر الملوية والمحيط الأطلسي كانت تُدعى بالمغرب الأقصى[99]. وأطلق على الأراضي التي تمتد جنوباً إلى الصحراء اسم السوس. وكانت هذه المنطقة بدورها مقسومة إلى قسمين: السوس الأدنى، الذي يشمل أيضاً الأجزاء الجنوبية من المغرب الأقصى، والسوس الأقصى، الذي يضم كل المناطق التي تقع إلى الجنوب[100].

إن هذه المنطقة الواسعة المساحة، كانت مأهولة بقبيلتين كبيرتين، وهما

---

(95) البكري، ص 65، 68؛ ابن خلدون: 6/ 311 ـ 312.

(96) اليعقوبي، ص 356؛ البكري، ص 69، 76؛ الإدريسي، ص 85؛ ابن خلدون: 6/ 252، 255، 256.

(97) الأصطخري، **مسالك**، ص 39 ـ 40؛ ابن حوقل، ص 93؛ البكري، ص 65، 70؛ ياقوت: 3/ 220، 5/ 106.

(98) Julien. p. XV; Nasr, p. 56.

(99) ابن خلدون: 6/ 201.

(100) ابن الفقيه الهمداني، **مختصر كتاب البلدان**، نشر: دي غوية، ليون، 1885، ص 81؛ ابن خرداذبة، ص 89؛ الاصطخري، **مسلك**، ص 39؛ المقدسي، ص 216، 222؛ ياقوت: 3/ 281؛ ابن عذاري: 1/ 5، 6، 26، 42 ـ 44؛ ابن خلدون: 6/ 119، 189، 194، 199؛ الجزنائي، **جني زهرة الآس**، نشر: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1967، ص 6؛ **الاستبصار**، ص 211 ـ 212.

مصمودة وصنهاجة. أما غمارة، أشهر بطون مصمودة، فلقد سيطرت على سهول البحر المتوسط ومعظم أجزاء جبال الريف، ومناطق المضيق الواقعة بين سبتة وطنجة[101]. وهذه المنطقة كانت مسكونة أيضاً من قبل العديد من أفراد القبائل الأخرى، مثل صنهاجة، مظغرة، ملوثة، هوارة، لواتة، أوربة، وجماعات من كتامة كانت تنتسب إلى مصمودة[102].

لقد كان بربر مصمودة فلاحين مستقرين بالدرجة الأولى، وهذه الحقيقة تصدق أيضاً بالنسبة إلى أولئك الذين سكنوا شمالي المغرب الأقصى، وبشكل خاص المناطق الخصبة[103]. كما أن التجارة ازدهرت أيضاً فيما بينهم، حيث كانت تقام الأسواق السنوية والأسبوعية في مختلف مدنهم وقراهم[104]. واشتهرت سبتة كمركز لتجارة المرجان الذي كان من أهم البضائع التجارية المحمولة بين الصحراء وغانة وبلاد السودان[105]. أما بالنسبة إلى التجارة الخارجية، فإن موانئ سبتة وطنجة ومليلة كانت من أعظم المراكز التجارية بين إسبانيا وشمالي المغرب الأقصى[106]. ولقد كانت للبربر القاطنين في هذه المنطقة علاقات وثيقة مع من يقابلهم في الجانب الإسباني. فبالإضافة إلى سبتة وطنجة ومليلة، استعمل البربر مراسي أخرى صغيرة على المضيق من أجل ربط الشاطئين. فمرسى مصمودة، على سبيل المثال كان

(101) البكري، ص 90 ـ 91، 100، 104، 106 ـ 108، 109 ـ 110؛ الإدريسي، ص 170 ـ 171؛ عبيد الله بن صالح (المخطوط)، ص 24 ـ 25؛ ابن خلدون: 6/ 436 ـ 437، 439؛ **الاستبصار**، ص 136.

(102) البكري، ص 104، 106، 107، 108، 109 ـ 110، 112؛ الإدريسي، ص 169؛ ابن عذاري: 1/ 26، 52؛ عبيد الله بن صالح (المخطوط)، ص 22، 25؛ ابن خلدون: 6/ 239.

(103) البكري، ص 106 ـ 108، 112 ـ 113؛ الإدريسي، ص 73، 147، 170.

(104) البكري، ص 88، 90، 92.

(105) ابن حوقل، ص 76؛ الإدريسي، ص 168.

(106) ابن حوقل، ص 76؛ البكري، ص 89، 109؛ الإدريسي، ص 167 ـ 168.

يسمّى مرسى قصر مصمودة[107]، بينما كانت صنهاجة تسيطر على مرسى بالش[108] وجراوة على المرسى المسمى باسمها[109]. وفي الحقيقة فإن السفن التجارية كانت موجودة بشكل كبير في منطقة المضيق زمن الفتح الإسلامي، ولهذا فقد كان من السهل على طارق بن زياد أن ينفذ خطة الفتح والعبور مستخدماً السفن التجارية[110].

سيطرت برغواطة، وهي فرع آخر لمصمودة، على سهول المحيط الأطلسي الممتدة من وادي سبو إلى جنوبي نهر أم الربيع. وهذه البلاد كانت تدعى بالسوس الأدنى، أو بلاد تامسنا[111]. أما دكالة، وهي أيضاً من مصمودة، فقد عاشت في جنوبي منطقة مدينة مراكش الحالية[112].

وتعد أغلبية قبائل مصمودة من سكنة الجبال، ويطلق على موطنهم اسم جبل درن[113]، أي جبال الأطلس في المغرب الحالية. إن هذه المنطقة الجبلية كانت دائماً مأهولة بسكان مستقرين، اشتهروا بمنتجاتهم الزراعية والحيوانية، ولهذا فقد كانت محط أنظار التجار من كل مكان[114]. أما القبائل الأخرى من مصمودة، وبطونها مثل هسكورة، فقد استوطنت المناطق السهلية الخصبة المجاورة غرباً حتى المحيط الأطلسي، وجنوباً إلى وادي

(107) المصدر نفسه، ص 166، 168.

(108) البكري، ص 90.

(109) المصدر نفسه، ص 89.

(110) الرقيق، ص 74؛ ابن عذاري: 2/ 6؛ المقري: 1/ 254؛ الدرة النثيرة، الورقة 31ب؛ انظر أيضاً ادناه ص

(111) البكري، ص 140 ـ 141؛ ابن عذاري: 1/ 26، 57؛ ابن خلدون: 6/ 428؛ **مفاخر البربر**، ص 47.

(112) ياقوت: 2/ 459؛ ابن خلدون: 6/ 556.

(113) البكري، ص 160؛ الإدريسي، ص 57، 63، 64، 70؛ ياقوت: 2/ 452؛ ابن خلدون: 6/ 201، 217، 428، 437، 461؛ **مفاخر البربر**، ص 76؛ **الاستبصار**، ص 211؛ **الجمان في أخبار الزمان**، الورقة 98أ؛ **الدرر النثيرة**، الورقة 68أ.

(114) البكري، ص 160 ـ 161؛ ابن خلدون: 6/ 461.

السوس. واشتهرت هذه المنطقة أيضاً بمراكزها التجارية سواء في المناطق الداخلية أو على السواحل(115).

وإلى جانب مصمودة كان المغرب الأقصى يزخر بالعديد من القبائل البربرية الأخرى. ففي الشرق، كان وادي الملوية منذ القدم موطناً لمكناسة، التي انتشرت قبائلها في أعالي هذا الوادي قرب منطقة سجلماسة، وحتى المصب على البحر المتوسط(116). ومن الجدير بالملاحظة أنه على الرغم من أن البيئة كانت زراعية، فإن بربر مكناسة كانوا بدواً في هذه المنطقة(117).

وإلى الغرب من وادي الملوية، وبشكل خاص قرب المنطقة الخصبة المحيطة بمدينة فاس الحالية، استوطنت مجموعات هائلة من القبائل البربرية. لقد كان هذا المكان موطناً آخر للالتقاء ومركزاً تجارياً مهماً للقوافل القادمة من الجنوب والغرب متوجهة نحو الشرق والشمال(118). يُضاف إلى ذلك اشتهار هذه المنطقة بمناجم الذهب الموجودة بالقرب من تازي(119). وتعد كل من: صنهاجة، مغيلة، كتامة، غمارة، هوارة، أوربة، مكناسة، زرهونة، مطماطة، وزواغة، من أهم القبائل التي استقرت في هذا المكان(120). وهناك جماعة أخرى من هوارة كانت تعيش بالقرب من منطقة أغمات، وكان أفرادها بشكل خاص تجاراً أغنياء بسبب ازدهار علاقاتهم التجارية مع السودان في الجنوب(121).

أما بالنسبة إلى زنانة، فيذكر ابن خلدون بأن هناك الكثير منهم في

(115) البكري، ص 19 ـ 153، 161، 162، 163؛ الإدريسي، ص 62؛ ابن خلدون: 6/ 552.
(116) البكري، ص 88، 93؛ ابن خلدون: 6/ 252، 262.
(117) المصدر نفسه؛ 6/ 273.
(118) البكري، ص 117، 140 ـ 142، 155؛ الإدريسي، ص 79 ـ 81.
(119) البكري، ص 118.
(120) المصدر نفسه، ص 111، 113 ـ 114، 117، 147؛ الإدريسي، ص 76 ـ 77، 78؛ ياقوت: 1/ 278؛ ابن خلدون: 6/ 251، 255، 264.
(121) الإدريسي، ص 66.

المغرب الأقصى[122]، وكانت أراضيهم تمتد خلف جبال الأطلس في السهول المتاخمة للصحراء في جنوب شرقي وادي الملوية[123]. ومع هذا فإن بعضهم يمكن أن يكون في منطقة مراكش والسوس[124].

انتشرت قبائل صنهاجة البربرية في معظم أنحاء المغرب الأقصى والسوس، ولكن تجمعاتهم الرئيسة، كانت تعيش في منطقة سجلماسة، ووادي درعة، ووادي السوس، وكذلك في المناطق الجنوبية في الصحراء وما وراءها حتى تخوم ممالك السودان وغانة. ويوصَف هؤلاء البربر في مصادرنا عادة بأنهم رعاة للإبل، يضعون اللثام على وجوههم، ويعيشون حياة بدوية خالصة في المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى[125].

لقد كان هؤلاء البربر على بيّنة من أهمية موقعهم بالنسبة لطرق التجارة بين جنوبي الصحراء وبقية الشمال الأفريقي، ومع هذا فليس لدينا دليل قوي على ممارسة هؤلاء لهذه التجارة بأنفسهم، بل على العكس فإننا نجد بعضاً من فروعهم وبشكل خاص لمطة وجزولة، قد اعتادوا على مهاجمة القوافل التي تمر بالقرب من واحاتهم بين السوس والسودان[126]. ولهذا فقد كان على القوافل التجارية أن تضمن سلامتها بدفع رسوم معيَّنة إلى بربر صنهاجة، عن الجمال والأحمال التي تغادر إلى أو تعود من أرض السودان[127].

وعلى الرغم من هذا فلقد كانت التجارة مزدهرة في منطقة الصحراء الغربية منذ مئات السنين قبل الفتح العربي الإسلامي، واستمرت هكذا لعدة

(122) ابن خلدون: 7/ 4.
(123) البكري، ص 147.
(124) ابن خلدون: 7/ 100.
(125) اليعقوبي، ص 359 ـ 360؛ ابن حوقل، ص 97، 98، 99؛ البكري، 149، 164، 157، 172؛ الإدريسي، ص 58 ـ 59؛ ابن خلدون: 6/ 370 ـ 371.
(126) البكري، ص 157، 161؛ ياقوت: 2/ 312؛ ابن خلدون: 6/ 240.
(127) ابن حوقل، ص 99.

قرون فيما بعد الفتح[128]. فإلى جانب الذهب والملح، وهما مادتان مهمتان في التجارة الصحراوية[129]، نقل التجار العديد من المواد والبضائع إلى الصحراء والسودان، كالحبوب، والفواكه، والزبيب، والملابس، والمرجان، والخرز، والأصواف، والآس[130]، وبالمقابل حملوا العاج، والعنبر، والدروق الجلدية، والعقيق، والشب، والصمغ[131]، إلى الشمال من المغرب الأقصى حيث تقع الموانئ التجارية الكبيرة التي تربط هذا الجزء من الشمال الأفريقي بإسبانيا[132]. ومن جهة أخرى فقد ساهمت موانئ المحيط الأطلسي بجزء كبير من هذه التجارة الصحراوية، حيث كانت اتصالاتها بالدرجة الأولى مع السواحل الغربية من إسبانيا[133].

مما تقدم يمكننا استخلاص عدة حقائق عن استقرار البربر في شمال أفريقيا. فمجموعات البربر القبلية الرئيسة يمكن أن تصنف تبعاً لمواقع استيطانها ولفعالياتها في أماكن معيَّنة من شمال أفريقيا. وبطبيعة الحال هنالك بعض الاستثناءات، من ذلك مثلاً، وجود عشائر معيَّنة في مناطق مأهولة بشكل رئيس لقبائل أخرى مختلفة. ولكن هذا لا يمكن أن يحجب حقيقة إنقسام الشمال الإفريقي إلى عدة مناطق نفوذ بربرية. فمواقعهم سواء كانت على الشاطئ أو في الداخل أو في كلا المنطقتين، هي التي حددت علاقاتهم

---

(128) المصدر نفسه، ص 96؛ الإدريسي، ص 4، 6، 8، 11، 12، 31، 32؛ ياقوت: 2/12 _ 13، 4/184؛ H. Terrasse, *History of Moroco,* translated by Hilary Tee, Casablanca, Atlantides, 1952, p. 46.

(129) الأصطخري، **مسالك**، ص 39؛ الأصطخري، **كتاب الأقاليم**، نشر: ملر، غوته، 1939، ص 20؛ ابن حوقل، ص 98؛ المقدسي، ص 231؛ البكري، ص 158، 171، 173، 174 _ 176 _ 179، 183؛ الإدريسي، ص 8؛ ياقوت: 2/12 _ 13، 3/192.

(130) البكري، ص 158، 159، 171؛ الإدريسي، ص 3؛ ياقوت: 2/12.

(131) ابن حوقل، ص 76؛ البكري، ص 158 _ 159، 171، 173، 177، 182 _ 183؛ الإدريسي، ص 59، 168.

(132) انظر: أعلاه عن ارتباط مراسي شمال أفريقيا وإسبانيا.

(133) الأصطخري، **مسالك**، ص 39؛ البكري، ص 153، 158؛ الإدريسي، ص 73.

بالجماعات الأخرى. فكان على أولئك الذين يسيطرون على الساحل فقط، والجماعات التي كانت سيطرتها مقتصرة على الداخل بدون أية منافذ على البحر، أن يتعاونوا مع من يحيط بهم لأجل استمرار تجارتهم في كلا المنطقتين. وبدون مثل هذا التعاون كان من الصعب على قاطني الصحراء أن يصلوا إلى الساحل، وعلى سكان الشواطئ أن يستفيدوا من التجارة الصحراوية في أراضيهم وموانئهم. وتعدّ قبائل لواتة في الجهات الشرقية محظوظة في هذا المجال، فمناطق استيطانهم كانت تمتد على سواحل طرابلس وبرقة، هذا فضلاً من سيطرتهم على كل المناطق الداخلية الممتدة إلى الصحراء. وبعبارة أخرى، فقد كانوا في موقف فريد ساعدهم على المساهمة والسيطرة بأنفسهم على الفعاليات التجارية بين السودان في الجنوب، وموانئ البحر المتوسط على الساحل، فضلاً عن مصر في الشرق.
ولقد سيطرت بشكل رئيسي قوّتان على المناطق الساحلية التي تقع اليوم ضمن أراضي الجزائر، وهما كتامة في الشرق، وزناتة في الغرب، وعلى العكس من كتامة، فإن قبائل زناتة توغلت في الجهات الجنوبية نحو الصحراء، ولكن ليس إلى حدود بلاد السودان، حيث كانت هناك قبائل صنهاجة هي التي تسيطر على كل المناطق الصحراوية. ويمتد نفوذها نحو الجهات الغربية والجنوبية الغربية في المغرب، أي السوس الأقصى ووادي درعة. ومن الواضح فإن مناطق نفوذ صنهاجة تركّزت بالدرجة الأولى في المناطق الداخلية. وكذلك سيطرت مصمودة، وهي أيضاً من القبائل القوية، على المناطق الداخلية الواقعة ضمن منطقة جبال الأطلس. وكان على مصمودة أن تتعاون مع فروعها على ساحل المحيط الأطلسي، وبشكل خاص هسكورة وبرغواطة وغمارة في منطقة المضيق وساحل البحر المتوسط، إلى جانب قبائل مكناسة الكبيرة التي كانت تسيطر على وادي نهر الملوية، والذي يعد مفترق طرق بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، أي المناطق الشمالية من الجزائر الحالية.

وكما لاحظنا فإن البربر ينقسمون إلى عدد كبير من القبائل. ولكنهم لم يحققوا أية وحدة سياسية أو اجتماعية فيما بينهم، ومع هذا فقد كانت لديهم اتحادات لقبائل متعددة، وحتى بعض الممالك الصغيرة، ولكن هذه لم تستمر إلاً وقتاً قصيراً وفي مناطق محدودة أيضاً[134]. ولقد ازداد نمو هذه التنظيمات عندما بدأت قوة الرومان بالاضمحلال[135]. ففي ظل الحكم البيزنطي بدأ البربر بتشكيل اتحادات مستقلة بشكل أو بآخر عن الحاكم البيزنطي في قرطاج[136]. وعلى الرغم من أنهم قبلوا الحكم البيزنطي، لكنهم ظلوا أقوياء ومستعدين للثورة عند أقل استفزاز[137]. وفي الحقيقة، كان على الحكام البيزنطيين، أن يواجهوا دوماً حركات عصيان بربرية، خاصة في طرابلس وبيزاسينا، جنوبي تونس وجبال الأوراس حيث نشب العديد من الثورات[138]. ولقد قاوم البربر البيزنطيين، لأن هؤلاء حاولوا السيطرة على أراض كان الوندال قد تركوها تماماً تحت تصرف البربر[139]. هذا فضلاً عن أنه كان على البربر أن يدفعوا ضرائب عالية لتغطية نفقات الجيش البيزنطي، وأعمال الاستحكامات العسكرية. وكان عليهم أيضاً أن يدفعوا ضرائب أخرى للكنيسة، وهكذا فإن هؤلاء السكان كانوا يخضعون لنظام ضريبي مزدوج[140]. ولكن مسألة دفع البربر، أو عدم دفعهم للضرائب إلى الكنيسة

---

(134) ابن عبد الحكم، ص 194 ـ 195؛ الإدريسي، ص 37؛ ياقوت: 4/ 486، 5/ 366؛ ابن عذاري: 1/ 28 ـ 29، 45؛ ابن خلدون: 6/ 215، 7/ 50؛ **مفاخر البربر**، ص 46؛

Cf. 'Abdalláh Laroui, *The History of the Maghrib*, translated from the French by Ralph Manheim, Princeton, New Jersey, 1977, pp. 73-75.

(135) *CMH*. vol. II, p. 366.

(136) Julien, p. XV.

(137) Nasr, p. 61.

(138) Ibid., pp. 58-61; *CMH*, vol. II. p. 366; 'Abdalláh Laroui, op. cit., p. 74.

(139) Nasr, p. 58.

(140) Ibid., pp. 62, 65.

فيها نظر، فكما أسلفنا أعلاه[141]، لم يكن كل البربر في شمال أفريقيا مسيحيين.

لقد أضعف النزاع مع القبائل البربرية موقف البيزنطيين إلى حد ما في شمال أفريقيا. ومع هذا لم تكن هذه مشكلتهم الوحيدة، فقد كان هناك خلاف كثير بشأن السياسة العامة التي يجب اتخاذها تجاه الحكومة المركزية في بيزنطة. فقد كان بعضهم يرغب في علاقات وثيقة مع العاصمة، بينما فضل الآخرون الاستقلال عنها. ولقد تبلورت هذه المسألة إلى صراع مذهبي، فكما أن الجماعة الأخيرة وقفت ضد الحكومة المركزية، فهي أيضاً رفضت مذهبها الديني الجديد المونوفيزيتي Monotheletism. وأدت هذه المعارضة إلى قيام تمرد ضد السلطة المركزية في ولاية أفريقية البروقنصلية سنة 641م، مما أدى إلى مزيد من الضعف لسلطة البيزنطيين في شمال أفريقيا[142].

والواقع أن الإمبراطورية البيزنطية بشكل عام كانت في وضع خطير فبعد موت هرقل Heraclius في 641م، تناوب الحكم اثنان من الأباطرة في سنة واحدة. وكان الإمبراطور كونستانس الثاني Heraclius Constans II (641 ـ 681م) طفلاً صغيراً حينما تولى الحكم، ولهذا فهو لم يكن قادراً على استرداد هيبة الإمبراطورية التي هُزمت من قبل المسلمين، وفقدت سوريا وفلسطين ومصر. هذا بالإضافة إلى العديد من الثورات التي قامت في أنحاء مختلفة من شرق وغرب الإمبراطورية[143].

وفي ظل هذه الظروف قام الحاكم البيزنطي جرجير Gregery في سنة 646م مؤيداً من قبل رجال الدين، والبابا ثيودروس Theodorus بالانفصال عن

---

(141) انظر: أعلاه عن ديانات البربر قبل الإسلام.

(142) Nasr, p. 63.

(143) Ibid., pp.. 63-64.

حكومة بيزنطة، وأعلن نفسه إمبراطوراً على الممتلكات البيزنطية في شمال أفريقيا[144].

هذا هو الموقف في شمال أفريقيا كما كان عشية الفتح العربي. وصورة البلاد بهذا الشكل ينطبق عليها وصف المؤرخ الفرنسي جوليان C.A. Julien، الذي يشير إلى أنها كانت بلاد ينقصها التماسك، ولم تكن بأية حال خاضعة تماماً إلى حكامها البيزنطيين، الذين كانوا بدورهم قد تخلوا عن مدينتهم الأم، بيزنطة، وانقطعوا عنها[145]. ولهذا فلقد كان واضحاً منذ البداية أن البيزنطيين في منتصف القرن السابع الميلادي لم يكونوا القوة الحقيقية في شمال أفريقيا. وعندما وصل العرب المسلمون، لم يكونوا بحاجة إلى خوض أكثر من معركة واحدة ليحطموا قوة الجيش البيزنطي الرئيسة في سبيطلة. وبعد ذلك أجبر هذا الجيش على البقاء في مناطق محدودة في أفريقية البروقنصلية، وفي بعض المدن الساحلية لما يقرب من الخمسين سنة. ومع هذا فلم يستطع البيزنطيون أن يمارسوا أية سلطة، بل على العكس كان عليهم أن يتحالفوا مع رعاياهم السابقين، البربر، الذين بدأوا بالظهور في ذلك الوقت كقوة أساسية في مقاومة الفتح العربي الإسلامي.

2 ـ إسبانيا:

كانت شبه الجزيرة الايبيرية تُعرف في الأزمان القديمة بـ ايبارية، ولكن الرومان أطلقوا عليها اسم Hispania، ومن هنا جاء اللفظ العربي (اشبانية) أو (اصبانية)[146]. وفي لغة القرون الوسطى الرومانسية تحول اللفظ إلى

---

(144) ابن عبد الحكم، ص 183؛ دينار، ص 26؛
Julien, p. XVI; Nasr, pp. 65 - 64 cit. Diehl. *L'Afrique byzantine,* Vol. II. p. 556.

(145) Julien, p. XVI.

(146) البكري، **المسالك والممالك**، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1968، ص 57 ـ 58؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، بيروت، 1965 ـ 1966؛ 4/ 556؛ المراكشي،

España، ومنه اشتُقّت الكلمة الإنكليزية Spain[147]. أما مصطلح (الأندلس)، الذي يطلق على الأراضي التي سيطر عليها المسلمون من شبه الجزيرة، فقد اشتقه الجغرافيون والمؤرخون العرب من الأسماء التالية: (الأندليش) أو (الأندلش) أو (الأندلس)، وهي الأسماء التي أُعطيت (للوندال)[148] الذين سيطروا على أجزاء من جليقية Galicia وباطقة Baetica، في الفترة من 408 ـ 429م[149].

إن إسبانيا بلاد جبلية، تضم ودياناً، وأحواضاً نهرية عظيمة. ونهر الإبرة Ebro هو النهر الرئيس الوحيد الذي يجري باتجاه شرقي نحو البحر المتوسط. أما الأنهار الكبيرة الأخرى، مثل المنهو Minho، ودويرة Douro، وتاجة Tajo، ووادي آنه Guadiana، والوادي الكبير Guadulquivir، متجهة غرباً نحو المحيط الأطلسي[150]. وتحتل الميزيتا Meseta، التي تعني بالإسبانية النجد أو السهل المرتفع الواسع Tableland، معظم شبه الجزيرة، ولكن تجمعات السكان الكبيرة، كانت دائماً مركزة قرب الشاطئ ووديان الأنهار الكبيرة. وكانت المدن الداخلية الرئيسة في العهد الروماني، سرقسطة Zaragoza، وطليطلة Toledo، وماردة Mérida، وإشبيلية Seville، وقرطبة

ص 235، 265؛ النويري، **نهاية الأرب**، نشر: جاسبار راميرو، غرناطة، 1917، القسم الثاني: 22/ 23؛ الحميري، **الروض المعطار**، نشر: ليفي بروفنسال، القاهرة ـ ليدن، 1938، ص 2؛ المقري: 1/ 133.

(147) J. F. O'Callaghan. *A history of Medieval Spain* Ithaca and London, 1975, p. 20.

(148) البكري، **مسالك**، ص 59؛ ابن الأثير: 4/ 556؛ ابن عذاري: 2/ 2؛ النويري: 22/ 23 قد 2؛ الحميري، ص 1، 4؛ المقري: 1/ 133.

(149) Isidore S. pp. 33-34.

(150) Râzi, *La Description*, pp. 1. 1 - 1, 4;

ابن غالب، كتاب فرحة الأنفس، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1955 ـ 1956، العدد الأول، القسم الثاني، ص 307 ـ 308.

Córdoba[151]، حصوناً على الأنهار، وقد استمرت هذه المدن في أهميتها في العهد القوطي والعهود الإسلامية اللاحقة.

اشتهرت إسبانيا بثروتها المعدنية، وإنتاجها الزراعي، وتجارتها المزدهرة[152]. ولقد كانت هذه العوامل المغرية من الدوافع التي أدت إلى حدوث سلسلة من الهجرات والغزوات الأجنبية. ويشكّل الأيبيريون Iberians، الذين جاءوا من أفريقيا، أساس جنس البحر المتوسط من السكان، ولقد عبر الكلت Celts والأقوام الهندو - أوروبية Indo-European جبال البرت Pyreness، واستوطنوا في الأجزاء الشمالية والغربية، من شبه الجزيرة، كما أسس الفينيقيون مستعمرات على السواحل الشرقية والجنوبية. وأخيراً، وبعد نضال طويل من أجل السيادة والتفوق، سيطر الرومان على إسبانيا، ولكنهم سرعان ما جوبهوا من قبل السكان المحليين. ولم يستطع الرومان إخضاع كل القبائل في شبه الجزيرة إلاً في عهد أوغسطس Augustus (27ق.م - 14م)[153]. وقد أشار سترابو Strabo، المؤرخ اليوناني في القرن الأول قبل الميلاد، إلى القبائل التي استوطنت شبه الجزيرة، من أمثال: الجليقيين Galicians، والكانتبريانيين Cantabrians، والباسك أو البشكنس Basques، واللشدانيين Lusitanians، وغيرهم ومع هذا، ففي بداية التاريخ الميلادي المسيحي، اصطبغ الكثير من هؤلاء السكان بالصبغة الرومانية[154].

لقد كانت باطقة Baetica في الجنوب، من أكثر مناطق شبه الجزيرة تأثراً بالحضارة الرومانية، ولكن كان هناك أيضاً تأثير روماني كبير على ولاية

---

(151) Razi, *La Description*, pp. 78, 81, 84, 64; **مسالك**، ص 111 - 112؛ الإدريسي، ص 190، 173، 181 - 182، 178؛ ياقوت: 3/ 212 - 213، 4/ 39 - 40، 324، 5/ 38 - 39؛ ابن عذاري: 2/ 14.

(152) المقري: 1/ 140 - 144؛ **ذكر بلاد** (رقم 85ج)، ص 7 - 10.

(153) O'Callaghan, p. 27.

(154) R. Altamira, *A history of Spain*, translated from the Spanish by: Muna Lee, Toronto, Canada, 1949, pp. 32-34.

لشدانية في الغرب. وعلى العكس فإن المنطقة الواقعة في الشمال الغربي، أي جليقية Galicia، كانت أقل تأثراً[155]. أما في المناطق الشرقية فقد سادت عملية التأثر بالحضارة الرومانية بالتدريج من الشاطئ إلى الداخل، ففي ولاية طركونية Tarraconesis، شمل هذا التأثير ما يسمى الآن بقطالونيا Catalonia، ووادي نهر الإبرة، ولكنه فشل في الانتشار والوصول إلى سفوح جبال البرت Pyrenees. أما في الجنوب فباستثناء الشريط الساحلي الضيق، فإن مفعول التأثير الروماني كان يتلاشى كلما ارتفعت التضاريس نحو الميزيتا Meseta[156].

بعد الحرب الكونية الثانية في سنة 206ق.م، قسّم الرومان إسبانيا إلى الأقسام التالية: في البداية إلى قسمين: إسبانيا الدنيا Hispania Citerior التي تشمل المناطق الشرقية والشمالية، وإسبانيا القصوى Hispania Ulterior، التي تضم المناطق الجنوبية والغربية. ولكن بعد أن تمّ إخضاع كل شبه الجزيرة، قسم Augustus في سنة 27ق.م، إسبانيا القصوى إلى ولايتين: باطقة Betica ولشدانية Lusitania. ولقد ضمت الأولى، التي اتخذت اسمها من نهر بيطي Beatis (الوادي الكبير)، معظم ولاية أندلوسيا الحالية، وكان حاكمها يتخذ قرطبة عاصمة له. وكانت Emerita، ماردة Mérida، عاصمة لشدانية، التي كانت تتألف بصورة رئيسة من البرتغال الحالية والأسترامادورا Extremadura. ولقد ظهرت ولاية ثالثة في الشمال الغربي من شبه الجزيرة الأيبيرية في عهد الإمبراطور كاراكالا Caracall (211 ـ 217م). وهذه هي الولاية القصوى الانطونية Provincia Ulterior Antouiniana، التي تألفت من إقليمي جليقية Gallaecia والاشتوريش Asturica، وعرفت باسم Gallaecia، وكانت أكبر حجماً نسبياً من جليقية المعروفة في القرون الوسطى، أو غاليسية الحالية. وفي نهاية القرن الثالث الميلادي، أعاد الإمبراطور دقلديانوس Diocletian

(155) Ibid., p. 50: Livermore, pp. 31, 32, 37.
(156) Ibid., p. 38.

(284 ـ 305م) تنظيم ولايات شبه الجزيرة، فأصبحت إسبانيا ديقونية (أي عملاً كبيراً أو ولاية عظيمة) diocese تابعة إلى مديرية غالة Gaul وقسمت إلى الولايات التالية:

1 . باطقة Baetica : كانت عاصمتها قرطبة Córdoba.

2 . لشدانية Lusitania: كانت عاصمتها ماردة Mérida, Emerita.

3 . جليقية آلاشتوريش Gallaecia: كانت عاصمتها براقرة Braga.

4 . الولاية الطركونية Tarraconensis التي ضمت مدن: برشلونة Barcelona وسرقطة، ووادي الإبرة، وسفوح جبال البرت، وما يعرف الآن ببلاد الباسك وشرقي كانتبرية Cantabria وكانت عاصمتها طركونة Tarragona.

5 . الولاية القرطاجنية Carthaginensis التي تمتد من شاطئ البحر المتوسط إلى عمق الداخل، وتضم معظم مركز الميزيتا. وكانت عاصمتها قرطاجنة Cartagena.

6 . وقد أضيفت إلى ولايات شبه الجزيرة هذه ولايتان أخريان، هما: ولاية موريطانيا الطنجية Mauritania Tingitania، والجزائر الشرقية Balearic Islands[157].

ويعدُّ هذا التقسيم الإداري ذا أهمية كبيرة بسبب استمراره وديمومته في أثناء العهد القوطي[158]. وحتى بعد الفتح الإسلامي، فإن هذا التقسيم، وبعض أنماط الإدارة الرومانية الأخرى ظلت باقية مع بعض التحويرات والتغيّرات اليسيرة[159]. والحقيقة لا توجد معلومات كافية لتوضيح أي تقسيم

(157) D. Antonio Ballesteros y Beretta, *Historia de España y su influencia en la historia universal*, Barcelona, 1918, vol. I, pp. 350-351; Livermore, pp. 31-33; O'Callaghan, pp. 28-30.

(158) Antonio Ballesteros, op. cit., vol. I. p. 523.

(159) انظر: أدناه.

إداري إسلامي في الأندلس، ويبدو أن المسلمين وجدوا نظاماً إدارياً جيداً معمولاً به في البلاد، فلم يروا أي داع لإعادة تنظيمه. ومن الجدير بالذكر، مع هذا، أن نلاحظ بأن الجغرافي العربي أبا عبيد البكري، قد وصف التقسيم الإداري الروماني الأخير لدقلديانوس Diocletian على الرغم من أنه ينسبه خطأً إلى أوغسطين Augustus، فيسميه بقسمة قسطنطين. والخطوط العامة لوصف البكري تشابه إلى درجة كبيرة تقسيم دقلديانوس الأصلي، ولكن البكري لا يجعل أربونة Narbonne داخلة في ديقونية إسبانيا، بينما هي في الواقع جزء من غالة حسب تقسيم دقلديانوس[160].

ومن الناحية الأخرى، فإن معلومات البكري عن التقسيم الروماني تنطبق تماماً من حيث الأجزاء على تقسيم الكنيسة المسيحية في إسبانيا. فالولايات المدنية الست التي أشار إليها البكري وهي: أربونة، جليقية، طركونة، طليطلة، ماردة، وإشبيلية، كانت في الوقت نفسه مديريات كنسية، والمدن الرومانية، أو بعضها، كانت مراكز ديقونياتها. وكان يتوزع على هذه الولايات اثنان وثمانون أسقفاً[161]. أما كراسي المطرانيات فكانت هي عواصم الولايات التي ذكرها البكري وهي: أربونة، براقرة، طركونة، طليطلة، ماردة، وإشبيلية. وفي العهد الإسلامي خرجت اثنتان من هذه الولايات عن نطاق الأندلس، وهما جليقية وأربونة، وبقيت إشبيلية وماردة وطركونة وطليطلة. وقد استبدل المسلمون عاصمة ولاية إشبيلية بقرطبة، وولاية طركونة بسرقسطة.

لقد كانت كل ولاية في العهد الروماني تحكم من قبل دوق dux أو

---

(160) البكري، **مسالك**، ص 59 ـ 64.

(161) E. A. Thompson, *The Goths in Spain*, Oxford, 1969, p. 275; O'Callaghan. p. 79. ويذكر هذا المؤلف بأن عدد الأسقفيات في مملكة القوط كان فقط ثمانية وسبعين أسقفية؛ وانظر: ابن الأثير: 4/560، والحميري، ص 56، وهما يشيران إلى وجود نحو ثمانين أسقفا في إسبانيا زمن الملك ريكارید Recared (586 ـ 601م).

duke، وهو الرئيس الأعلى للسلطة المدنية والعسكرية في الولاية. وكان للمدينة أهمية كبيرة في هذا العهد، لأنها كانت الأساس الذي قام عليه التنظيم الإداري والسياسي الروماني[162]. ولقد شكّلت المدينة والحوز، أو الزمام الذي يحيط بها، بلدية خاصة بها Municipa، وكانت مشيخة البلدية The Municipal curia، مكونة من مواطني المدينة البارزين المعروفين باسم Curiates، وهم المسؤولون عن إدارة المدينة والمناطق الريفية المعتمدة عليها. ولكن بعد انحلال الإدارة البلدية، أُنيطت أعمال المشيخة Curia بالكونتات Counts, Comites[163].

وكان الكونت رئيساً للدائرة الإدارية في مدينته، وهو يعين من قبل الملك، ويمتلك ثروة كبيرة. وينتسب إلى أصل نبيل[164]. وكان الكونت ومساعده الـ Vicar، مسؤولين عن إدارة القضاء، وجمع الواردات الملكية، وضرائب الدولة، واستدعاء الجند ضمن دائرة الـ territorium، أي المدينة وما حولها، وهي التي حلت محل الوحدة الرومانية للإدارة المحلية، أي الـ municipality. وكان القرويون يتبعون الكونت ومساعده مباشرة، أما كبار ملاك الأراضي وأصحاب المقاطعات الكبيرة Villae Latifundia، فكانوا يتمتعون بالاستقلال عن المسؤولين الرسميين المحليين. وكان هؤلاء الملاك، يمارسون سلطتهم على موظفيهم ووكلائهم، والقرويين الذين يعيشون في مقاطعاتهم، والذين غالباً ما كانوا تحت حمايتهم[165].

لقد بدت الظواهر الحقيقية لانحطاط السلطة الرومانية في إسبانيا بوضوح منذ بداية القرن الخامس الميلادي، وذلك عندما ابتدأ البرابرة

(162) Manuel Torres y Ramon Prieto Bances, in: *Historia de España*, ed. Menendez Pidal, Madrid, 1955, vol. II, p. 379.

(163) O'Callaghan, p. 62; Livermore, pp. 54-55.

(164) Thompson, p. 140, cit., *Vitas Sanctorum Patum Emeretensium*, ed., J.N. Garrin, Washington, 1946, V. 10. 1.

(165) O'Callaghan, pp. 62-63.

بالاستيطان في شبه الجزيرة. ويصف سانت إزيدور الإشبيلي Saint Isidore of Seville المتوفى عام 636م، استيطان الوندال Vandals والآلان Alani، والسويفي Suevi في إسبانيا عام 408م على أنه احتلال مدمر، أدى إلى نشر الخراب في كل أنحاء البلاد[166]. ولا توجد لدينا معلومات عن الظروف التي أحاطت بهذا الاستيطان، ولكن حسبما يروي هيدتيس Hydatius قسيس Chaves (469؟)[167]، فإن هؤلاء البرابرة تسلموا أراضي من الرومان من أجل أن يقيموا فيها مستوطنات. فكانت جليقية من نصيب الوندال والسويف، بينما حصل الآلان على كل من ولايتي لشدانية وقرطاجنة. أما السلنك Siling وهم فرع من الوندال، فقد تسلموا منطقة باطقة[168].

ونتيجة للحروب الكثيرة بين هذه القبائل الجرمانية وبين القوط الذين كانوا في تلك الفترة في غالة Gaul، تحطمت قوة الآلان والسلنك Siling من الوندال إلى حد كبير أما الذين نجوا من هذه الحرب، فقد رافقوا قبائل الاسدنك Asding من الوندال الذين عبروا المضيق إلى شمال أفريقيا في عام 429م[169]. وبعد مغادرة الوندال، بقي السويفي، الذين بلغ عددهم نحو مائة ألف[170]، ليستوطنوا بصورة رئيسة في جليقية. وكان السويفي قبل مجيء القوط إلى إسبانيا، قد هاجموا في عهود مختلفة مناطق كثيرة من شبه الجزيرة مثل باطقة، وقرطاجنة، ولشدانية وسيطروا عليها. وعندما نقل القوط الغربيون سلطتهم إلى إسبانيا، كانت مملكة السويفي ما تزال موجودة في جليقية. ولكن الملك ليوفيخلد Leavigild (568 ـ 586م) قضى على

(166) Isidore S. p. 33.

(167) Livermore, p. 76, cit. Hydatius, Bishop of Chaves (to 469?), «*Continuatio chronicorum Hieronymianorum*» ed T. Mommsen, *Monumwnta Germaniae Historica*, Chron, min, ii. p. 1-36, Berlin 1849.

(168) Isidore, S. p. 34.

(169) Ibid., pp. 34-35, Livermore, pp. 86, 88.

(170) O'Callaghan, p. 70.

مملكتهم، وألحقها بمملكة القوط[171].

كانت مملكة القوط الغربيين هي الأخيرة من سلسلة ممالك البرابرة، التي خلفت الإمبراطورية الرومانية، وذلك بعد أن انتهت هذه الأخيرة ككيان سياسي، واختفت من مسرح التاريخ. ويؤكد سانت إزيدور أن القوط كانوا أمة قديمة تعيش في الآلب[172]، وهو يلخص تاريخهم السابق قبل أن يدخلوا إسبانيا فيقول:

«كانوا يسكنون الحافات الثلجية في الغرب، واحتلوا مع شعوب أخرى كل جوانب السهوب الجبلية. ولقد اضطروا إلى الجلاء من هذه البقاع نتيجة لهجوم أقوام الهون، فعبروا الدانوب وارتموا في أحضان الرومان. وعندما لم يقدروا على تحمل تحدي هؤلاء، شهروا أسلحتهم بغضب وغزوا تراقية Thrace، ثم اكتسحوا إيطاليا، وحاصروا روما واحتلوها. ثم هاجموا غالة، وبعد أن اتخذوا طريقهم عبر جبال البرت Pyrenees وصلوا إلى إسبانيا حيث أرسوا فيها قواعد حياتهم وحكمهم»[173].

وبعد سنة 415م، توصل القوط الغربيون إلى عقد معاهدة مع الإمبراطورية الرومانية، تعهدوا بموجبها أن يشنوا الحرب، لصالح الإمبراطور، على بقية البرابرة. وقد أُعطوا بموجب هذه المعاهدة أيضاً ولاية أكويتانية الثانية Aquitania II في غالة ليسكنوا فيها، وهي التي تقع بين طولوشة Toulouse وساحل المحيط الأطلسي[174]. فاتخذوا طولوشة عاصمة

---

(171) Isidore. S. pp. 39 - 42; cf. R. Dozy, *Spanish Islam,* translated from the French by: F. G. Stokes, London, 1913, p. 220; Livermore, p. 92.

(172) وقارن: Isidore. S. pp. 3-4; E. A. Thompson الذي يقول بأنهم كانوا يقطنون في الجهة الشمالية من أسفل الدانوب، في المنطقة التي تعرف في الوقت الحاضر برومانيا:
The Visigoths in the time of Ulfila, Oxford, 1966, p. v.

(173) Isidore, S. p. 30-31.

(174) Ibid., pp. 11-12; cf. Livermore, pp. 79-80; R. B. Tate, «The Medieval Kindgoms of the Iberian Peninsula», in *Spain a companion to Spanish Studies,* ed. P. E. Russell, London, 1973, p. 67.

لهم، وبدأوا يشنون فيها حملات متتابعة موفقة غرضها احتلال شبه الجزيرة الايبيرية، خاصة في عهد يوريك Euric (466 ـ 484م) الذي أعلن استقلاله عن روما، وسيطر على بنبلونة وسرقسطة[175]. وبحلول النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي، كان القوط الغربيون قد بسطوا سيطرتهم على كل مناطق إسبانيا الشرقية، وبعض أجزاء باطقة[176]. وقد استطاع الفرنج أن يهزموا ويقتلوا الملك ألريك الثاني Alaric II في سنة 507م[177]، وهو الذي خلف الملك يوريك، ونظراً لهذا الضغط الجديد، فقد أُجبر القوط الغربيون أخيراً على أن يحولوا عاصمتهم ويستوطنوا في شبه الجزيرة الايبيرية[178].

لقد تمت عملية استيطان القوط الغربيين في إسبانيا في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس للميلاد. ولا يُعرف شيء عن المدن الرومانية التي استوطنوا فيها. ولا عن الشروط التي تم بموجبها هذا الاستيطان. ولكن الأدلة الآثارية تظهر أنهم كانوا يتركزون إلى الشمال من وسط إسبانيا، أي في كل من المحافظات الحديثة الحالية: شقوبية Segovia وسوريا Soria، ووادي الحجارة Guadalajara[179]. ولم يستوطنوا في باطقة بأعداد كبيرة[180]، ولكن حاميات الجند والإداريين، كانوا موجودين حتماً في هذه الولاية كما في غيرها من الأماكن الأخرى.

كان القوط الغربيون يمثلون أقلية صغيرة فقط ضمن السكان. ولا تتوفر

---

(175) Isidore. S. p. 16.

(176) Altamira, op. cit., p. 76.

(177) Isidore. S. pp. 16-17.

(178) cf. *CMH,* vol. II, p. 162.

(179) W. Reinhart, «Sobre el asientamiento de los Visigodos en la Peninsula», *Arvhivo espanol de arqueolgia,* XVIII, 1945, pp. 124-139; see also: Thompson, p. 132; P. D. King, *Law ans Society in the Visigothic Kingdom,* Cambridge, 1972, pp. 205-206; cf. O'Callaghan, p. 70; Livermore, p. 140.

(180) Thompson, p. 291.

معلومات إحصائية عنهم في هذا العصر، ومع هذا، فقد قدر أحد المؤرخين المحدثين، إن نحواً من مائتي ألف إلى أربعمائة ألف من القوط استوطنوا بين كل ستة إلى تسعة ملايين من السكان الإسبان ـ الرومان - Hispano Romans[181]. ولقد استوطن هؤلاء في مناطق الأرياف والمدن على حد سواء. وحتى في المدن، وإلى عهد متأخر كعهد الملك ريكاريد Reccared (586 ـ 601)، كان السكان الإسبان ـ الرومان يتغلبون عليهم بنسبة ثلاثة إلى واحد، ومما لا شك فيه، أن الفرق في النسبة كان أعظم في مناطق الأرياف[182].

لا تتوفر أدلة عن كيفية توزيع الأرض عندما بدأ القوط الغربيون في الاستيطان في شبه الجزيرة، ولكنهم استفادوا من العرف الروماني في تقسيم الأراضي الذي وضعه لهم الرومان في غالة عام 418م. وكان هذا العرف يسمى Hospitalitas، وهو يعني من الناحية اللغوية (الضيافة)، ولكن من الناحية الواقعية يُسمح للقوط بموجبه أن يستولوا على ثلثي كل مقاطعة في غالة استقروا فيها، أما المالك الروماني، فكان عليه أن يكتفي بثلث الأرض فقط. ولكن O. Callaghan يقول، دون الإشارة إلى مصادره، إن الروماني احتفظ بثلثي الأرض التي يزرعها هو، وبثلث الأرض التي تزرع من قبل المستعمرين Coloni، وهم الأحرار الذين سلموا أراضيهم إلى النبلاء الكبار من أجل التمتع بحمايتهم[183]. وفي القرن السادس الميلادي، كان قانون الملك Leovigild ما زال يتضمن تنظيمات بشأن (الثلثين حصة القوط) Sortes و(الثلث) Terciae الذي هو نصيب الرومان، ولهذا فمن الواضح أن العمل بعرف الضيافة الروماني Hospitalitas استمر في إسبانيا خلال العهد

(181) O'Callaghan, pp. 37, 70-71.

(182) R. D. Shaw, «The Fall of the Visigothic power in Spain», *The English Historical Review*, XXI, 1906, p. 211.

(183) O'Callaghan, p. 76.

القوطي[184]. وحتى بعد الفتح الإسلامي، فإن أبا الخطار، الوالي العربي للأندلس، استفاد من هذا العرف عندما وزع رجال القبائل الشاميين على كور الأندلس، وسمح لهم بالاستيلاء على ثلثي الأرض التي استقروا فيها[185]. ويقول المؤرخ الأندلسي ابن حيان: إن أبا الخطار تصرف في هذا الأمر تبعاً لمشورة رجل قوطي شهير هو أرطباس Ardabast ابن الملك غيطشة Witiza[186].

لم تتأثر كل مزرعة رومانية بالاستيطان القوطي في شبه الجزيرة، وكذلك لم يحصل كل مقاتل قوطي على أرض على حساب مالك روماني. فالمقاطعات الكبيرة، وبخاصة تلك التي يمتلكها الملاك الرومان الكبار، وهي التي تأثرت بهذا الاستيطان. أما المزارع الصغيرة فلم يشملها التقسيم، وكذلك فإن الرجال البارزين وقادة القوط الغربيين فقط، هم الذين تحولوا إلى ملاك للأراضي[187]. ومن المحتمل أن هؤلاء أسكنوا رجالهم وأتباعهم في أنصبتهم التي تسلموها من الأرض Sortes[188]. وقد أعفيت أراضي

---

(184) Thompson, pp. 132-133, cit., «*Leges Visigothorum*», ed. K. Zeumer, *Monumenta Germania Historica, Legum Sectio i, Hannover and Leipzig*, 1902. x. 18; King, p. 204 cit. «*Lex Bargundionum*» 54, i; Shaw, op. cit., p. 212; Manuel Torres y Ramon Prieto Bances, op. cit., Madrid, 1940, vol. III. pp. 151-152; Tate, op. cit., p. 67; Livermore, pp. 122-123.

(185) ابن الخطيب (برواية ابن حيان). **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1973: 1/102 ـ 103؛ وانظر: الفصل الرابع من هذا البحث عن استقرار الشاميين في الأندلس.

(186) **الإحاطة** (برواية ابن حيان): 1/102.

(187) Thompson, «The settlement of the Barbarian in Southern, Gaul, «*Journal of Roman Studies*», XLVI, 1956, p. 68; Thompson, p. 133; King, p. 206. cit. M. Garaud, «L'occupation de poitou par les wisigoths», *Bulletin de le Société des Antiquaires de O'Ouest* 3rd series, XIV, 1945. pp. 548-63.

(188) King, p. 206.

الكنيسة من هذا التقسيم[189]، كذلك لم تقسم الأراضي البور، وأراضي الغابات بل تركت ملكاً مشاعاً للاستعمال العام[190].

كان اعتلاء ملوك القوط الغربيين للعرش قائماً على مبدأ الانتخاب، وقد حاول العديد من الملوك، دون جدوى، أن يقيموا نظاماً ملكياً ثابتاً يعتمد على مبدأ الوراثة[191]. وقد قرر الأساقفة في مجلس طليطلة السادس (638م) إنه لا يجوز لأي شخص أن يغتصب العرش، وأن الملك يجب أن يكون من أصل قوطي نبيل ويتمتع بأخلاق جيدة[192]. وكان الملك هو الرئيس الأعلى للجيش، وهو السلطة التشريعية الوحيدة في البلاد، وكان يتمتع أيضاً بحق تعيين الأساقفة وعزلهم عن مناصبهم الدينية[193].

وكانت مجالس كنيسة طليطلة هي القوة الكبرى في الحياة السياسية والدينية في العهد القوطي. وهذه المجالس كانت بمثابة جمعيات وطنية لمملكة القوط الغربيين. ومن الناحية النظرية كانت مجالس كنيسة طليطلة قيداً على السلطة الملكية، أما من الناحية العملية فقد كانت بنظر الملوك سنداً مهماً لسلطتهم[194]. وبعد تحول القوط الغربيون إلى الكاثوليكية عام 587م، أصبحت الكنيسة في إسبانيا على علاقة وثيقة بالبلاط. وهذا الأمر هو الذي دعا شو R. D. Shaw إلى القول إن حكومة البلاد وقعت بالتدريج تحت سيطرة رجال الدين[195]. ولكن على العكس من هذا الرأي يمكن القول إن الملك، وليس الأساقفة، هو الذي كان يحكم الكنيسة والبلاد. فلم يكن بإمكان أي مجلس أن ينعقد، خاصة في القرن السابع الميلادي، إلاّ إذا أمر

---

(189) Livermore, p. 140.

(190) King, pp. 204, 205; O'Callaghan, p. 76.

(191) Ibid., p. 58.

(192) Thompson, p. 183, cit. VI Toledo. 16.

(193) *CMH*, Vol. II, p. 188.

(194) Thompson, p. 278; Tate, op. cit., p. 69.

(195) Shaw, op. cit., p. 213.

الملك بذلك. وكان الأساقفة عادة يناقشون ويقرون القرارات التي تتضمنها مسودة الملك. ولم يهملوا في أية قضية تعليماته ولم ينتقدوه بصورة مباشرة بل كانوا ينفذون كل مطاليبه. ولهذا، فلا يمكن للباحث إلاّ أن يتفق مع تومبسن Thompson في استنتاجه (بأن إسبانيا في القرن السابع لم تكن مثالاً للحكم الكنيسي والإرهاب الإكليركي، بل إن الملوك، وليس القساوسة، هم الذين حكموا إسبانيا، والكنيسة الإسبانية أيضاً)[196].

لقد جُبيت الضرائب في العهد القوطي على نفس الأسس التي كانت تجبى بموجبها خلال العهود الرومانية. وفي القرن السادس كان حاكم الولاية الروماني في مملكة القوط هو المسؤول عن جمع الضرائب[197]، ومع هذا فإن عمل الجباية الحقيقي كان يقع بصورة خاصة على عاتق أعضاء مجالس المدن في كل ناحية. وكان على هؤلاء أن ينتخبوا من بين أنفسهم في كل عام شخصاً يسمى Exactor وذلك بحضور الأهالي[198]. وكان هناك موظف بلدي آخر أقل رتبة من الـ Exactor يسمى Tabularius. ويشترط في هذا الموظف أن يكون حراً، وهو الذي كان يرسل طلبات الضرائب إلى كل دافع ضريبة[199]. أما الموظفون الذين كانوا يذهبون فعلاً لجمع الضرائب، فكانوا يعرفون باسم Susceptores، وهؤلاء كانوا ينتخبون علناً من قبل مجلس المدينة[200]. وفي النصف الثاني من القرن السابع انتقلت مهمة جمع الضرائب إلى الجانب القوطي من الإدارة. وكان كبار الموظفين الذين ذكروا في مرسوم الملك أيروج Erwig (1 تشرين الثاني 683م) هم الـ Dux Provincia والـ Comes Civitatis ونائبه الـ Thiufadus، وهو موظف أقل سلطة من كونت

---

(196) Thompson, pp. 281-282; cf. Tate, op. cit., p. 69.

(197) Thompson, p. 126, cit. *«Codex Theodosianus»*, ed T. Mommsen and P.M. Meyer, IV. 13. I.

(198) Ibid., p. 129. cit. *CTH*, XII. 622.

(199) Ibid., p. 129. cit. *CTH*, VIII. 2. 5.

(200) Ibid., p. 129. cit. *CTH*, XII. 6. 20.

المدينة كانت له واجبات عسكرية وقضائية وإدارية في العهد القوطي[201]، وموظفون صغار آخرون[202].

عندما كان أحد الأفراد يبتاع أو يحصل على أرض أو ممتلكات أخرى خاضعة للضريبة كان عليه أن يدخل اسمه في سجل الضرائب Polyptychi[203]. وكانت الضرائب تدفع إما نقداً أو عيناً وهي بالأصل تجمع فقط من (الثلث) الذي كان بيد الرومان. ويعفى هذا الثلث من الضريبة إذا ما انتقل إلى يد القوط، لأنهم كانوا أيضاً معفوين من دفع الضرائب عن الثلثين التابعين لهم[204]. ومن الناحية الأخرى، يقول (تومبسن): إنه كان يترتب على القوط دفع الضرائب عن أية أراض أخرى قد تقع بأيديهم غير تلك المزارع المقسمة[205]. وهذه في الحقيقة مسألة تخمينية، وكذلك مقولة (أوكالاهان) بأن أراضي القوط كانت تخضع في آخر الأمر إلى الضريبة[206]، وذلك لعدم توفر أي قانون مباشر يتعلق بهذا الأمر. ولقد قام الأباطرة الرومان من وقت لآخر، وكذلك ملك قوطي واحد (إيروج في مرسومه في 1 تشرين الثاني 683م) بإلغاء ضرائب مستحقة كثيرة[207]، وهذا القرار بطبيعة الحال أفاد ملاك الأراضي الأغنياء الذين كانوا أقوياء إلى حد أنهم استطاعوا تأجيل دفع ضرائبهم، بينما وضع العبء على الفقراء الذين كان عليهم أن يدفعوا ضرائبهم المطلوبة.

لقد كانت القرى ومناطق الأرياف مركزاً للحياة الاجتماعية في مملكة

---

(201) Ibid., pp. 137, 145, 213, 215, 262, 26405, 273.

(202) Ibid., p. 215. cit. *LV*, pp. 479-480.

(203) Ibid., p. 130. cit. Cth, XI. 3. 5.

(204) Ibid., p. 133-134. cit. (LV, XI, 16 (antiqua), Cod Euric, 277; *LV*. *X*. 18, 2, 1).

(205) Ibid., p. 134.

(206) O'Callaghan, p. 68.

(207) Thompson, pp. 215, 233. cit. *LV*, pp. 479 f.

القوط الغربيين[208]، لذلك فقد فرضت الضرائب الأساسية على الأراضي الزراعية وحقول الكروم والمنازل، أما الضريبة الشخصية الوحيدة المدونة في المصادر فكانت تفرض على العبيد[209]. ولكن (أوكالاهان) يقول، دون أن يشير إلى مصادره، إن الرومان والقوط كانوا مجبرين على دفع ضريبة رؤوس شخصية Capitatio Humana وكان رجال الدين معفوين من هذه الضريبة منذ زمن المجلس الرابع لطليطلة الذي عقد في 633م[210]. ولكن كان على الكنيسة الإسبانية أن تدفع الضرائب على أراضيها وممتلكاتها في القرن السابع الميلادي[211]. أما الضرائب الشخصية الأخرى غير المباشرة، فكانت تتمثل في المكوس على البضائع العابرة (الترانسيت)، ورسوم الكمارك التي تفرض في الموانئ ونقاط الحدود الخارجية وكذلك في حدود الولايات الداخلية وكانت هذه الضرائب تعطى بالالتزام لمدة ثلاث سنوات[212]. وكان على التجار أن يدفعوا ضرائب أخرى كل أربع سنوات، ولكن لا توجد تفصيلات عن ماهية هذه الضرائب. ولم يكن رجال الدين والجنود معفوين من الضرائب في حالة اشتغالهم بالتجارة[213].

وعلى الرغم من توفر بعض الأدلة على وجود فعاليات تجارية في العهد القوطي، فإن الزراعة كانت القاعدة الأساسية للاقتصاد[214]. فقد تخرجت مدن تجارية كثيرة في الجنوب والشرق من شبه الجزيرة نتيجة للصراع بين القوط الغربيين والبيزنطيين في أوائل القرن السابع للميلاد[215]. يضاف إلى

(208) King, p. 204.

(209) Thomspon, p. 128-129. cit. (*LV*, x. 2. 4f; Erwig's Edict; III Toledo 8).

(210) O'Callaghan, p. 68.

(211) Thompson, pp. 299-300. cit. *LV*, p. 482. 23.

(212) Ibid., p. 125, cit. *CTH*, iv. 13. I.

(213) Ibid., pp. 126-127, cit. *Cth*, XII. I. 13.

(214) O'Callaghan, p. 75.

(215) King, p. 201, cit. Fredegar, IV. 33, Isidore, «Etymologiae», XV. I. 67.

ذلك أن وصول العرب إلى شمال أفريقيا وفتوحاتهم هناك كان له ولا شك أثر سيئ على الحياة المدنية والتجارية في شبه الجزيرة. ومع هذا، فإن العديد من المدن الإسبانية استمرت في التوسع والازدهار، مثل طليطلة، وماردة، وإشبيلية[216]. وبالمقارنة مع بقية البلدان المجاورة. فإن إسبانيا تعد من الأقطار المزدهرة في القرن السابع للميلاد[217].

وفيما يخص التنظيم الاجتماعي، حافظ القوط الغربيون على التركيب نفسه الذي وجدوه قائماً في إسبانيا. وهكذا استمرت شرور العهد الروماني بالبقاء، وتركزت الثروة والممتلكات بيد القلة من الناس، وكان هناك عدم مساواة كبيرة في البنية الطبقية[218]. فالمجتمع القوطي كان يتألف من ثلاث طبقات، وهم كبار ملاك الأراضي والنبلاء، والعبيد، ثم الأغلبية الساحقة من السكان الذين لم يكونوا من النبلاء أو من العبيد[219]. ولا تتوفر لدينا إلاّ معلومات ضئيلة عن هذه المجموعة الكبيرة. فقد كانوا بصورة عامة من الأحرار البسطاء الذين ينتمون إلى أصول قوطية ورومانية، عاشوا في كل من المناطق المدنية والأرياف. وكان العمال في المدن ينتظرون، كما في العهد الروماني، ضمن أصناف ونقابات، ومن يهرب من هؤلاء كان يجبر على العودة إلى مدينته الأصلية. وكانوا محرومين من الانتظام في سلك رجال الدين، أو أن يصبحوا موظفين قضائيين[220].

(216) Ibid., p. 201, cit. Locarra *«Panorama», Settimane di studio del centro italiano di studi sull alto medioevo*. VI, 1959, pp. 321-339.

(217) Ibid., p190. cit. J.A.Maravall, El Concepto de España en la edad media, 2nd. Madrid, 1964, pp 19 ff.

(218) Dozy, op. cit., p. 226; *CMH,* vol. II. p. 191.

(219) **فتح الأندلس**، ص 7؛ ابن الشباط، «صلة السمط وسمة المرط»، تحقيق: أحمد مختار العبادي، **مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد**، العدد 14، 1967 ـ 1968، ص 107؛ الحميري، ص 169 ـ 170؛ Thompson, p. 267.

(220) Ibid., p. 121.

ونظراً للظروف الاقتصادية الصعبة، فقد اضطر الكثير من سكان المناطق الريفية إلى تسليم ممتلكاتهم إلى النبلاء الكبار، ورضوا بالعمل والبقاء فيها كمستأجرين لقاء تمتعهم بحماية النبلاء. ولقد أصبح هؤلاء بالتدريج مشدودين بالأرض، وارتبطت علاقاتهم مع الملاك مدى الحياة، حتى إنهم تحولوا أخيراً إلى ما يشبه الأقنان الموروثين. وكان عليهم أن يدفعوا عشر إنتاجهم إيجاراً، إضافة إلى تأدية بعض الخدمات الشخصية الأخرى، وضريبة الرؤوس أو الجزية Capitatio. ولكن ضرائبهم في القرن السابع لم تكن تجبى من قبل ملاك الأراضي، بل كان يقوم بذلك موظفو الدولة[221].

ومن بعد هذه الطبقة تأتي جماهير العبيد الغفيرة، ضحايا كل أنواع القهر والاضطهاد. وكان هؤلاء يستخدمون للأغراض الزراعية والأعمال المنزلية والمحلية على حد سواء. ويبدو من مراجعة القوانين القوطية أن الظروف المعاشية للعبيد المهرة الذين كانوا يعملون في المدن كانت أفضل من نظرائهم العمال الزراعيين[222]. وهناك أيضاً عبيد الدولة، أو عبيد الملك، الذين تولى بعضهم مناصب مثل أولئك الذين كانوا مسؤولين عن سائسي الخيول، والسقاة أو كبار الخدم[223]. ويبدو أن الكنيسة الإسبانية كانت تمتلك أيضاً عدداً كبيراً من العبيد، ولكن يتضح من تشريعات مجالس الكنيسة أن هؤلاء العبيد عاشوا في ظروف سيئة للغاية[224]. ولهذا فليس من الغريب أن حاول العديد منهم الهرب والتخلص من عبوديتهم. وقد اعترف الملك أخيكا Egica (687 ـ 702م) في بداية القرن الثامن الميلادي (702م) بأن العبيد الآبقين يختبئون في كل مكان من البلاد، حيث لا تخلو منهم أية

(221) Ibid., p. 117, cit. *CTH,* XI. I. 14; cf. O'Xallaghan, p. 73-74; Shaw, op. cit., p. 212.

(222) Thompson, p. 267, cit. *LV,* iii. 4. 15-17.

(223) Ibid., p. 268, cit. *LV,* ii. 4. 4.

(224) Ibid., p. 305, cit. III Toledo. 15; IV Toledo, 73; IX Toledo II; XI Toledo, 6.

مدينة، أو قرية أو حصن أو دار ريفية أو خان. وقد شرع قانوناً وضع بموجبه عقوبات صارمة على كل من يفشل في مطاردة العبيد الآبقين، وإلقاء القبض عليهم[225].

كانت طبقة النبلاء Seniores تتألف من أشراف القوط الغربيين وبقايا طبقة النبلاء الرومان. ويتميّز أفراد هذه الطبقة عن الأحرار الاعتياديين بأصلهم النبيل. وبإمتلاكهم للمزارع الكبيرة التي تزرع من قبل المستأجرين، وبخدمتهم في المناصب العليا في القصر وفي الإدارة المحلية[226]. وفي الحقيقة، كانت البلاد حتى عهد الملك Reccesinth (649 ـ 672م) تحكم وتدار بواسطة إدارة مشتركة من الطبقة النبيلة القوطية والرومانية. ومن المظاهر المهمة لهذا النظام، إن الطبقة النبيلة القوطية كانت تسوس السكان القوط، والطبقة النبيلة الرومانية مارست سلطاتها على السكان الرومان، بينما كان الملك القوطي وموظفوه الرئيسيون يقررون السياسة العامة للجميع[227]. وكان ملاك الأراضي الرومان Senators يتركزون في باطقة، ولشدانية، وطركونة، ولكنهم يمكن أن يوجدوا في أماكن أخرى أيضاً[228]. وكما هو الحال بالنسبة للملك ولكبار ملاك الأراضي القوط، كان النبلاء الرومان يشرفون على مزارعهم بواسطة الوكلاء ومديري المال في مقاطعاتهم Procurators[229]. وبصورة عامة فإن أفراد هذه الطبقة النبيلة كانوا أغنياء جداً، وقد أفلح بعضهم في الاحتفاظ بثروته حتى بعد الفتح الإسلامي[230].

---

(225) Ibid., pp. 272, 274, cit. *LV*, ix. I. 21.

(226) O'Callaghan, p. 73.

(227) Thompson p. 312.

(228) Ibid., pp. 115-116, cit. Storheker, *Germanentum and Spätantike*, Zürich and Stuttgart, 1965, pp. 78 ff.

(229) Ibid., p. 117, cit. *CTH*, i, 16.4, 22.I; ii. 30. 2, 2i.I.32.I; iv. 8. 6, 12.5.22.I, 4; IX, 29.2; II Toledo. 18, 12.

(230) ابن القوطي، 38 ـ 40; *Chr.* 754, p. 149. (no. 39); المقري: 1/267 ـ 268.

كانت المسيحية هي ديانة الغالبية العظمى من السكان. وكان الإسبان ـ الرومان يدينون بالمذهب الكاثوليكي، بينما كان القوط الغربيون قد اعتنقوا الآرية Ariansim منذ سنة 377م[231]. وقد اتخذ القوط الغربيون، منذ أيامهم الأولى في شبه الجزيرة حتى تحولهم إلى الكاثوليكية في عهد ريكاريد Reccared (586 ـ 601م)، سياسة المحافظة على الفصل الكامل بين السكان القوط والإسبان ـ الرومان. فكان أبناء كل قومية يقيمون شعائرهم بحرية تامة بمساعدة رجال الدين التابعين لملتهم وفي كنائسهم الخاصة[232]. وقد وجد الملك ريكاريد أنه من الضروري أن يعتنق مذهب الغالبية من رعاياه[233]، وهكذا توحدت الكنيسة الإسبانية تحت ظل الملكية القوطية. ولكن كان ما يزال هناك عدد لا بأس به من السكان الوثنيين في شبه الجزيرة. إن نظرة واحدة إلى التشريعات التي كانت تصدرها مجالس الكنيسة المتتالية وكذلك الملوك القوط، تظهر مدى الانتشار الواسع للوثنية، والكهانة والسحر، والعرافة في البلاد[234]. وكانت هذه الممارسات قد ترسخت في معظم أرجاء إسبانيا تقريباً، ليس فقط في الأرياف وفيما بين العبيد، بل في كل مكان، وقد ازدهرت إلى الحد الذي دفع مجلس طليطلة الثالث (589م) أن يقرر بأنه يتوجب على كل أسقف بالتعاون مع القاضي المحلي أن يحقق انتشار الوثنية في منطقته ويقضي عليها[235].

ولكن لم ينجح الأساقفة ولا الملوك في إخضاع الباسك أو البشكنس Basques، الذين احتفظوا بوثنيتهم وباستقلالهم طيلة العهد القوطي[236]. ولا

(231) Isidore, S. p. 5.

(232) Thomspon, pp. 311; Tate, op. cit., p, 68.

(233) ابن الأثير: 4/ 560؛ الحميري، ص 56 Isidore. S. p. 25.

(234) Thompson, pp. 308-310, cit. IV Toledo, II, 29; V Toledo, 4; *LV*, vi. 2. 1. 4; cf. 5; *LV*, vi. 2. 2; XII Toledo, II.

(235) Ibid., p. 54, cit. III Toledo. 16.

(236) Ibid., p. 156.

يعرف لحد الآن الأصل الحقيقي لهؤلاء الباسك، ولكنهم ربما كانوا من البقايا الوحيدة للقبائل التي سكنت منطقة جبال البرت Pyrenees في عصور ما قبل التاريخ. ولغة الباسك، التي ظلت حية إلى يومنا هذا، تختلف تماماً عن بقية كلام الإسبان[237]. لقد ناضل هؤلاء باستمرار في سبيل الحصول على الاستقلال، وكانوا يشنون هجماتهم على المناطق العائدة للفرنج والقوط الغربيين[238]، والمسلمين. واستمرت مطاليبهم وصراعهم من أجل الاستقلال، أو على الأقل الحكم الذاتي، تعكر صفو الحكومات الإسبانية حتى الوقت الحاضر.

كان البيزنطيون يشكّلون نسبة لا بأس بها ضمن العناصر الكاثوليكية في شبه الجزيرة. ولقد جاءوا إلى إسبانيا بمعية الجيش الذي أرسله الإمبراطور جستنيان Justinian (527 ـ 565م) في عام 551م بناء على طلب أثناخيلد Athanagild (555 ـ 568م) للمساعدة في ثورته ضد أخيلا Agila (549 ـ 555م)[239]. وكان هذا الإجراء يتمشى مع سياسة البيزنطيين في التدخل في مثل هذا النوع من الخلافات للحصول على المكاسب والسيطرة على البلاد، كما فعلوا سابقاً في شمال أفريقيا وإيطاليا. ولم يكن البيزنطيون بطبيعة الحال مهتمين بإزالة الخلافات بين القوط الغربيين، بل إن ما رغبوا به فعلاً هو تغيير الأوضاع لصالحهم من أجل تثبيت وتوسيع قوتهم. ومع هذا لم يستطيعوا أن يحافظوا على الأماكن التي سيطروا عليها في جنوب وشرق إسبانيا ـ خاصة مناطق قرطاجنة ومالقة ـ أكثر من سبعين سنة، بسبب

---

(237) Altamira, op. cit., p. 69; cf. Livermore, pp. 40-42.

(238) Thompson, p. 156; *CMH*, vol. II. p. 164.

(239) Isidore, S. p. 22. العذري، **نصوص عن الأندلس**، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مدريد، 1965، ص 98؛

Thompson, p. 323; *CMH*, vol. II, p. 163; Altamira, op. cit., p. 79; Livermore, p. 148; F. X. Murphy, «Julian of Toledo and the Fall of the Visigothic Kingdom in Sprain», *Speculum XXVII*, 1952, p. 11; O'Callaghan, p. 42.

الحملات العديدة التي شنها عليهم ملوك القوط الغربيين. وأخيراً تمكّن الملك سنثيلا Suinthila (621 ـ 631م) من الانتصار عليهم، فنفى البعض وأخضع الباقين إلى سلطان القوط[240]. ومن المعتقد أن البيزنطيين نالوا مساعدة من سكان البلاد الإسبان ـ الرومان، وذلك بسبب اعتناق الاثنين للمذهب الكاثوليكي[241]. ولكن شهادة كاتب معاصر، وهو سانت إزيدور الإشبيلي، الذي كان أيضاً من الكاثوليك، لا تشير إلى حدوث مثل هذا التعاون[242]. وعلى أية حال، فإن الاحتلال البيزنطي للمناطق الجنوبية والشرقية من إسبانيا لم يمنع الاتصالات مع بقية أجزاء شبه الجزيرة[243]، ولم يكن عائقاً للصلات التجارية، بل على العكس، أن التأثير البيزنطي لعب دوراً مهما في تشجيع الاتصال مع الشرق، وفي زيادة التبادل التجاري، وبشكل خاص عبر طريق قرطاجنة، وطريق برشلونة الذي كان يسير محاذياً لنهر الإبرة حتى الشواطئ الشمالية لشبه الجزيرة[244].

ولقد شكّل اليهود عنصراً مهماً آخر من عناصر السكان في مملكة القوط الغربيين. ويعود تاريخ استيطانهم في شبه الجزيرة إلى زمن بعيد جداً[245]. وكانوا يتركزون بالدرجة الأولى في المراكز الحضرية المتقدمة،

---

(240) Isidore. S. pp. 22, 27-28; Murphy, op. cit., p, 11; G.C. Miles, *The Coinage of the visigoths of Spain, Leovigild to Achila II,* New York, 1952 p. 28; Thompson, pp. 331-334.

(241) *CMH,* Vol. II, p. 163; Tate, op, cit., p. 68.

(242) Isidore. S. pp. 22ff.

(243) Thompson, p. 330.

(244) King, p. 197, cit. *SGS* pp. 224-235; *CMH,*Vol. II. p. 191.

(245) S. KATZ, *The Jews in the Visigothic and Frankish Kingdoms of Spain and Gaul,* New York, 1970, pp. 3-5; Y. Baer, *A history of the Jews in Christian Spain,* translated fromthe Hebrew by Louis Schoffman, Philadelphia, 1971, vol. I. p. 18; E. Astor, *The Jews of Muslim Spain,* translated from the Hebrew by Aaron Klein and Jenny Machlowits Klein, Philadelphia, 1973, vol. I. p. 11.

مثل العاصمة طليطلة، وولاية باطقة ـ خاصة في منطقة غرناطة واليسانة Lucena، وبيانة ـ Baena وعلى طول ساحل البحر المتوسط ـ بشكل واسع في طركونة ـ وهي الأماكن التي نجدهم يتركزون فيها أيضاً في أثناء العهد الإسلامي[246]. وتختلف منزلة اليهود الاقتصادية، وطرائقهم في الحياة اختلافاً كبيراً، فكان قسّم منهم يعملون بالتجارة في داخل إسبانيا وخارجها، بينما كان الآخرون فقراء لا يمتلكون أية ممتلكات[247]. ويشير المؤرخون اليهود إلى أن ملكية الأرض كوّنت الأساس الذي تقوم عليه معيشة بعض اليهود في إسبانيا، فكان العديد منهم يعيشون في قرى ويزرعون أراضيهم بأيديهم، بينما تولى آخرون الإشراف على المزارع التي يمتلكها المسيحيون[248]. وتشير التشريعات الكنسية لمجلس البيرة (306م) أيضاً إلى أن اليهود كانوا غالباً ملاك أراض ومزارعين يعمل في مزارعهم وكرومهم مستعمرون مسيحيون Coloni[249]. ولكن يبدو واضحاً من التشريعات الكثيرة التي تخص اليهود في إسبانيا، أن فعالياتهم التجارية، كانت مهمة بقدر أهمية نشاطهم الزراعي.

هناك أدلة واضحة لا تقبل الجدل، تظهر من خلال القوانين والمراسيم

---

(246) **الإحاطة** (برواية ابن القوطية: 1/ 101؛ ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، بيروت، 1965، ص 149؛ **أخبار مجموعة**، ص 12 ـ 16؛ الإدريسي، ص 191؛ ابن عذاري: 2/ 12؛ ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، 1964: 1/ 105؛ عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، نشر: ليفي بروفنسال، القاهرة، 1955، ص 131؛ **ذكر بلاد**، (رقم 85ج)، ص 60 (رقم 558)، ص 82؛ الحميري، ص 143؛ المقري: 1/ 263 ـ 264، 269؛

Katz, p. 124, cit. *«Council of Elvira»*, 49 (F. A. Conzalez, *Collectio canonum ecclesiae Hispania*, Madrid, 1808, p. 284; G. D. Mansi, *Sacrorum conciliorum nova et amplissima collectio*, 50 vols in 55 tones, Paris, 1903-1927, II, 14); Baer, op. cit., vol. I. pp. 18, 23; Livermore, pp. 193-195; King, p. 198.

(247) Thompson, p. 316.

(248) Baer, op. cit., vol. I. p. 18; Ashtor, op. cit., vol. I. p. 25.

(249) Katz, p. 124, cit. «Concil of Elvira» c. 49 (Conzález, 284; Mansi, II. 14).

التي تتعلق باليهود، هي تشير إلى أنهم كانوا منبوذين وعوملوا معاملة قاسية، ومع هذا، فقد حاول أحد المؤرخين الإسبان أن يتجاهل موقف القوط العدائي من اليهود، فذكر خطأ بأن الجالية اليهودية تمتعت بمنزلة جيدة في المجتمع القوطي[250]. ويعد الملك سسبت Sisebut (612 ـ 621م) بنظر العديد من المؤرخين، العاهل القوطي الأول الذي ابتدأ اضطهاد اليهود[251]، ولكن من المعروف جيداً أن التشريعات المعادية لليهود ابتدأت مبكراً منذ عهد الملك الأريك الثاني Alaric II (484 ـ 507م)[252] وفي أواخر القرن السادس الميلادي صادق الملك ريكاريد Reccared (586 ـ 601م) أيضاً على قرارات المجلس الثالث لطليطلة التي نصت على إكراه اليهود على إعتناق المسيحية، وحرمت على أي يهودي أن يشتري عبداً مسيحياً[253]. ولقد ظل هذا التشريع سارياً، وأعيد تطبيقه من قبل ملوك القوط المتعاقبين، كما أُيد وعُزز من قبل مجالس الكنيسة حتى نهاية العصر القوطي.

وجُرد اليهود من قبل الملك سسبت من العبيد والمستأجرين، ولهذا فقد أصبح من المستحيل عليهم أن يزرعوا أرضاً، أو أن يمتلكوا مزرعة كبيرة[254]. وفي عهد إيروج Erwig (680 ـ 687م) أُقصي اليهود عن كل المناصب العامة، وعن وكالة المزارع الكبيرة[255]. وَحُرِّم عليهم، كما حُرِّم على عبيدهم أيضاً، أن يعملوا في حقولهم أيام الآحاد والعطل[256]. ولكن

(250) Altanira, op. cit., p. 85.

(251) العذري، ص 98؛ Isidore. S. p; 28; Dozy, op. cit., p. 227; Baer, op. cit., Vol. I. p. 19; Katz, p. II; *CMH*, vol. II. p. 174; Livermore, p. 192.

(252) Thompson, p. 53, cit, *CTH*, ii I. 10, 8.26; XVI, 8. 23. 9. 1, 7. 3. 8. 7. 8. 5.

(253) Ibid., pp. 101, 111, cit. III Toledo. 14; Katz, p. II.f, III Toledo, (589). c. 14 (González, 352, 355; Mansi, IX, 996, 1000).

(254) Thompson, pp. 165-166, cit. *LV*, xii. 2. 13f; Baer, op. cit., vol. I. p. 20.

(255) Thompson, p. 236, ict. *LV*, xii. 3. 4. 17, 19; Baer, op. cit., vol. I. p. 21.

(256) Katz, p. 124, cit. *LV*, xii, 3, 6.

ذروة الاضطهاد الرهيبة لليهود وصلت غايتها في عهد الملك أخيكا Egica (687 ـ 702م) الذي هدف إلى تجريدهم من قدرتهم الاقتصادية وتحديد قابليتهم في الحصول على المعيشة. فلقد أجبر اليهود على أن يبيعوا إلى خزينة الدولة، وبسعر محدد، عبيدهم، وأية ممتلكات سبق وأن حصلوا عليها من المسيحيين. يضاف إلى ذلك، أنهم منعوا من مزاولة التجارة على مختلف أشكالها، أو أن يتاجروا فيما وراء البحار[257]. وقد عومل يهود ولاية آربونة Narbonensis فقط معاملة مختلفة في قوانين أخيكا، لأن وجودهم كان ضرورياً لحماية هذه الولاية، ولأن قسماً قليلاً منهم فقط هو الذي بقي في هذه المنطقة بعد أن قضى الطاعون والغارات الفرنجية على الآخرين. ولكن إعفاءهم كان مشروطاً أيضاً، فقد كان عليهم أن يتحولوا إلى المسيحية، وأن يسلموا ممتلكاتهم إلى الدوق Dux[258].

ولا تعرف الدوافع الحقيقية الكامنة وراء هذا الاضطهاد، أو لماذا مُنع اليهود من ممارسة أي نوع من أنواع التجارة. ويحتمل أنهم اضطهدوا للحيلولة بينهم وبين أن يصبحوا ذوي تأثير كبير على الفعاليات الاقتصادية، ولكن لا يمكن للمرء أن يقتنع بهذا، سيما وأن هناك العديد من القوانين الأخرى التي عالجت مسائل العقيدة والتحول إلى المسيحية. وعلى الرغم من أن العديد من قوانين الاضطهاد انتهكت بسبب دفع اليهود للرشاوي إلى النبلاء ورجال الدين من أجل الحصول على الحماية[259]. فلقد تضرر اليهود

---

(257) Thompson, p. 246, cit. (*LV*, xii, 2.18; XVI Toledo, I); Katz, p. 21, cit. (*LV*, XII, 2. 18; XVI Toledo c. I González, 559 - 560, 567 - 568, Mansi, 62 - 64, 68 - 69).

(258) Ibid., p. 21, cit, XVKK Toledo; Thompson, p. 247.

(259) Ibid., pp. 236-237, cit. (LV, xii, 3.3424,25, 10); Katz, p. 127, cit. (LV, xii.3.24; IV Toledo, c. 58, Conzález, 383; Manzi, X, 633 X Toledo, c, 7. González, 460; Mansi; XI 37).

إلى حد كبير، والتجأ الكثير منهم إلى شمال أفريقيا وغالة(260). وكان أحد ردود فعلهم القوية تجاه هذا الموقف، إن شاركوا في التمرد الذي قام به الدوق بول Paul ضد الملك وامبا Wamba (672 ـ 680م) في سنة 672م(261). ولكنهم اتهموا في عهد الملك أخيكا بالاشتراك في تدبير مؤامرة مع اليهود القاطنين عبر البحر ضد المسيحيين في إسبانيا(262). وقد يكون هذا الاتهام صحيحاً، ولكن لا تتوفر أدلة عليه سوى خطبة الملك أخيكا التي ألقاها أمام مجلس طليطلة السابع عشر في التاسع من تشرين الثاني سنة 694م، عندما أشار إلى هذه (المؤامرة) لأول مرة. ومن المحتمل جداً، كما يعتقد تومبسن Thompson و بير Bear، أن هذا الاتهام ما هو إلاً محض خيال أو اختراع من قبل الملك حتى يبرر إمعانه في اضطهاد اليهود(263). وعلى الرغم من هذا، فقد سلَّم العديد من المؤرخين المحدثين بهذه الحادثة، وعدوها حقيقة تاريخية، بل حاول بعضهم أن يثبت بأن اليهود المقصودين عبر البحار هم يهود شمال أفريقيا والبربر(264). وقد ذهب آخرون . بسبب تعاون اليهود فيما بعد مع المسلمين زمن الفتح ـ إلى أبعد من ذلك، حيث اقترحوا بأن اليهود كانوا يتآمرون من أجل أن يسلِّموا إسبانيا إلى

---

(260) Shaw, op. cit., p. 214; Ashtor, op. cit, vol. I. pp. 30-31; Katz, p. 116.

(261) Ibid., p. 16, cit. «Julian of Toledo», Historia, Wamba; c. 6. *Monumenta Germaniae historia,* Scrip. Merov, V. 504, J. P. Migne, Patrologia cursu completus, Series Latina, XCVI, 766; Astor, op. cit., Vol. I. p. 12; O'Callaghan, p. 72; Miles, op. cit., p. 34. .

(262) Thompson, p.. 247, cit. (XVII Toledo, 8); Katz, p. 21, cit. 9XVII Toledo. c.8, González. 596; Mansi, XIII, 102); Baer, op. cit., Vol. I. p. 22. Cf. Lévi-Provençal, *Histoire de l'Espagne Musulmane, vol. I. Paris-Leiden,* 1950, p. 6.

(263) Thompson, p. 247; Baer, op. cit., vol. I. p. 22.

(264) Shaw, op. cit., p. 214; W. C. Atkinson, *A History of Spain and Portugal,* Londom, 1960, p. 43;

إبراهيم طرفان، **دولة القوط الغربيين**، القاهرة 1958، ص 119.

المسلمين[265]. ولا يُعقل مثل هذا الرأي بأي حال، لأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا بعيدين عن إسبانيا، وكانت فتوحاتهم مركزة في المناطق المجاورة للقيروان، ولم يتحدد بعد مصيرهم في المغرب الأقصى للشمال الأفريقي.

وتعدّ حالة العصيان والمؤامرات المستمرة التي كان يقوم بها النبلاء من مظاهر الضعف الرئيسة لدولة القوط الغربيين[266]. وكانت غاية هؤلاء ترمي إما إلى انتزاع العرش من الملك، أو الانسلاخ عن المملكة والحصول على الاستقلال. واستمرت هذه النزعة الانفصالية لتصبح من أعظم المظاهر المميزة خلال العهد العربي الإسلامي في إسبانيا. وقبل الفتح الإسلامي بسنة واحدة تقريباً، حدث أقوى وأقسى تنافس على السلطة في إسبانيا. وعلى الرغم من وجود بعض الثغرات في معرفتنا المباشرة للظروف التي رافقت هذا التنافس، فإنه يمكن التحقق في قليل من الحقائق المتعلقة بهذا الأمر.

عندما توفي الملك غيطشة Witiza (702 ـ 710م) في حدود سنة 710م ترك أرملة وثلاثة أبناء[267]. واستناداً إلى رواية الرازي، وكتاب **أخبار مجموعة**، فقد ترك غيطشة ابنين فقط[268]. ولقد نُصِّب أحد هذين الابنين، وهو أخيلا Achila، في عهد أبيه ليكون دوقاً لولايتَي طركونة Tarraconenisis وسبتمانية Septimania، وكان مرشحاً أيضاً لوراثة العرش بعد أبيه[269].

---

(265) Katz, p. 21; Murphy, op. cit., p. 5; *CMH,* vol. II, p. 18; Miles, op. cit., p. 36; وانظر الفصل الثالث من هذا البحث.

(266) للاطلاع على الأحداث التاريخية المتعلقة ببعض حركات التمرد والمؤمرات خلال العهد القوطي راجع: Isidore. S. pp. 22 - 23. 27; *Alfonso III,* pp. 609 - 610; Thompson. pp. 61 - 62, 171, 184, 199, 218ff, 244; Livermore, pp. 148-149, 165f, 207, 232 - 233; Miles, op. cit., pp. 23, 25 - 26, 31, 34, 37, 39; c p. Provençal. Vol. I. p.3.

(267) ابن القوطية، ص 2؛ المقري: 1/ 265.

(268) **أخبار مجموعة**، ص 5؛ Râzi Saavedra, p. 147.

(269) Miles, op. cit., p. 40; *CMH,* Vol. II. p. 182.

ولكن، كما يذكر الرازي، فإن القوط لم يرغبوا في حكم أولاد غيطشة بسبب صغر سنهم[270]. ومع هذا فمن المحتمل جداً أن يكون النبلاء ورجال الدين قد عارضوا هذه المحاولة بسبب عداوتهم لغيطشة الذي كان ليناً أكثر من أبيه أخيكا، وحاول أن يخفف من التأثير السيئ الذي تركه والده في الناس. فلم يختلط برجال الدين والنبلاء، بل أبعدهم عن نفسه وحرمهم من بعض امتيازاتهم، وفرق شملهم[271]. ولهذا فليس من الغريب أن نجد هذا الملك متهماً في الحوليات الإسبانية بأنه قد أفسد الكنسية، وحل مجالسها، وأنه أمر القسس باتخاذ الزوجات، وعاش حياة ملؤها الخلاعة والانغماس في الملذات[272].

لا توجد لدينا معلومات واضحة عن أخيلا. أما ما يتوفر من نقوده التي ما تزال باقية حتى الآن، فلا يساعدنا في مسألة وراثة العرش، لأن هذه النقود ضربت في فترة لاحقة للفتح الإسلامي[273]. وكل ما نعرفه هو أن حالة من الفوضى والارتباك سادت في البلاد بعد موت غيطشة، وأن العرش اغتُصب من قِبل لذريق Roderic بتحريض من النبلاء[274].

وما يزال أصل لذريق مختلفاً فيه، فتشير **حولية ألفونسو الثالث** إلى أنه كان سليل بيت الملك شنداسفنتو Chindaswinth (642 ـ 653م)[275]، بينما يذكر المؤرخون العرب أنه كان رجلاً شجاعاً، لكنه لا ينتمي إلى بيت

(270) Râzi Saaverdra, p. 148.

(271) ابن الأثير: 4/560; Ibid., p. 147 cf. Saaverda, p. 26; Shaw. op. cit., p. 218; Ashtor, op. cit., Vol. I. pp. 7. 14.

(272) (ملحق رقم 4 **لأخبار مجموعة**) «*Chronicle of Moissac*, p. 165 Alfonso III. p. 611.

(273) Miles, op. cit., pp. 40-41.

(274) Chr. 754, p. 147. no 34; cf. F. J. Simonet, Historia de los mozarabes de España, pp. 4ff.

(275) Alfonso III, pp. 111-112.

الملوك، وأنه كان قائداً وفارساً[276]. ونظراً لحاجته إلى المال، ابتدأ لذريق حكمه بأن حاول الاستيلاء على خزائن أسلافه في كنيستي سان بيدرو San Pedro وسان بابلو San Pablo في طليطلة. وقد أوحت هذه الحادثة إلى ظهور الرواية الأسطورية المشهورة في المصادر العربية، التي تتعلق بلذريق وبيت الملوك أو بيت الحكمة، وتقول هذه الرواية أن لذريق أصر على دخول البيت الذي يدفن فيه الملوك بتيجانهم، رغم اعتراضات رجال الدين معتقداً أنه قد يجد فيه كنزاً. ولكنه وجد بدلاً من ذلك صوراً لرجال من العرب المعممين وهم يحملون سيوفهم وقسيهم. كان مكتوب هناك، بأن البلاد ستفتح من قبل رجال مشابهين لهذه الصور فيما لو كسرت أقفال هذا البيت ودخله أحد[277].

ولم تكن مشكلة لذريق الوحيدة هي الإفلاس، بل كان عليه أن يجابه أيضاً انتشار الفساد في مملكته. وكانت الثورات وحركات التمرد ما تزال تعكر صفو البلاد، وبشكل خاص في منطقة الباسك. وكان العبيد يهربون في كل ولايات البلاد. وتشير هذه الحقيقة إلى ضعف القوط المتأصل، وإلى الحد الذي وصل إليه تدهور قوتهم، لأن الغالبية العظمى للجيش القوطي في

---

(276) ابن القوطية، ص 2؛ **أخبار مجموعة**، ص 5؛ ابن الأثير: 4/560؛ ابن الشباط، ص 103؛ ابن عذاري: 2/3؛ المقري: 1/248، 250.

(277) ابن حبيب، افتتاح الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، **مجلة معهد الدراسات الإسلامية** في مدريد، العدد الخامس، 1957، ص 225؛ ابن عبد الحكم، ص 206؛ ابن القوطية، ص 7؛ ابن خرداذبة، ص 156 ـ 157؛ ابن الشباط، ص 103 ـ 104؛ ابن الأثير: 4/567؛ ابن عذاري: 2/3؛ **فتح الأندلس**، ص 2 ـ 3؛ ابن الكردبوس، «الاكتفاء في أخبار الخلفاء» تحقيق: أحمد مختار العبادي، **مجلة معهد الدراسات الإسلامية** في مدريد، العدد الثالث عشر، 1965 ـ 1966، ص 42 ـ 43؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**: 5/327 ـ 328؛ **الامامة والسياسة**، منسوب لابن قتيبة، ومنشور ملحقاً لكتاب **تاريخ افتتاح الأندلس** لابن القوطية، ص 128 ـ 129؛ النويري: 22/3 ق2؛ الحميري، ص 6 ـ 7؛ المقري: 1/251؛ وقارن: **فجر الأندلس**، ص 20؛ Saavedra, pp. 40-43; Provençal. Vol. I. P. 7.

آواخر القرن السابع الميلادي كانت تتألف من العبيد المجندين[278]. ولهذا فليس من الصعب تخيل مصير لذريق ومملكة القوط الغربيين، عندما كان عليهم أن يجابهوا حماسة المسلمين وتنظيمهم المتقن.

(278) Thompson, pp. 265-267. cit. L V. V. 3, 4, 7, 19.

الفصل الثاني

الفتح العربي لشمال أفريقيا

بسقوط الإسكندرية في عام 22هـ/ 642م، أدرك فاتح مصر، عمرو بن العاص، ضرورة الحفاظ على كل ما حققه العرب في مصر، وذلك عن طريق تأمين سلامة البلد من كل خطر محتمل. ولا بدَّ من أنه أدرك أيضاً بأن الخطر الكبير كان يكمن في قوة البيزنطيين البحرية، وكذلك في تواجدهم في الشمال الأفريقي. ولهذا بدأ الفتح العربي بالاتجاه نحو ما يسمى اليوم بليبيا نتيجة لبادرة القائد عمرو بن العاص نفسه. ولقد كانت استراتيجيته تتركز بالدرجة الأولى في السيطرة على المناطق الساحلية، ولكنه كان يعتقد بأن الهيمنة القوية المستمرة على الساحل يجب أن يواكبها تحكم فعّال في الداخل. ولهذا فقد اتجه نحو برقة على رأس جيش يقدر بنحو أربعة آلاف رجل من مختلف القبائل التي ساهمت في فتح مصر، وبشكل خاص أولئك الذين جاءوا مع الزبير بن العوام، الذين يسمون بالمدنيين. ولقد كانت أغلبية هذه الإمدادات تتكون من عشائر يمانية، مثل مهرة، وحضرموت، وخولان، ومعافر، ولخم، والصدف[1]. وكان من ضمنهم أيضاً رجال ينتمون إلى

(1) ابن عبد الحكم، ص 118 ـ 119، 122 ـ 128.

مختلف عشائر الحجاز، مثل: فهر وبني عبد العزى من قريش، والأنصار[2]، الذين أصبحوا الآن تحت قيادة عبد الله بن الزبير.

دخل عمرو برقة بدون أن يلاقي أية مقاومة، وعقد مع سكانها من بربر لواتة معاهدة صلح، تعهدوا بموجبها أن يدفعوا جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار[3]. ومن برقة، أرسل عمرو حملة إلى زويلة في الصحراء، بقيادة عقبة بن نافع الفهري، الذي كان هو وأبوه، نافع بن عبد القيس، ضمن الرجال الذين جاءوا مع الزبير إلى مصر لأول مرة[4]. تكللت حملة عقبة بالنجاح، وأصبح العرب يسيطرون على كل الأراضي الواقعة بين برقة وزويلة[5]. وفي الوقت نفسه واصل عمرو حملته على الساحل، فعقد معاهدة أخرى مع أجدابية، تعهد سكان المدينة بموجبها بدفع جزية مقدارها خمسة آلاف دينار[6]. وعلى العكس من هذه الحملات السهلة، وقفت طرابلس بقوة أمام العرب وتلقت حاميتها البيزنطية مساعدة قبائل نفوسة البربرية المسيحية في المناطق المجاورة، وربما كان هذا بسبب رغبة هؤلاء في حماية تجارتهم واستمرار علاقاتهم مع البيزنطيين في الساحل. وقد حوصرت المدينة لما يقارب الشهر أو أكثر، ثم تمّ تحريرها، بعد أن نجح العرب في العثور على ثغرة في أسوارها قرب البحر، فهربت الحامية البيزنطية إلى سفنها في البحر[7]. وفي أثناء حصار طرابلس، أرسل عمرو عدّة حملات صغيرة إلى

---

(2) المصدر نفسه، ص 61، 93.

(3) المصدر نفسه، ص 170؛ البلاذري، ص 224؛ اليعقوبي، ص 346؛ الطبري: 1/ 2645؛ ابن الفقيه الهمداني، **مختصر كتاب البلدان**، ص 76؛ الكندي، ص 9 ـ 10؛ البكري، ص 4 ـ 5؛ ياقوت: 1/ 389؛ ابن الأثير: 3/ 25 ـ 26؛ **الحلة السيراء**: 1/ 14؛ ابن عذاري: 1/ 8.

(4) ابن عبد الحكم، ص 93.

(5) المصدر نفسه، ص 171؛ البلاذري، ص 224 ـ 225؛ الطبري: 1/ 2646؛ البكري، ص 11؛ **الاستبصار**، ص 146؛ دينار، ص 26.

(6) ياقوت: 1/ 100.

(7) ابن عبد الحكم، ص 171؛ البلاذري، ص 225؛ البكري، ص 8 ـ 9؛ ياقوت: 4/ 25؛

مناطق أخرى على الساحل. فأخضعت صبراطة، بينما استطاع بشر بن أبي أرطأة، القائد القرشي الذي أرسله عمرو، أن يتقدم تقدماً ملحوظاً في الداخل. فدخل أرض نفوسة، جنوب غربي طرابلس، إلى ودّان في الصحراء، التي خضعت أيضاً لقوته[8]. وأخيراً، وقبل أن يعود عمرو إلى مصر، عيّن عقبة بن نافع حاكماً على برقة[9].

عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر سنة 25هـ/ 645م، وعَيَّن الخليفة عثمان بن عفان عبد الله بن سعد بن أبي سرح بدله. وكان ابن أبي سرح قائداً من قواد عمرو، دخل معه إلى مصر في الحملة الأولى، وكانت له أيضاً خبرة في الشؤون المصرية[10]. وكانت السياسة العامة للخليفة عثمان آنذاك، هي البدء بسلسلة من الفتوحات على كل الجبهات لإتاحة الفرصة أمام الجيوش العربية في كل من مصر والعراق لاستكمال تحرير بقية المناطق في إيران وشمال أفريقيا ونشر الإسلام فيها[11]. جهز الخليفة عثمان أعداداً كبيرة من رجال القبائل المحيطة بالمدينة والحجاز، ومن هؤلاء: عشائر مزينة، التي كانت بقيادة بلال بن الحارث، وجهينة، وسليم، وأسلم، وغفار، وغطفان، وفزارة[12]. وكانت قريش ممثلة بشخصيات مشهورة، مثل: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن أبي بكر، ومروان بن الحكم، وكثيرين غيرهم. وأسندت قيادة الحملة إلى

ابن الأثير: 3/ 25 ـ 26؛ **الحلة السيراء**: 1/ 14؛ ابن عذاري: 1/ 8؛ التجاني، ص 229؛ **الحلل**، ص 237.

(8) ابن عبد الحكم، ص 172 ـ 173، 194؛ البكري، ص 9 ـ 10؛ ياقوت: 5/ 366؛ ابن الأثير: 3/ 26؛ **الحلة السيراء**: 2/ 324؛ التجاني، ص 212؛ **الحلل**، ص 237؛ دينار، ص 26؛ **الاستبصار**، ص 144.

(9) البلاذري، ص 224؛ ياقوت: 4/ 420؛ النويري: 22/ 11، قد 2.

(10) ابن عبد الحكم، ص 58؛ الكندي، ص 11 ـ 12.

(11) cf. M. A. Shaban, *Islamic History Cambridge*, 1971, Vol. 1. P. 66.

(12) أبو العرب، ص 68 ـ 69، 70؛ المالكي: 1/ 10؛ النويري: 22/ 3 قد 2؛ السلاوي: 1/ 86.

الحارث بن الحكم، أخو مروان، الذي كان عليه أن يقود الحملة إلى مصر، حيث يتولى ابن أبي سرح القيادة هناك[13].

وفي مصر التحق الكثير من رجال القبائل العربية بهذه الحملة المتوجهة إلى شمال أفريقيا. وكان هؤلاء بصورة عامة من مهرة، وغنث وميدعان من الأزد، وبعض رجال القبائل من كندة، الذين كانوا بقيادة المقداد بن الأسود، وبعض من لخم وجذام[14]. وهناك إشارات إلى وجود بعض الأقباط مع الجيش، الذين خدموا كأدلاء ومستشارين، بسبب معرفتهم واطلاعهم على المنطقة[15]. وعندما وصلت الحملة إلى برقة التحقت بها الحامية العربية هناك، بقيادة عقبة بن نافع[16]. وتشير المصادر إلى أن العدد الكلي للحملة كان يقدر بما يقارب العشرين ألفاً[17]، ولكن يمكن أن يتوقع المرء، أن هذا العدد مبالغ فيه على الأغلب، لأننا إذا قمنا بعملية جمع العدد الكلي لرجال القبائل الذين ساهموا في هذه الحملة، كما تذكره المصادر، نحصل على ما يقارب خمسة آلاف وسبعمائة وخمسين رجلاً فقط. ومع هذا، فإنه يمكن القول بأن عدد المشاركين كان يتراوح بين الخمسة آلاف والعشرة آلاف رجل.

---

(13) ابن عبد الحكم، ص 183؛ البلاذري، ص 226؛ أبو العرب، ص 68؛ المالكي: 1/ 9 ـ 10، 46، 52؛ **معالم الإيمان**: 1/ 89، 94، 102، 104، 111، 114، 126، 128، 131، 135، 136، 145، 147، 161، 163، 169، 170، 171، 176؛ ابن عذاري: 1/ 8 ـ 9؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق بروفنسال)، ص 215؛ النويري: 22/ 2 ـ 3، قد2؛ **الحلل**، ص 38.

(14) ابن عبد الحكم، ص 184، 186؛ أبو العرب، ص 50؛ **معالم الإيمان**: 1/ 77 ـ 78؛ السلاوي: 1/ 89.

(15) المالكي: 1/ 11؛ **معالم الإيمان**: 1/ 34.

(16) ابن الأثير: 3/ 89؛ السلاوي: 1/ 75.

(17) ابن عبد الحكم، ص 184؛ مصعب الزبيري، **كتاب نسب قريش**، نشره ليفي بروفنسال، القاهرة، 1953، ص 237؛ المالكي: 1/ 10، ابن عذاري: 1/ 10؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق بروفنسال)، ص 216؛ النويري: 22/ 4، قد 2؛ **الحلل**، ص 238.

وفي هذه المرة، لم يضيّع ابن أبي سرح الوقت في حصار طرابلس، التي استعادها البيزنطيون بسرعة بعد مغادرة عمرو بن العاص إلى مصر. وكذلك لم يُمعن في مقاتلة الحامية البيزنطية في قابس[18]. بل توجهت الحملة مباشرة إلى سبيطلة، التي تقع على بعد مائة واثني عشر كيلومتراً جنوب غرب القيروان، حيث كان الحاكم البيزنطي جرجير Gregory معسكراً بجيشه هناك. وبعد معركة فاصلة (27هـ/647م)، في عقوبا، قرب سبيطلة، انهزم البيزنطيون وقتل جرجير، ودخل العرب إلى سبيطلة. وأرسلت من هذا المكان حملات صغيرة إلى المناطق المجاورة لقفصة، أما بقية الجيش العربي، فقد لاحقت المنهزمين إلى قلعة الجم (Thysderas)، حيث حاصرت البيزنطيين. ونظراً لسوء أحوالهم، فقد قرر هؤلاء دفع مبلغ كبير كجزية، أو فدية حرب للعرب المسلمين، بما يعادل مليونين وخمسمائة ألف دينار، أو ثلاثمائة قنطار من الذهب، على شرط أن يغادر العرب البلاد. ولقد وافق ابن أبي سرح على ذلك بسرعة، ورجع إلى مصر[19].

وهنا يجب التأكيد على نقطة واحدة، وهي لماذا رجع ابن أبي سرح بسرعة بعد أن هزم البيزنطيين في سبيطلة؟ هل خشي ما كان يمكن أن يحدث فيما لو عاد البيزنطيون بقوة جديدة؟[20] إن معركة سبيطلة في الحقيقة لم تفتح الأبواب للعرب لتحرير تونس، أي مقاطعة Byzacenia وأفريقية البروقيصرية. ولأجل التوصل إلى ذلك، كان عليهم أن يخضعوا قرطاج

---

(18) عبيد الله بن صالح (تحقيق بروفنسال)، ص 216؛ النويري: 22/4، قد 2؛ **الحلل**، ص 238؛ دينار، ص 27.

(19) ابن عبد الحكم، ص 183؛ البلاذري (برواية الواقدي)، ص 227؛ الطبري (برواية الواقدي): 1/2818؛ المالكي (برواية الواقدي): 1/12؛ ياقوت: 1/229، وقد ذكر بأن القنطار يساوي ثمانية آلاف وأربع مئة دينار؛ ابن الأثير: 3/90 ـ 91؛ **معالم الإيمان**: 1/35؛ ابن عذاري: 1/10 ـ 14؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق بروفنسال)، ص 216 ـ 218؛ النويري: 22/4، 7، 8، قد 2؛ ابن خلدون: 6/215؛ دينار، ص 27.

(20) قارن: المالكي: 1/17؛ **معالم الإيمان**: 1/42.

وكثيراً من الحصون البيزنطية القوية على الساحل. ولقد أدرك ابن أبي سرح، بأن جيشه لا يكفي لهذه المهمة الصعبة، التي تتطلب قوة بحرية عربية. ومن الجدير بالملاحظة هنا أيضاً، أن الجيش العربي، كان قد حصل على غنائم كثيرة، وكان الجنود راضين بأسهمهم منها. استلم كل جندي راجل ألف دينار، وكل جندي خيال ثلاثة آلاف دينار.[21] وربما كان هذا عاملاً في عدولهم عن خوض أية معركة أخرى. وإلى جانب هذا، فقد كان من غير المحتمل، في ذلك الوقت المبكر، أن يكون العرب راغبين بتأسيس أية قواعد دائمية غربي مصر. ونتيجة لذلك، فقد غادر ابن أبي سرح أفريقية، مكتفياً بما حققه من انتصار، وبما حصل عليه من غنائم لمقاتليه، ولبيت المال في المدينة. لقد كانت حملته لا تعدو أن تكون غارة طويلة استمرت نحو خمسة عشر شهراً، لم تحقق نتائج حاسمة على المدى البعيد.

بعد انسحاب ابن أبي سرح إلى مصر في 28هـ/ 648م، تجنب العرب أية اشتباكات مباشرة مع القوى البيزنطية في البرّ لما يقارب الثلاثة عشر عاماً. بيد أنهم لم يتوقفوا عن حملاتهم البحرية فبدأ ابن أبي سرح بتركيز جهوده لبناء أسطول عربي، من أجل إنهاء سيطرة البيزنطيين على البحر. ففي سنة 34هـ/ 654م هاجم الأسطول البيزنطي شرقي البحر المتوسط، وهزمه في معركة ذات الصواري[22]. وبعد انتهاء الحرب الأهلية الأولى، وارتقاء معاوية بن أبي سفيان الخلافة سنة 41هـ/ 661م، ابتدأ الأخير موجة جديدة من الفتوحات. فعهدت مصر، للمرة الثانية، إلى عمرو بن العاص، الذي ابتدأ بإرسال الحملات إلى شمال أفريقيا[23].

---

(21) خليفة بن خياط، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم العمري، النجف، 1967: 1/ 135؛ ابن عبد الحكم، ص 184؛ الكندي، ص 12؛ أبو العرب، ص 71 ـ 72؛ المالكي: 1/ 13؛ ابن الأثير: 3/ 90؛ **معالم الإيمان**: 1/ 35؛ ابن عذاري: 1/ 12؛ النويري: 22/ 7، قد 2.

(22) ابن عبد الحكم، ص 189 ـ 190؛ الكندي، ص 13؛ ابن الأثير: 3/ 117 ـ 118؛ الطبري: 1/ 2867 وما بعدها، 2927.

(23) الكندي، ص 31 ـ 32.

ولقد كان على العرب أن يبدأوا من الصفر في هذه المرة. وحتى قبائل لواتة البربرية التي أيدتهم سابقاً، ابتدأت بمقاومة دخولهم إلى شمال أفريقيا. وربما كان هذا بسبب اقتناع هؤلاء البربر، بأن العرب ليسوا قادرين على السيطرة على أراضيهم، خاصة، وأنهم غابوا لفترة طويلة عن مسرح الأحداث. ولقد أرسلت حملة صغيرة بقيادة شُريك بن سمّي المرادي، لإخضاع هذه القبائل غربي برقة. وفي السنة التالية، قاد عقبة بن نافع، حملة أخرى، لإخضاع القبائل نفسها، لكنه وجدها قد تحولت نحو طرابلس، وقطعت كل صلاتها السابقة بالعرب. لكن عقبة تمكن من إخضاعها، واضطر بربر لواتة ومزاته إلى الرضوخ لسلطته[24]. وفي سنة 42هـ/ 662م افتتح غدامس[25]، وفي السنة التالية سار كل من عقبة بن نافع وشُريك بن سمّي للاستيلاء على لبدة، ومهاجمة قبائل هوارة البربرية في المناطق المجاورة[26]. ثم عاد عقبة إلى الصحراء، فاحتل ودّان، وفي سنة 43هـ/ 663م غزا الواحات المتاخمة لها[27].

بعد موت عمرو بن العاص في سنة 43هـ/ 663م، عيّن الخليفة معاوية، أخاه عتبة بن أبي سفيان حاكماً على مصر، ثم أعقبه في سنة 44هـ/ 664م بعقبة بن عامر الجهني[28]. وبالنسبة لشمال أفريقيا، ابتدأ معاوية بن أبي سفيان بتنفيذ سياسة جديدة. فلقد قرر فصل ونقل حامية خربتا، وهي قرية تقع على الحدود الصحراوية الغربية للدلتا، إلى موقع متقدم في أفريقية. ثم

---

(24) خليفة، **تاريخ**: 1/ 189؛ الكندي، ص 32؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة؛ 3/ 1075 ـ 1076؛ ابن الأثير، **أسد الغابة**، نشر: المكتبة الإسلامية، 1280هـ: 3/ 420 ـ 421؛ ابن الأثير: 3/ 419.

(25) خليفة، **تاريخ**، 1/ 190؛ ابن عبد البر: 3/ 1076؛ **أسد الغابة**: 3/ 420 ـ 421، ابن الأثير: 3/ 419؛ ابن عذاري: 1/ 15.

(26) الكندي، ص 32 ـ 33؛ المقريزي، **خطط**، القاهرة، 1242هـ: 1/ 201.

(27) ابن عبد البر: 3/ 1076؛ **أسد الغابة**: 3/ 420 ـ 421؛ ابن الأثير: 3/ 419.

(28) الكندي، ص 35.

عين معاوية بن حديج السكوني، قائداً لهذه الحامية، وعهد إليه أن يبدأ بإرسال حملات جديدة إلى شمال أفريقيا من هناك. إن تعيين ابن حديج لهذا المنصب يعود بالدرجة الأولى، إلى قابليته كقائد عسكري، وإلى كثرة رجال عشيرته في مصر، وإلى تأييده للخليفة عثمان، وأخيراً تأييده لمعاوية في صراعه لنيل الخلافة(29).

وتشير مصادرنا، ومعظمها تنقل عن ابن عبد الحكم، إلى أن ابن حديج قاد ثلاث حملات في أوقات مختلفة(30). ولكن اثنتين من هذه الحملات كانتا في أثناء الفتنة، في عهد الخليفة عثمان، وما أعقب ذلك من حرب أهلية، وبما أن أغلب المصادر تردد أحداثاً معيّنة حصلت في موقعة واحدة، لهذا، فليس من الصعب التوصل إلى نتيجة، وهي: أن ابن حديج لم يساهم، في الحقيقة، إلاً بحملة واحدة فقط، وهي التي حدثت في سنة 45هـ/ 665م. وهناك معلومات لا بأس بها عن الجيش الذي قاده ابن حديج. ومع هذا فمن السهل استبعاد ما يقوله كل من المالكي، وابن عذارى، والنويري، عن مساهمة جند الشام في هذا الجيش(31)، لأن الجند الشامي لم يدخل شمال أفريقيا ويشارك في أحداثها إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65 ـ 86هـ/ 685 ـ 705م). ويبلغ تعداد الجيش نحو عشرة آلاف رجل، معظمهم من حامية خربتا(32). ومن أشهر هؤلاء، عشائر السكون، بقيادة ابن حديج نفسه، وعشائر فهم، بقيادة خالد بن ثابت، وعشائر لخم،

---

(29) ابن عبد الحكم، ص 101 ـ 102، 122، 125؛ الطبري: 1/ 2959، 3242، 3392، 3398، 3399، 3404، 3406، 2/ 84، 185؛ الكندي، ص 15، 18، 21؛ ابن خلدون: 3/ 1126، 4/ 629؛ أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**، القاهرة، 1963: 1/ 143.

(30) ابن عبد الحكم، ص 192 ـ 194؛ أبو العرب، ص 71؛ المالكي: 1/ 18 ـ 19؛ **الحلة السيراء**: 2/ 322 ـ 323؛ **معالم الإيمان**: 1/ 44 ـ 45؛ ابن عذاري: 1/ 41 ـ 46؛ ابن خلدون: 4/ 398؛ دينار، ص 27.

(31) المالكي: 1/ 19؛ ابن عذاري: 1/ 16؛ النويري: 22/ 9، قد 2.

(32) الكندي، ص 21.

بقيادة الأكدر بن همام، وعشائر بلي. وساهم في الحملة أيضاً مشاهير من مكة والمدينة، من أمثال: عبد الله بن الزبير، وعبد الله عمر بن الخطاب، وعبد الملك بن مروان، ويحيى بن الحكم من بني أمية، وجبلة بن عمرو من ساعدة[33].

سار ابن حديج بجيشه، متبعاً ذات الطريق التي سلكها ابن أبي سرح. ثم توغل في أفريقية، وعسكر في مكان يدعى قمونية، قرب منطقة القيروان، ومن هناك انتقل إلى منطقة القرن، التي اتخذها مركزاً مؤقتاً لعملياته العسكرية[34]. ومن هنا، أرسل كتيبة، بقيادة عبد الله بن الزبير، للقاء البيزنطيين على الساحل. ولقد هزم عبد الله، الحاكم البيزنطي نقفور قرب سوسة، وتمكن من دخول المدينة[35]. وفي الوقت نفسه، سار عبد الملك بن مروان مع ألف رجل، ليناجز القوات البيزنطية في حصن جلولاء، الذي يبعد نحو ثمانية وثلاثين كيلومتراً عن القيروان[36]. وبعد ذلك، سار الجيش كله، بقيادة ابن حديج، شمالاً حتى وصل إلى بنزرت Binzerta ودخلها[37]. ولكن ابن حديج أخلى المدينة، وانسحب بجيشه إلى مصر، دون أن يحاول الاستفادة من انتصاراته العسكرية، ويبدو هذا التصرف غريباً، خاصة وأن البيزنطيين كانوا في ذلك الوقت في حالة تعيسة، وأن شمال أفريقيا كانت بعيدة كل البعد عن الاستقرار، بسبب محاولة الحكومة البيزنطية فرض ضريبة

---

(33) ابن عبد الحكم، ص 193؛ أبو العرب، ص 82؛ المالكي: 1/ 18، 59؛ **الحلة السيراء**: 2/ 322 ـ 323؛ **معالم الإيمان**: 1/ 97 ـ 98، 136؛ ابن عذاري: 1/ 16؛ النويري: 22/ 9، قد 2؛ دينار، ص 27 ـ 28؛ السلاوي: 1/ 85.

(34) ابن عبد الحكم، ص 193؛ المالكي: 1/ 18؛ النويري: 22/ 9، قد 2؛ **الحلل**، ص 85، 117.

(35) البكري، ص 32 ـ 35؛ التجاني، ص 26 ـ 27؛ ابن عذاري: 1/ 16؛ النويري: 22/ 9 ـ 10، قد 2؛ **حلل**، ص 112 ـ 113؛ دينار، ص 27 ـ 28.

(36) ابن عبد الحكم، ص 193؛ البكري، ص 32 ـ 33؛ **الحلة السيراء**: 1/ 29 ـ 30؛ ابن عذاري: 1/ 16؛ دينار، ص 28.

(37) البكري، ص 58؛ المالكي: 1/ 19؛ دينار، ص 28.

جديدة على الأهالي مساوية لما كان هؤلاء قد دفعوه سابقاً لابن أبي سرح[38]. وعلى أية حال، أن انسحاب ابن أبي سرح يثبت بأن حملته لم تكن سوى غزوة طويلة الأمد، كتلك التي قام بها ابن أبي سرح.

تسكت المصادر عن الإدلاء بأي شيء عن طرابلس خلال هذه الحملة، ولهذا لا يعرف كيف وقعت هذه المدينة مرة أخرى بأيدي العرب. ويمكن للمرء أن يفترض بأن ابن حديج سيطر على المدينة في طريق قدومه إلى أفريقية، ووضع فيها حامية عربية، كما فعل في برقة، لأن هناك إشارة إلى ممثله في طرابلس، رويفع بن ثابت الأنصاري، الذي شن هجوماً على جزيرة جربة، قرب الساحل مقابل قادس، في سنة 47هـ/ 667م[39].

وهناك إشارات أخرى إلى حملات خرجت من برقة بقيادة عقبة بن نافع سنة 46هـ/ 666م. فلقد اتخذ عقبة مغمدامش، غربي صرت، Sirta، قاعدة مؤقتة لجيشه، ومنها سار بأربعمائة فارس وأربعمائة جمل، ففتح ودّان، وواحات كثيرة في خزان، مثل: جرمة، وجاوان، وكوّار، ثم عاد عن طريق زويلة ليتصل بجيشه في مغمدامش. وزحف من هنا غرباً، ففتح غدامس، وقفصة، وقصطيلية، جنوبي تونس، وذلك قبل أن يتجه شمالاً ليبدأ في تأسيس مدينة القيروان[40].

يروى أن عبد الحكم، الذي ينقل عنه البكري أيضاً، هذه الأحداث، على أنها رواية واحدة طويلة، تبدأ في سنة 46هـ/ 666م، وتنتهي في 50هـ/ 670م، حين بدأ عقبة بتأسيس القيروان. وفي دراسة حديثة يرى الدكتور حسين مؤنس، بأن ابن عبد الحكم والبكري مخطئان في اعتبار سنة 46هـ/

---

(38) الطبري: 1/ 2818؛ ابن الأثير: 3/ 92؛ ابن عذاري: 1/ 17؛ النويري: 22/ 8 ـ 10، قد 2.

(39) البكري، ص 19؛ ابن عبد البر: 3/ 504؛ المالكي: 1/ 53؛ **معالم الإيمان**: 1/ 122 ـ 123؛ التجاني، ص 124؛ **الحلل**، ص 169؛ دينار، ص 28 ـ 29.

(40) ابن عبد الحكم، ص 194 ـ 196؛ البكري، ص 12 ـ 14؛ قارن: ياقوت: 5/ 366.

666م كبداية لهذه الحملات. وهذا، حسب رأيه، بسبب تعارض حملة ابن حديج مع حملة عقبة. ويضيف مؤنس، بأن ثلاث سنوات هي أكثر مما يحتاجه عقبة للزحف من فزان عبر قصطيلية إلى القيروان، فإن التاريخ الصحيح، في نظره، يجب أن يكون 49/ 669[41].

ويمكن أن نقدم تفسيراً آخر في هذا المجال: إن التاريخ الذي أورده ابن عبد الحكم صحيح، والقسم الأول من الأحداث جرت حقيقة في سنة 46هـ/ 666م، ولا يوجد سبب يمنع احتمال قيام عقبة بن نافع ببعض الحملات في الصحراء، بينما كان ابن حديج يقوم بحملته في أفريقية. ومن الناحية الأخرى، فهناك احتمال كبير بأن عقبة قد ظل قرب صرت حتى سنة 49/ 669 حيث بدأ من هناك زحفه نحو غدامس ومنطقة قصطيلية. وهناك أدلة على هذا في المصادر، لأن ياقوت، وابن الأثير، والنويري، وابن خلدون، يشيرون إلى أن عقبة كان مقيماً في مكان ما، بين برقة وزويلة، عندما عين من قبل الخليفة معاوية، والياً على أفريقية، وقائداً للحملة الجديدة هناك[42].

وكما يمكن للقارئ أن يلاحظ، بأن عقبة قد قضى وقتاً طويلاً في شمال أفريقيا، وذلك بعد أن دخلها لأول مرة مع عمرو بن العاص. ولهذا فقد غدا عارفاً بالمنطقة، وخبيراً ومحنكاً في مسائلها العسكرية. إن هذه المؤهلات كانت ولا شك هي السبب الأساسي في اختياره لهذا المنصب.

وهناك روايات تشير إلى أن الخليفة معاوية قد أرسل بعض الجند السوريين إلى عقبة، وليس هذا صحيحاً لأن جيش عقبة البالغ نحو عشرة آلاف رجل، كان يتكون في معظمه من رجال القبائل العربية في مصر[43].

---

(41) حسين مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، القاهرة، 1947، ص 136 ـ 137.

(42) ياقوت: 4/ 420؛ ابن الأثير: 3/ 465؛ النويري: 22/ 10 ـ 11، قد 2؛ ابن خلدون: 3/ 289.

(43) البلاذري (برواية الواقدي). ص 228؛ ياقوت: 4/ 420؛ ابن الأثير: 3/ 465؛ **الحلة السيراء**: 2/ 323؛ ابن عذاري: 1/ 19؛ النويري: 22/ 11، قد 2؛ ابن خلدون: 3/ 289؛ **الاستبصار**، ص 113.

ويتألف هؤلاء بالدرجة الأولى من أولئك الذين دخلوا مصر مع عمرو بن العاص لأول مرة[44]. وكوّن بعض البربر المسلمين، الذين ربما كانوا ينتمون إلى لواتة، جزءاً من هذا الجيش[45]. وهذا يشير إلى نجاح عقبة في كسب بعض القبائل البربرية إلى جانب العرب ونشر الإسلام في صفوفها، خاصة في منطقة طرابلس، على الرغم من الروايات التي تنسب إليه فيما بعد سوء معاملة زعماء البربر في فزان[46]. ورافق عقبة أربعة قادة مشهورين، وهم: بسر بن أبي أرطأة الفهري، شريك بن سمي المرادي، عمر بن علي القرشي، وزهير بن قيس البلوي[47].

سار عقبة باتجاه الغرب، لكنه تجنب الساحل. وكان هذا حجر الزاوية في استراتيجيته. فقد كان مصمماً على ألا يشتبك مع البيزنطيين على الساحل، لأنه أدرك بأن القوة الرئيسة في شمال أفريقيا هي القبائل البربرية في الداخل. ولهذا فقد كان على العرب، أن يخضعوا البربر أولاً، ثم يتعاونوا معهم من أجل السيطرة على البلاد، ودحر البيزنطيين في قرطاج. ويبدو هذا الاتجاه واضحاً في حملات عقبة السابقة في صحراء فزان، وفي سياسته الجديدة التي ترمي إلى إيجاد قاعدة دائمة للعرب بعيدة عن الشاطئ. ومن الناحية الأخرى، فقد كان البيزنطيون في هذا الوقت، مشغولين بالدفاع عن القسطنطينية ضد الهجمات العربية[48]. يضاف إلى ذلك أن الإمبراطور قسطنطين الرابع Constantine 1V (668 ـ 688م) كان قد سحب أعداداً كبيرة من قواته في شمال أفريقيا، للاستعانة بهم من أجل الدفاع عن حكمه ضد

(44) سيرد بعد قليل تفصيلات عن أصول بعض هذه القبائل العربية.

(45) ياقوت: 4/ 420؛ ابن الأثير: 3/ 465؛ النويري: 22/ 11، قد 2؛ ابن خلدون: 3/ 289.

(46) ابن عبد الحكم، ص 194 ـ 195؛ البكري، ص 13 ـ 14؛ ياقوت: 5/ 366.

(47) ابن عبد الحكم، ص 194؛ البكري، 13.

(48) الطبري: 1/ 86؛ ابن الأثير: 3/ 458 ـ 459.

أحد المدعين للعرش في صقلية[49]. ونتيجة لهذا، فقد كانت الفرصة ملائمة لعقبة لكي يهاجم بيزاسينا Byzacenia، أي جنوبي تونس الحالية، ويحررها في سنة 50/ 670 دون أن يلاقي أية مقاومة، وفي السنة نفسها ابتدأ عقبة تأسيس مدينة القيروان.

لقد أدرك عقبة، من خبرته الطويلة في شمال أفريقيا، أهمية الحاجة إلى تواجد العرب الدائم في المنطقة، وإلاً فسوف يستفيد البربر من أي انسحاب عربي ليتمردوا عليهم[50] وفي الوقت نفسه فإن تأسيس مدينة لضم الحامية العسكرية العربية، سوف يضمن ـ ولا شك ـ سلامة الجند العربي من أية ثورات قد يقوم بها السكان المحليون[51]. ولقد كان عقبة يرمي من بناء المدينة أيضاً إلى استعمالها كقاعدة عسكرية لفتوحات جديدة، وكمركز لنشر الدين الإسلامي بين القبائل البربرية. وهناك أمران مهمان أكد عليهما عقبة في اختيار موقع المدينة، الأول: تأسيس المدينة بعيداً عن البحر، وذلك من أجل ضمان سلامتها من أي هجوم مفاجئ قد يقوم به البيزنطيون عن طريق البحر. والأمر الثاني، هو أن يكون موقع المدينة في منطقة خصبة ذات عشب، لكي يستطيع العرب أن يرعوا إبلهم فيها[52]. لقد كان تخطيط المدينة بسيطاً للغاية. اختط عقبة أولاً المسجد الجامع، ومقر إقامته، أي دار الإمارة، ثم اختطت بقية القبائل العربية منازلها حوله. واستغرقت عملية بناء المدينة ما يقرب من خمس سنوات، وأنجزت في سنة 55/ 675[53].

---

(49) Nasr, p. 58.

(50) ياقوت: 4/ 420؛ ابن الأثير: 3/ 465؛ **معالم الإيمان**: 1/ 8؛ ابن عذاري: 1/ 19؛ النويري: 22/ 11، قد 2؛ **الاستبصار**، ص 113؛ **الحلل**، ص 98، وقارن:
W. Marçais, «Comment L'Afrique de Nord a été arabisée», *Annales de L'Intitut d'études orientales de L'Université de Alger,* XVII, 1938, pp. 12-13.

(51) ابن الأثير: 3/ 465.

(52) البكري، ص 24؛ المالكي: 1/ 6 ـ 7، 21؛ ياقوت: 4/ 420 ـ 421؛ **معالم الإيمان**: 1/ 8 ـ 9؛ ابن عذاري: 1/ 19 ـ 20؛ **الاستبصار**، ص 113 ـ 114.

(53) الطبري: 2/ 93 ـ 94؛ المالكي: 1/ 7؛ ياقوت: 4/ 42؛ ابن الأثير: 3/ 466؛ =

لا تتوفر لدينا معلومات كثيرة عن كيفية تجمع القبائل العربية في مدينة القيروان. ولكن بما أن معظم هذه القبائل قد جاءت من مصر، فيمكن للمرء أن يتوقع بأنهم قد تجمعوا وبنوا منازلهم، كما فعل العرب سابقاً في الفسطاط. فاختطت كل عشيرة حيّها الخاص حول الجامع. وهناك إشارة إلى أن العشائر المختلفة التي تعود إلى قريش، وبشكل خاص فهر، ابتنت منازلها إلى الجهة الشمالية من الجامع[54]. أما أولئك الذين جاءوا من المدينة، أي الأنصار[55]، ورجال القبائل الآخرون الذي ينتمون إلى عشائر، خولان[56]، وغفار[57]، وبلي[58]، ومعافر[59]، وحضرموت[60]، ومراد[61]، ولخم[62]، فقد اختطوا منازلهم في الأماكن المجاورة. ولقد اتخذت الكثير من المحلات والساحات والطرق أسماء هذه العشائر، مثال ذلك رحبة القريشيين[63]، ورحبة الأنصار[64]، ورحبة بني درّاج[65]، ودرب الهذلي[66]، وحارة يحصب[67].

= **معالم الإيمان**: 1/ 10؛ ابن عذاري: 1/ 20 ـ 21؛ النويري: 22/ 12، قد 2؛ **الاستبصار**، ص 14.

(54) البكري، ص 23؛ **الحلل**، ص 81 ـ 82.

(55) أبو العرب، ص 84 ـ 85؛ المالكي: 1/ 70؛ **معالم الإيمان**: 1/ 27، 192.

(56) المصدر نفسه: 1/ 151.

(57) ابن عبد الحكم، ص 218، 221 ـ 222؛ الرقيق، ص 113؛ ابن عذاري: 1/ 54.

(58) ابن عبد الحكم، ص 194؛ البكري، ص 13؛ المالكي: 1/ 55.

(59) أبو العرب، ص 92؛ المالكي: 1/ 83، 161؛ **معالم الإيمان**: 1/ 180، 220.

(60) المالكي: 1/ 28؛ **معالم الإيمان**: 1/ 56.

(61) ابن عبد الحكم، ص 194.

(62) المالكي: 1/ 77؛ **معالم الإيمان**: 1/ 199 ـ 200.

(63) المصدر نفسه: 3/ 6.

(64) المصدر نفسه: 3/ 19.

(65) أبو العرب، ص 222؛ المالكي: 1/ 159.

(66) **معالم الإيمان**: 3/ 61.

(67) قارن: حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية**، تونس، 1964: 1/ 52.

وفي سنة 55هـ/ 675م عُزل عقبة بن نافع فجأة من منصبه كوالٍ على أفريقية، ليس بسبب سوء معاملته للبربر، ولا بسبب موقفه المتغطرس من رؤسائهم، كما ورد ذلك في بعض الدراسات الحديثة[68]، لأنه من الخطأ الكبير أن نفسر عزل عقبة في سنة 55/ 675 في ضوء تصرفاته وأعماله في حملاته اللاحقة سنة 62/ 681. ففي خلال فترة ولايته الأولى كان عقبة مشغولاً ببناء مدينة القيروان، لهذا لم يقم بحملات واسعة النطاق على البيزنطيين، فظلت قرطاج العقبة الرئيسة أمام أية سيطرة عربية فعلية على الساحل. وبالنتيجة فإن سياسة عقبة لم تلق ترحيباً لدى الخليفة معاوية، الذي أراد أن يغير السياسة العامة في شمال أفريقيا. لقد أدرك الخليفة بأن العرب يحتاجون إلى أسطول بحري قوي من أجل إخضاع قرطاج. ولا يمكن أن يتم هذا بدون استعمال كل مصادر مصر في المعركة. ولهذا فقد اختار مسلمة بن مخلد الأنصاري، الذي كان والياً على مصر منذ سنة 47هـ/ 667م، ليكون مسؤولاً عن كل الأراضي المفتوحة في شمال أفريقيا، إضافة إلى ولايته لمصر. وتنفيذاً لسياسة الخليفة، عزل مسلمة عقبة بن نافع وعين مولاه الخاص، أبا المهاجر دينار، والياً على أفريقية[69].

لا توجد لدينا معلومات كثيرة عن أصل أبي المهاجر، باستثناء أنه كان مولى لمسلمة بن مخلد. ولكن من الممكن أن يفترض المرء بأنه ربما كان مصري الأصل من الإسكندرية أو من خربتا، اعتنق الإسلام، وساهم مع مسلمة وجماعته في تأييد معاوية بن أبي سفيان ضد إدارة الخليفة علي بن

(68) سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، القاهرة، 1965، ص 149؛ Julien. p. 7; U. S. Al Uqayli. *The life and reign of the Umayyad Caliph Mu'awiya b. Abi Sufyan*, unpublised M.A. thesis university of Exeter, 1976. p. 72.

(69) ابن عبد الحكم، ص 197؛ الطبري: 2/ 93 ـ 94؛ المالكي: 1/ 19؛ ابن الأثير: 3/ 466؛ **الحلة السيراء**: 2/ 324؛ **معالم الإيمان**: 1/ 46؛ ابن عذاري: 1/ 21؛ النويري: 22/ 12 ـ 13، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 398 ـ 399؛ وقارن: مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، ص 146 ـ 147؛ Nasr. p. 68.

أبي طالب في مصر[70]. ولقد ذكر مسلمة نفسه مرة بأن أبا المهاجر واحد منهم شاركهم النضال عندما كانوا بعيدين عن السلطة، لذا فقد حق عليهم مكافأته[71]. ويجب ألاّ يغيب عن بالنا أيضاً، بأن أبا المهاجر كان يعرف قدراً لا بأس به من المعلومات عن القبائل البربرية وأحوالها في شمال أفريقيا، ولهذا فقد كان قادراً على التعامل معها بنجاح، كما سنرى فيما بعد.

غادر أبو المهاجر مصر على رأس جيش[72] لا نعرف عنه شيئاً. إن المصادر العربية تسهب عادة في إعطاء معلومات مفصلة عن طبيعة تكوين الجيوش العربية، وسكوتها هذه المرة يمكن أن يشير إلى أن نسبة كبيرة من جيش أبي المهاجر كانت تتكون من غير العرب. ومن المحتمل بأن أبا المهاجر قد أخذ معه عمالاً مصريين للمساعدة في بناء أسطول عربي في شمال أفريقيا، لكن الظروف لم تكن مؤاتية له، ليقوم بذلك، ولم يتم إنجاز هذا العمل إلاّ فيما بعد في عهد حسان بن النعمان الغساني[73]. وعندما وصل أبو المهاجر إلى أفريقية أساء معاملة عقبة بن نافع وسجنه. وهنا أيضاً لا نعرف دوافع هذه المعاملة، لأن المصادر لا تقول شيئاً عن علاقات الرجلين قبل هذا التاريخ. وربما تصرف أبو المهاجر حسب تعليمات من مسلمة بن مخلد، ولكن الأخير أنكر أنه أمر أبا المهاجر بأي شيء من هذا القبيل. وعلى أية حال، فقد أطلق سراح عقبة، بعد تدخل الخليفة، وغادر إلى دمشق[74].

يقول المؤرخون العرب بأن أبا المهاجر قد أنشأ مدينة جديدة لجنده

(70) الطبري: 1/3242، 3398، 3399؛ الكندي، ص 15، 21، 27.

(71) ابن عبد الحكم، ص 197؛ ابن عذاري: 1/22؛ وقارن: مؤنس، المرجع السابق، ص 158 .Al-Uqayli, op. cit. p. 73

(72) ابن عبد الحكم، ص 197.

(73) انظر: أعلاه، ص

(74) ابن عبد الحكم، ص 197؛ المالكي: 1/21؛ ابن الأثير: 3/467؛ **معالم الإيمان**: 1/47؛ ابن عذاري: 221.

تسمى تيكروان، تقع على بعد ميلين شمالي القيروان. وإذا صدقنا ما تذكره المصادر، فإن السبب في بناء هذه المدينة يعود إلى أن أبا المهاجر كره الإقامة في القيروان، وأنه أراد مدينة جديدة لأجل أن ينال شهرة أكثر من عقبة(75). ولكن الأكثر احتمالاً أن أبا المهاجر كان يتوجس من الإقامة في القيروان بسبب ما قام به ضد عقبة. ولربما كان يخشى أن يجابه بنوع من المقاومة من قبل القبائل العربية، وبشكل خاص، فهر، عشيرة عقبة، التي كانت تسكن على مقربة من دار الإمارة(76). يضاف إلى ذلك، فإن أبا المهاجر، كما يبدو، قد حاول تجنب إجبار جيشه على سكنى القيروان مع أهاليها الأصليين، ولهذا فقد كان المحل المناسب هو البقاء خارج المدينة. إن أفضل رواية يمكن أن نعتمد عليها في هذا المجال، هي رواية المالكي، الذي يقول بأن أبا المهاجر عسكر في قرية بربرية تدعى بدكرور، قرب القيروان(77). ومن المحتمل جداً أن تكون هذه القرية مهجورة، لأننا نعلم بأن عقبة بن نافع كان قد أرسل العديد من الحملات الصغيرة لافتتاح المناطق المحيطة بالقيروان(78)، ونتيجة لهذا فقد هجر العديد من البربر قراهم وغادروا إلى أماكن أخرى، من هذا نرى بأنه لم يكن من الضروري لأبي المهاجر أن يؤسس مدينة جديدة. وكذلك فإنه من غير المعقول أن نصدق المصادر التي تردد بأن أبا المهاجر قد أصدر أوامره بإخلاء القيروان أو إحراقها وتدميرها(79). إن عدم الأخذ بهذه الروايات، يعززه ما سوف نلاحظه

(75) ابن عبد الحكم، ص 197؛ أبو العرب، ص 57؛ ابن عذاري: 1/ 22؛ النويري: 22/ 13، قد 2؛ السلاوي: 1/ 80؛ **الحلل**، ص 80؛ دينار، ص 29؛ وقارن:

G. Marçais, «Sidi. Uqba, Abul Muhájir et Kusaila», *Cahiers de Tunisie*, I, 1953, pp. 13-14.

(76) البكري، ص 22 ـ 23، 28.

(77) المالكي: 1/ 20.

(78) ابن الأثير: 3/ 466.

(79) **معالم الإيمان**: 1/ 47؛ ابن عذاري: 1/ 22؛ النويري: 22/ 13، قد 2؛ ابن خلدون: =

فيما بعد من أن القيروان كانت مسكونة حين قدمها عقبة مرة أخرى بعد سبع سنوات. يضاف إلى ذلك، فإن المالكي يذكر بأن أبا المهاجر نفسه قد عاد وسكن القيروان وذلك بعد رجوعه من حملته على تلمسان[80].

لنعد الآن لبحث الموقف الذي كان على أبي المهاجر أن يجابهه في شمال أفريقيا. كما أسلفنا فإن الكثير من القبائل البربرية هجرت قُراها في منطقة القيروان نتيجة لتواجد العرب هناك. صحيح أن الكثير من البربر تعاونوا مع العرب واعتنقوا الإسلام في عهد عقبة[81]، ولكن الغالبية من البربر قد تجمعت الآن في منطقة الأوراس الجبلية، والمناطق التي تقع بين وهران وتيهرت. وكان البرانس، وهم القوة البربرية الرئيسة، قد تكتلوا تحت قيادة، كسيلة بن لمزم، القائد المسيحي القوي لقبائل أوربة[82]. ومن المؤكد تقريباً، أن هذه القبائل كانت على علاقات جيدة مع البيزنطيين بسبب قرب مواقعهم منهم. وربما قامت بينهم علاقات مصاهرة كما يذكر الكاتب الفرنسي غوتيه[83]، ولكن من المتوقع أن علاقاتهم التجارية كانت أقوى من ذلك، وأن البيزنطيين كانوا من أهم المشترين للبضائع البربرية في هذه المنطقة.

ويبدو أن أبا المهاجر كان على علم بالموقف في شمال أفريقيا وبطبيعة العلاقة بين البرانس والبيزنطيين. وكان يعلم أيضاً بضعف البيزنطيين في هذه الفترة. لهذا فقد تصرف تبعاً لخطة دقيقة. فبعد وصوله في عام 55/ 675،

= 4/ 399؛ السلاوي: 1/ 80؛ الباجي، **الخلاصة النقية في أمراء أفريقية**، تونس، 1323هـ، ص 5. ومن الجدير بالملاحظة هنا أن كلاً من المؤرخين الموثوقين، ابن عبد الحكم، وابن الأثير، لم يذكرا شيئاً عن اخلاء القيروان أو تخريبها.

(80) المالكي: 1/ 21؛ **معالم الإيمان**: 1/ 46.

(81) ابن الأثير: 3/ 466.

(82) ابن خلدون: 6/ 216.

(83) Gautier, *Le passé de Afrique de Nord*, Paris. 1937, pp. 240-242. (نقلاً عن: مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، ص 166).

سرعان ما قاد حملة حربية إلى غربي الجزائر الحالية، حيث التقى بكسيلة قرب تلمسان. ولا نعرف شيئاً عن طبيعة الجيش الذي قاده أبو المهاجر، وكذلك ليس لدينا علم عن الظروف التي رافقت التقاء أبي المهاجر بكسيلة. كل الذي نعرفه، هو اندحار كسيلة، واعتناقه للإسلام بعد أن عومل معاملة حسنة من قبل أبي المهاجر. ثم رافق أبا المهاجر في عودته إلى القيروان(84).

ما تزال طريقة أبي المهاجر في كسب كسيلة إلى جانبه غير معروفة. ولكن يبدو أنه وفّر لكسيلة وأتباعه شروطاً جيدة للصلح، وعاملهم معْاملة مساوية لتلك التي كان يعامل بها العرب المسلمون. وهذا الأمر في غاية كبيرة من الأهمية لأنه يشير إلى سياسة أبي المهاجر الرامية إلى زيادة عملية التمازج ما بين العرب والبربر. لقد كان يدرك بأن قوة العرب العددية في مصر محدودة وغير كافية للسيطرة على كل الشمال الأفريقي. ولهذا فإنه يتوجب على العرب أن يتعاونوا مع البربر في سبيل التوصل إلى هذه الغاية. وبعبارة أخرى، أراد أبو المهاجر أن ينشئ جيشاً بربرياً على نطاق واسع، كما حدث مؤخراً. ولكن فشل خطته هذه، بسبب إعادة تعيين عقبة بن نافع، دفعت الحكومة المركزية لاستخدام جند الشام من أجل استكمال فتح الشمال الأفريقي. وجدير بالإشارة هنا إلى أن خلفاء أبي المهاجر من الولاة، اضطروا مؤخراً إلى توظيف سياسته في ادماج البربر وتجنيدهم ضمن الجيوش العربية الإسلامية(85).

قضى أبو المهاجر وقتاً غير معلوم في حملته إلى غربي الجزائر ولكنه بعد أربع سنوات من حكمه أي في سنة 59/ 678 بدأ حملته التالية ضد

(84) المالكي: 1/ 21، 25 ـ 26؛ **معالم الإيمان**: 1/ 46، 52 ـ 53؛ ابن عذاري: 1/ 28 ـ 29؛ ابن خلدون: 6/ 297؛ السلاوي: 1/ 80؛ الباجي، ص 6.

(85) انظر: أعلاه.

البيزنطيين. فقد هاجم قرطاج من معسكره في جنوب تونس[86]، وفي الوقت نفسه أرسل حنش بن عبد الله الصنعاني ليفتح جزيرة شريك، التي تقع بين تونس وسوسة[87]. واستمر أبو المهاجر في قتاله ضد البيزنطيين في قرطاج حتى عقدوا معه معاهدة صلح، أخلوا بموجبها جزيرة شريك للعرب، ورفع أبو المهاجر الحصار عن قرطاج[88].

عندما توفي والي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري، في سنة 62/ 681[89]، قرر يزيد الأول الذي خلف والده معاوية في عام 60/ 679، أن يغيّر سياسة العرب العامة في شمال أفريقيا. ويعود هذا بالدرجة الأولى إلى فشل أبي المهاجر في الاستيلاء على قرطاج بعد حملته التي استغرقت طويلاً. وربما شعر يزيد أيضاً بأن أبا المهاجر قد تمادى في سياسته إزاء البربر، ولهذا فقد عزله، وأعاد تعيين عقبة بن نافع والياً على أفريقية. وصل عقبة إلى القيروان بمعية خمسة آلاف رجل من القبائل العربية في مصر[90]، وتذكر روايات أخرى بأن عددهم كان عشرة آلاف فارس[91]. ولا تتوفر أية معلومات عن هؤلاء، باستثناء أن خمسة وعشرين شخصاً منهم كانوا من صحابة الرسول عليه الصّلاة والسّلام[92]. وما إن وصل عقبة إلى القيروان حتى وضع أبا المهاجر في السجن، ثم عَيَّن زهير بن قيس البلوي نائباً عنه في القيروان، وزحف باتجاه الغرب مصحوباً بأبي المهاجر، في قيوده، وبكسيلة، وبجيش ربما بلغ تعداده ما يقارب الخمسة عشر ألفاً[93]. ولا

(86) خليفة، تاريخ: 1/ 215؛ المالكي: 1/ 20؛ أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**: 1/ 152.
(87) أبو العرب، ص 81، البكري، ص 45؛ المالكي: 1/ 20؛ دينار، ص 29.
(88) خليفة، **تاريخ**: 1/ 215؛ أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**: 1/ 152.
(89) الكندي، ص 40.
(90) ابن عبد الحكم، ص 199.
(91) المالكي: 1/ 22؛ **معالم الإيمان**: 1/ 48.
(92) ابن عذاري: 1/ 23.
(93) خليفة، **تاريخ**: 1/ 245؛ ابن عبد الحكم، ص 189؛ الرقيق، ص 40؛ المالكي: =

نعرف سوى أسماء اثنين من قواده في هذه الحملة، وهما: محمد بن أوس الأنصاري[94]، ويزيد بن خلف العبسي[95].

يختلف المؤرخون بشأن الطريق الدقيق الذي سلكه عقبة في حملته إلى الغرب، ولكن معظمهم يتفقون على المراحل الأساسية التالية في سير حملته: اتجه أولاً إلى باغاية، الواقعة إلى الشمال من جبال الأوراس. وبعد أن أخفق في دخول المدينة، نتيجة للمقاومة العنيفة التي أبدتها الحامية البيزنطية، سار عقبة باتجاه الغرب إلى الزاب، الذي كان جزءاً من مقاطعة نوميديا، حيث اشتبك مع القوات البيزنطية والبربرية في المنطقة. وبعد ذلك تمكّن عقبة من دحر تجمع بيزنطي بربري مشترك بالقرب من تيهرت، ثم وصل إلى طنجة، حيث قابل هناك الحاكم جوليان Julian، الذي وقف موقفاً ودياً من عقبة، وسنتحدث عن هذه الشخصية فيما بعد[96]. وعملاً بنصيحة جوليان، اتجه عقبة إلى الجنوب الغربي أي إلى بلاد السوس الأدنى، والسوس الأقصى لقتال البربر الوثنيين من قبائل مصمودة وصنهاجة. وصل عقبة إلى وادي درعا، ووادي السوس حيث حارب العديد من القبائل البربرية، حتى وصل إلى سواحل المحيط الأطلسي في منطقة غير معروفة قرب مدينة أغادير. ثم عاد وقطع وادي نهر أم الربيع ودخل في المغرب الأوسط يريد الرجوع إلى القيروان. ولكن لم يستطع أن يعود، فقد استشهد مع عدد لا بأس به من جنوده على يد البربر بالقرب من قلعة تهودا المجاورة لجبال الأوراس[97].

= 1/ 22؛ ابن الأثير: 4/ 105؛ **معالم الإيمان**: 1/ 47 ـ 48؛ ابن عذاري: 1/ 23؛ النويري: 22/ 13، قد 2؛ السلاوي: 1/ 81.

(94) ابن الأثير: 4/ 108؛ **الحلة السيراء**: 2/ 328؛ ابن خلدون: 4/ 400.

(95) **الحلة السيراء**: 2/ 328؛ ابن خلدون: 6/ 299.

(96) انظر آخر هذا الفصل.

(97) ابن عبد الحكم، ص 198 ـ 200؛ البكري، ص 74، 108 ـ 109، 145، 160، 162؛ الرقيق، ص 40 ـ 46؛ المالكي: 1/ 23 ـ 25؛ ابن الأثير: 4/ 105 ـ 108؛ =

والآن علينا مناقشة مسألة المقاومة البربرية التي بدأت بالزاب وتيهرت، وانتهت بخسارة عقبة المؤلمة، واستشهاده الفاجع هو وزملاؤه من العرب المسلمين. كما ذكرنا سابقاً، فإن القائد البربري كسيلة وأتباعه قبلوا الدخول في الإسلام والانضمام تحت راية الحكم العربي، شرط أن ينالوا المساواة مع العرب الفاتحين، ولكن الموقف تغيّر بوصول عقبة ثانية إلى أفريقية، فعلى الرغم من أنه وافق على سياسة أبي المهاجر في تجنيد البربر، لأنه هو الذي ابتدأ هذه السياسة في أثناء ولايته الأولى، ويبدو أن عقبة لم يقر مبدأ المساواة المطلقة. بل على العكس، نجده في أثناء هذه الحملة يسيئ معاملة كسيلة ولا يهتم به، ويهمل نصيحة أبي المهاجر، الذي كان يدعوه إلى مداراة كسيلة والترفق به[98]. ومن المحتمل أن كسيلة كان على اتصال دائم بقبيلته القوية أوربة، وبالعشائر الأخرى المحالفة لها في تيهرت، مثل: هوارة، وزواغة، ومطماطة، ومكناسة. ولربما أدرك كسيلة وأتباعه، بأن مصالحهم قد هددت، نتيجة لتغير سياسة العرب، ولهذا فقد توقفوا عن اعتبار أنفسهم محالفين لهم، ووجدوا من الضروري لهم أن يعاودوا اتصالاتهم السابقة مع البيزنطيين. إن هذه الظروف الجديدة، تكشف لنا عن طبيعة المقاومة المستميتة التي جابهها عقبة في حملته قرب باغاية، والزاب، وأخيراً في تهودا. ولكن من الجهة الأخرى، نجد هناك قبائل بربرية معيَّنة تحالفت مع عقبة، وخاصة قبائل زنانة البدوية، التي كانت تنتشر في جنوبي تلمسان، وجبال الأوراس، وجنوباً إلى أطراف الصحراء[99]. وهذا أمر على غاية من الأهمية لأنه يشير إلى اختلاف طبائع ومصالح القبائل البربرية في

= **معالم الإيمان**: 1/ 48 ـ 54؛ ابن عذاري: 1/ 24 ـ 29؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 219 ـ 220؛ النويري: 22/ 13 ـ 17، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 398، 6/ 217؛ **الدرة النثيرة**، الورقة 69.

(98) المالكي: 1/ 26 ـ 27؛ ابن الأثير: 4/ 107؛ **معالم الإيمان**: 1/ 53 ـ 54؛ ابن عذاري: 1/ 29؛ النويري: 22/ 16، قد 2؛ ابن خلدون: 6/ 297.

(99) المصدر نفسه: 6/ 217، 7/ 124.

الشمال الأفريقي. ويمكن للباحث أن يفترض بأن هناك نوعاً من الصراع بين هذه القبائل، وبشكل خاص، على طرق التجارة، ومناطق النفوذ. ومع هذا، فإن العرب لم يتمكنوا، على الأقل في هذه المرحلة، من أن يستفيدوا من هذه الخلافات، وذلك بسبب سياسة عقبة، الذي أضاع فرصة الاستفادة من محاسن سياسة سلفه أبي المهاجر. ويبدو أن زحفه المدهش باتجاه الغرب، لم يكن سوى عرض للقوة من أجل تجنيد البربر ونشر الإسلام فيما بينهم، دون أن يصحب ذلك خطة واضحة للفتح المنظم المستمر. ولكنه أمعن في هذه السياسة، بحيث أصبح من الصعب على المرء تشخيص الإنجازات الحقيقية لاستراتيجيته. صحيح أنه اشتبك في معارك عديدة مع البيزنطيين والبربر، ولكن دون أن يحقق، أو يضيف أية أراضي جديدة لولاية أفريقية. بل على العكس، فقد كان على العرب أن يتركوا كل الولاية، وأن يخلوا القيروان ذاتها نتيجة لهزيمته الساحقة. وربما نجح عقبة في جذب بعض البربر عن طريق نشر الإسلام فيما بينهم، ولكن ليس إلى الحد الذي تصوره لنا المصادر، من أنه توقف في إثناء حملته وبنى عدة مساجد في مناطق نائية جداً[100]. وعلى أية حال، فقد استطاع كسيلة أن يفر من معسكر عقبة، وأن يجند محاربين من قبائل البربر، ويهاجم عقبة في طريق عودته إلى القيروان.

وعندما وصلت هذه الأنباء إلى القيروان، انقسم العرب هناك إلى جماعتين: أقلية برئاسة زهير بن قيس البلوي كانت تريد البقاء والقتال، ولكن الأغلبية من الجيوش، وبشكل خاص، أتباع أبي المهاجر، الذين ربما كانوا بقيادة حنش بن عبد الله الصنعاني، فضّلوا الانسحاب إلى مصر[101]. ولهذا اضطر زهير بن قيس على مغادرة القيروان مع كل العرب المقاتلين هناك في

---

(100) البكري، ص 160؛ المالكي: 1/ 26؛ **معالم الإيمان**: 1/ 53؛ ابن عذاري: 1/ 27 ـ 28، 42؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 219 ـ 220؛ **الاستبصار**، ص 186.

(101) ابن الأثير: 4/ 108؛ ابن عذاري: 1/ 31؛ النويري: 22/ 17، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 400.

سنة 65هـ/ 684م. ولا نعرف بالضبط ما هو حجم الجيش المنسحب، ولكننا نعلم بأن عقبة كان قد أخذ معه ما يقارب خمسة عشر ألف رجل في زحفه باتجاه الغرب، وأبقى ستة آلاف رجل في القيروان مع زهير[102]. ونعرف أيضاً بأن عقبة سرّح الكثير من رجاله، وأرسلهم أمامه إلى القيروان عندما قرب من أفريقية، ولم يبقَ معه إلاً نحو خمسة آلاف مقاتل، هم الذين شاركوه مصيره في تهودا[103]. لهذا يمكن القول بأن عدد العرب المنسحبين من القيروان كان في حدود خمسة عشر ألف رجل.

لقد ساعد انسحاب الجيش العربي كسيلة على دخول القيروان مباشرة والسيطرة عليها من دون قتال. فعقد اتفاقية صلح مع سكانها الباقين، الذين كانوا يتألفون من بعض ذوي الشأن القليل من العرب وأُسرهم، وبعض السكان المحليين[104]. وكان هؤلاء يتألفون إما من المسيحيين الذين رضوا بالبقاء والعيش مع المسلمين، أي أهل الذمة[105]، أو من البربر المعتنقين للإسلام. وكان هؤلاء البربر هم الأغلبية في المدينة، ويبدو ذلك واضحاً من كلام كسيلة حين كان عليه أن يقاتل زهير للمرة الثانية، فقد روى أنه قال بأن هناك عدداً كبيراً من المسلمين القادرين على القتال في القيروان[106]. ومن المؤكد بأنه لم يكن يقصد القلة من العرب المتبقين هناك، لأنهم لم يكونوا من المقاتلين. ولقد استمرت سيطرة كسيلة على القيروان ما يقارب الأربع

---

(102) ابن عبد الحكم، ص 198؛ **الحلة السيراء**: 2/ 330.

(103) ابن عبد الحكم، ص 198؛ المالكي: 1/ 26؛ ابن الأثير: 4/ 107، ابن عذاري: 1/ 29؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 220؛ ولكن ابن خلدون: 4/ 400، 6/ 298، والباجي، ص 6، يذكران بأن عدد الباقين كان ثلاثمائة رجل فقط، وقد استشهدوا جميعهم مع عُقبة.

(104) ابن عبد الحكم، ص 200؛ الرقيق، ص 46؛ المالكي: 1/ 28؛ ابن الأثير: 4/ 108؛ **معالم الإيمان**: 1/ 55؛ ابن عذاري: 1/ 13؛ النويري: 22/ 17، قد 2؛ ابن خلدون: 6/ 217؛ دينار، ص 32.

(105) **معالم الإيمان**: 1/ 55.

(106) الرقيق، ص 50؛ المالكي: 1/ 30؛ ابن الأثير: 4/ 108؛ ابن عذاري: 1/ 32.

سنوات (65 ـ 69/ 684 ـ 688)، سيطر خلالها على الداخل، بنيما كان البيزنطينيون يهيمنون بشكل فعّال على الشاطئ. وعلى الرغم من عدم توفر المعلومات عن العلاقة بين كسيلة والبيزنطيين في هذه الفترة، ولكن يمكن الاستنتاج بوجود نوع من أنواع التعاون والتفاهم بين الاثنين. فكل من الطرفين كان ـ حتماً ـ راضياً عن الموقف الملائم الذي تمخضت عنه الأحداث في ذلك الوقت.

انشغلت الخلافة الأموية في هذا الوقت بالذات بمشاكل داخلية، وبشكل خاص مسألة مطالبة ابن الزبير بالخلافة. ومع هذا فقد أدرك الخليفة عبد الملك بن مروان أهمية شمال أفريقيا، وخاصة استعادة القيروان. ولهذا فقد عُيِّن زهير بن قيس البلوى والياً جديداً على أفريقية في سنة 69/ 688، من أجل أن يكمل سياسة عقبة بن نافع، ويعيد فتح ما خسره العرب هناك[107]. لقد كان زهير هو الرجل المناسب لهذه المهمة، فقد قضى وقتاً طويلاً في شمال أفريقيا، وكان مساعداً لعقبة بن نافع، الذي عيّنه نائباً عنه في القيروان سنة 62/ 681. وكان زهير أيضاً زعيماً لبليّ ويتمتع بتأييد الكثير من رجال هذه العشيرة وغيرها في مصر وشمال أفريقيا[108]. وكان زهير قد عسكر في برقة بعد انسحابه من القيروان[109]. أو أنه غادر إلى مصر حسب رواية أخرى[110]. ولكنه بالتأكيد كان في برقة حينما استلم أمر تعيينه في سنة 69/ 688. ويذكر بعض المؤرخين، أن الخليفة عبد الملك أرسل إمدادات من

---

(107) المالكي: 1/ 30؛ ياقوت: 1/ 229؛ ابن الأثير: 4/ 108؛ **معالم الإيمان**: 1/ 57؛ ابن عذاري: 1/ 31؛ النويري: 22/ 18، قد 2؛ ويشير كل من الرقيق، ص 50، وابن خلدون: 4/ 400، 6/ 217 إلى أن تعيين زهير تم في سنة 67/ 686.

(108) ابن عبد الحكم، ص 116؛ المالكي: 1/ 55.

(109) الرقيق، ص 47، ابن الأثير: 4/ 108؛ ابن عذاري: 1/ 31؛ النويري: 22/ 17، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 400، 6/ 266؛ دينار، ص 32.

(110) ابن عبد الحكم، ص 202؛ الكندي، ص 43؛ **الحلة السيراء**: 2/ 330؛ **الخطط**: 1/ 209.

جند أهل الشام، وتجهيزات مصرية إلى زهير[111]. ومن المحتمل أن يكون عبد الملك قد أرسل تجهيزات وإمدادات من مصر، ولكن من غير المعقول أنه أرسل كتائب من أهل الشام بسبب مشكلة ابن الزبير، لأن عبد الملك نفسه كان في حاجة إلى السوريين لاستخدامهم في حملته على العراق، ضد مصعب، شقيق عبد الله بن الزبير.

ومن المؤسف أن معلوماتنا محدودة عن الجماعات التي كانت تؤلف جيش زهير. ومع هذا، فيمكن القول بأن بلّي كانت تمثل قوة لا بأس بها ضمن العشائر العربية التي ساهمت في الحملة. ومن الناحية الأخرى. يذكر المالكي بأن حملة زهير كانت تتألف من أربعة آلاف من العرب وألفين من البربر[112]. ولكن من الراجح بأن هذه الأعداد لا تمثل فقط الإمدادات التي جاءت من مصر، والبربر المحالفين من منطقة برقة وطرابلس. وقد سار زهير بهذه القوات، وبالحامية العربية في برقة نحو القيروان. وعندما سمع كُسيلة بهذه الحملة انسحب من المدينة، وعسكر لأسباب استراتيجية في ميمس Mems، التي لا تبعد كثيراً عن الأوراس، حيث وقعت المعركة مع العرب. وفي هذه الموقعة قتل كسيلة، وتشتت جنده، فتتبع العرب المنهزمين من محاربي البربر إلى الأوراس. وقبل أن يعود زهير إلى القيروان، استولى على حصن الكف البيزنطي Sicca Vaneria وعدة حصون صغيرة أخرى[113].

ولا يعرف بالضبط لماذا لم يساعد اليزنطيون كسيلة، بل تركوه ليقاتل العرب وحده دون أي تدخل. ومع هذا، فإن زهيراً لم يهاجم الحصون

---

(111) الرقيق، ص 48؛ المالكي: 1/ 30؛ **معالم الإيمان**: 1/ 57؛ ابن عذاري: 1/ 31؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 221؛ ابن خلدون: 4/ 400.

(112) المالكي: 1/ 29.

(113) المصدر نفسه: 1/ 30؛ الرقيق، ص 50؛ ابن الأثير: 4/ 108 ـ 109؛ **معالم الإيمان**: 1/ 57 ـ 58؛ ابن عذاري: 1/ 31 ـ 32؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 221؛ النويري: 22/ 18، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 400، 6/ 217 ـ 218؛ السلاوي: 1/ 91؛ الباجي، ص 9.

البيزنطية على السواحل، نظراً لافتقار الجيش العربي إلى الأسطول، بل عاد يشكّل فجائي إلى برقة. وتشير المصادر إلى أن زهيراً رجع بسبب شدة تدينه وإيمانه، وعزوفه عن الولاية[114]، ولكن من الواضح بأن عودته كانت أيضاً بسبب ازدياد الخطر البيزنطي في منطقة برقة. وقد ترك زهير قسماً من جيشه في القيروان ورجع إلى مدينة برقة حيث قاتل البيزنطيين، الذين اغتنموا الفرصة وأعادوا احتلال المدينة، بعد أن تركها زهير في طريقه لمحاربة كسيلة. ومن المحتمل أنه لم يترك حامية كافية في المدينة، لهذا فقد كانت مهمة البيزنطيين سهلة في السيطرة عليها. وقد استشهد زهير مع مجموعة من جنده في هذه الموقعة التي حدثت قرب درنة في سنة 71/ 690[115].

بعد استشهاد زهير، شعر عبد الملك بن مروان، بأن فتح شمال أفريقيا لا يمكن أن يتم طالما ظل البيزنطينيون يسيطرون على مواقع حصينة على الساحل. ولهذا وبعد أن تمكّن عبد الملك من حسم أمر عبد الله بن الزبير، أولى اهتمامه إلى هذه المسألة المهمة. ففي سنة 74/ 694 أمر بتجهيز جيش عربي كبير من نحو أربعين ألف رجل، معظمهم من جند الشام، وعهد بقيادته إلى حسّان بن النعمان الغساني. وتختلف المصادر في تاريخ تعيين حسان لهذه المهمة، ولكن ابن الأثير يقدم أكثر هذه التواريخ ملائمة وهو سنة 74/ 694[116]. لقد كان حسّان رجلاً عظيماً، يشهد بذلك لقبه الشيخ

---

(114) المالكي: 1/ 30؛ الرقيق، ص 52؛ ابن الأثير: 4/ 109؛ **معالم الإيمان**: 1/ 59؛ ابن عذاري: 1/ 32 ـ 33؛ النويري: 22/ 18، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 400؛ الباجي، ص 9.

(115) ابن عبد الحكم، ص 202 ـ 203؛ البلاذري، ص 229؛ المالكي: 1/ 30 ـ 31؛ الرقيق، ص 52 ـ 53؛ ياقوت: 2/ 452؛ ابن الأثير: 4/ 109 ـ 110؛ **معالم الإيمان**: 1/ 59؛ ابن عذاري: 1/ 33؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 221؛ النويري: 22/ 18، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 400، 6/ 218؛ الباجي، ص 10.

(116) ابن الأثير: 4/ 369؛ وقارن: خليفة، **تاريخ**: 1/ 276؛ ابن عبد الحكم، ص 200 ـ 202؛ الكندي، ص 52؛ المالكي: 1/ 31؛ ياقوت: 4/ 366؛ ابن عذاري: 1/ 34؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 221؛ النويري: 22/ 19. قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 218؛ أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**: 1/ 188؛ **الحلل**، ص 290؛ دينار، ص 33.

الأمين[117] الذي يدل على عظم شرفه وعلو مكانته. ومن خلال إنجازاته اللاحقة، يبدو أن أنه كان إدارياً ممتازاً، إضافة إلى كونه قائداً عسكرياً محنكاً. وظل هذا الجيش على أهبة الاستعداد في مصر حتى عاد الاستقرار إلى كل الدولة العربية، حينئذ تحرك إلى شمال أفريقيا[118].

وفي سنة 76/ 695 سار حسان بجيشه عبر برقة وطرابلس، حيث التحقت بالحملة إمدادات أخرى عربية، وبربرية من قبائل لواته. ومن المفترض أن هؤلاء البربر كانوا بأعداد لا بأس بها، لأن حسّان عين أحدهم، هلال بن ثروان اللواتي، قائداً على مقدمته، مع اثنين آخرين هما: محمد بن أبي بكر، وزهير بن قيس[119] الذي لا نعرف شيئاً عن أصله. وقد دخل حسان إلى القيروان دون أن يجابه أية مقاومة، ثم توجه بعد ذلك إلى قرطاج، القاعدة البيزنطية الرئيسة على الساحل، حيث هوجمت وافتتحت من قبل قوات حسّان[120]. وعلى أثر ذلك هرب البيزنطيون إما إلى البحر حيث توجهوا إلى صقلية وإسبانيا، أو إلى بقية قواعدهم في الشمال الأفريقي، مثل صطفورة وبنزرت. ولكن حساناً هاجم هذين الموقعين وافتتحهما قبل أن يعود إلى القيروان[121].

بعد انتصاره على البيزنطيين، كان على حسان أن يركز اهتمامه على البربر في الداخل، الذين أصبحوا الآن بقيادة الكاهنة. ومن المفيد أن نلاحظ

---

(117) الرقيق، ص 67؛ ابن عذاري: 1/ 39؛ النويري: 22/ 22، قد 2.

(118) ابن عذاري: 1/ 34؛ النويري: 22/ 19، قد 2.

(119) ابن عبد الحكم، ص 200.

(120) المصدر نفسه، ص 200؛ المالكي: 1/ 31 ـ 32؛ ابن الأثير: 4/ 369؛ **الحلة السيراء**: 2/ 331؛ ابن عذاري: 1/ 35؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 221؛ النويري: 22/ 19، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 401، 6/ 218؛ دينار، ص 33 ـ 34؛ وقارن: Theophanes, p. 370; Neciphore, p. 39 (نقلاً عن: مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، ص 236).

(121) المالكي: 1/ 32؛ ابن الأثير: 4/ 370؛ ابن عذاري: 1/ 35؛ النويري: 22/ 19 ـ 20، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 401.

بأن المقاومة البربرية تركزت الآن حول جراوة، التي كانت فرعاً من زناتة، القبيلة البربرية الكبيرة. وهناك غموض كبير في مصادرنا عن أصل الكاهنة، ولكن معظم الروايات تتفق على أنها كانت ملكة جراوة، القبيلة البربرية التي أعتنقت اليهودية قبل الإسلام، وعاشت في جبال الأوراس[122]. وكان للكاهنة ثلاثة أولاد[123]، أو ولدان اثنان حسب رواية ابن عذاري وعبيد الله بن صالح، كان أحدهما يدعي باليوناني[124]. وبعبارة أخرى، فقد كانت الكاهنة متزوجة من مسيحيي يوناني، أو ربما من رجل بيزنطي. وهذا أمر في غاية الأهمية، لأنه يشير إلى علاقاتها مع البيزنطيين، وإلى ماهية دوافعها في مقاومة العرب. ومن الممكن أيضاً، كما يرى محمد طالبي، أن الكاهنة نفسها كانت مسيحية[125]. وهناك بعض المعلومات بشأن العلاقة بين حركة الكاهنة وحركة كسيلة، فعلى سبيل المثال، إن ابن عبد الحكم يدعو كسيلة بـ ابن الكاهنة، لكنه لا يقدم أي تفسير آخر لهذا[126]، بينما يقول ابن خلدون والسلاوي بأن استشهاد عقبة ورجاله قرب تهودا كان بتحريض من الكاهنة[127]. ويروي ابن الأثير أيضاً بأن الكاهنة ثارت بسبب غضبها لمقتل كسيلة[128]. ولكن رواية البكري تشير أكثر من غيرها صراحة إلى العلاقات بين الحركتين، فتذكر بأن القائد البربري الذي حارب بجانب كسيلة كان نفسه على رأس مقدمة جيش الكاهنة في قتالها لحسان بن النعمان[129]. ولهذا

(122) البكري، ص 144؛ **مفاخر البربر**، ص 65؛ ابن خلدون: 6/ 214؛ السلاوي: 1/ 93.
(123) ابن خلدون: 7/ 17؛ السلاوي: 1/ 93.
(124) ابن عذاري: 1/ 37؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 222.
(125) M. Talibi, «Un nouveau fragment de L'histoire de L'Occient musiman...», p. 42.
(126) ابن عبد الحكم، ص 198 ـ 199.
(127) ابن خلدون: 7/ 17 ـ 18؛ السلاوي: 1/ 93.
(128) ابن الأثير (برواية الواقدي): 4/ 372.
(129) البكري، ص 7.

يمكن الاستنتاج بوجود نوع من العلاقة بين الحركتين، ولكن من الصعب تحديد ماهية وطبيعة هذه العلاقة بصورة مضبوطة[130].

عندما سمعت الكاهنة بنية حسّان في قتالها، جمعت العديد من محاربي البربر، وزحفت للقائه على بعد تسعة وعشرين كيلومتراً من باغاية، على نهر نيني، أو وادي مسكيانة. وبعد معركة فاصلة، انتصرت الكاهنة، وانهزم حسّان بجنده إلى طرابلس، وقد استشهد وأُسِر العديد من العرب على يد البربر، الذين اتبعوهم حتى قابس[131]. وعلى العكس من كسيلة، فإن الكاهنة لم تدخل إلى القيروان التي ظلت تحت إدارة المسلمين، يحكمها رجل عيَّنه حسّان بن النعمان، يدعى أبو صالح[132]. وظنت الكاهنة بأن العرب لم يأتوا إلى شمال أفريقيا إلاّ سعياً وراء الغنائم والمكاسب، ولهذا فقد أشاعت الدمار والتخريب في الأرياف، حتى لا يبقى للعرب أية رغبة في العودة ثانية إلى البلاد[133]. وعلى الرغم من إجماع المصادر على هذا الأمر، فقد حاول المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، أن يدلل، خطأ، على أن العرب هم المسؤولون عن هذا الدمار الشامل الذي لحق البلاد[134]. إن هذه السياسة جلبت نقمة السكان الأصليين على رأس الكاهنة. ولقد كان تذمّرهم شديداً إلى الحدّ الذي دعاهم إلى مطالبة العرب بالرجوع إلى البلاد،

(130) قارن: مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، ص 243 ـ 244.

(131) ابن عبد الحكم، ص 200؛ البلاذري، ص 229؛ البكري، ص 7 ـ 8؛ الرقيق، ص 56 ـ 57؛ المالكي: 1/ 32 ـ 33؛ ابن الأثير: 4/ 370؛ **معالم الإيمان**: 1/ 61 ـ 62؛ ابن عذاري: 1/ 35 ـ 36؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 222؛ النويري: 22/ 21، قد 2، ابن خلدون: 4/ 401، 6/ 218؛ السلاوي: 1/ 93 ـ 94؛ **الحلل**، ص 291.

(132) ابن عبد الحكم، ص 200.

(133) الرقيق، ص 61؛ المالكي: 1/ 35؛ ابن الأثير: 4/ 371؛ **معالم الإيمان**: 1/ 64؛ ابن عذاري: 1/ 36، عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 222؛ النويري: 22/ 20 ـ 21، قد 2؛ ابن خلدون: 6/ 219؛ **الحلل**، ص 292؛ دينار، ص 21، 34.

(134) Lévi-Provençal, «Un Nouveau, Récit de la Conquéte de L'Afrique de Nord par Les Arabes», *Arabica*, I. 1945, pp. 32-33.

وأبدوا استعدادهم لمساعدتهم في حربهم المقبلة ضد الكاهنة[135].

وفي أثناء هذا الوقت ظل حسّان ما يقارب الخمس سنوات في منطقة طرابلس قرب صرت في مكان يدعى قصور حسان. وعندما جاءته إمدادات من الخليفة عبد الملك ابتدأ بالتحضير لحملته الثانية على شمال أفريقيا. وفي هذه المرة، سارت الأمور لصالح العرب، ونال حسان تأييد العدد الكبير من السكان المحليين. وحتى الكاهنة نفسها، لم تكن متأكدة من نتيجة اللقاء مع العرب إلى حد أنها، كما يُروَى، أوعزت إلى أبنائها بالقتال إلى جانب العرب، ولكنها قاتلت هي وأتباعها حسان بالقرب من قابس، حيث اندحرت وهربت، ولكنها قتلت أخيراً في جبال الأوراس في مكان أصبح يدعى فيما بعد ببئر الكاهنة[136]. وبعد هذا الانتصار عاد حسان إلى القيروان في سنة 82/ 701، ثم زحف إلى قرطاج وأعاد افتتاحها، بعد أن كان البيزنطيون قد أعادوا السيطرة عليها في سنة 78/ 697 نتيجة لانسحاب العرب إلى طرابلس[137].

وبعد أن أخضع حسان ثورة البربر، وطرد البيزنطيين من الساحل، قرر الحفاظ على هذه المكاسب المحققة وحمايتها من الانتكاسات. وبالنسبة للبربر فقد أدرك بأن الطريقة الفضلى لكسب جانبهم تكمن في إتباع سياسة

---

(135) الرقيق، ص 61؛ المالكي: 1/ 35؛ ابن الأثير: 4/ 371؛ **معالم الإيمان**: 1/ 64؛ ابن عذاري: 1/ 36 ـ 37؛ النويري: 22/ 21، قد 2؛ ابن خلدون: 6/ 219؛ **الحلل**، ص 293.

(136) ابن عبد الحكم، ص 201؛ الرقيق، ص 61 ـ 64؛ المالكي: 1/ 35 ـ 36؛ ابن الأثير: 4/ 371 ـ 372؛ **معالم الإيمان**: 1/ 65 ـ 67؛ ابن عذاري: 1/ 37 ـ 38؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 222 ـ 223؛ النويري: 22/ 21، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 401، 6/ 219؛ **الحلل**، ص 294؛ دينار، ص 35.

(137) البكري، ص 37 ـ 38؛ المالكي: 1/ 37؛ التجاني، ص 5 ـ 6؛ **الحلل**، ص 310 ـ 311؛ وقارن:

Theophanes, p. 370; (نقلاً عن: مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، ص 245، 259)؛ Neciphore, p. 39 Nasr, p. 70

أبي المهاجر التي ترمي إلى زيادة الاختلاط والاندماج بين العرب والبربر. ولهذا، فبعد أن أنهى حسّان مقاومة الكاهنة، عرض على بقية البربر شروطاً ممتازة للصلح، ووجه اهتمامه إلى نشر الإسلام فيما بينهم بواسطة إرساله للدعاة والوفود إلى مختلف القبائل البربرية. فدخل العديد منهم إلى الإسلام، وجند اثني عشر ألف بربري في الجيش العربي الإسلامي بقيادة ابنَي الكاهنة. ولقد فرض لهولاء العطاء وكذلك منحوا نصيباً مساوياً لما يأخذه مقاتلو العرب من الغنائم في الفتوحات المقبلة. ونظم حسان كذلك الديوان، والضرائب التي تفرض على المسيحيين الذين فضلوا البقاء في أفريقية[138].

ومن أجل العمل على صد الخطر البيزنطي وأي هجوم مفاجئ قد يقومون به على الساحل، قرر حسان أن ينشئ قرب قرطاج مدينة تونس التي ستكون قاعدة للأسطول العربي في شمال أفريقيا. ولقد كان مكان المدينة حصيناً جداً فهي تقع على بحيرة تتصل بواسطة برزخ بالبحر المتوسط. فقطع حسّان البرزخ وبنى المدينة الجديدة بالقرب من البحيرة. ولغرض توفير الأيدي العاملة المتخصصة لبناء السفن، طلب حسان من الخليفة عبد الملك أن يرسل له عمالاً أقباطاً من مصر. ولبى الخليفة طلبه، فوصلت البلاد ألف عائلة قبطية، وبدأت بمهمة بناء الأسطول العربي في شمال أفريقيا[139]. ويذكر بعض المؤرخين، أن دار بناء السفن في تونس، كانت من إنشاء

(138) ابن عبد الحكم، ص 201؛ الرقيق، ص 64؛ المالكي: 1/ 35 ـ 36؛ ابن الأثير: 4/ 372؛ **معالم الإيمان**: 1/ 65 ـ 67؛ ابن عذاري: 1/ 38؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 223؛ النويري: 22/ 21، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 401، 6/ 219 ـ 220؛ **الحلل**، ص 294؛ دينار، ص 35.

(139) البكري، ص 37 ـ 39؛ الرقيق، ص 65 ـ 66؛ المالكي: 1/ 37؛ ياقوت: 2/ 61 ـ 62؛ **معالم الإيمان**: 1/ 67 ـ 68؛ التجاني، ص 6 ـ 7؛ **الحلل**، ص 313 ـ 314؛ دينار، ص 15 ـ 16؛ **ذكر حدود**، الورقة 9ب.

موسى بن نصير، أو عبيد الله بن الحجاب[140]. ومن المحتمل أن اختلاف المؤرخين بشأن الذي أنشأ دار السفن في تونس، يعود إلى مساهمة هؤلاء الولاة الثلاثة في بنائها. ويمكن للباحث أن يفترض بأن العمل الذي بدأ به ولا شك، حسّان بن النعمان، قد استكمل في عهد موسى بن نصير، ثم أنجز أخيراً في عهد عبيد الله بن الحجاب[141]. وعلى أية حال، فإن القوة البحرية العربية الجديدة، أجبرت البيزنطيين على إخلاء بقية مواقعهم الحصينة في الشمال الأفريقي، باستثناء بعض الأماكن البعيدة مثل سبتة.

وفي سنة 85/ 704 عزل حسان من قبل والي مصر، عبد العزيز بن مروان. ويقال إن خلافاً نشب بين الرجلين على برقة وطرابلس، لأن عبد العزيز لم يكن يرغب بتدخل حسّان في شؤون هاتين المنطقتين، فعين عليهما حاكماً منفصلاً، الأمر الذي لم يوافق عليه حسان[142]. ولكن من المرجح أن خلافاتهما كانت أعمق من هذا بكثير، وأن عبد العزيز لم يكن مقتنعاً بسياسة التعاون والاندماج مع البربر. ولربما كان يريد من حسان، فتوحات أكثر، وأراضي جديدة، ومعيناً لا ينضب من الأموال. ويبدو هذا واضحاً جداً من خلال تصرف عبد العزيز مع حسان، بعد عزله، حينما عاد إلى دمشق عن طريق مصر. فقد جرده من كل الغنائم، والهدايا الثمينة التي كان ينوي أن يحملها إلى الخليفة في دمشق[143]. وباختصار، فقد كان عبد العزيز يرغب أن تدار أفريقية من قبل أحد رجاله، من أجل أن ينفذ

---

(140) البكري، ص 37، 39؛ الرقيق، ص 116؛ ابن عذاري: 1/ 51؛ **الاستبصار**، ص 120 ـ 121؛ النويري: 22/ 34، قد 2؛ دينار، ص 40.

(141) cf. P. Sebag, «Les Travaux maritimes de Hassan Ibn Nu'man», *Intitut de Belles Lettres Arabes,* XXXIII, 1970, p. 55.

(142) خليفة، **تاريخ**: 1/ 276؛ ابن عبد الحكم، ص 203؛ الكندي، ص 52؛ **الحلة السيراء**: 2/ 332.

(143) ابن عبد الحكم، ص 202، الرقيق، ص 66 ـ 67؛ ابن عذاري: 1/ 38 ـ 39؛ النويري: 22/ 21 ـ 22، قد 2.

سياسته الخاصة هناك. وباعتباره أخاً للخليفة، نجح عبد العزيز في محاولته هذه، واضطر الخليفة لأن يوافق على تعيين والي أفريقية الجديد موسى بن نصير[144].

ولا يعرف بالضبط أصل موسى بن نصير، فالمصادر تشير إلى أن والده كان من سبي عين التمر في العراق، أو أنه كان من لخم، أو بكر بن وائل[145]. ولكن المؤلف المجهول لكتاب **أخبار مجموعة**، يوضح بأن نسبة موسى إلى لخم كانت بسبب اتصاله معهم عن طريق الزواج، فهو صهر حبيب اللخمي، والد أيوب بن حبيب، الذي تولى الأندلس بعد مقتل عبد العزيز بن موسى[146]. ويبدو أن رواية ابن الكلبي والواقدي هي أقرب الروايات إلى الواقع، فهي تنص على أن موسى بن نصير كان من أراشة من قبيلة بلي[147]، أما نسبة موسى إلى بكر بن وائل، فسببها الخطأ الواقع في اعتبار أراشة من هذه العشيرة[148]. ولكن من المؤكد، كما يذكر ابن حزم، أن أراشة تعود إلى بلي من قضاعة وليس إلى بكر بن وائل[149]. وُلِد موسى في بلاد الشام في قرية تدعى كفرمري في خلافة عمر بن الخطاب[150]. ولقد خدم الأسرة الأموية في شبابه في دمشق[151]، ولكن منصبه المهم الأول كان

---

(144) ابن عذاري: 1/ 40.

(145) البلاذري، ص 230، 247؛ البكري، **المسالك**، ص 133 ـ 134؛ ابن الفرضي، قد 2، ص 146؛ ابن عذاري: 1/ 39، 2/ 22؛ الحميري، ص 4؛ المقري: 1/ 250؛ انظر أيضاً: ابن بشكوال: 2/ 499، الذي يشير إلى أن جد موسى كان من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام.

(146) **أخبار مجموعة**، ص 30.

(147) البلاذري، (برواية الواقدي وابن الكلبي) ص 230، 247.

(148) المصدر نفسه، ص 230؛ ابن دريد، **الاشتقاق**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، 1958، ص 335.

(149) **الجمهرة**، ص 442.

(150) البلاذري (برواية ابن الكلبي) ص 230.

(151) المقري: 1/ 286.

في مصر، عندما رافق الخليفة مروان بن الحكم في حملته هناك سنة 65/ 684. فلقد عينه الأخير مستشاراً ووزيراً لابنه عبد العزيز الذي أصبح والياً على مصر[152]. ونظراً للجدارة التي أثبتها موسى بن نصير في مصر، فقد أسند إليه الخليفة عبد الملك بن مروان مهمة الإشراف على خراج البصرة، عندما كان أخو الخليفة، بشر بن مروان والياً على العراق. ولكن والي العراق الجديد، الحجاج بن يوسف الثقفي، اتهم موسى بسوء استعمال الأموال والتصرف بها لصالحه الخاص. وقد أفلح موسى في الهرب إلى مصر، حيث تمكن من الإفلات من عقاب الخليفة نتيجة لوساطة عبد العزيز بن مروان[153]. ولا تُعرف حقيقة هذه التهمة التي ألصقت بموسى، ولكن من المحتمل أن عبد العزيز، على الأقل، لم يكن مقتنعاً بصحتها. فلقد كانت مكانة موسى في نظره أعظم من ذلك بكثير[154]، ولم يغيّر هذه النظرة عن موسى إلى نهاية حياته. ومن الناحية الأخرى، فقد استمر موسى في علاقاته الجيدة مع عبد العزيز، وواصل تقديم خدماته المخلصة له، قبل تعيينه والياً على شمال أفريقيا، وبعد التعيين[155].

لم يأخذ موسى إمدادات من جند الشام معه إلى شمال أفريقيا. فقد سار من مصر مصحوباً ببعض المتطوعين من رجال القبائل العربية هناك[156]. واعتمد في حملاته على العرب والبربر الذين كانوا موجودين فعلاً في شمال أفريقيا. ولقد كان موسى محظوظاً في نيل تأييد هؤلاء جميعاً. فساهم العديد من القادة المشهورين في قيادة حملاته المختلفة في شمال أفريقيا، ومن هؤلاء: بسر بن أبي أرطأة، وأولاد عقبة بن نافع: أبو عبيدة، وعياض،

---

(152) الكندي، ص 47؛ **خطط**: 1/ 209.

(153) ابن عبد الحكم، ص 203؛ ابن عذاري: 1/ 39 ـ 40.

(154) ابن عبد الحكم، ص 203.

(155) المصدر نفسه، ص 133، 144، 203 ـ 204؛ الكندي، ص 60؛ المقري: 1/ 285.

(156) **أخبار مجموعة**، ص 3 ـ 4؛ المقري: 1/ 230، 250.

وعثمان، وكذلك محمد بن أوس الأنصاري، وطارق بن زياد، وأبو مدرك زرعة بن أبي مدرك، وسليمان بن أبي المهاجر، وعياش بن أخيل، والمغيرة بن أبي بردة، وعبد الرحمن بن سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبناء موسى نفسه، وهم: مروان، وعبد الله، وعبد العزيز، وعبد الأعلى، وعبد الملك[157].

عندما وصل موسى إلى شمال أفريقيا وجدها في حاجة ماسة إلى إدارة مستقرة، وإنه لا مجال له للاختيار، بل عليه أن يتعاون مع المسلمين الجدد من القبائل البربرية، الذين جندوا في الجيش العربي الإسلامي على يد سلفه حسان. وبعبارة أخرى، فقد كان على موسى، من أجل أن يخضع بقية قبائل البربر، ومن أجل أن يستكمل تحرير شمال أفريقيا وينال شرف الجهاد الحربي وربما من أجل أن يقدم مزيداً من الغنائم للدولة الإسلامية، ولإرضاء صديقه عبد العزيز والخليفة.. أن يستمر في سياسة سلفه في التعاون والاندماج مع البربر. وهكذا، وبواسطة استخدامهم والاستعانة بهم، تمكّن من أن يوسع نطاق فتوحاته لتشمل كل الشمال الأفريقي، من القيروان إلى المحيط الأطلسي[158]. ولقد ركّز موسى جهوده، مثله في هذا كمثل عبد العزيز بن مروان، على ردّ الخطر البيزنطي من البحر[159]. فوضع حراسة قوية على السواحل ودور بناء السفن من أجل أن يمنع أية سفن

(157) ابن عبد الحكم، ص 205، 207، 209؛ البكري، ص 117؛ الرقيق، ص 70 ـ 71؛ المالكي، 1/ 18؛ الضبي، ص 67؛ **أخبار مجموعة**، ص 4؛ ابن الأثير: 4/ 539 ـ 540؛ **معالم الإيمان**: 1/ 197؛ ابن عذاري: 1/ 40 ـ 42؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 224؛ النويري: 22/ 22 ـ 23، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 402؛ المقري: 1/ 230، 250، قد 2، ابن خلدون: 4/ 402؛ المقري: 1/ 230، 250؛ **الإمامة والسياسة**، ص 140.

(158) cf. P. Guichard, *Al-Andalus*, p. 284.

(159) قارن: الكندي، ص 49؛ **خطط**: 1/ 209؛ Shaban, op. cit, Vol. I, pp. 112-113, 123.

بيزنطية من أن ترسو هناك[160]. ولقد حاول أيضاً أن يقطع كل اتصال بين البيزنطيين، الذين بقوا في شمال أفريقيا تحت ظل الحكم العربي، وبين الأسطول البيزنطي في البحر المتوسط. وتمّ هذا الإجراء بنقل هؤلاء من الساحل إلى مناطق قريبة في الداخل، حيث أصبح بإمكان العرب أن يراقبوا فعالياتهم بدقة[161]. ووجهت أيضاً عناية كبيرة إلى القوة البحرية العربية الجديدة، التي أصبحت قوية في هذا العهد[162]، ولهذا فقد استطاع موسى أن يرسل حملة موفقة إلى جزيرة صقلية بقيادة عياش بن أخيل الذي نجح في مهاجمة سرقوسة، وعاد بغنائم وفيرة[163].

ابتدأ موسى حملاته بإرسال خمسمائة فارس إلى قلعة زغوان المنيعة وأطرافها، التي تبعد مسافة يوم واحد عن القيروان، فتمكن هؤلاء من إخضاع قبائل البربر والرجوع بأعداد كبيرة من الأسرى[164]. وفي الوقت نفسه أرسل إلى جهة غير معلومة لدينا حملتين أخريَين بقيادة ولديه: عبد الله ومروان فرجعا أيضاً بكثير من الأسرى والغنائم[165].

ويبدو أن موسى ركّز اهتمامه في هذه الحملات الأولى ـ وفي الحقيقة ـ في الحملات التالية أيضاً، على فتح وتحرير مساحات شاسعة، وإرسال حصة الخلافة من أموال الغنائم إلى كل من مصر ودمشق. وكما يمكن للمرء أن يتوقع، فإنه حاول أن يقنع الخليفة بقابليته كقائد عسكري، قادر على فتح

---

(160) ابن حبيب، ص 221.

(161) النص هو: «وكان ينقل العجم من الأقاصي إلى الأداني»، انظر: الرقيق، ص 68؛ ابن خلدون: 4/ 220؛ وللاطلاع على تفسير آخر، قارن: حسين مؤنس، «التنظيم الإداري والمالي لأفريقية والمغرب»، **مجلة كلية الآداب والتربية**، العدد الأول، جامعة الكويت، 1972، ص 88.

(162) دينار، ص 35 ـ 36.

(163) ابن عذاري: 1/ 42.

(164) البكري، ص 45 ـ 46؛ ابن عذاري: 1/ 40؛ **الحلل**، ص 307، ابن خلكان: 5/ 319.

(165) ابن حبيب، ص 224؛ ابن الأثير: 4/ 539 ـ 540؛ ابن عذاري: 1/ 40؛ ابن خلدون: 4/ 402.

أراضٍ جديدة، وتزويد الحكومة المركزية بالأموال. وربما أراد أن يظهر أنه لا يقل قدرة عن الحجاج بن يوسف، والي العراق، وإنه حاول ـ حتماً ـ أن يخفف من الانطباع السيئ الذي كونه عنه الخليفة بسبب العمل الذي أتهم به في البصرة. ولقد كان من حسن حظه أنه نجح في محاولته هذه نجاحاً باهراً، فأرضى كلاًّ من عبد العزيز بن مروان والخليفة اللذين أبديا إعجابهما بحملاته الناجحة وكثرة ما حمله إليهما من الأموال[166].

بعد إخضاع القبائل البربرية في ولاية أفريقية، قرر موسى أن يبذل جهوداً فعّالة وقوية لافتتاح المناطق الغربية من شمال أفريقيا وضمها إلى الدولة العربية الإسلامية، فتبع الطريق الذي كان عقبة قد اتخذه سابقاً، لكنه قبل أن يصل إلى طنجة اشتبك مع بربر سجوما، (سقوما أو سيقوما) في منطقة فاس قرب وادي الملوية. وكان هؤلاء بالدرجة الأولى من أوربة، قبيلة القائد كسيلة. أما غاية موسى من هذا الإجراء، فكانت محاولته في إنهاء المقاومة الحامية لهذه المجموعات التي ما انفكت تؤيد البيزنطيين. كما كانت أيضاً انتقاماً لمعركة تهودا التي استشهد فيها عقبة وأبو المهاجر على يد القبيلة نفسها[167]. وبعد هذه الحملة، أرسل موسى حملتين أُخريين إلى السوس الأقصى. كانت الأولى بقيادة ابنه مروان[168]، والثانية بقيادة زرعة بن أبي مدرك الذي كان من أصل بربري[169]. وفي الوقت نفسه، زحف موسى مصحوباً بطارق بن زياد على مقدمة جنده إلى طنجة التي افتتحها، ثم توغل باتجاه الجنوب، فوصل إلى السوس الأدنى، ووادي درعا،

(166) ابن حبيب، ص 224؛ ابن عبد الحكم، ص 203 ـ 204؛ **فتح الأندلس**، ص 12؛ **الرسالة الشريفية**، ص 165؛ النويري: 22/ 22 ـ 23، قد 2.

(167) البكري، ص 117 ـ 118؛ الرقيق، ص 77؛ ابن عذاري: 1/ 41؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 224؛ **الاستبصار**، ص 194.

(168) خليفة، **تاريخ**: 1/ 305؛ ابن عذاري: 1/ 44؛ عبيد الله بن صالح المصدر السابق، ص 224؛ ابن خلدون: 4/ 402.

(169) ابن عذاري: 1/ 42؛ عبيد الله بن صالح، المصدر السابق، ص 224.

وتافيللات[170]. ومع هذا، فقد جابه موسى صعوبات كبيرة عندما حاول أن يسيطر على السواحل التي تطل على منطقة المضيق (الذي سمي فيما بعد بمضيق جبل طارق). فلقد كانت سبتة وما يجاورها تحكم من قبل حاكم مسيحي يدعى جوليان[171] (يوليان، وليان، بليان، أليان، جليان)، كانت له عدَّة وقوة لم يرَ لها موسى مثيلاً من قبل[172]. وعلى العكس مما يقوله الباحث أبو النصر[173]، فإن موسى هاجم سبتة، لكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها. ولهذا، فقد عقد موسى الصلح مع حاكم المدينة، وأقره في منصبه، مقابل اعتراف الأخير بالحكم العربي[174].

تتناقض الروايات بشأن شخصية جوليان. فيقول كاتب **حولية سنة 754م** اللاتينية بأنه مسيحي من أرض أفريقية[175]. ويذكر ابن خلدون والسلاوي، ويتبعهما في هذا المستشرق الإسباني كوديرا Codera، إن جوليان كان مسيحياً من برابر غمارة[176]. ولقد سمي بالرومي من قبل كل من ابن القوطية، وابن

(170) ابن عبد الحكم، ص 205؛ الرقيق، ص 69؛ ابن الأثير: 4/ 540؛ ابن خلكان: 5/ 320؛ ابن عذاري: 1/ 42؛ **أخبار مجموعة**، ص 4؛ النويري: 22/ 22، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 402؛ المقري: 1/ 250؛ السلاوي: 1/ 96.

(171) للاطلاع على المزيد من المعلومات عن جوليان انظر:
Gayangos, vol, I. pp. 537-541; Saavedra, p. 48; Osvaldo A. Machado, «Los nombres del LLamado conde don Julian», *Cuadernos de Historia de España,* III, 1945, pp. 106-116; R. Dozy, «Le Comte Julien», *Recherches sur L'Histoire et la Litterature de L'Espagne,* vol. I, p. 57-64, Amsterdam, 1965, reprint of Lieden edition 1881; See also: J. Vallvé, «Sobre algunos problemas de la invasión Musulmana», *Anuario de Estusios Medievales,* IV, Barcelona, 1967, p. 364.

(172) **أخبار مجموعة**، ص 4.

(173) Nasr, p. 70.

(174) **أخبار مجموعة**، ص 4؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 230؛ ابن خلدون: 6/ 437 ـ 438؛ **الدرة النثيرة**، الورقة 31أ.

(175) *Chr*, 754, p. 150, no. 40.

(176) ابن خلدون: 6/ 437 ـ 438؛ السلاوي: 1/ 65؛ Codera, «El LLamado conde don

الكردبوس، وابن الأثير، والمراكشي، وابن عذارى، والنويري[177]. صحيح أن غالبية مصادرنا تذكر بأنه كان من أصل قُوطِي، وإنه من أتباع ملك إسبانيا[178]، لكننا نعلم بأن القوط الغربيين فقدوا معظم ممتلكاتهم في شمال أفريقيا منذ أيام الملك Theudis[179] 531 ـ 548م. ولقد كانت سبتة بأيدي البيزنطيين منذ منتصف القرن السابع الميلادي، ولا توجد هناك أية إشارة إلى وقوع ما يخالف ذلك[180]. ولهذا يمكن الاستنتاج أن جوليان كان الحاكم البيزنطي العام لولاية موريطانيا الطنجية. ولكن بسبب ضغط الأحداث، وبعد الشقة عن القسطنطينية، اضطر لأن يعتمد على التعاون مع القوط الغربيين في إسبانيا[181]. ولربما كانت تأتيه إمدادات وجيوش من إسبانيا، لكن مشاكل القوط الغربيين الداخلية منعتهم عن الاستمرار في مساعدته[182]. ومن المحتمل أن الحاكم الذي التقى به عقبة في طنجة قرب المضيق كان بيزنطياً أيضاً، ومن الجائز أنه كان والد جوليان هذا الذي نراه مسيطراً على سبتة[183].

Juliàn», *Estudios criticos de Historia àrabe española*, VII, Saragossa, 1903, pp. 45-94 (apud. Livermore, p. 281).

(177) الإحاطة (برواية ابن القوطية): 1/ 100، وكان ابن القوطية يدعوه في كتابه، **تاريخ افتتاح الأندلس**، بـ (تاجر من تجار العجم) ص 7؛ ابن الكردبوس، ص 42؛ ابن الأثير: 4/ 106؛ المراكشي، ص 6؛ ابن عذاري: 1/ 26؛ النويري: 22/ 14، قد2.

(178) ابن عبد الحكم، ص 205؛ **أخبار مجموعة**، ص 4؛ **فتح الأندلس**، ص 2 ـ 3؛ ابن الكردبوس، ص 42، 44؛ ابن الشباط، ص 105؛ ابن عذاري: 1/ 203، 2/ 6 ـ 7؛ الحميري، ص 7؛ المقري: 1/ 251؛ وقارن: الترجمة الإسبانية **لأخبار مجموعة** التي قام بها لافوينتي القنطرة، ص 150، هامش (2)؛ Saaverdra, 48; Provençal, Vol. I. p. 13; مؤنس، «رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس» ص 115.

(179) Shaw, op. cit., p. 222; *CMH*, Vol. II. p. 163.

(180) Livermore, pp. 191, 245.

(181) **أخبار مجموعة**، ص 4.

(182) cf. Dozy, p. 230; Shaw, op. cit., 221 - 222; Livermore, pp. 245 - 246; السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وحضارتهم في الأندلس**، بيروت، 1962، ص 47.

(183) انظر حملة عقبة بن نافع على المغرب الأقصى في هذا الفصل.

الجبل كما تشير إلى ذلك بعض الروايات[27]، لأن هدفه الأول لم يكن البقاء على الصخرة، بل فتح المناطق المجاورة للجزيرة الخضراء، والسيطرة على الجانب الإسباني من المضيق من أجل حماية تجهيزاته ومواصلتها من شمال أفريقيا. وينص ابن الأثير على أن طارقاً ترك كلياً الحصن القريب من قمة الجبل - يحتمل أن يكون هذا الحصن موجوداً قبل نزول طارق - وافتتح الجزيرة الخضراء[28]. وفي الوقت نفسه، فقد أرسلت كتيبة قوية بقيادة عبد الملك بن عامر المعافري، لافتتاح حصن قرطاجنة الذي يقع شمال غرب جبل طارق، ويدعى الآن بـ Torre de Cartagena[29]. وبعد افتتاح هذا الحصن، وقعت كل المناطق المحيطة بمنطقة المضيق بيد المسلمين وتولى عبد الملك المعافري مسؤولية السيطرة على الجزيرة الخضراء، يساعده في ذلك جوليان، وبهذا حُميت مؤخرة جيش طارق، وأصبحت خطوط اتصالات مع شمال أفريقيا آمنة.

ما يزال مدى اشتراك جوليان في فتح إسبانيا أمر مختلَف فيه، ولكن أهمية دوره في هذا الفتح لا يمكن أن ينكر. ومن المحتمل أنه لم يرسل جنوده ليقاتلوا بجانب المسلمين، ومع هذا فهناك من الأدلة ما يشير إلى أن مهمته كانت مساعدة الحملة، وإعطاء توجيهات عامة للمسلمين في أثناء العبور، وكان أيضاً عيناً لهم على الأعداء[30]. ولكن بعد هزيمة القوط، ترك جوليان الجزيرة الخضراء متوجهاً إلى استجة Écija، وقرر أن يبدي مساعدة

---

(27) **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 84 - 85؛ ابن عذاري: 2/ 9؛ ابن خلدون: 4/ 254؛ المقري: 1/ 232.

(28) ابن الأثير: 4/ 562؛ النويري: 22/ 26، قد 2.

(29) ابن القوطية، ص 8 - 9؛ **فتح الأندلس**، ص 5؛ ابن عذاري: 2/ 9، 256؛ وقارن: Saavedra, p. 65; P. Madoz, *Diccionario geografico - estadistico historico de España y sus posesiones de Ultramar* Madrid, 1848 - 1850, Vol. XV, p. 65.

(30) ابن عبد الحكم، ص 206؛ الرازي، نشر: جاينجوس، ص 68 - 99؛ **أخبار مجموعة**، ص 7؛ ابن الأثير: 4/ 562؛ النويري: 22/ 27، قد 2.

بسبب قلة المراكب، التي كانت مستمرة بنقل الرجال بين الشاطئين إلى أن هبط كل أفراد الجيش بسلام على الأراضي الإسبانية. ويقول بعض المؤرخين بأن طارقاً كان آخر من عَبَر إلى إسبانيا[22]. وتتفق رواية ابن عبد الحكم المتناقضة مع هذا، على الرغم من أنها تذكر أيضاً بأن طارقاً أبحر في الليل مع أول جماعة، وأنه أخفى نفسه في الجبل حتى الليلة التالية، حيث أرسل المراكب مرة أخرى لكي تعود ببقية رجاله[23]. ولهذا فيمكن الافتراض بأن طارقاً قاد فعلاً المجموعة الأولى إلى الشاطئ الإسباني، ولكن ما أن هبطت هذه المجموعة بسلام، حتى عاد بالقوارب إلى سبتة لكي يشرف على بقية العملية، ومن ثم أبحر مع المجموعة الأخيرة من الرجال.

نزلت الحملة على صخرة تسمى جبل كالبي Mons Calpe التي اتخذت اسم طارق منذ ذلك اليوم، فأصبحت تسمى بجبل طارق[24]. وهناك خلاف بشأن الموعد الصحيح لحملة طارق، فيذكر بعض المؤرخين السنة التي حدث فيها الفتح فقط، أي 92هـ (تبدأ في 28 تشرين الأول 710م)[25]، ويدوّن الآخرون اليوم والشهر الذي حدث فيه العبور. ومع هذا فإن الأغلبية تعتقد بأن نزول طارق على صخرة جبل طارق حدث في رجب 92/ نيسان 711[26].

ومن غير المحتمل أن يكون طارق قد بنى أية تحصينات بعد نزوله على

---

(22) الرقيق، ص 74؛ ابن الشباط (برواية عريب بن سعد) ص 106؛ ابن عذاري (برواية الرازي): 2/ 6؛ المقري: 1/ 254.

(23) ابن عبد الحكم، ص 205 ـ 206.

(24) cf. Provençal, Vol. I. p. 18.

(25) البلاذري، ص 230؛ ابن الكردبوس، ص 46؛ ابن خلدون: 4/ 254.

(26) ابن حبيب، ص 222؛ **فتح الأندلس** (برواية ابن حبيب) ص 8؛ ابن الأثير: 4/ 562؛ ابن عذاري (برواية الرازي): 2/ 6؛ الحميري، ص 9؛ المقري: 1/ 25 (وبرواية ابن بشكوال، ص 231)؛ قارن: ابن الشباط (برواية عريب) ص 106؛ Gayangos, Vol. I. pp. 521-522.

ولقد كان لهؤلاء السود الذين اعتنقوا الإسلام دور كبير في مساعدة طارق في الفتح.

إن الظروف التي رافقت عبور طارق بن زياد، ونزوله على الشاطئ الإسباني تشير إلى أنه كان لا بدَّ قد أبحر من سبتة. ويمكن أن نعتمد على هذه الحقيقة، لأن المصادر تشير باستمرار إلى أن جيش طارق تمَّ نقله إلى إسبانيا على ظهر مراكب تجارية قدمها جوليان، حاكم سبتة[19]. ويحتمل جداً أن طارقاً كان يمتلك سفنه الخاصة في طنجة، ولكن يبدو أنه أراد أن يحيط عملية نزوله بالسرية التامة وذلك باستعماله مراكب تجارية تقلع من ميناء آخر، أي من سبتة. إن رواية ابن عبد الحكم، المؤيدة من قبل ابن الكردبوس، والمؤلف المجهول لكتاب **فتح الأندلس**، تزيل أي أثر من الشك بشأن هذه المسألة، لأنها تذكر بالنص بأن طارقاً أقلع من ميناء سبتة[20]. ويضيف ابن الكردبوس، إن هذا الأمر كان بسبب رغبة طارق في إيجاد مكان ملائم للنزول على الشاطئ الإسباني (ربما منطقة الجزيرة الخضراء التي تقابل سبتة). ولكن طارقاً تخلى عن النزول في هذا المكان عندما وجد جماعة من القوط حاولت منع نزوله، فأبحر منه ليلاً إلى مكان وعر من الشاطئ. وقد حاول تسهيل عملية نزول رجاله، وذلك باستخدام المجاذيف وبراذع الخيول التي ألقيت على الصخور لتلافي خطرها. وبهذه الطريقة، تمكّن طارق من النزول المفاجئ من غير أن يراه أحد على الشاطئ[21].

نفذت هذه العملية في الليل، وربما استغرقت أكثر من ليلة واحدة

(19) ابن عبد الحكم، ص 205 ـ 206؛ البلاذري، ص 230؛ الرقيق، ص 74؛ ابن الشباط (برواية عريب بن سعد) ص 106؛ ابن عذاري (برواية الرازي): 2/ 6؛ المقري: 1/ 254 **الدرة النثيرة**، الورقة 31 ب.

(20) ابن عبد الحكم، ص 205؛ **فتح الأندلس**، ص 5؛ ابن الكردبوس، ص 46؛ وقارن: Gayangos, Vol. I. pp. 519-520.

(21) ابن الكردبوس، ص 46؛ وقارن: ابن عذاري: 2/ 9 الذي يورد أيضاً رواية مشابهة عن عبور طارق ونزوله على الجبل.

في خطته بالفتح. فقرر أن يقود الحملة المقبلة، التي كانت تتألف من مقاتلين من العرب والبربر الذين ينتمون إلى قبيلة مصمودة وغيرها من القبائل مثل جراوة، ومطغرة، ومكناسة، ومديونة[14]. وتتفق معظم المصادر على أن جيش طارق كان يتألف من اثني عشر ألف رجل[15]. ومع هذا فإن ابن حيان، وابن الأثير، ومؤلف كتاب **أخبار مجموعة**، يشيرون إلى مجموعتين مختلفتين: الأولى، وتتألف من سبعة آلاف رجل، وهم الذين عبروا المضيق مع طارق، وتضم المجموعة الأخرى خمسة آلاف رجل، وهم الذين أرسلوا فيما بعد من قبل موسى بن نصير[16]. ويُعدّ عبد الملك بن عامر المعافري، الجد الأعلى للمنصور بن أبي عامر، من أشهر الرجال العرب المساهمين في هذه الحملة[17]. وضمت الحملة أيضاً سبعمائة رجل من السودان[18]. إن وجود هؤلاء السود في مثل هذا الوقت المبكر هو أمر في غاية الأهمية. وعلى الرغم من عدم توفر المعلومات عن الظروف التي أدت إلى ظهور هؤلاء في طنجة، فإن المرء يمكن أن يتوقع بأنهم قد جُنّدوا وجلبوا من قِبل موسى بن نصير وطارق بن زياد في أثناء حملاتهما على السوس الأقصى.

---

(14) عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 224؛ عبيد الله بن صالح (المخطوط)، ص 28؛ ابن خلدون: 6/ 239، 256، 265، 462.

(15) الطبري: 1/ 1235؛ الرقيق، ص 74؛ **فتح الأندلس** (برواية ابن حبيب)، ص 9؛ ولكن ابن حبيب يشير في نصه المطبوع إلى أن طارقاً أبحر بـ ألف وسبعمائة رجل فقط، ثم التحق به بعد الفتح بقية رجاله البالغ عددهم اثني عشر ألفاً: حبيب، ص 222. ابن الشباط (برواية عريب)، ص 106؛ ابن الكردبوس، ص 46؛ ابن الأثير: 4/ 556؛ ابن عذاري: 2/ 9؛ الحميري، ص 9؛ المقري: (برواية ابن بشكوال): 1/ 230 ـ 231، 254.

(16) المصدر نفسه (برواية ابن حيان): 1/ 231 ـ 232؛ **أخبار مجموعة**، ص 7؛ ابن الأثير: 4/ 561 ـ 563.

(17) ابن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، القاهرة، 1945، جـ1، قد 4، ص 40؛ **الحلة السيراء** (برواية ابن حيان): 1/ 275؛ ابن عذاري: 2/ 256 ـ 257؛ ابن سعيد: 1/ 199؛ **الإحاطة**: 2/ 102؛ **أعمال الأعلام**، ص 59؛ المقري: 1/ 396، 399؛ **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 147 ـ 148 (رقم 558) ص 205.

(18) المصدر نفسه، (رقم 85ج) ص 84؛ **فتح الأندلس**، ص 5.

والسياسية وضعف دولة القوط الغربيين بصورة عامة. إن ملاحظة الموقف على جانبي المضيق في بداية القرن الثامن الميلادي (العقد الأخير من القرن الأول الهجري) توصي بأن فتح العرب المسلمين لإسبانيا كان واقعاً لا محالة.

لقد كانت الأحداث تسير بسرعة في طنجة، لأن التوتر بدأ بالازدياد بين جنود الحامية والسكان المحليين[10] ويعود السبب في هذا إلى أن البربر المجندين في الحامية كانوا قد جلبوا من مناطق أخرى وقبائل مختلفة. ومن المحتمل أيضاً بأن التوتر ازداد بسبب وجود السودان الذين ألّفوا نسبة لا بأس بها في الحامية[11] ولهذا فقد كان على المسلمين أن يتصرفوا بسرعة.

بدأ طارق بتنفيذ خطة الفتح في رمضان سنة 91هـ/آب ـ أيلول 710م، وذلك بإرسال حملة استطلاعية بقيادة أبو زرعة طريف بن مالك المعافري[12] وكانت هذه القوة الاستطلاعية تتألف من أربعمائة راجل ومائة فارس.

أبحر هؤلاء على متن أربعة مراكب هيئت من قبل جوليان، وأرست على جزيرة تسمى لاس بالوماس «Las Palomas» تقع على الشاطئ الإسباني في مكان أصبح يطلق عليه فيما بعد اسم طريفة «Tarifa» ولقد تكللت جهود طريف بنجاح باهر، فاستطلع الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة الأيبيرية، وقام بعدة غارات في المنطقة دون أن يلاقي أية مقاومة، ثم رجع بعد ذلك بكميات وافرة من الغنائم والأسلاب[13].

إن النتائج المرضية التي حققتها مهمة طريف شجعت طارقاً لأن يستمر

---

(10) الرقيق، ص 74.

(11) سترد تفصيلات لاحقة عن هؤلاء السودان في هذا الفصل.

(12) المقري (برواية الرازي): 1/ 254.

(13) **أخبار مجموعة**، ص 6؛ **فتح الأندلس**، ص 5؛ ابن الكردبوس، ص 45؛ **ذكر بلاد**، (رقم 85ج) ص 84؛ ابن الأثير: 4/ 561؛ ابن عذاري: (برواية عريب): 2/ 5؛ النويري: 22/ 26، قد 2؛ الحميري، ص 8، 127؛ المقري: 1/ 160، 253 ـ 254 (برواية ابن حيان) ص 229 ـ 230؛ (**ملحق أخبار مجموعة**) *Chronicon Albeldense*, p. 163 cf. Gayangos, Vol, I. pp. 517 - 519; Saavedra, p. 64.

وحثه على فتح الأندلس، بسبب عدائه للذريق، فإنهم لا يتطرقون إلى قصة ابنة جوليان، ولا يعطون أي تفسير لدوافعه في التعاون مع العرب[6]. ويقول الرقيق، الذي يسمى جوليان باسم (ابن ملك الأندلس)، بأنه قد قدَّم عرضه إلى طارق بسب اغتصاب لذريق للعرش الإسباني بعد وفاة والد جوليان، أي غيطشة Witiza[7]. ولكننا نعلم بطبيعة الحال بأن جوليان موليس ابناً لغيطشة، ومع هذا فإن هذه الرواية تشير إلى العلاقات الطيبة التي كانت بين جوليان وغيطشة. ويذكر المؤلف المجهول لكتاب **أخبار مجموعة**، بأن الإمدادات والجيوش التي تلقاها جوليان من إسبانيا ربما كانت في عهد غيطشة[8]. ولكن عندما جاء لذريق إلى العرش، وبسبب مشاكله الداخلية، توقف عن مساعدة حاكم سبتة. وقد استاء الأخير من هذا، وبدأ بالتعاون مع طارق ضد القوط في إسبانيا، خاصة بعدما شعر بقوة المسلمين المتنامية في المنطقة.

وعلى الصعيد الإسلامي، يبدو بوضوح بأن فتح إسبانيا قد جاء نتيجة لبادرة طارق بن زياد وموسى بن نصير. وكما أسلفنا فإن طارق كان مسؤولاً عن عدد كبير من البربر المسلمين في طنجة، من الذين كانوا قد جنّدوا من مختلف القبائل في البلاد، مثل: مصمودة، وجراوة، وكتامة، وهوارة، وزنانة[9]. ويبدو أنه كان من الصعب على طارق الذي يقود مثل هذه القوة المنظمة أن يقاوم فكرة عبور المضيق إلى إسبانيا. ولقد كان البربر على علم تام بأهمية العلاقات بين شمال أفريقيا وإسبانيا. وأنهم كانوا ـ ولا ريب ـ يعلمون عن خصب وغنى شبه الجزيرة، وعن خطورة مشاكلها الاجتماعية

---

(6) البلاذري (برواية الواقدي) ص 230 ـ 231؛ الرازي، نشر جاينجوس، ص 68 ـ 69؛ ابن عذاري: (برواية الواقدي): 2/ 6 (برواية عريب بن سعد): 2/ 4؛ ابن الشباط (برواية عريب بن سعد)، ص 105 ـ 106.

(7) الرقيق، ص 70؛ انظر رواية عيسى بن محمد (وهو من أحفاد أبو المهاجر دينار) المذكورة عند ابن عذاري: 2/ 6.

(8) **أخبار مجموعة**، ص 4.

(9) راجع آخر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

الأيبيرية، ودمر أسطولهم[2].

إن السبب الرئيسي الذي يذكره المؤرخون العرب لفتح إسبانيا قائم على أساس قصة أسطورية. فيقال بأن جوليان، حاكم سبتة، قد شجع على الفتح إنتقاماً لنفسه من لذريق ملك إسبانيا الذي اعتدى على شرف ابنته. وتروي القصة بأن جوليان كان قد أرسل ابنته إلى بلاط طليطلة لتتعلم وتتثقف مع بنات الملك. وقد سحر جمالها لذريق، الذي حاول أن ينال منها، ولكنها قاومته ورفضت فلجأ إلى العنف واغتصبها رغم إرادتها. وعندما سمع جوليان بالحادث سارع بالسفر إلى طليطلة وعاد بابنته إلى سبتة. وقد دفعه حقده إلى التوجه نحو موسى بن نصير وحثه على فتح إسبانيا[3] وتقول روايات أخرى بأنه قد سار إلى طارق بن زياد، حاكم مدينة طنجة، وأخبره برغبته في الانتقام، وبأنه مستعد للتعاون مع جيشه للحرب في أرض الأعداء القوط[4].

ويرى بعض المؤرخين المحدثين، وهم على حق في هذا، بأن قصة ابنة جوليان في بلاط طليطلة، هي محض أسطورة ليس لها أساس من الواقع[5]. وكذلك فإنه من غير المعقول أن يتصل جوليان بموسى بن نصير أولاً في القيروان، بينما كان طارق قريباً منه في طنجة. وعلى الرغم من أن الواقدي، والرازي، وعريب بن سعد، يذكرون بأن جوليان قد اتصل بطارق

---

(2) Alfonso III, p. 610; cf. *CMH*, Vol. II. pp. 179, 182; *Miles*, op. cit., p 34; Livermore, p. 238.

(3) **أخبار مجموعة**، ص 5؛ **فتح الأندلس**، ص 3 ـ 4؛ ابن الكردبوس، ص 43 ـ 45؛ ابن الأثير: 4/ 560 ـ 561؛ النويري: 22/ 25 ـ 26، قد 2؛ الحميري، ص 7 ـ 8؛ المقري: 1/ 251 ـ 253؛ **الدرة الشيرة**، الورقة 31 ب، 32أ؛ وقارن: Dozy, p. 230.

(4) ابن عبد الحكم، ص 205؛ ابن القوطية، ص 7 ـ 8؛ **فتح الأندلس**، ص 9؛ المراكشي، ص 6 ـ 7؛ ابن عذاري: 2/ 6 ـ 7؛ ابن خلدون: 4/ 203؛ المقري: 1/ 232 ـ 233.

(5) قارن: Saavedra, pp. 58-59; **فجر الأندلس**، ص 59 ـ 60؛ محمود علي مكي، «ملحمة آخر ملوك القوط» **المجلة**، العدد 74، 1963، ص 30 ـ 35؛ محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، القاهرة، 1969؛ 1/ 35 ـ 37.

الفصل الثالث

الفتح الإسلامي لإسبانيا

هناك اتفاق عام في مصادرنا على أن الفتح العربي الإسلامي لإسبانيا حَدَثَ في عهد الخليفة الوليد الأول (86 ـ 96هـ/ 705 ـ 714م) تحت قيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير. ومع هذا فإن الطبري وابن الأثير والحميري والسلاوي يذكرون بأن العرب قد أرسلوا حملة إلى الأندلس في عهد الخليفة عثمان بن عفان (24 ـ 35هـ/ 644 ـ 655م)[1]، ولكن من الصعب تصديق حدوث الفتح في مثل هذا الوقت المبكر، ومن غير المعقول أيضاً تصديق **حولية ألفونسو الثالث** التي تؤكد بأن الملك القوطي وامبا Wamba (52 ـ 61هـ/ 672 ـ 680م) قد صد محاولة عربية للنزول على شاطئ شبه الجزيرة

(1) الطبري: 1/ 2814، 2816 ـ 2817؛ ابن الأثير: 3/ 93؛ الحميري، ص 3؛ السلاوي: 1/ 34 ـ 35؛ قارن: ابن عذاري: 2/ 4؛ M. S. Al-Ma'sumi, «The earliest muslim invasion of Spain», *Islamic Studies*, III, 1964, pp. 97 - 102. وهو يعتقد بأن هذه الحملات لم تتم في أثناء عهد الخليفة عثمان بن عفان. انظر أيضاً: M. Barceló «Some commentries on the earliest Muslim invasion of Spain», *Islamic Studies*, IX, 1970, PP. 183 - 190.

أبي أرطأة[188]. ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، تمت هيمنة موسى بن نصير على كل الشمال الأفريقي من برقة إلى المحيط الأطلسي. وهكذا تمَّ فتح وتحرير شمال أفريقيا بعد ما يربو على السبعين سنة من النضال المستمر. ومع هذا فإن العرب لم يكونوا ليستطيعوا تحقيق هذا الإنجاز، لولا تطبيقهم لروح مبادئ الإسلام وسيرهم على سياسة التعاون والاندماج مع البربر. وكان يمكن للنصر أن يتحقق بوقت أقصر لو اتبع العرب منذ البداية تطبيق سياسة أبي المهاجر الإيجابية في هذا المجال.

(188) ابن عبد الحكم، ص 205؛ البكري، ص 145؛ الرقيق، ص 70 ـ 71؛ ابن الأثير: 4/ 540؛ النويري: 22/ 22، قد 2.

امتازت الحملات التي قام بها موسى وقواده بضراوة شديدة إزاء كل قبيلة بربرية ترفض قبول الإسلام. ولكن ما أن يعتنق البربر الدين الجديد، فإن العرب يقرون زعماءهم في الرئاسة مقابل مساهمة كل قبيلة بعدد كاف من المقاتلين للانضمام إلى الجيش العربي الإسلامي. ولهذا فقد استطاع موسى أن يجند أعداداً هائلة من البربر من مختلف قبائل البلاد، مثل كتامة، وهوارة، وزناتة، ومصمودة[184]. ومن الواضح أن معظم هؤلاء ينتمون إلى القبيلة الأخيرة، لأن هذه البلاد، كما أسلفنا[185]، كانت موطناً لمصمودة.

وحّد موسى هؤلاء الجنود الجدد مع جند جراوة، الذين جُندوا في عهد حسان، ووضعهم جميعاً في حامية طنجة تحت قيادة طارق بن زياد، الذي عيَّنه حاكماً على هذه المدينة في حدود سنة 90/ 708. ولم يبقَ مع طارق إلاَّ القليل من العرب الذين كانت مهمتهم نشر تعاليم الإسلام بين البربر[186]. وتشير بعض الروايات إلى أن طارقاً نفسه كان من العرب، لكن الأدلة تؤيد بقوة على أنه كان مولى لموسى من قبيلة نفزة البربرية[187]. وغادر الجيش العربي بقيادة موسى إلى القيروان. ولم تبق إلاَّ مناطق بربرية قليلة للمقاومة، من أهمها حصن مجّانة، الذي فُتح أخيراً من قبل بسر بن

---

(184) ابن عذاري: 1/ 43 ـ 44؛ عبيد الله بن صالح (تحقيق: بروفنسال)، ص 224.

(185) راجع الفصل الأول من هذا الكتاب عن استقرار القبائل البربرية في شمال أفريقيا.

(186) ابن حبيب، ص 222؛ ابن عبد الحكم، ص 204 ـ 205؛ الرقيق، ص 69 ـ 70؛ **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 83 ـ 84؛ ابن الأثير: 4/ 540؛ ابن خلكان: 5/ 320؛ ابن عذاري: 1/ 42؛ عبيد الله بن صالح، ص 224؛ النويري: 22/ 22، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 402، 6/ 220، 437؛ المقري: 1/ 239؛ السلاوي: 1/ 96.

(187) ابن حبيب، ص 221؛ ابن عبد الحكم، ص 207؛ الرقيق، ص 69؛ ابن الأثير: 4/ 540؛ ابن خلكان: 5/ 320؛ ابن الشباط، ص 103، 140؛ **أخبار مجموعة**، ص 6؛ **فتح الأندلس**، ص 2؛ ابن عذاري: 1/ 43؛ عبيد الله بن صالح (المخطوط)، ص 20؛ النويري: 22/ 22، قد 2؛ الحميري، ص 9؛ ابن خلدون: 4/ 402؛ المقري: 1/ 239، 245؛ السلاوي: 1/ 96.

أكبر لطارق وذلك بتزويد جيش المسلمين بإدلاء من رجاله لإنجاز افتتاح كل شبه الجزيرة[31].

مضى على طارق ما يقرب الشهرين والنصف قبل أن تقع المعركة الفاصلة بينه وبين لذريق في كورة شذونة. ويذكر أنه إضافة إلى فتح الجزيرة الخضراء وحصن قرطاجنة، فإن طارق قد هوجم خلال هذه الفترة من قبل قائد قوطي يسمى تدمير (Theodemir)، والذي كان لذريق قد عهد إليه بالدفاع عن هذا الجزء من البلاد. وبعد محاولة فاشلة لإعاقة تقدم طارق، أرسل تدمير على الفور رسولاً إلى لذريق بطلب المساعدة قائلاً بأنهم قد هوجموا من قِبل قوات لا طاقة لهم بها، وهو لا يعلم هل أن هؤلاء قد هبطوا إليهم من السماء، أم أنهم قد طلعوا عليهم من باطن الأرض[32]. واعتماداً على رواية أخرى، فإن لذريق كان قد أرسل قوات عديدة لإيقاف المسلمين، كانت إحداها بقيادة ابن أخ له يدعى بنج Banj (بالإسبانية Sancho أو Bancho)، ولكنه قتل مع رجاله وأصبحت خيولهم غنائم للمسلمين[33]. وليس هناك من دليل يمكننا من أن نقطع برأي فاصل في تفضيل أي من هاتين الروايتين، ولكن يبدو أنه من غير المحتمل أن يقوم لذريق بإرسال قوات من مكان بعيد في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة، حيث كان مشغولاً بالقضاء على اضطرابات خطيرة في مقاطعة الباسك[34]، أو أنه كان

(31) **الإحاطة** (برواية ابن القوطية): 1/ 100؛ **أخبار مجموعة**، ص 10؛ ابن عذاري: 2/ 9؛ المقري (برواية الرازي): 1/ 260.

(32) ابن حبيب، ص 222؛ ابن خلكان: 5/ 321؛ المقري: 1/ 240؛ **الإمامة والسياسة**، ص 121 ـ 122؛ الهذيل، **كتاب تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس**، مخطوطة المكتبة الوطنية بمدريد، رقم 5095، ص 132؛ وقارن: J. A. Condé, *History of the Dominion of the Arabs in Spain*, London, 1854, Vol. I. p. 55.

(33) الرازي، نشر: سافيدرا، ص 149 ـ 150؛ ابن عذاري: 2/ 8؛ قارن: **فجر الأندلس**، ص 70.

(34) ابن حبيب، ص 222؛ **أخبار مجموعة**، ص 7؛ **فتح الأندلس**، ص 6؛ ابن الأثير: 4/ 562؛ النويري: 22/ 27، قد 2؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 231، انظر أيضاً ص 255؛ **الإمامة والسياسة**، ص 121 ـ 122.

يصد هجوماً فرنسياً على نافار Navarre، كما يعتقد المستشرق الإسباني سافيدرا Saavedra[(35)].

وعلى أية حال، عندما وصلت أنباء نزول طارق إلى لذريق، ترك في الحال ما كان يجابهه من مشاكل في الشمال الشرقي، وزحف نحو الجنوب مرسلاً الرسل إلى أتباعه ليوافوه في قرطبة[(36)]. وقد كتب من هناك إلى أفراد أسرة غيطشة Witiza وإلى القوط الآخرين لينضموا إليه في قتال العدو المشترك. وخشية من دخول قرطبة، فقد عسكر أبناء غيطشة وأتباعهم عبر النهر في شقندة Secunda[(37)]. وتمت مصالحة بين لذريق وأبناء غيطشة، فعهد الأول على أثرها بقيادة ميمنة جيشه إلى ششبرت Sisbert والميسرة إلى أبّة Oppa، وهذان الاثنان كما يقول مؤلف **أخبار مجموعة** هما من أبناء غيطشة[(38)]. ويقال أيضاً بأن ششبرت وأبّة هما ابنان لأخيكا Egica وليس لغيطشة[(39)]. ومع هذا فإن أسماء أبناء غيطشة معروفة لدينا، وإذا ما كانوا في سن لا يسمح لهم أن يتولوا الحكم في عام 710م، فإنه من غير المحتمل أن يكون لذريق قد عهد إليهم بالقيادة في عام 711م.

هناك مبالغة كبيرة في حجم جيش لذريق. فقد قدر أن عدده يتراوح بين أربعين إلى مائة ألف رجل[(40)]. وتقابل الجيشان في كورة شذونة جنوب غرب إسبانيا، ولكن موقع المعركة الدقيق غير معروف تماماً. وهناك

---

(35) Saavedra, pp. 64 - 65.

(36) **فتح الأندلس**، ص 6؛ ابن الشباط (برواية عريب) ص 106؛ ابن الكردبوس، ص 47؛ الحميري، ص 9؛ المقري: 1/ 256.

(37) ابن القوطية، ص 3؛ الحميري، ص 104؛ المقري: 1/ 256 ـ 257.

(38) **أخبار مجموعة**، ص 8؛ قارن: **فتح الأندلس**، ص 6.

(39) ابن القوطية، ص 2 ـ 3؛ *Chr.* 754, p. 148 (no. 36); وقارن: **فجر الأندلس**، ص 73؛ Livermore, p. 291

(40) ابن حبيب، ص 222؛ ابن الأثير: 4/ 562؛ **أخبار مجموعة**، ص 7؛ ابن خلكان: 5/ 321؛ ابن الكردبوس، ص 47؛ النويري: 22/ 27، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 254؛ المغربي: 1/ 258؛ **الإمامة والسياسة**، ص 122.

دراسات حديثة عديدة بشأن المكان الذي وقعت فيه المعركة الفاصلة بين لذريق وطارق، وعن مصير الأول منهما. وعلى سبيل المثال، فإن المستشرق الإسباني سافيدرا، الذي يعتمد على **حولية ألفونسو الثالث**، وترجمة برتغالية لتاريخ الرازي، يرى حدوث معركتين: الأولى وقعت قرب مدينة شذونة Medina Sidonia بين جبل رتين (Sierra del Retin) وبحيرة لاخاندا (Lago de la Janda) وحدثت الثانية عندما هرب لذريق نحو الشمال وحارب المسلمين قرب Segoyuela حيث قتل ودفن في Viseo قرب Tamames في محافظة سلمنقة Salamanca[41]. ويتفق سيمونيت F. Simonet مع سافيدرا[42]، بينما يعارض ليفي بروفنسال Lévi-Provencal هذه الفكرة[43]، وكذلك سانشيت البورنوث Sanchez-Albornoz الذي يتفق مع المؤرخين العرب على أنه كانت هناك معركة كبيرة واحدة فقط بين المسلمين والقوط الغربيين، وهي التي حدثت قرب ضفاف نهر وادي بكة أولكة Guadalete في كورة شذونة، وأن لذريق هزم وقتل قرب هذا النهر[44]. وقد ذهب بعض الكُتّاب الآخرين بعيداً في تحديدهم لمكان هذه الموقعة، ففي ملحمته يفترض فرنان جونثالث F. González أن المعركة حدثت قرب نهر

---

(41) Saavedra, pp. 68-69, 99 - 102.

وانظر: الرازي، نشر: سافيدرا، ص 154؛ *Alfonso III*, p. 612

(42) F. Simonet, op. cit., p. 23-29.

(43) Provençal, vol. I. pp. 20 - 21, 25.

(44) C. Sánchez-Albornoz, «Otra vez Guadalete y Covadonga», *Cuadernos de Historia de España, I-II*, 1944, pp. 12, 42, 56-58, 67.

وللاطلاع عن المزيد من المعلومات المفصلة عن أصل كلمة Guadalete والتفسيرات الأخرى عن موقع المعركة انظر: **فجر الأندلس**، ص 71؛

Gayangos, vol I. p. 524; Saavedra, pp. 68-69; Provençal, Vol. I. pp. 20-21; Garcia Domingues, «Invasao e caonquista de la Lusitania por Muca Ben Nosait E seu filho Abadalaziz», *Congreso de Estudios Arabes Islamicos*, Actas, held, Cordoba, 1964, p. 223; J. Vallvé, «Sobre algunos problemas de la invasión Musulmana», pp. 265-367.

Sangonera، الذي يسمى أيضاً بوادي الطين Guadalentin أو Guadatin، وهو فرع من نهر شقورة Seguar في محافظة مرسية شرقي إسبانيا[45]. ويذكر بعض المؤرخين العرب أن لذريق هرب من ساحة القتال، وأنه قُتل أو غرق في مكان يدعى وادي الطين، ولكن هؤلاء المؤرخين لم يحددوا موقع هذا المكان[46]. ويعتمد الدكتور حسين مؤنس على التشابه الموجود بين الاسمين Guadalentin ووادي الطين، فيقترح بأن هذا الأخير ما هو إلاّ النهر نفسه المسمى Sangonera أو Guadalentin، وهو يعتقد أيضاً بأن المسلمين لاحقوا لذريق إلى هذا المكان[47]. وهذا احتمال بعيد يصعب الأخذ به، خاصة إذا ما لاحظنا بنظر الاعتبار بعد المسافة بين شذونة في الجنوب الغربي من إسبانيا، ومحافظة مرسية في الجنوب الشرقي.

إن موقع المعركة الدقيق ليس له أية أهمية جوهرية، على الرغم من كثرة البحوث والمقالات التي كتبت حوله، ومع هذا فعلى الباحث أن يعترف أنه على الرغم من أن المعركة استمرت ثمانية أيام فقط (28 رمضان ـ 5 شوال سنة 92هـ/ 19 ـ 26 تموز 711م)، فإن معركة واسعة النطاق كهذه، سميت بعدة أسماء مختلفة مثل، معركة البحرية، وادي بكة، وادي لكة، وادي البرباط، شريش، السواني، والسواقي[48]، لا يمكن أن تحدث، كما يرى الدكتور أحمد مختار العبادي[49]، في مكان واحد محدود مثل جنوب

(45) انظر: أحمد مختار، العبادي، «نصّان جديدان»، **مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد**، العدد الثالث عشر، 1965 ـ 1966، ص 28 ـ 40.

(46) الرقيق، ص 75؛ **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 85؛ ابن عذاري: 2/ 7.

(47) حسين مؤنس، **رواية جديدة**، ص 91 ـ 93، 124.

(48) ابن عبد الحكم، ص 9 ـ 10؛ ابن القوطية، ص 7؛ **فتح الأندلس**، ص 7؛ **أخبار مجموعة**، ص 206؛ ابن الأثير: 4/ 562؛ ابن الشباط (برواية عريب) ص 106؛ ابن عذاري: 2/ 8؛ (برواية الرازي ص 8)؛ النويري: 22/ 27، قد 2؛ الحميري، ص 169؛ ابن خلدون: 4/ 254؛ المقري: 1/ 258 (برواية ابن حيان ص 249).

(49) العبادي، المرجع السابق، ص 39 ـ 40.

مدينة شذونة أو شماليها. ولهذا فمن المحتمل جداً أنها حدثت كلياً أو جزئياً في كل هذه المناطق المذكورة في كورة شذونة، فهي معركة هذه الكورة بأسرها التي تقع في جنوب غرب إسبانيا.

انهزم القوط الغربيون في هذه المعركة، وتكبدوا خسائر فادحة، ولكن مصير لذريق لم يكن معروفاً. وتنص **حولية سنة 754م** على أنه قُتل. ويتفق بعض المؤرخين العرب مع هذا الرأي بينما يكتفي الآخرون بالقول أنه اختفى، ولا يعرف ماذا حلّ به، ربما غرق في نهر أو في مستنقع؛ ومع هذا فإن جثته لم يعثر عليها أبداً[50]. واستناداً إلى هذه المصادر، وإلى دراسات حديثة أثبتت عدم احتمال نجاة لذريق في معركة شذونة، يمكن للمرء ألا يأخذ بما جاء في **حولية ألفونسو الثالث**، في إشارتها إلى وجود ضريح في Viseo في محافظة سلمنقة، منقوش عليه الكلمات التالية: «هنا يرقد لذريق، ملك القوط الأخير»[51].

يُقال إن فوز طارق كان بسبب تعرض لذريق للخيانة، وتذكر الحوليات اللاتينية، أن المسلمين عبروا إلى إسبانيا وهزموا الجيش القوطي بسبب خيانة أولاد غيطشة[52]. وتشير بعض المصادر العربية أيضاً إلى مباحثات جرت في

---

(50) *Chr, 754*, p. 147 (no. 34); cf *Chronicle of Moissax*, p. 165; ابن عبد الحكم، ص 207؛ ابن القوطية، ص 7؛ الرقيق ص 75؛ **فتح الأندلس**، ص 7؛ **أخبار مجموعة**، ص 9 ـ 10؛ **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 85؛ ابن الأثير: 4/ 563؛ ابن الكردبوس، ص 48؛ ابن الشباط (برواية عريب) ص 107، ابن عذاري: 2/ 7 ـ 9؛ النويري: 22/ 27، قد 2؛ المقري: 1/ 249، 258 ـ 259.

(51) وقارن: الرازي، نشر: سافيدرا، ص 154، *Alfonso III*, p. 612; S. Albornoz, «Otra vez Guadalte...», p. 12; S. Albornoz, «? Dónde y cyándo murió Don Rodrigo?». *Cyadernos de Historia de España*, Buenes Aires, III, 1945, pp. 5 - 105; Felix Hernández Giménez, «Acerca de Majádat ól-Fath y Saguyue», *Al-Andalus, XXIX*, 1964, pp. 1 - 21; العبادي، المرجع السابق، ص 27 فما بعدها مؤنس، **رواية جديدة**، ص 9.

(52) *Chronicon Albeldense*, p. 163; *Alfonso II*, p. 612.

طنجة قبيل الفتح بين طارق بن زياد وأحد أولاد غيطشة[53]. بينما يقول آخرون إن المباحثات حدثت قبيل بدء المعركة بوقت قصير عندما أصبح طارق فعلاً في إسبانيا؛ فعرض أبناء غيطشة أن يتخلوا عن لذريق ويؤيدوا طارقاً برجالهم شريطة أن يضمن لهم كل ممتلكات والدهم والتي تبلغ ثلاث آلاف ضيعة، وهي التي سميت فيما بعد بصفايا الملوك، وذلك بعد أن يخضع إسبانيا جميعها[54]، وقد أورد مؤرخون عرب آخرون تفسيرات أكثر احتمالاً وواقعية بشأن هذه المسألة ومن هؤلاء: ابن حيان، عريب بن سعد، ابن الأثير، والمؤلفان المجهولان **لأخبار مجموعة، وفتح الأندلس**، ولا تعرض هذه المصادر لأية مباحثات بين طارق بن زياد وأولاد غيطشة. ويقتصر الأمر على أن هؤلاء الأولاد، وبعض نبلاء القوط، قرروا التخلي عن لذريق في ساحة المعركة لأنهم اعتقدوا بأن المسلمين لا ينوون الاستقرار في البلاد، بل إنهم جاءوا فقط من أجل الغنائم. وبعد أن يندحر لذريق، فإن العرش سيعود إلى أصحابه الشرعيين، أي أولاد غيطشة[55]. ومع هذا، فيجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار أن الجيش القوطي نفسه كان في وضعية سيئة للغاية، فقد كان يتألف في معظمه كما أسلفنا سابقاً، من العبيد المجندين[56]. ويبدو أنه لم يكن هناك أي أمل في أن يتمكن هذا الجيش من مقاومة الهجوم الإسلامي، وأن دور أسرة غيطشة في ترجيح كفة المسلمين قد تعرض إلى الكثير من المبالغة.

استشهد في المعركة ثلاثة آلاف مسلم وقد وزع طارق الغنائم

---

(53) الرقيق، ص 73؛ ابن عذاري (برواية عيسى بن أبي المهاجر): 2/6؛ **الدرة النثيرة** (برواية الرقيق)، الورقة 31 ب.

(54) ابن القوطية، ص 5؛ الحميري، ص 9 ـ 10؛ المقري: 1/ 258.

(55) **أخبار مجموعة**، ص 7 ـ 8؛ **فتح الأندلس**، ص 6 ـ 7؛ ابن الأثير: 4/ 563؛ ابن الشباط (برواية عريب) ص 106 ـ 107؛ النويري: 22/ 27، قد 2؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 231 ـ 232. انظر أيضاً، ص 257 ـ 258.

(56) انظر آخر الفصل الأول من هذا الكتاب.

والأسلاب المجموعة، على تسعة آلاف رجل فقط قبل أن يستأنف سيره نحو الشمال[57]. ولقد كان هدف طارق المباشر أن يلاحق فلول المنهزمين وأن ينهي مقاومتهم، وهذا يشير إلى أنه كان على علم تام بطبيعة الموقف في إسبانيا في ذلك الوقت، وأنه أدرك بأن استقرار المسلمين هناك لا يمكن أن يتم دون القضاء التام على قوة القوط. وقد فتح طارق مدينة شذونة بعد انتصاره على لذريق[58]، ولم يضيّع وقتاً في إكمال سيره إلى مدينة استجة التي تجمّع فيها قسم من الجيش القوطي في محاولة للسيطرة عليها ومنع المسلمين من دخولها. وفي طريقه إلى هذه المدينة افتتح طارق مورور، وتدعى الآن Morón de la Frontera في محافظة إشبيلية[59]. وبعد ذلك عسكر قرب استجة وضرب عليها الحصار. وقد أبدت حامية المدينة مقاومة مستميتة للدفاع عنها، وبعد معركة قاسية حقق المسلمون نصراً آخر على الرغم من مقتل وجرح العديد من رجالهم[60]، وغنموا في هذه المعركة العديد من الخيول التي كانوا في حاجة ماسة إليها. أما بقية فلول جيش لذريق فقد هربت إلى مدن أخرى، وازدادت خشية القوط الغربيين جداً، وبشكل خاص عندما تبين لهم أن هيمنة طارق أصبحت فعّالة على مناطق عديدة في عمق بلادهم. لقد كان القوط يعتقدون أول الأمر أن هدف طارق هو الحصول على الغنائم ثم العودة، كما فعل طريف بن مالك من قبله، ولكنهم عندما رأوا أنه يتقدم بسرعة، هجروا مناطق السهول من البلاد،

---

(57) ابن الشباط (برواية عريب) ص 107؛ المقري (برواية الرازي): 1/ 259.

(58) ابن الشباط، ص 107 ـ 109؛ **فتح الأندلس**، ص 7؛ المقري (برواية الرازي): 1/ 260؛ وقارن:

C. Sánchez, Albornoz «Itinerario de la conquista de españa por los musulmanes», *Cuadernos de Historia de España,* X, 1948, p. 49; Gayangos, vol. I. p. 529.

(59) ابن الشباط (برواية عريب)، ص 109؛ المقري (برواية الرازي): 1/ 260.

(60) الرازي، نشر: جاينجوس، ص 67 ـ 68؛ ابن القوطية، ص 9؛ **أخبار مجموعة**، ص 9 ـ 10؛ **فتح الأندلس**، ص 7 ـ 8؛ ابن الأثير: 4/ 563؛ ابن الشباط، ص 112 ـ 113؛ ابن عذاري (برواية الرازي): 2/ 8؛ المقري (برواية الرازي) 1/ 260.

والتجأوا إلى الجبال وبقية المدن الحصينة الأخرى[61]. وكما تقول **حولية سنة 754م**، فإن حالة القوط الغربيين أصبحت ممزقة نتيجة منازعات ومشاكل داخلية عديدة بعد موت لذريق[62]، فقد عمد دوق Duke كل منطقة على الاستقلال بناحيته، وتشير رواية الرازي أيضاً إلى أن حالة من الخوف والارتباك ضربت أطنابها في صفوف القوط، فاتخذت مدن البلاد المهمة مثل: قرطبة، وإشبيلية، وطليطلة، وماردة، والبيرة لها حكاماً أو «ملوكاً» مستقلين[63].

ولمنع القوط من أية محاولة لتوحيد صفوفهم، قرر طارق، آخذاً جوليان، أن يزحف إلى طليطلة عاصمة القوط الغربيين، وتذكر المصادر أن جوليان نصح طارق أيضاً بتفريق جيشه وإرسال عدّة حملات إلى مناطق أخرى من إسبانيا، وقد قبل طارق هذه النصيحة، وأرسل جيوشاً إلى مالقة والبيرة، ومرسية وقرطبة[64]. ويمكن قبول الرواية التي تشير إلى حملة طارق المرسلة إلى قرطبة بسبب الإشارات الكثيرة إلى قائد الحملة، وإلى أحداث الحملة نفسها، ومع هذا فهناك روايات أخرى تنسب قيادة هذه الحملة إلى طارق بن زياد نفسه[65]. ولكن يبدو من غير المعقول أن يقوم طارق بتقسيم قواته القليلة العدد في الوقت الذي كان ينوي فيه أن يتوغل بعمق في أراضي معادية يضاف إلى ذلك، فإن ابن الخطيب يروي بأن فتح كل البيرة ومالقة

---

(61) **أخبار مجموعة**، ص 9 ـ 10؛ ابن الأثير: 4/ 563؛ ابن عذاري (برواية الرازي): 2/ 8 ـ 9؛ المقري (برواية الرازي): 1/ 260.

(62) *Chr.* 754, p. 147. (no. 36)

(63) الرازي، نشر جاينجوس، ص 69؛ وقارن:

Livermore, p. 288.

(64) الرازي، نشر جاينجوس، ص 69؛ **أخبار مجموعة**، ص 9 ـ 10؛ **فتح الأندلس**، ص 9؛ ابن الأثير: 4/ 563؛ ابن عذاري: 2/ 9، 11؛ النويري: 22/ 27، قد 2؛ المقري (برواية الرازي): 1/ 260 ـ 261.

(65) قارن: ابن القوطية، ص 9؛ الرقيق، ص 76؛ ابن الشباط، ص 115 ـ 116؛ **الرسالة الشريفية**، ص 192.

هؤلاء. ومن المفيد في هذا المجال أن نلاحظ بأن هذه الاتهامات قد رفضت من قِبل المؤرخين اليهود باعتبارها أساطير معادية للسامية anti-Semitic Logends[75].

وقد اتبع طارق في طريقه إلى طليطلة الطريق الروماني القديم الذي يمر بمدنية جيان Jaén والذي يدعى هانيبال Anibal. فعبر نهر الوادي الكبير عند مَنْجيبار Mengibar، وتقدم إلى الشمال[76]. وعندما وصل إلى طليطلة، وجدها خالية إلاَّ من بعض اليهود وأن حاكمها قد انسحب إلى مدينة أخرى خلف الجبال. وقد سار طارق لملاحقة الهاربين مخلفاً وراءه بعض الجنود الذين تولوا بمساعدة اليهود، مسؤولية الدفاع عن المدينة، واتخذ طريق وادي الحجارة، فعبر السلسلة الجبلية المسماة Cerro de San Juan del Viso عند ممر سمي على اسمه بفج طارق[77]. وعندئذ وصل إلى مدينة خلف الجبل تسمى مدينة المائدة[78]، (استناداً إلى ما يذكره سافيدرا، فإن هذه المدينة هي قلعة هنارس Alcalá de Hanares التي تقع شمال شرقي مدريد)[79]. وهذا الاسم مشتق من «مائدة» عثر عليها طارق بن زياد، وهي كما يروى، تعود إلى

España y Portugal, Madrid, 1875-76, vol. I. p. 107, cit. Ashtor, op. cit., Vol. I. p. 22; A. Ballesteros y Beretta, *Historia de España: su influencia en la historia Universla,* vol. II, p. 107.

(75) Bare, op. cit., vol. I. p. 23; Ashtor, op. cit., vol. I. P. 22.

(76) المقري (برواية الرازي): 1/ 261؛ ابن الأثير: 4/ 563؛ النويري: 22/ 27، قد 2؛ قارن: Saaverda, pp. 78-79.

(77) من المحتمل أن هذا المكان يقع بالقرب من Bibtrak أو Buitrago وهي المدينة التي تشرف على الممر الجبلي الذي يصل بين قشتالة الجديدة وقشتالة القديمة، انظر: Gayangos, Vol. I. p. 533

(78) ابن القوطية، ص 9؛ **أخبار مجموعة**، ص 14؛ **فتح الأندلس**، ص 9؛ ابن الأثير: 4/ 564؛ ابن عذاري: 2/ 12؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 264 ـ 265؛ **الرسالة الشريفية**، ص 191.

(79) Saavedra, p. 79;

سليمان بن داود عليهما السلام[80]. ولكن ابن حيان ينكر هذا الادعاء ويذكر أن هذه المائدة صنعت من الذهب والفضة ومن معادن نفيسة أخرى، بتبرعات ومساهمة أغنياء القوط الغربيين لكنيسة طليطلة، واستخدمت من قبل القساوسة لحمل الأناجيل أيام الأعياد، وزينة توضع فوق مذابح الكنيسة[81]. والاحتمال الغالب أنها كانت مذبحاً لكنيسة طليطلة أكثر من كونها (مائدة) حقيقية، حملت إلى هذا المكان من قبل الهاربين والقساوسة[82]. وكان أسقف طليطلة نفسه سندر Sindered من بين الذين تمكّنوا من الهرب في أثناء الفتح ونجح فعلاً في الوصول إلى إيطاليا[83]. وعلى أية حال، فبعد افتتاح قلعة هنارس ووادي الحجارة، غنم طارق هذه «المائدة» مع الكثير من التحف الثمينة الأخرى. ولم يستمر في الفتوح إلى أبعد من هذا المكان، بل عاد إلى طليطلة في سنة 93هـ (المبتدئة بتشرين الأول 711م) وقضى فصل الشتاء هناك[84]. ومع هذا فهناك روايات أخرى تشير إلى أنه استمر في فتوحه، فوصل إلى جليقية Galicia واسترقة Astorga وما يجاورهما من مناطق[85]، الأمر الذي لا يمكن تصديقه، خاصة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار، اطلالة الشتاء، وصعوبة تضاريس المنطقة.

= وللمزيد من المعلومات عن أصل هذه المدينة، وعن حملة طارق إلى الشمال من طليطلة، انظر: Gayangos, Vol. I. pp. 533 - 535

(80) ابن عبد الحكم، ص 207؛ الإدريسي، ص 187 ـ 189؛ **أخبار مجموعة**، ص 15؛ **فتح الأندلس**، ص 9؛ ابن الأثير: 4/ 564؛ ابن عذاري: 2/ 12؛ النويري: 22/ 28، قد 2؛ الحميري، ص 5، 131 ـ 132.

(81) المقري (برواية ابن حيان): 1/ 272.

(82) قارن: **فجر الأندلس**، ص 78 ـ 79.

(83) *Chr.* 754, p. 147 (no. 35).

(84) **أخبار مجموعة**، ص 15؛ ابن الأثير: 4/ 564؛ ابن عذاري: 2/ 12؛ النويري: 22/ 28، قد 2؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 256؛ **الرسالة الشريفية**، ص 192.

(85) ابن القوطية، ص 9؛ ابن الأثير: 4/ 564؛ **الرسالة الشريفية** ص 192؛ النويري: 22/ 28، قد 2؛ المقري: 1/ 265.

لقد كان ردّ الفعل لنجاح حملة طارق عظيماً في شمال أفريقيا، فبعد سماعهم عن النصر الذي أحرزه طارق على لذريق، والغنائم الوفيرة التي حصل عليها، اتجه البربر نحو إسبانيا من كل صوب، وعبروا المضيق بكل ما وقعت عليه أيديهم من قوارب ومراكب. وبعد وصولهم مباشرة، بدأوا بالاستقرار في المناطق السهلة من البلاد، تلك التي هجرها السكان المحليون، الذين اضطروا إلى الالتجاء نحو القلاع والحصون، أو هربوا إلى المناطق الجبلية[86]. وعندما وصلت هذه الأنباء، وأحداث النجاح الباهر الذي حققه طارق في إسبانيا، إلى أسماع موسى بن نصير في القيروان، قرر أن يزحف بجيش عربي عظيم إلى شبه الجزيرة ليتمكن من السيطرة، على الموقف. وتذكر المصادر بأن طارقاً أسرع بعد انتصاره على قوات القوط الغربيين بإشعار موسى بن نصير بالنصر الذي أحرزه وربما كان قد سأله القدوم أيضاً بإمدادات جديدة[87]. ولكن موسى، على حد زعم الروايات، حسد طارقاً خشية أن يحصل وحده على غنائم الفتح وأمجاده، دون أن يبقى له شيئاً، لهذا فقد كتب إلى طارق يلومه على مبادرته بالهجوم دون تلقيه الأوامر منه، وأرسل إليه أيضاً تعليمات بعدم التحرك من مواقعه التي هو منها حتى يلحق به[88]. ولكن على الرغم من كل هذا، فإن طارقاً أهمل تعليمات موسى، وواصل سيره ليضمن القضاء على كل جيوب المقاومة القوطية، وبشكل خاص في طليطلة وما يجاورها.

وبعد ما يقارب السنة من مغادرة طارق لشمال أفريقيا، ألقى موسى مراسيه على الساحل الإسباني في رمضان سنة 93هـ/ حزيران ـ تموز 712م.

(86) المصدر نفسه (برواية الرازي): 1/ 259.

(87) **الإمامة والسياسة**، ص 124؛ قارن: **فجر الأندلس**، ص 89.

(88) ابن عبد الحكم، ص 207؛ البلاذري (برواية الواقدي)، ص 230 ـ 231؛ الرقيق، ص 76؛ **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 85؛ المراكشي، ص 7 ـ 8؛ ابن عذاري: 2/ 13؛ ابن خلدون: 4/ 254؛ المقري: 1/ 269.

وكان يرافقه جيش عربي يقدر عدده بنحو ثمانية عشر ألف رجل[89]. ومعظم هؤلاء كانوا من القبائل اليمانية[90]، وبقية العشائر العربية المختلفة الأخرى التي كانت موجودة فعلاً في شمال أفريقيا، وبشكل خاص في القيروان[91]. وضمت الحملة أيضاً أعداداً كبيرة من رجال قريش البارزين الذين كانوا في مناصب القيادة، إضافة إلى الإداريين ورجال الدين، وبقية القادة المحنكين من أمثال: محمد بن أوس الأنصاري، وحبيب بن أبي عبيدة النهري، وعبد الله بن مغيرة بن أبي بردة، وعياش ابن أخيل، وحنش بن عبد الله الصنعاني، وعبد الجبار بن أبي سلمة الزهري، وعلي بن رباح اللحمي[92]، وأبناء موسى نفسه، باستثناء واحد منهم، وهو عبد الله الذي تخلف في القيروان ليتولى مسؤولية ولاية أفريقية[93].

أقلع موسى بن نصير من مرسى موسى، قرب قرية تدعى بليونش، تقع على بعد ستة أميال من سبتة ونزل في ساحل الجزيرة الخضراء[94]. إن حملة

(89) **أخبار مجموعة**، ص 15؛ **فتح الأندلس**، ص 10؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 269؛ **الرسالة الشريفية**، ص 192؛ ويذكر ابن حبيب، ص 223؛ وكل من الرازي وعريب بن سعد أن موسى أبحر بعشرة آلاف رجل فقط، انظر: ابن الشباط، ص 116 ـ 117؛ ابن عذاري: 2/ 13؛ المقري: 1/ 277.

(90) **الجمهرة**، ص 430؛ **أخبار مجموعة**، ص 15؛ **فتح الأندلس**، ص 10؛ **الرسالة الشريفية**، ص 192؛ **الإمامة والسياسة**، ص 185.

(91) انظر استقرار العشائر العربية في القيروان في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(92) ابن عبد الحكم، ص 207؛ البكري، **مسالك**، ص 131 ـ 133؛ المالكي: 1/ 79؛ ابن الفرضي، ص 127؛ **معالم الإيمان**: 1/ 188؛ العذري، ص 22؛ **فتح الأندلس**، ص 13؛ الحميري، ص 4؛ المقري: 1/ 278، 288، 3/ 64.

(93) ابن عبد الحكم، ص 207؛ الرقيق، ص 76؛ ابن الشباط، ص 116؛ المقري (برواية الرازي): 1/ 277؛ **الإمامة والسياسة**، ص 124.

(94) ابن القوطية، ص 9؛ ابن الكردبوس، ص 49؛ **الاستبصار**، ص 137 ـ 138؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 269؛ انظر أيضاً:

Chr. 754, p. 147 (no. 35). Chr. 754, pp. 147-148 (no. 36); H. T. Norris «The early Islamic settlement in Gibraltar», *Journal of the Royal Anthropological Intitute of G. B. Glassgow*, 1961, vol. LXXXXI, p. 42.

موسى ونزوله على الساحل الإسباني وصفت بالتفصيل من قبل محمد بن موسى الرازي (ت 273هـ/ 886م)، في كتابه المفقود الموسوم، **بالرايات**[95] واقتبست لحسن الحظ من قِبل محمد بن مزين[96]. ويذكر الأخير مشيراً إلى كتاب محمد الرازي، أن جيش موسى كان يتكوّن من أكثر من عشرين وحدة، وكل وحدة كانت تحت راية وكانت اثنتان من هذه الرايات تحت قيادة موسى المباشرة، بينما تولى ابنه عبد العزيز قيادة راية ثالثة. أما بقية الرايات، فكانت بقيادة قواده من قريش ومختلف العشائر الأخرى. وكانت الحملة تضم أيضاً عشائر كثيرة أخرى دون أن تكون مصنفة تحت راية معيَّنة[97]. إن غرض موسى من تقسيم جيشه إلى وحدات تنضوي تحت رايات لا تتخذ التصنيف العشائري أساساً لها، يمكن أن يفسر بعدم وجود أعداد كافية من رجال القبائل العربية في كل عشيرة ليكونوا الوحدات الاعتيادية تبعاً للتقليد العربي المتبع في مثل هذه الحالات. وبهذه الطريقة أصبح بالإمكان ضم جماعات عديدة من مختلف العشائر ليقاتلوا بقيادة أي قائد يعيّنه موسى. يضاف إلى ذلك فإن هذه الرواية قد تدل أيضاً على أن موسى استخدم عدداً كبيراً من البربر في هذه الحملة، وذلك بضمهم تحت لواء هذه الرايات المختلفة. ولكن المصادر لا تشير إلى هذا لأنه من المتعارف عليه أنه طالما كان على رأس الجيش قادة عرب، فإن كل المقاتلين هم أيضاً من أصل عربي، وكما أسلفنا سابقاً، فإن موسى نفسه كان ميالاً إلى تجنيد البربر واستخدامهم في حملاته. ويرجع السبب في ذلك إلى علمه بأن رجال القبائل العربية في شمال أفريقيا كانت أعدادهم محدودة ولا يكفون للقيام بفتوح أخرى.

---

(95) راجع مقدمة هذا الكتاب.

(96) للاطلاع على رواية ابن مزين انظر: **الرسالة الشريفية**، ص 197 ـ 200؛ الغساني ص 99 ـ 102؛ **فتح الأندلس**، ص 13.

(97) الغساني، ص 99؛ **الرسالة الشريفية**، ص 197 ـ 198؛ **فتح الأندلس**، ص 13.

عسكرت الحملة قرب الجزيرة الخضراء لعدة أيام من أجل الراحة واتخاذ الاستعدادات العسكرية، وعندما قرر موسى السير، دعا قواده للاستشارة بشأن الطريق التي يجب سلوكها. وقد اتفق الجميع أن يبدأوا بمنطقة إشبيلية وبقية الأجزاء الغربية من البلاد التي لم تفتتح بعد على يد طارق بن زياد. وقبل أن يغادر موسى الجزيرة الخضراء، أمر بإرساء الحجر الأساس لبناء مسجد هناك تخليداً لذكرى حملته هذه، سمي بمسجد الرايات[98].

كان موسى تواقاً لأن يسلك طريقاً مغايرة للتي سلكها طارق من قبل، وقد أعرب عن رغبته هذه أمام بعض أتباع جوليان الذين كانوا أدلاء في حملته. فوعدوه بأن يأخذوه عبر طرق جديدة، ومدن أكثر غنى وسكاناً من تلك التي فتحها طارق، وهكذا يبدو بأن مسار الحملة قد تقرر من قبل موسى والأدلاء. فمروا بالقرب من المكان الذي انتصر فيه طارق على القوط، ثم زحفوا شمالاً إلى قرمونة Camona. ولقد كانت هذه المدينة قوية ومستعدة للصمود أمام حصار أية قوة معادية، ولكن موسى تمكّن من فتحها بواسطة حيلة حربية. فأرسل إليها بعض أتباع جوليان الذين أظهروا لأهل المدينة على أنهم أصدقاء جاؤوا فراراً من المسلمين، فسمح لهم القوط بدخول المدينة، ولكن ما إن حلّ الليل حتى فتح هؤلاء الأبواب للمسلمين الذين هجموا على الحراس وفتحوا المدينة وبعد ذلك تقدم موسى إلى قلعة رعواق (Alcalá de Guadaira) ففتحها[99]. ثم سار إلى إشبيلية التي قاومت هجوم المسلمين لعدة شهور ولكنها أخيراً فتحت عنوة، وفرت حاميتها إلى باجة Beja وترك موسى قوة من جنده، يساعدهم اليهود للدفاع عن المدينة،

---

(98) المصدر نفسه، ص 13؛ الغساني، ص 99؛ **الرسالة الشريفية**، ص 197 ـ 198.

(99) **فتح الأندلس**، ص 10، **الرسالة الشريفية**، ص 192؛ قارن: Lafuente y Alcàntara, «Indice geogràfico», pp. 17 - 18. (نُشر ملحقاً للترجمة الإسبانية لكتاب **أخبار مجموعة**)؛ Saavedra. p. 94.

ثم صار إلى ماردة Mérida[100] واستناداً إلى روايات أخرى فإن موسى لم يزحف مباشرة إلى ماردة، بل لاحق فلول المنهزمين غرباً إلى نبلة Niebla وأكشونبة ocsonoba (Faro) وباجة في جنوبي البرتغال[101]. ويمكن تصديق هذه الروايات لأنها تتفق مع هدف موسى في فتح عدد كبير من المدن. يضاف إلى ذلك فإنها تبرر المدة الطويلة التي أمضاها موسى في حملته حتى سقوط ماردة (شوال 94هـ/ تموز 713م)[102].

وبعد أن افتتح موسى كل من نبلة وأكشونبة وباجة، سار باتجاه ماردة، فاتحاً لقنت Fuente de Cantos في الطريق[103]. وكانت ماردة مدينة واسعة ذات قوة كبيرة، وقد أظهرت حاميتها والسكان التماسك والقوة والرغبة في المقاومة، فضرب عليها موسى الحصار، ولكن جنود القوط الغربيين خرجوا من المدينة وصدوا الهجوم العربي الإسلامي موقعين خسائر كبيرة بين صفوف المسلمين. وقد نصب لهم موسى كميناً في مقالع الحجر القريبة من المدينة، فنجح في زعزعتهم عن مواقعهم، واضطرهم للدخول ثانية إلى المدينة، ثم استمر في الحصار محاولاً هدم أسوار المدينة وذلك باستخدام آلة من آلات الحصار، تصفها المصادر بالدبابة، وأخيراً، وبعد مقاومة دامت عدّة أشهر استسلمت المدينة في شوال سنة 94هـ/ تموز 713م. وقد رافق هذا الاستسلام عقد معاهدة بين الطرفين، ضمنت للمسلمين الاستيلاء على ممتلكات وكنوز كنيسة المدينة، إضافة إلى ممتلكات القوط الذين قتلوا في أثناء الكمين،

---

(100) ابن القوطية، ص 9؛ **أخبار مجموعة**، ص 15 ـ 16؛ ابن الأثير: 4/ 564؛ ابن عذاري: 2/ 13 ـ 14؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 269.

(101) رواية ابن مزين، نقلها: الغساني، ص 99 ـ 100؛ **والرسالة الشريفية**، ص 198 ـ 199، انظر أيضاً، ص 192؛ **فتح الأندلس**، ص 13.

(102) cf. J. D. Garcia Domingues, op. cit., p. 218.

(103) ابن القوطية، ص 9؛ المقري: 1/ 270؛ وقارن:

Lafuente y Alcàntara, op. cit., p. 14; Saavedra. p. 94, (note 2); Dozy. p. 194, (note 3).

والذين كانوا قد ذهبوا إلى جليقية Galicia[(104)]. أما بالنسبة للسكان، فقد ضمنت المعاهدة لهم الأمان، وعدم التعرض بالأذى لأي فرد يقرر البقاء في المدينة، أو ينوي المغادرة إلى أي مكان آخر[(105)].

قبل أن نستمر في الكلام عن فتوحات موسى، من المستحسن التطرق إلى دور أبنائه، وبشكل خاص، دور عبد العزيز بن موسى في فتح شبه الجزيرة. إن هناك نقص في المعلومات، وأحياناً تناقض في الروايات التي تتعلق بذكر تواريخ وأماكن حملات عبد العزيز بن موسى. لقد أرسل موسى ابنيه عبد العزيز وعبد الأعلى إلى جنوب وجنوب شرق شبه الجزيرة. وكان هذا على الأغلب بعد سقوط مدينة إشبيلية، عندما اتجه موسى نفسه إلى الغرب. فاستطاع عبد الأعلى، وربما كان ذلك بمساعدة أخيه عبد العزيز، أن يفتتح كلاً من مالقة Málaga والبيرة Elvira[(106)]. وبعد ذلك توجه الأخير إلى المنطقة الجنوبية الشرقية من البلاد، حيث التقى قرب أورْيُولة Orihuela بالدوق Theodemir تدمير، حاكم هذه المقاطعة. كان هذا رجلاً ذا خبرة عظيمة وتقدير صائب للأمور، قاوم لفترة من الوقت هجوم المسلمين ولكنه توصل أخيراً إلى عقد معاهدة صلح معهم في رجب سنة 94هـ/ نيسان 713[(107)]. وبموجب هذه المعاهدة، التي ذكر تفاصيلها المؤرخون العرب، حصل تدمير على شروط مناسبة جداً للصلح، فقد اعتُرف به حاكماً على سبعة مدن تقع ضمن منطقته، وهي أوريولة Orihuela، بلانة Villena، لقنت Alicante، مولة Mula بقسرة Bigastro، ألة Ello، ولورقة Lorca، كما احتفظ

---

(104) الرازي، نشر جاينجوس، ص 78؛ **أخبار مجموعة**، ص 16 ـ 18؛ ابن الأثير: 4/ 564 ـ 565؛ ابن عذاري: 2/ 14 ـ 15؛ النويري: 22/ 28 ـ 29، قد 2؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 270 ـ 271.

(105) الرازي، نشر جاينجوس، ص 78.

(106) **الإحاطة**: 1/ 101؛ **الإحاطة**، م، مدريد (برواية الرازي)، ص 500؛ ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص 16؛ المقري: 1/ 275.

(107) **أخبار مجموعة**، ص 12 ـ 13; Chr. 754, p. 149 (no. 38)

بإدارته الداخلية لهذه المدن، شريطة أن يدفع جزية سنوية تقدر بدينار ذهبي واحد، مع كميات معلومة من القمح، والشعير، والخل، والعسل، والزيت، لكل فرد حر من أفراد رعيته، أما العبيد فتؤخذ عنهم نصف هذه الكمية. وقد وافق تدمير أيضاً بألاّ يقوم أحد من رعيته بتجاهل هذه المعاهدة أو الإخلال بشروطها، وألاّ يأووا للمسلمين آبقاً، ولا عدواً، ولا يكتموا عنهم خبراً يتعلق بأعدائهم. وبالمقابل فإنهم لن يقتلوا، ولن يسبوا أو يجردوا من ممتلكاتهم، أو يفرق بينهم وبين أولادهم ونسائهم وسوف يسمح لهم بممارسة شعائر دينهم، ولن تحرق كنائسهم[108].

ومن المؤسف أننا لا نمتلك تفصيلات كهذه عن أية معاهدة أخرى عقدها عبد العزيز أو موسى بن نصير نفسه. ومع هذا فإن هذا النوع من المعاهدات المتساهلة، ربما يشير إلى أن سياسة موسى كانت تهدف إلى خلق نوع من التعاون مع سكان البلاد في إدارتها بعد الفتح. وهذه السياسة ستمكنه أن يضع حامية صغيرة في كل مدينة مهمة، ويترك إدارة شؤونها الداخلية كما كانت من قبل دون تدخل في النظام الإداري للبلاد. وربما كان الدافع إلى اتخاذ هذه السياسة، هو ظروف موسى وقلة من معه من رجال القبائل العرب الذين لم يكن عددهم ليكفي للهيمنة على كل شبه الجزيرة وإدارتها. ومن الناحية الأخرى، فمن المحتمل أن طارقاً كان يفضل هدم كل النظام القوطي من أجل خلق استقرار ثابت للمسلمين في البلاد، خاصة وأن أعداد مؤيديه من البربر كانت كافية لهذا الغرض. ولكن موسى لم يكن ليرغب في أن يسيطر البربر سيطرة تامة على البلاد، وكان هذا سبباً آخر من

---

(108) الرازي: نشر جاينجوس، ص 78 ـ 79؛ الضبي، ص 259؛ العذري، ص 4 ـ 5؛ الحميري، ص 62 ـ 63، 151 ـ 152. وللإطلاع على المزيد من التفصيلات والمناقشات بشأن تدمير وظروف عقد هذه المعاهدة، انظر: **فجر الأندلس**، ص 112 ـ 117؛ Saavedra, pp. 128 - 129; Provençal. Vol. I. pp. 31 - 33; Livermore. p. 296; R. Hitchcock, «Muslim Spain (711 - 1492)» in: Spain a Companion to Spanish studies, ed P.E. Russell, Lindon, 1973, pp. 44 - 45.

أسباب الخلاف بين الاثنين. ومع هذا، فقد تمكن القائدان تجاوز خلافاتهما وحلها، ومن ثم الاستمرار في فتح البلاد، كما سنرى فيما بعد.

وبعد إقرار الأمور في المنطقة الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة، عاد عبد العزيز، أما حسب رغبته، أو لأنه استدعي من قبل والده بسبب اندلاع تمرد في إشبيلية. ولقد أيدت هذا التمرد عناصر قوطية جاءت من مدينيتي نبلة وباجة. فهاجموا الحامية الإسلامية في المدينة، وقتلوا ثمانين رجلاً، أما بقية أفراد الحامية، فقد فروا صوب معسكر المسلمين الرئيس محذرين موسى بن نصير، الذي كان ما يزال محاصراً لمدينة ماردة. وبعد الاستسلام النهائي لهذه المدينة، قاد عبد العزيز حملة إلى إشبيلية، وتمكن من إعادة فتحها بسهولة[109]. ثم سار بعد ذلك إلى نبلة وباجة، لتقوية حاميتيهما الإسلاميتين وقد أسندت قيادة حامية باجة إلى قائد عربي مشهور هو عبد الجبار بن أبي سلمة الزهري، الذي كان يتولى قيادة ميسرة جيش موسى بن نصير[110]. وقد عاد عبد العزيز إلى إشبيلية، ومن ثم إلى ماردة، حيث تولى القيادة العامة لكل الأراضي المفتوحة في هذه المنطقة. ويرى المستشرق البرتغالي غرسيه دومنجوس (J.D. Graciia Domingues) أن عبد العزيز ابتدأ من هنا حملته لفتح وسط البرتغال، في الوقت الذي كان فيه موسى وطارق يقومان بفتوحاتهما في الشمال، ففتح عدَّة مدن، وعقد معاهدات صلح مع يابرة Évora ولشبونة Lisbon وقلمرية Caimbra وشنترين Santarem[111].

---

(109) **أخبار مجموعة**، ص 18؛ ابن الأثير: 4/ 565؛ ابن عذاري: 2/ 15؛ النويري: 22/ 29، قد 2؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 271.

(110) المصدر نفسه: 3/ 64.

(111) Cf. Saavedra, p. 127; J.D. Garcia Domingues, op, cit., pp. 224 - 225; F.J. Velozo, «The Problem of Arabic-Islamic Influence in Portugues Civilization», *Journal of the Pakistan Historical Society*, XIV, 1966, p. 50.

انظر أيضاً: رواية ابن مزين عند الغساني، ص 100، **والرسالة الشريفية**، ص 200؛ وقارن: **فجر الأندلس**، ص 111؛ سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم**. ص 110.

توجه موسى إلى طليطلة بعد شهر من سقوط ماردة. وعندما سمع طارق بقدومه، خرج هو وقواده للترحيب به. ويُقال أن الملاقاة بين الاثنين حدثت في مكان يدعى المعرض Almaraz بين نهري تاجه Tajo والتيتار Tiétar، قرب طلبيرة Talavera غربي طليطلة[112]. وحسبما تروي المصادر فإن موسى أبدى ردّ فعل غاضب نحو طارق، وضربه بالسوط بسبب تجاوزه لحدود سلطته وإهماله لتعليمات موسى بعدم التحرك من مواقعه. ولكن طارقاً تمكّن من حسم القضية مع سيده، وأظهر نواياه الحسنة، وعرض على موسى كل ما أصابه من غنائم وكنوز في فتوحاته[113]. ويبدو أنه كان موفقاً أيضاً في إقناع موسى بوجهة نظره في الفتح، وبضرورة استقرار المسلمين الدائم في الأراضي المفتوحة. وهذا الأمر واضح جداً من التفاهم المتبادل، والتعاون المشترك الذي ساد بين القائدين خلال فتوحاتهما المشتركة المقبلة.

مضى موسى وطارق إلى طليطلة حيث قضيا فصل الشتاء هناك. وربما تمّ خلال هذا الوقت إرسال وفد إلى دمشق يتألف من مبعوثين مهمين، وهما مغيث الرومي، وعلي بن رباح اللخمي، وكانت مهمتهما هي نقل أخبار الفتح إلى الخليفة الوليد الأول[114]. وفي بداية ربيع عام 714م/ 94هـ، تحركت القوات المشتركة لموسى وطارق نحو الشمال الشرقي. فافتتحت سرقسطة Saragossa والمناطق المجاورة لها، واستمرت في التقدم في البلاد[115]. ووقع العديد من المدن الإسبانية الأخرى في يد المسلمين مثل

(112) ابن عبد الحكم، ص 207؛ **أخبار مجموعة**، ص 18؛ **فتح الأندلس**، ص 11؛ ابن عذاري: 2/ 16؛ **الرسالة الشريفية**، ص 193؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 271؛ وقارن: Saavedra, p. 98.

(113) **أخبار مجموعة**، ص 19؛ **فتح الأندلس**، ص 11؛ ابن الأثير: 4/ 565؛ ابن الشباط (برواية عريب) ص 121 ـ 122؛ ابن عذاري: 2/ 16؛ **الرسالة الشريفية**، ص 193؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 271.

(114) ابن عبد الحكم، ص 210؛ **الإمامة والسياسة**، ص 126؛ وقارن: Livermore, p. 297.

(115) Chr. 754. p. 148. (no. 36);

طركونة Tarragona وبرشلونة Barcelona ولاردة Lérida ووشقة Huesca، ولكننا لم نتوفر على أية معلومات بشأن الظروف التي رافقت هذه الفتوح، باستثناء أن وشقة دخلت في حوزة المسلمين بعد أن أبرموا معاهدة صلح مع أهلها[116]. ولقد أكد المؤرخ ابن حيان أن موسى عَبَرَ جبال ألبرت Pyrenese وتوغل في داخل فرنسا حتى وصل إلى أفنيون Avignon ونهر الرون Rhone[117]. ويقول مؤرخون إرب آخرون أن موسى أراد أن يكمل زحفه عبر أوربا حتى يصل إلى القسطنطينية عن طريق الغرب[118]. ولكن لم يرد أي ذكر لهذه الفتوح في الحوليات المسيحية المعاصرة، لذلك لا يمكن تصديق مثل هذه الخطة الخيالية التي تفتقر إلى توفر الأدلة على صحتها.

لا تتوفر إلاّ معلومات قليلة جداً عن فتوحات موسى بن نصير وطارق بن زياد في مناطق الشمال والشمال الغربي في إسبانيا. ومع هذا، فيمكن للمرء أن يتوصل على الأقل إلى الخط العام لسيرها، وذلك حسب الحقائق المتوفرة. فبعد سقوط سرقسطة وفتح الجزء الأكبر من منطقة الشمال الشرقي، قرر موسى أن يفتتح مناطق قشتالة القديمة Old Castille أو Castilla La Vieja. وكما يرى المستشرق الإسباني سافيدرا فإن موسى ربما كان قد قسَّم قواته إلى قسمين: أسندت قيادة الأول إلى طارق بن زياد، أما الثاني فظل تحت إمرة موسى نفسه[119]. ومضى طارق بمحاذاة الجهة الشمالية

أخبار مجموعة، ص 19؛ ابن الأثير: 4/ 565؛ ابن عذاري: 2/ 16 ـ 17؛ النويري: 22/ 29، قد 2؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 273؛ وقارن:

R. de Abadal. «El Paso de Septimania del dominio godo al franco a través de la invasion Sarracena 720 - 768», pp. 9 - 10.

(116) **التكملة**، نشر الأركون، ص 279 ـ 280؛ العذري، ص 56 ـ 57؛ الحميري، ص 195.

(117) المقري (برواية ابن حيان): 1/ 273 ـ 274.

(118) ابن حبيب، ص 227؛ الحميري، ص 27؛ ابن خلدون: 4/ 255؛ المقري: 1/ 277؛ السلاوي: 1/ 99؛ **الإمامة والسياسة**، ص 137 ـ 138.

(119) قارن: **فجر الأندلس**، ص 104؛ سالم، المرجع السابق، ص 102؛ Saavedra. pp. 114-115.

لوادي نهر الإبرة Ebro فهاجم منطقة الباسك Basque. ثم سار ففتح أماية Amaya واسترقة Astorga وليون Léon[120]. ومن الجدير بالملاحظة أن بعض المؤرخين العرب يعتقدون خطأ بأن هذه المناطق وقعت تحت سيطرة طارق في أثناء فتوحه الأولى في سنة 92هـ/ 711م[121].

سار موسى ببقية الجيش إلى الجنوب من وادي الابرة فافتتح حصن باروس Villabaruz في محافظة بلد الوليد Valladolid ثم تقدم إلى لك Lugo. ومن هنا باشر بإرسال عدّة حملات صغيرة إلى المناطق المجاورة حتى صخرة بلاي Pena de Pelayo على المحيط الأطلسي[122]. وفي أثناء هذه الفتوحات، كان كل من طارق وموسى يقومان بوضع حاميات إسلامية في المناطق المحررة. وقد ورد ذكر إحدى هذه الحاميات في **حولية ألفونسو الثالث** Chronicle of Alfonso III التي تشير إلى أن منوسة Munnuz، أحد أصدقاء طارق، كان قد عُهد إليه بقيادة حامية مدينة خيخون Gijon التي تقع على ساحل المحيط الأطلسي[123]. ونظراً لأصل منوسة البربري[124]، ولصداقته لطارق، لذلك يحتمل أنه أرسل من قبل الأخير، وليس من قبل موسى.

ويحتمل أن تكون فتوحات موسى بن نصير قد غطت مناطق أخرى إضافة إلى جليقية Galicia والأشتوريش Asturias. وهناك على سبيل المثال ستة مدن تحمل اسم موسى بن نصير، تقع في القسم الشمالي من البرتغال.

---

(120) ابن القوطية، ص 9؛ **أخبار مجموعة**، ص 15؛ ابن الأثير: 4/ 564؛ النويري: 22/ 28، قد 2؛ المقري: 1/ 265؛ **الرسالة الشريفية**، ص 192.

(121) راجع فتوحات طارق الأولى في هذا الفصل.

(122) ابن الأثير: 4/ 566؛ النويري: 22/ 29، قد 2؛ المقري: 1/ 276؛ وقارن: **فجر الأندلس**، ص 105؛ Saavedra, p. 117; Sànchez - Albornoz, «Itinerario de la conquista de España par los musulmanes», p. 69.

(123) *Alfonso III*, p. 612.

(124) *Chr.* 754, p. 155 (no. 58).

ولهذا السبب يرى المستشرق البرتغالي غرسية دومنجوس أن فتوحات موسى لا بدَّ وأن تكون قد امتدت إلى هذا المكان، ويحتمل أيضاً أنه التقى بابنه عبد العزيز في شمالي البرتغالي[125]، ولكن لا يوجد لدينا أدلة مدونة تدعم مثل هذا الادعاء، وعلى أية حال، فلقد تمكّن موسى وطارق من تحرير معظم جليقية والأشتوريش وتعقبا الفلول الأخيرة لجيش القوط الغربيين واضطروا للفرار حتى جبال كانتبرية Cantabrian mountains. وبعد هزيمة هذه البقايا، اعتقد القائدان أنهما قد أنهيا المقاومة القوطية، وأنه لا حاجة لهما لتتبع الأعداد الضئيلة الباقية من المنهزمين[126].

وصلت أنباء فتوحات موسى بن نصير وعزمه على التوغل بعمق في شبه الجزيرة الأيبيرية إلى مسامع الخليفة الوليد الأول، عن طريق مغيث الرومي، وعلي بن رباح اللخمي، اللذين وصلا لإعلامه بخبر الفتح، كما أسلفنا قبل قليل. ويبدو أن الوليد خشي من النتائج التي ستترتب على هذه الفتوحات الواسعة، وأدرك أن أي استقرار للعرب في إسبانيا لا بدَّ، إما أن يكون على حساب شمال أفريقيا ومصر، أو أن الخلافة يجب أن تلجأ إلى استخدام الجنود السوريين، كما سيحدث فيما بعد. ومن المحتمل أنه فكّر بقبول سياسة موسى في الاعتماد على سكان البلاد في إدارتها بعد الفتح، ومع هذا فإن الحقيقة التي تشير إلى عدم وجود أعداد كافية من العرب بحيث يمكن إرسالهم للاستقرار في تلك البلاد الواسعة جعلته يمتنع عن قبول سياسة موسى. يضاف إلى ذلك، فإن موسى الذي كان بعيداً عن مركز الحكومة في دمشق، تصرف باستقلالية، وقاده طموحه العسكري وشغفه بالفتوح، كما يبدو إلى تخطي سلطة الخلافة. لذا فقد أعاد الخليفة مغيثاً إلى

---

(125) J. D. Garcia Domingues, op. cit., 228-229.

(126) **أخبار مجموعة**، ص 28؛ ابن عذاري: 2/ 12 ـ 13؛ ابن خلدون: 4/ 386؛ المقري: 3/ 17، 4/ 350 ـ 351.

إسبانيا ليأمر كلاً من موسى وطارق بالحضور إلى مقابلته[127]. فوصل مغيث عندما كان موسى يتهيأ لمغادرة سرقسطة ومنطقة الشمال الشرقي إلى الشمال الغربي من البلاد. وكان فتح شبه الجزيرة ما يزال ناقصاً، لذلك فقد تلكأ موسى في إطاعة الأمر في الحال. وتذكر المصادر أنه حاول التأثير على مغيث بأن عرض عليه نصف حصته من الغنائم، ودار الإمارة في قرطبة (الذي سيعرف فيما بعد ببلاط مغيث)، ليؤجل مغادرته حتى يتم مشروعه في الفتح. وقد وافق مغيث على هذا، وسار معه إلى جليقية[128]، وفي هذه الأثناء كان الخليفة قلقاً على مصير الجيوش الإسلامية في إسبانيا وعلى تأخر جواب رسوله الأول إلى موسى، فأرسل مبعوثاً ثانياً يدعى أبو نصر[129]، ليمنع موسى من الاستمرار في الفتح ويجبره على الرجوع في الحال[130]. وقد وصل الأمر بالاستدعاء الثاني إلى موسى عندما كان في (لك Lugo) فقرر مغادرة البلاد. وفي طريقة التقى بطارق الذي كان عائداً من حملة له على منطقة أراغون Aragon في الثغر الأعلى، فسار الاثنان معاً إلى طليطلة. أما غالبية جنودهما ففضلوا البقاء في المدن والأرياف المفتوحة، حيث استقروا وأقاموا منازلهم[131]. ومرّ موسى بطليطلة وقرطبة في طريقه إلى إشبيلية حيث عيّن هناك ابنه عبد العزيز والياً على الأندلس، وترك معه مساعدين من أمثال حبيب بن أبي عبيدة الفهري، أحد أحفاد عقبة بن نافع

---

(127) **فتح الأندلس**، ص 14؛ ابن الأثير: 4/ 566؛ ابن الشباط، ص 123؛ النويري: 22/ 29، قد 2؛ ابن خلدون: 41/ 556؛ المقري: 1/ 275 ـ 276؛ **الرسالة الشريفية** (برواية الرازي) ص 204؛ السلاوي: 1/ 99.

(128) **فتح الأندلس**، ص 14؛ ابن الشباط، ص 123؛ المقري: 1/ 276؛ **الرسالة الشريفية**، ص 204 ـ 205.

(129) يرى جاينجوس أن مغيثاً وأبا نصر هما شخص واحد، وأن لقب أبي نصر ما هو إلا كنية كني بها مغيث حينما عاد إلى المشرق، انظر: Gayangos, Vol. I. p. 546.

(130) ابن الأثير: 4/ 566؛ **فتح الأندلس**، ص 14 ـ 17؛ ابن الشباط، ص 123؛ النويري: 22/ 29، قد 2؛ المقري: 1/ 276.

(131) المصدر نفسه (برواية ابن حيان): 1/ 276.

الفهري، وكثيراً من القادة المسلمين الآخرين مع رجال عشائرهم ليدافعوا عن البلد ويحموه[132]. وقد اختار موسى إشبيلية عاصمة للبلاد، وذلك بسبب قربها من البحر والمضيق، كما جعلها أيضاً قاعدة بحرية للمسلمين في الأندلس[133].

وكانت مغادرة موسى من إشبيلية إلى شمال أفريقيا في ذي الحجة سنة 95هـ/ أيلول 714م، يصحبه كل من طارق بن زياد، والمبعوثين مغيث وأبي نصر، وقد أخذ معه كميات هائلة من الغنائم، والأسرى، والهدايا الثمينة من الذهب والفضة واللؤلؤ، كما حمل أيضاً «المائدة» المشهورة وكثيراً من الكنوز الإسبانية الأخرى. وقبل مغادرته لشمال أفريقيا عين ابنه عبد الملك حاكماً على طنجة، وأقر ابنه الأكبر عبد الله على ولاية أفريقية[134]. وعندما وصل إلى دمشق كان الخليفة الوليد مريضاً، فمثل موسى بحضرته، لكن الوليد لم يقابله مقابلة حسنة، بسبب تماديه في سياسته في أثناء فتح إسبانيا، وتباطئه في إطاعة أوامر الخلافة[135]. وبعد أقل من شهرين على وصول موسى، توفي الوليد الأول في الخامس عشر من جمادي الثانية سنة 96هـ/ الخامس والعشرين من شباط سنة 715م، وخلفه في الحكم أخوه سليمان بن

---

(132) **أخبار مجموعة**، ص 19؛ **فتح الأندلس**، ص 17؛ ابن الأثير: 4/ 566؛ المراكشي، ص 8؛ ابن عذاري: 2/ 23؛ النويري: 22/ 29، قد 2؛ ابن خلدون: 4/ 255؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 276؛ **الرسالة الشريفية**، ص 210.

(133) **أخبار مجموعة**، ص 19؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 276، **الرسالة الشريفية**، ص 210.

(134) *Chr.* 754, pp. 148-149, (no. 40);
ابن حبيب، ص 231 ـ 232؛ ابن عبد الحكم، ص 210؛ الرقيق، ص 82، 88؛ **أخبار مجموعة**، ص 19؛ **فتح الأندلس**، ص 18؛ ابن الأثير: 4/ 566؛ ابن الكردبوس، ص 50؛ ابن الشباط، ص 123؛ ابن عذاري: 2/ 18 ـ 19، 44؛ ابن خلدون: 4/ 256؛ المقري (برواية ابن حيان): 1/ 277؛ **الإمامة والسياسة**، ص 138.

(135) *Chr.* 754, p. 149, (no. 40); الرقيق، ص 89؛ ابن الأثير: 4/ 566؛ النويري: 22/ 30، قد 2؛ ابن الكردبوس، ص 50.

عبد الملك. وكان سليمان مستاء أيضاً من موسى، فتروي المصادر أنه حينما اقترب الأخير من بلاد الشام، كتب إليه سليمان يأمره بتأخير وصوله إلى دمشق حتى يموت الخليفة الوليد، وبذلك يتسنى لسليمان الحصول على الكنوز التي جلبها موسى معه، وينال فخر الفتح لنفسه. لكن موسى أهمل طلب سليمان، وتقدم إلى دمشق[136]. ومع هذا فإن سبب غضب سليمان على موسى، كما يبدو لا علاقة له بهذه المسألة الشخصية، وهو يعود بالدرجة الأولى إلى سياسة سليمان العامة، وإلى ما قام به موسى من أعمال عندما كان والياً على شمال أفريقيا، وفي أثناء فتح إسبانيا. فالخليفة سليمان لم يكن يحبذ سياسة الفتوحات الواسعة ولهذا فإن طريقة موسى في الفتح والإدارة لا يمكن أن تنال موافقته[137]. وقد اتهم الأخير باتهامات عديدة منها أنه لم يكن عادلاً في اقتسام الغنائم، وأنه تصرف في حصة بيت المال، أي أموال الأخماس. وقد أيد هذه التهم كل من طارق ومغيث، وكان من حسن حظ موسى أن تدخل يزيد بن المهلب لمصلحته ونجاه من العقاب الصارم، فشفع له عند الخليفة، الذي اكتفى بأن فرض عليه فقط دفع غرامة مالية كبيرة إلى بيت المال[138]. وعلى الرغم من الإشارات المتكررة في المصادر إلى أن العلاقة بين سليمان وموسى قد تحسنت إلى درجة كبيرة حتى إنهما ذهبا سوية لتأدية فريضة الحج[139]، فإن سليمان لم يغيّر موقفه من سياسة موسى

---

(136) المصدر نفسه، ص 50؛ ابن عذاري: 2/ 20؛ المقري: 1/ 280 ـ 281؛ **الإمامة والسياسة**، ص 143 ـ 145.

(137) cf. Shaban, op. Cit. Vol. I. pp. 127 ff.

(138) *Chr.* 754, p. 149. (no. 40);

ابن عبد الحكم، ص 211؛ الرقيق، ص 91، **فتح الأندلس**، (برواية الرازي)، ص 15؛ **أخبار مجموعة**، ص 29 ـ 30؛ ابن الأثير: 4/ 566؛ ابن عذاري: 2/ 21؛ النويري: 22/ 29 ـ 30، قد 2؛ **الرسالة الشريفية**، ص 214؛ المقري: 1/ 279 ـ 280، 284؛ **الإمامة والسياسة**، ص 147.

(139) ابن عبد الحكم، ص 213؛ ابن عذاري: 2/ 21 ـ 22؛ **الإمامة والسياسة**، ص 153 ـ 154، 156، 169، 178، 179، 182.

في شمال أفريقيا والأندلس. فعزل ابنه عبد الله بن موسى عن ولاية أفريقية، وعيّن مكانه محمد بن يزيد القريشي. وتنفيذاً لتعليمات سليمان، فإن عبد الله، وجميع أقارب وأصدقاء موسى في شمال أفريقيا، قد عوملوا معاملة سيئة من قبل الوالي الجديد[140]. وبالنسبة إلى الأندلس، فقد ذكر أكثر من مصدر واحد، أن سليمان كان وراء عملية اغتيال عبد العزيز بن موسى والي الأندلس[141]. ومهما يكن من أمر، فقد توفي موسى عندما كان في طريقه إلى مكة عام 97هـ أو 98هـ/ 715م أو 716م[142].

ولوهلة قصيرة بدا واضحاً أن سليمان بن عبد الملك كان يميل إلى تفضيل طارق بن زياد، فقد طلب نصيحة مغيث الرومي بشأن مدى نفوذه وتأثيره على المسلمين في الأندلس، ولكن مغيثاً أثار مخاوف الخليفة حين قال له: لو أن طارقاً «أمر أهلها بالصلاة إلى أي قبلة شاءها لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا»[143]. وعلى الأغلب، فقد كان هذا سبباً مقنعاً للخليفة ليصرف النظر عن تعيين طارق في ذلك المنصب. ويمكن أن يفسر هذا الأمر أيضاً على أن الخلافة الأموية خشيت من ازدياد نفوذ البربر في الأندلس. ولم نتوفر على معلومات أخرى عن حياة طارق بن زياد، فقد توفي مغموراً في طي النسيان.

---

(140) ابن عبد الحكم، ص 213؛ الرقيق، ص 94؛ ابن عذاري: 1/ 47؛ ابن خلدون: 4/ 403؛ المقري: 280.

(141) ابن عبد الحكم، ص 212؛ الرقيق، ص 95 ـ 96؛ ابن عذاري: 2/ 24 ـ 25؛ ابن خلدون: 4/ 556؛ المقري: 1/ 281؛ **الإمامة والسياسة**، ص 170 ـ 173.

(142) ابن عبد الحكم، ص 213؛ المقري: 1/ 287؛ **الإمامة والسياسة**، ص 184، 186 ـ 187.

(143) المقري: 3/ 13.

الفصل الرابع

الاستقرار المبكر للمسلمين في إسبانيا

قبل البدء بالحديث عن الاستقرار والنظام الذي اتبعه المسلمون للسكن في إسبانيا، يحسن بنا أن نوضح بعض المصطلحات التي استعملها المؤرخون والجغرافيون لوصف أماكن الاستقرار، أو لتحديد التقسيمات الإدارية. فقد بدأ العرب والبربر بالاستقرار في الأراضي المفتوحة وذلك بعد انتصارهم الأول على القوط الغربيين مباشرة. ولم يكن هؤلاء في ذلك الوقت المبكر يعرفون الكثير عن التقسيمات الإدارية لإسبانيا، كما لم يكن لديهم الوقت الكافي للتفكير في أمرها. ولهذا فقد أطلقوا على الأماكن التي اتخذوها لأنفسهم كلمة عربية بسيطة، وهي «جزء»، مثال ذلك جزء البكريين، جزء اللخميين، وجزء البربر[1]. كما استخدموا أيضاً الكلمات «رَبع» و«منازل»، وذلك للإشارة إلى أماكن جماعات معيَّنة من الأفراد، مثل ربع اليمن[2]، أي منطقة سكن اليمنيين ومنازل الأنصار[3]، أي مناطق استقرار الأنصار.

---

(1) العذري، ص 120؛ ياقوت: 2/ 132.

(2) العذري، ص 90.

(3) **الإحاطة**: 1/ 182.

أما بالنسبة للأماكن التي كانت باقية في أيدي السكان المحليين، فقد دعاها المسلمون بأسمائها الأصلية نفسها مع تحريف بسيط لتناسب النطق العربي. وبعد المراحل الأولى للاستقرار، ألف المسلمون الطريقة التي كانت مقسمة بها البلاد إدارياً. وكما أسلفنا من قبل، فإن التقسيم الإداري الذي كانت عليه البلاد هو روماني الأصل[4]. فالمدينة كانت هي النواة لهذا التقسيم، يتبعها عادة مدن صغيرة ومناطق أخرى. وتكوِّن المدينة مع توابعها هذه وحدة إدارية ومالية مستقلة. وقد أقر المسلمون هذا التقسيم وساروا عليه كما حافظوا على أسماء هذه المناطق، باستثناء تلك التي اتخذوها مقراً لاستقرارهم، فقد أطلقوا عليها أسماء عربية، أو سموها بأسماء أبرز الظواهر الجغرافية في المنطقة. ودعوا كل وحدة من هذه الوحدات بالإقليم.

وقد ظلت التسميات العربية الأولى مثل جزء، وربع، ومنازل، في الاستخدام. وفي بعض الأحيان، كما يقول ياقوت، فإن كلمة «جزء» كانت تستعمل لتشير إلى الإقليم[5]. ولكن من المحتمل جداً أن هذه «الأجزاء» كانت تستخدم على أنها أملاك مشاعة للاستخدام العام، وبشكل خاص لرعي الجمال والماشية قرب مناطق الاستقرار الرئيسة للعشائر، وتفسير ياقوت لكلمة «جزء» يؤيد هذا الاستنتاج[6].

وعلى الرغم من أن ياقوت يصف الإقليم في الأندلس على أنه قرية كبيرة جداً مع ما يحيطها من مناطق، فإنه يبدو أن الإقليم ربما كان أكبر من ذلك بكثير. وتبعاً لوصف العذري لإقليم سرقسطة وأماكن أخرى، فإن الباحث يجد أن بعض هذه الأقاليم يمتد نحو أربعين ميلاً، وبعضها يغطي مساحة واسعة جداً، مثل إقليم الشرف، غربي إشبيلية، الذي يشتمل، كما

(4) انظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

(5) ياقوت: 2/ 132.

(6) المصدر نفسه: 3/ 23.

يذكر العذري، على ثمانية آلاف قرية[7].

ومع هذا فإن هذه الأقاليم تختلف في حدودها ومساحتها؛ فالبعض يضم قرى يصل عددها إلى سبع عشرة قرية، بينما تضم الأقاليم الأخرى عدداً أكبر من القرى. ويروى المؤلف المجهول لكتاب **ذكر بلاد الأندلس**[8]، أنه كان لقرطبة خمسة عشر إقليماً ويحتوي كل واحد من هذه الأقاليم على قرى عديدة وحصون وأبراج[9]. ومن الواضح أن هذه التقسيمات تعود إلى العهود الرومانية والقوطية، وأنها لم تكن مجرد منشآت عسكرية، بل كانت مراكز إدارية مأهولة ومحصنة. ويختلف مفهوم الحصن بشكل اختلافاً كبيراً في المصادر ولكن يمكن التعرف على عدد محدد من الأنواع.

إن بعض هذه الحصون ربما كان يقابل الـ Castrum القوطية، وهي المدينة المحصنة التي تقع على مكان مرتفع، وكان لها حوزها الخاص بها[10]. ومثال ذلك مدينتي أوريولة Orihuela وشاطبة Játira[11]. وهناك نوع آخر من الحصون التي تختلف كثيراً عن الـ Castrum القوطية. فالعذري، على سبيل المثال، يدعو مدينة تطيلة Tudela بحصن على الرغم من أنها تقع في منطقة منخفضة[12]. وهو أيضاً يصف أحد هذه الحصون التي تعود إلى مدينة وشقة Huesca على أنها كانت مسورة وكان هناك العديد من الطواحين التي تعمل صيفاً وشتاء بين البيوت والسور. ويمتاز هذا المكان أيضاً بتوفر العديد من أشجار الفاكهة والزيتون[13]. ويذكر الحميري أيضاً حصوناً أخرى لا تقع

(7) العذري، ص 23 ـ 24، 96؛ الحميري، ص 101.

(8) لقد سبقت الإشارة إلى هذا المصدر في المقدمة.

(9) **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 33 ـ 35، (رقم 558) ص 43 ـ 45.

(10) cf. *Totius Iatinitatis Lexicon* (The Universal Latin Lexicon), by James Bally, London, 1828, Vol. I. p. 321; see also: Thompson, p. 222.

(11) العذري، ص 4، 19، 119.

(12) المصدر نفسه، ص 28.

(13) المصدر نفسه، ص 56.

ضمن الأنواع التي ذكرت في أعلاه وهي مدن محصنة كان لها قرى عديدة ومصادر طبيعية غنية، مثل أشجار الفاكهة، والبلوط، والزيتون، ويدعو الحميري بعض هذه الأماكن باسم «مدينة» في بعض الأحيان وباسم «حصن» في أحيان أخرى، مثل أركش Arcos de la Frontera في محافظة قادس[14]، وَبَرْبَشْتُرُ Barbastro في محافظة وشقة Huesca[15]، وبذة Huete في محافظة كونيكا Cuenca[16]، وقيشاطة Quesada في محافظة جيان Jáen[17]. ومن الناحية الأخرى يوسع ياقوت من مفهوم هذه الحصون فهو يشير إلى حصون لها ولايات وقرى مثل حصن كركي Caracuel، الذي يتبع أوريط Oreto، جنوبي قلعة رباح[18]. ويقول أيضاً إن بيطرة كانت مدينة وحصناً، وأنها كانت تتبع سرقسطة[19]. وأخيراً فقد كانت هناك حصون أخرى، وهي بالأصل قواعد رومانية وقوطية وتحتوي على الكثير من الآثار. ومن أهم الأمثلة على هذه الحصون، حصن مُرْبِيْطر Murviedro شمالي بلنسية[20]، وحصن أرنيت Arnedo في محافظة لوكرونيو Logrono[21]، وحصن بُبَشْتُرُ Bobastro في محافظة مالقة[22]، حصن بَطْرَوْش Petroche في محافظة قرطبة[23]، وحسن بَنْشكُلَه Peniscola في محافظة قسطليون Castellon de la Plana[24].

---

(14) الحميري، ص 14، الترجمة الفرنسية، ص 20، هامش (1).

(15) المصدر نفسه، ص 39، الترجمة الفرنسية، ص 50، هامش (3)؛ انظر أيضاً: البكري، **مسالك**، ص 92؛ ياقوت: 1/ 370 ـ 371.

(16) الحميري، ص 194، الترجمة الفرنسية، ص 236، هامش (1).

(17) المصدر نفسه، ص 165، الترجمة الفرنسية، ص 198، هامش (3).

(18) ياقوت: 4/ 454.

(19) المصدر نفسه: 1/ 532.

(20) الحميري، ص 180 ـ 181، الترجمة الفرنسية، ص 217؛ انظر أيضاً: ياقوت: 5/ 99، حيث يطلق عليه اسم (مدينة).

(21) الحميري، ص 14، الترجمة الفرنسية، ص 20، هامش (2).

(22) المصدر نفسه، ص 37، الترجمة الفرنسية، ص 46، هامش (3).

(23) المصدر نفسه، ص 45، الترجمة الفرنسية، ص 57، هامش (6).

(24) المصدر نفسه، ص 56، الترجمة الفرنسية، ص 70، هامش (3).

وعندما يتوسع الحصن ويصبح أكبر حجماً يطلق عليه اسم قلعة، وهي مدينة كبيرة محصنة؛ مثال ذلك قلعة أيوب Calatayub وقلعة رباح Calatrava[25]. وأرجونة Arjona[26]. وهذه المدن المنيعة لها حصونها الخاصة بها، مثل حصن شَلْبَطرَّة Salvatietra الذي كان يتبع قلعة رباح[27].

أما مصطلح «البرج» الذي ذكر من قبل المؤلف المجهول لكتاب **ذكر بلاد الأندلس**، فربما كان المقصود به القرى الاستيطانية العسكرية القوطية، والتي كانت تسمى باللاتينية Burgus (Burgo بالقشتالية). وتعني هذه الكلمة قرية أو مستوطنة تعتمد على مستوطنة أكبر منها. ولا شك أن هذه المستوطنة الكبيرة هي الـ Castrum أو الحصن القوطي الذي أسلفنا ذكره[28].

وهناك العديد من المصطلحات والتعبيرات الأخرى التي تتعلق بالاستيطان في الأندلس. ومعظم هذه الأسماء اشتق من اللاتينية، والقشتالية القديمة، أو من اللغات الأيبيرية القديمة. وقد استعمل المؤرخون والجغرافيون المسلمون هذه الأسماء لتعيين أماكن عديدة أو عن الإشارة إلى ظواهر جغرافية. وعند تسمية بعض مناطق وأجزاء إسبانيا التي تعود إلى جماعة من العرب أو البربر، استعمل المسلمون كلمات مثل تيبل، وقنب[29]. وقد اشتقت الكلمة الأولى من Tabula (الكلمة القشتالية هي Tablar) التي تعني مساحة من الأرض مزروعة بالأشجار والنباتات[30]. أما كلمة قنب فقد اشتقت من Campus اللاتينية (الكلمة القشتالية هي Campo)

---

(25) ياقوت: 4/ 390 ـ 391؛ الحميري، ص 163.

(26) المصدر نفسه، ص 12.

(27) المصدر نفسه، ص 108، الترجمة الفرنسية، ص 132، هامش (2).

(28) cf. *Totius Latinitatis Lexicon*, Vol. I. p. 269; *Diccionario de la Lengua EspaÎola*, Real Academia EspaÎola, Madrid, 1925. p. 194.

(29) العذري، ص 90.

(30) F. J. Simonet, *Glosario de Voces ibericas Latinas usadas entre los mozarabes*, reprint of Madrid edition, 1888, Amsterdam, 1967, p. 521.

التي تعني أية أرض يمكن زراعتها. وهي مرادفة لكلمة «الفحص» العربية[31]. ويوضّح ياقوت بطريقة مشابهة هذه الكلمة فيذكر أنها أي مكان يمكن سواء كان سهلاً أو جبلاً[32]. ومع هذا فقد أصبحت كلمة «الفحص» أسماً لكثير من الأماكن في الأندلس مثل إقليم الفحص الذي يتبع إشبيلية وفحص البلوط، شمال غربي قرطبة[33]، وفحص شنقنيرة Sangonera قرب لورقة Lorca. وكان هذا الأخير سهلاً يشتهر بالخصوبة وبإنتاج القمح، وهو يمتد نحو أربعين ميلاً من لورقة إلى قرطاجنة على الشاطئ[34]. ومن الكلمات اللاتينية الأصل الأخرى التي استعملت لتعيين مناطق الاستيطان في إسبانيا، «براجلة» أو «برجلات» (ومفردها برجيلة أو برجالة)، و«تاجرات» (مفردها تاجرة)، و«بشارات» (مفردها بشارة)[35]. إن كلمة «براجلة» مشتقة من barcella وParcella اللاتينية (وهي من Particella أي الجزء الصغير)، وتعني Barcella قطعة غير محددة من الأرض. ومن الإسبانية الحديثة استخدمت كلمة Parcella لتشير إلى المناطق التي تقع على منحدرات جبال سيرانيفادا Sierra Nevada في محافظة غرناطة[36].

وربما تكون «تاجرة» هي الكلمة اللاتينة نفسها Tosca التي تعني الأجمة، والكلمة القشتالية المقابلة هي atocha، وهي الأرض التي ينمو فيها نبات الحلفاء[37]. أما كلمة «بشارة» فهي مشتقة من الكلمتين اللاتينيتين boscus وboscalia (بالقشتالية boscaje وبالإسبانية الحديثة bosque) والتي تعني

(31) Ibid., p. 83.

(32) ياقوت: 4/ 236.

(33) المصدر نفسه: 4/ 236.

(34) العذري، ص 2 ـ 3؛ ياقوت: 3/ 368.

(35) **الجمهرة**، ص 280؛ العذري، ص 92؛ **الإحاطة**: 1/ 96، 135، 163.

(36) Simonet, *Glosario*, pp. 34-35.

(37) Ibid., pp. 24, 536.

غابة صغيرة[38]. واستعملت كلمة أخرى مشابهة وهي «شارات» (مفردها شارة)، كمصطلح للدلالة على المناطق الجبلية[39]، وهي مشتقة من كلمة Serra اللاتينية (الكلمة القشتالية هي sierra) وهي تعني سلسلة جبلية[40].

وللعديد من هذه الأسماء أهمية كبيرة جداً في توضيح مظاهر الاستقرار. فقرية كنتش معافر، على سبيل المثال، تعني قرية الخمس لقبيلة معافر العربية المعروفة، لأن كلمة (كنتش) تعني الخمس في كلا اللغتين اللاتينية والإسبانية (quintus, quinto). وهذا يوضح أحد الأسس التي تمّ بموجبها الاستقرار في الأراضي التي تعود للخلافة كما سنرى فيما بعد[41]. وكذلك فإن اسم قرية بلة نوبة البحريين (من اللاتينية Villa Nova أي القرية أو المدينة الجديدة) يشير إلى التأثير الروماني والقوطي في الاستقرار الإسلامي الجديد في إسبانيا[42]. وتظهر كلمة «أُرش» العربية التي استخدمت لتسمية منطقة بجانة Pechina باسم إقليم أو جزء أُرش اليمن، بأن بعض مناطق الاستقرار على الرغم من تأخرها النسبي في الزمن كانت قد أعطيت لمستوطنيها منحة أو هبة، لأن الحميري يقول أن كلمة «أُرش» يعني العطية أو النحلة[43].

واستعملت كلمات لاتينية أخرى، وعربية أصيلة في التعبير عن أماكن ومظاهر الاستقرار. فكلمة «بلاط» على سبيل المثال اشتقت من palatium

(38) Ibid., pp. 56-57.

(39) **الإحاطة**: 1/ 11.

(40) Simonet, *Glosario*, p. 514.

(41) قارن: ابن القوطية، 64؛ Simonet, *Glosario*, pp. 474-475; See also: p. 206.

(42) قارن: ابن القوطية، ص 26؛ Simonet, *Glosario*, p. 566; See also: p. 234.

(43) الحميري، ص 37. وتعني هذه الكلمة أيضاً الغرامة التي تدفع إلى شخص ما تعويضاً عما يصيبه من جروح، انظر: ابن المنظور، **لسان العرب المحيط**، نشر: يوسف خياط، ونديم مرعشلي، بيروت، دار لسان العرب: 1/ 46 ـ 47.

اللاتينية، التي تعني قصراً فخماً تحيط به مزرعة كبيرة[44]. وعلى الرغم من أن كلمة «قصر» العربية تعني عادة البيت الواسع الضخم ، فقد استعملت في الأندلس لتسمية بعض المدن مثل، قصر باجة، وقصر أبي دانس، وقصر كتامة[45]. ومن المحتمل أن استعمال هذه الكلمة ضمن هذا المعنى الخاص وكذلك استعمال كلمة «مدينة» قد تم في مراحل متأخرة من الاستقرار حتى بدأ المسلمون بتأسيس بعض المدن الجديدة وأطلقوا عليها ببساطة اسم «مدينة» مثل مدينة سالم ومدينة بني عامر[46].

ومن الملاحظ أن بعض جماعات المستقرين، وبشكل خاص في المناطق التي لم تقسم من قبل موسى بن نصير، نجحت في المراحل المتقدمة من الفتح في السيطرة على مناطق تصل في مساحتها إلى حد إقليم واسع أو جزء كبير، مثل إقليم همدان، الذي أصبح بحوزة رجال القبائل العرب من عشيرة همدان اليمانية[47]. وهناك أمثلة عديدة على هذه الحالة، مثل إقليم بني أسد، وإقليم ربع اليمن، وإقليم اليمانيين، وإقليم قنب قيس، وإقليم برجيلة قيس، وإقليم تيبل بني هود، وإقليم تيبل بني أوس، وجزء بني أمية، وجزء أُرش اليمن في كورة البيرة[48]، وإقليم كنانة، وإقليم زناتة وجزء مصمودة في كورة بلنسية[49]، وجزء البربر، وجزء خشين في كورة الجزيرة الخضراء[50]، وإقليم لماية في كورة رية[51]. وفي بعض الأحيان أمتلك واحد أو اثنان من الأفراد جزء أو إقليماً كاملاً، مثال ذلك جزء

---

(44) Simonet, *Glosario*, p. 415, See also: p. 198.

(45) ياقوت: 4/356، 362، انظر أيضاً: ص 263.

(46) انظر استقرار عشيرتَيْ عقيل ومصمودة في الأندلس.

(47) العذري، ص 90.

(48) المصدر نفسه، ص 90، 92.

(49) المصدر نفسه، ص 20.

(50) المصدر نفسه، ص 120.

(51) الحميري، ص 170.

زغيبة بن قطبة وياسين بن يحيى العذريين في كورة البيرة[52]. وإقليم زيدون في كورة سرقسطة[53]، وإقليم سمح في كورة بلنسية[54].

وبطبيعة الحال، لم تتمكن كل جماعة أو عشيرة سواء كانت عربية أو بربرية من النجاح في الحصول على ممتلكات بهذا الشكل الواسع. فلقد كان العديد من المستقرين أقل حظاً ولم يتمكنوا من السيطرة على شيء اللهم إلاّ قرى صغيرة أو مناطق فقيرة. ربما يعود السبب في ذلك إلى قلّة عددهم أو دخولهم المتأخر إلى الأندلس ولعل هذه الأوضاع كانت من أحد الأسباب المهمة للصراع وعدم الاستقرار الذي حدث في عصر الولاة ـ خاصة بعد وصول جماعات من القادمين الجدد الذين كانت حاجتهم ماسة إلى أماكن للاستقرار، بينما رفض المستقرون الأوائل (البلديون) أن يتخلوا عن ممتلكاتهم. يضاف إلى ذلك فقد كان هناك جماعات استطاعت أن تهيمن على أماكن غنية جداً بالمعادن وبقية المصادر الطبيعية الأخرى، مثال ذلك بعض المدنيين، الأنصار، الذين سيطروا على منطقة تسمى شوش الأنصار في كورة إشبيلية[55]. وكان هذا المكان منجماً للملح لأن كلمة «شوش» التي اشتقت من Salsus اللاتينية (Salso بالقشتالية القديمة) تعني الملح. ويوجد في المنطقة ذاتها أيضاً وادياً يسمى بوادي شوش أو نهر شوش Guadajoz[56]. وسيطرت جماعات أخرى تنتمي إلى خولان وغافق على منطقة مشابهة غنية بالملح في إقليم الملاحة في كورة البيرة[57]. ولقد كان إقليم الشرف الذي

---

(52) العذري، ص 90.

(53) المصدر نفسه، ص 24.

(54) المصدر نفسه، ص 20.

(55) **الجمهرة**، ص 343، 364، 365.

(56) انظر أيضاً Simonet, *Glosario*, p. 586; Madoz, Vol. VIII, p. 601.؛ **أخبار مجموعة**، ص 110؛ **المقتبس**، تحقيق: الحجي، ص 129.

(57) الخشني، **طبقات المحدّثين**، مخطوط في المكتبة الملحقة بالقصر الملكي في الرباط، رقم 6916، الورقة 150أ.

يقع غربي إشبيلية مأهولاً من قبل مختلف العشائر العربية بسبب خصوبته وزيتونه الجيد. ويروى أنه كانت هناك ثمانية آلاف قرية مزدهرة في هذا الإقليم، الذي سمي باسم الشرف بسبب موقعه المرتفع والمشرف على إشبيلية[58]. وكذلك فإن التربة الخصبة ومزارع الكروم المتوفرة في سهل لورقة Lorca جذبت العديد من رجال القبائل العربية للاستقرار. ولكن من الناحية الأخرى فإن هذه العوامل الإيجابية ذاتها خلقت الأسباب الكافية للصراع على اقتسام هذه المصادر الغنية والسيطرة عليها[59].

أولاً: استقرار القبائل العربية:

إذا ما استثنينا المستقرين الأوائل البلديين والداخلين الجدد من السوريين الشاميين، فإن عدد العرب الذين دخلوا الأندلس بعد الفتح كان قليلاً. ويتكون هؤلاء من بعض الأفراد الذين عبروا بصورة منفردة، وكذلك الرجال الأربعمائة الذين رافقوا الحر بن عبد الرحمن الثقفي والي الأندلس (98 ـ 100/ 716 ـ 718). ولا توجد لدينا معلومات عن هؤلاء باستثناء أنهم جاءوا من شمال أفريقيا[60]. وكذلك ليس لدينا تفصيلات عن رجال القبائل العرب الذين رافقوا السمح بن مالك الخولاني، الذي دخل الأندلس وتولى ولايتها سنة 100/ 718.

يضاف إلى هؤلاء ثلاثون رجلاً آخر من قبيلة كلب، وهم الذين رافقوا أبا الخطار الكلبي الذي جاء إلى الأندلس وأصبح والياً عليها في سنة 125 ـ 127/ 742 ـ 744[61].

(58) قارن: العذري، ص 96؛ ياقوت: 3/ 337؛ الزهري، **كتاب الجغرافية**، تحقيق: محمد حاج صادق، ص 89/ 218؛ الحميري، ص 101 ـ 102.

(59) العذري، ص 2 ـ 3، 6.

(60) **فتح الأندلس**، ص 23؛ ابن عذاري: 2/ 25؛ المقري: 3/ 14.

(61) ابن القوطية، ص 19.

أ ـ المستقرون الأوائل، البلديون:

المستقرون الأوائل هم الفاتحون الذين تغلبوا على دولة القوط الغربيين واستقروا مباشرة في الأراضي المفتوحة، وبشكل خاص، على امتداد الطريق التي سلكها كل من طارق بن زياد وموسى بن نصير في إثناء فتوحاتهم الشاملة[62]. وكان هؤلاء المستقرون يعدون أنفسهم المالكين الوحيدين للبلاد، ولهذا فقد سُمّوا بالبلديين أي أهل البلاد وأصحابها. ولم يستقر هؤلاء البلديون تبعاً لأية ترتيبات وضعها موسى بن نصير. فلقد حصلوا على أراضيهم عنوة، وكانت قوة السلاح هي العامل الرئيسي في تقسيم الأرض في الأندلس[63]. ومن جهة أخرى يذكر محمد بن مُزين معتمداً على **كتاب الرايات** لمحمد بن موسى الرازي[64]، بأن موسى بن نصير قسّم فعلاً أراضي الأندلس. واستناداً إلى قول ابن مزين فإن هذا التقسيم حدث بعد اكتمال الفتح. وتبعاً للتقليد الإسلامي المتبع في الفتوحات، واحتفظ موسى بحصّة الخلافة من الأراضي وهي الخمس، ووزع الباقي بين جنوده، ويقال أيضاً إنه خصص العديد من السبي ليزرعوا أراضي الخمس ويبقوا فيها. وكان على هؤلاء أن يدفعوا ثلث محصولهم للمسلمين، وأصبحوا يسمون بالأخماس Quinteros؛ وكذلك عرف أبناؤهم ببني الأخماس أما بالنسبة للمسيحيين الذين اعتصموا في المعاقل المنيعة والمناطق الجبلية، فيضيف ابن مزين، بأن موسى بن نصير أقرهم على ممتلكاتهم وديانتهم شريطة أن يدفعوا الجزية

(62) ابن عبد الحكم، ص 206، ابن عذاري: 2/ 11، 12، 15، 23؛ العذري، ص 4؛ **فتح الأندلس**، ص 17؛ المقري: 1/ 276، 290؛ **الرسالة الشريفية**، ص 210.

(63) ابن حزم، **رسالة التلخيص لوجوه التخليص**، نشرها: آسين بلاثيوس، انظر:
Asín Palacios, «Un códice inexplorado del cordobés Ibn Hazm», *Al-Andalus,* **II**, 1934, p. 36;
وانظر أيضاً: الداوودي، **كتاب الأموال**، الورقة 17؛ مجهول، **كتاب الجغرافية في مساحة الأرض**، مخطوط في المكتبة الوطنية بمدريد، رقم 4999، ص 23 ـ 24؛ **الدرّة النثيرة**، الورقة 29أ.

(64) سبقت الإشارة إلى هذا المصدر في المقدمة.

للمسلمين. وسميت الأرض التي ظلت بحوزة هؤلاء باسم أرض الشمل أو أرض الصلح. ويختتم ابن مزين هذه الرواية بالقول، إن موسى قسَّم كل الأراضي التي افتتحت عنوة في الأندلس باستثناء ثلاث مناطق وهي شنترين Santarén وقلنبرية Coimbra في الغرب وشية في الشرق[65].

ويصعب بطبيعة الحال قبول الرواية التي تنسب إلى موسى إنجاز تقسيم كل أراضي شبه الجزيرة الايبيرية. ويذكر ابن مزين نفسه في رواية أخرى أن موسى قسَّم فقط أجزاء من البلاد قبل أن يعود إلى المشرق[66]. وتتضح هذه الحقيقة مما نعرفه عن فتوحات موسى في الأندلس. وكما أسلفنا في الفصل السابق[67]، فإن موسى عقد معاهدة مع أهالي ماردة خولته حق الاستيلاء على ممتلكات الذين قتلوا والهاربين إلى جليقية. ومن الواضح أن قسماً من جيش موسى استولى على هذه الممتلكات، واستقر في الأراضي المهجورة. ومن المحتمل جداً أن بقية أتباع موسى فعلوا الشيء نفسه، واستقروا في العديد من الأماكن الأخرى، سواء تم عقد معاهدات مع أهلها أم لم يتم ذلك، وبشكل خاص في جنوبي إسبانيا، ووادي نهر الوادي الكبير، ووادي نهر آنة، وبعض الأماكن الأخرى في المناطق الشمالية التي تمّ فتحها عنوة. أما في شرقي إسبانيا فقد عقد عبد العزيز بن موسى معاهدة الصلح مع تدمير، فانتظم بموجبها استقرار المسلمين وعلاقاتهم مع السكان النصارى في المنطقة[68]. وهناك بعض الإشارات المتأخرة إلى أن العمل بهذه المعاهدة

---

(65) انظر: الغساني، ص 100؛ **الرسالة الشريفية**، ص 199. ومن المحتمل أن شية = Chia التي كانت تقع في محافظة وشقة بين سرقسطة ومدينة وشقة، انظر: Madoz, Vol. VII, p. 320. وفي الترجمة الإسبانية **للرسالة الشريفية**، ص 172 يجعل خوليان رايبيرا مدينة شية = Ejea في محافظة سرقسطة الحالية، وقارن: Madoz, Vol. 11, pp. 451-452.

(66) الغساني، ص 101.

(67) راجع فتح موسى بن نصير لمدينة ماردة في الفصل الثالث.

(68) راجع تفاصيل معاهدة الصلح التي عقدها عبد العزيز بن موسى مع تدمير في الفصل الثالث.

استمر إلى وقت طويل بعد الفتح[69]، ولكن **الحولية اللاتينية لسنة 754م** تقول بأن أبا الخطار، والي الأندلس بدأ بالضغط على اثناخيلد Athangild ابن تدمير، وذلك بعد وفاة والده بأن أجبره على دفع كمية كبيرة من النقود إلى بيت المال[70]. ويمكن أن يكون لهذه الحقيقة صلة بالتنظيمات التي رتبها أبو الخطار للشاميين عندما أسكن قسماً منهم في تدمير (مرسيه)[71]. كما يمكن أن تشير أيضاً إلى انتهاء الاتفاق الذي تمَّ بين عبد العزيز وتدمير في منطقة مرسيه. وقد استسلم العديد من المناطق الأخرى إلى المسلمين بموجب معاهدات صلح مثل مدينة وشقة Huesca[72]. فقد وافق النصارى في هذه المناطق على دفع الجزية وتسليم قسم من أراضيهم إلى المسلمين[73].

كان البلديون بصورة عامة راضين من هذه الوضعية، ومع ذلك رجع بعضهم مع موسى إلى دمشق من أجل أن يحصلوا على مصادقة الخليفة على ممتلكاتهم الجديدة في الأندلس. وقد وافق الخليفة الوليد الأول على ذلك، ومنح الذين لم يكونوا راضين منهم إقطاعات أخرى من الأرض ـ على الأغلب من خمس الخلافة الذي تمت قسمته في أثناء وجود موسى في الأندلس[74].

وعندما أصبح عمر بن عبد العزيز خليفة في دمشق (99 ـ 101/ 717 ـ 719) اهتم كثيراً بشؤون المسلمين في الأندلس. ولقد حاول في أول الأمر ـ تبعاً للسياسة العامة التي تبناها في المشرق ـ أن يأمر بالانسحاب الكامل من

---

(69) **كتاب الجغرافية في مساحة الأرض**، ص 23 ـ 24؛ **الدرّة النشيرة**، الورقة 29أ؛ الزهري، المصدر السابق، ص 100 ـ 101 / 207 ـ 208.

(70) *Chr.* 754, p. 149, (no. 39).

(71) راجع استقرار الشاميين في تدمير.

(72) العذري، ص 65 ـ 67؛ الحميري، ص 195؛ **التكملة**، نشر الأركون، ص 279 ـ 280.

(73) الغساني (برواية الرازي) ص 104.

(74) رواية ابن مزين، انظر المصدر السابق ص 100 ـ 101؛ **الرسالة الشريفية**، ص 200 ـ 201.

البلاد. ولما أدرك صعوبة تحقيق مثل هذا الأمر وجه جل اهتمامه إلى الاعتناء بشؤونها الداخلية. فعيّن من قبله مباشرة والياً جديداً، وأوصاه أن ينهي المهمة التي ابتدأها موسى بن نصير، وهي تقسيم الأرض، من أجل أن يحدد أراضي خمس الخلافة ويحافظ عليها. وعندما وصل الوالي الجديد، السمح بن مالك الخولاني، إلى الأندلس مع بعض أتباعه رفض البلديون أن يسمحوا لأي من هؤلاء القادمين الجدد أن يشاركوهم في أراضيهم، وأن يسكنوا فيما بينهم. يضاف إلى ذلك، فلقد توجه جماعة يمثلون هؤلاء البلديين إلى دمشق، يشكون إلى الخليفة، ويهددون بالانسحاب من الأندلس وإخلائها فيما لو حاول أتباع السمح بن مالك أن يستقروا في أراضيهم. ولقد حلّ الخليفة هذه المشكلة أيضاً بأن منح أتباع السمح إقطاعات أخرى من حصة الخلافة[75]. وأصبح هذا الإجراء هو الطريقة المثلى لإسكان أية جماعات صغيرة أخرى من العرب تدخل فيما بعد إلى الأندلس[76].

استمر السمح بن مالك في إنجاز مهمة تقسيم الأرض، فابتدأ بقرطبة ونواحيها محدداً أحد القصور التي تقع جنوبي المدينة ليكون جزءاً من خمس الخلافة. وهناك روايات تشير إلى أن قرطبة كانت قد قسمت في أثناء عهد موسى بن نصير، وأن هذه المنطقة التي تقع جنوبها بالذات، احتسبت بالإضافة إلى مناطق أخرى ضمن حصة الخلافة[77]. وكان بلاط مغيث أحد هذه المناطق التي أعطيت إلى مغيث الرومي من قبل موسى بن نصير. وكان هذا البلاط قصراً كبيراً تحيط به مزرعة واسعة تحتوي على العديد من أشجار الزيتون وأشجار الثمار الأخرى، وكان يدعى أُلسَّانة، ويمتلكه سابقاً أحد نبلاء القوط، الذي وقع في أسر مغيث في أثناء افتتاح مدينة قرطبة[78]. وبناءً

---

(75) المصدر نفسه، ص 202 ـ 203؛ الغساني، ص 101 ـ 102.

(76) راجع استقرار عشيرة معافر بالأندلس.

(77) **الرسالة الشريفية**، ص 201 ـ 202، 204؛ **أخبار مجموعة**، ص 21.

(78) المصدر نفسه، ص 21؛ **الرسالة الشريفية**، ص 204، 205.

على أوامر الخليفة عمر بن عبد العزيز حوّل السمح بن مالك المنطقة الواقعة إلى الجنوب من قرطبة إلى مقبرة عامة للمسلمين[79]. وتذكر الروايات أن السمح أرسل رجالاً ليقوموا بمهمة تقسيم الأراضي في مناطق متعددة أخرى[80]. ولكن لا تتوفر معلومات إضافية عن طبيعة هذه المهام أو نتائجها. ويذكر ابن القوطية أن الخليفة عمر أرسل إلى جانب السمح بن مالك رجلاً آخر يدعى جابراً، الذي لا تتوفر عنه أية تفصيلات، ليتولى مسؤولية تقسيم الأرض[81]. وهذا الإجراء محتمل جداً، كما توجد عليه أدلة وسوابق في أماكن أخرى من الدولة العربية، ففي العراق، على سبيل المثال، عيّن الخليفة سليمان بن عبد الملك، صالح بن عبد الرحمن، ليمثله ويتولى مسؤولية الخراج والضرائب، من أجل إحكام السيطرة على الشؤون المالية للولاية وحفظها لصالح الخلافة[82]. وعلى أية حال فقد توقفت عملية تقسيم الأرض في الأندلس نظراً لوفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز (101/ 719) وكذلك وفاة واليه السمح بن مالك الذي استشهد في معركة قرب مدينة طولوشة Toulouse في عام 102/ 721. وظلت وضعية الأرض وسيادة البلديين دون تغيير. حتى وصول السوريين، وولاية أبي الخطار الكلبي، حين تطلبت الظروف إيجاد أراض جديدة لاستقرار القادمين الجدد من القبائل الشامية.

وكان البلديون يتألفون بشكل عام من رجال العشائر العربية الذين ينتمون إلى مختلف قبائل اليمن. ومع ذلك فقد كانت قلّة منهم تنتمي إلى عشائر أخرى من مضر وربيعة. وتتوفر لحسن الحظ معلومات كثيرة ودقيقة عن بعض هؤلاء البلديين، ومناطق استقرارهم. ومع هذا فمن الصعب العثور

(79) **فتح الأندلس**، ص 24 ـ 25؛ ابن عذاري: 2/ 26؛ **الرسالة الشريفية**، 207؛ الغساني (برواية الرازي) ص 103 ـ 104.

(80) **أخبار مجموعة**، ص 24؛ **الرسالة الشريفية**، ص 207.

(81) ابن القوطية، ص 12 ـ 13.

(82) الطبري: 2/ 1306 ـ 1307.

على مادة موثوقة في المصادر تساعد في البت، دون أي شك، على أن بقية أفراد هذه العشائر كانوا بلديين فعلاً. ولكن يمكن التغلب على هذه المشكلة بالدراسة المستفيضة لأصول هذه العشائر وأماكن استقرارها وبمقارنتها مع بقية المجموعات الأخرى من العشائر العربية، أي الشاميين.

الأنصار:

لقد تحدث علماء الأنساب كثيراً عن الأصل اليمني للأنصار، وذلك بسبب عدم تمييزهم بين القبائل اليمنية الحقيقية، والقبائل الأخرى التي يُطلق عليها اسم يمانية، ولكن علاقتها باليمن هي في الحقيقة علاقة أسطورية فقط، مثال ذلك العلاقة التي تربط الأنصار وغسان باليمن.

رافق بعض الأنصار، المدنيين، موسى بن نصير إلى الأندلس. وقد عهد موسى إلى أحدهم وهو عيسى بن عبد الله الطويل، بمهمة توزيع الغنائم في أثناء فتح الأندلس[83]. وكان المدنيون يتوزعون في مختلف أماكن شبه الجزيرة الايبيرية، ولكن مناطق استقرارهم الرئيسة «منازل الأنصار» كانت تقع في منطقة سرقسطة[84]. وكان الخزرج من بين هؤلاء المدنيين الذين دخلوا الأندلس بقيادة أحفاد سعد بن عبادة، أحد أصحاب الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام. ويذكر الرازي أن اثنين من أحفاد سعد بن عبادة، أحد أصحاب الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام. ويذكر الرازي أن اثنين من أحفاد سعد استقرا في الأندلس؛ الأول في منطقة تاكرُونا[85]، والآخر في قرية (غير معروفة) قرب سقرسطونة، التي كانت تقع في مقاطعة أرجونة Arjona، في محافظة

(83) ابن عبد الحكم، ص 211؛ الحميدي، ص 299؛ **التكملة**، نشر الأركون، ص 237.

(84) الأنصاري، تحقيق: ابن شريفة، بيروت، قد1، 1/ 223: **الإحاطة**: 1/ 182.

(85) لا توجد في الوقت الحاضر مدينة في إسبانيا تدعى بهذا الاسم، ولكن منطقة تاكرونا القديمة تشمل الآن المنطقة الجبلية التي تحيط بمدينة رندة، التي تقع على بعد نحو مائة كيلومتر إلى الغرب من مالقة، انظر: الحميري، ص 62، الترجمة الفرنسية، ص 78، هامش (3)؛ ياقوت: Dozy, *Recherches*, Vol. II. p. 43.

جيان Jaén الحالية. ومع ذلك فإن الرازي لم يذكر لنا اسمي هذين الرجلين[86]. أما ابن حزم، فقد كان أكثر وضوحاً، فهو ينص على أن الحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة استقر في قربلان، وهي قرية قرب سرقسطة[87]. بينما سكن بنو عرموم وبنو هارون، من نسل قيس بن سعد بن عبادة، في شذونة وقرطبة[88]. وقد انتقل أعقاب هذين الرجلين من منطقتهما الأصلية إلى مناطق أخرى، مثل قرطبة والبيرة ثم غرناطة[89]، وطليطلة[90]، وطرطوشة Tortosa[91]، وشارقة Jérica (في محافظة قسطليون الحالية). وكانت هذه المنطقة مسكونة من قبل جماعات مشهورة من الأنصار، لذا فقد أصبحت تعرف باسم قلعة الأشراف Castillo de la nobles Jerifes[92]. ويرجع بنو الأحمر، حُكام غرناطة آخر الممالك الإسلامية في الأندلس، في أصلهم إلى شجرة نسب هذه الأسرة، فهم ينتسبون في قيس بن سعد بن عبادة، وكانوا بالأصل من منطقة أرجونة في محافظة جيان الحالية[93].

---

(86) **الإحاطة** (برواية الرازي): 2/ 92 ـ 93؛ الحميري، ص 12، الترجمة الفرنسية، ص 17؛ ياقوت: 1/ 144. ولم اتمكن من تحديد موقع سقرسطونة.

(87) **الجمهرة**، ص 365؛ قارن: الأنصاري، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1965، قد1، 5/ 250.

(88) **الجمهرة**، ص 365 ـ 366، 354؛ انظر أيضاً: ابن بشكوال: 2/ 450.

(89) **التكملة**، ط. القاهرة (برواية الرازي): 2/ 508، 786 ـ 787؛ ابن الأبّار، **المعجم**، نشر: فرنسسكو كوديرا، مدريد، 1885، ص 178 ـ 179.

(90) ابن القوطية، ص 30؛ **التكملة**، نشر الأركون، ص 200؛ **صلة الصلة**، ص 80.

(91) ابن الأثير: 6/ 117؛ ابن عذاري: 2/ 62؛ النويري: 22/ 21، قد1.

(92) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 44، 423، 2/ 511 ـ 512؛ ابن الأبّار، **المقتضب من تحفة القادم**، اختيار إبراهيم بن محمد البلفيقي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1957، ص 81؛ الأنصاري: 1/ 129 ـ 130، قد1، 5/ 652، قد2، 6/ 33؛ وقارن:
Julían Ribera y Tarragó, «Las tribus árabes en Valencia», *Disertactiones y Opúsculos,* 1928, II. p. 211; Asín Palacios, *Contribución a la tomponimia árabe de España,* Madrid, 1944, p. 115.

(93) ابن خلدون: 4/ 366؛ **الإحاطة**: 1/ 377، 2/ 13؛ المقري: 1/ 294، 447، انظر أيضاً: الحميري، ص 12، الترجمة الفرنسية، ص 17.

واستوطن مدنيون آخرون من الأوس والخزرج في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة. وكان بعضهم يسكنون قرب المدن الكبيرة، حيث كان لهم أماكن وقُرى منفصلة مثل جزء الأنصار قرب طليطلة[94]، وقرية شوش الأنصار قرب إشبيلية[95]، وإقليم تيبل بني أوس قرب البيرة[96]. وتشير ثروة هذه المواقع وغناها إلى مدى أهتمامات هذه الجماعات من الأنصار في اختيار مناطق الاستقرار. وقد عاش بنو أبي عيسى بن جابر بن عتيك، وبنو ربيع في قرطبة[97]. بينما سكن مدنيون آخرون في قرطبة نفسها أو في المناطق المجاورة لها. ومن هؤلاء بنو خبيب، وبنو قطين، الذين استقروا في قرية اختيانة قرب قبرة Cabra، التي تبعد نحو سبعين كيلو متراً جنوب غربي قرطبة[98]. وعاش في هذه المنطقة أيضاً أحفاد حيان الأنصاري من الأوس، الذي استقر أولاً في آروش Aroche (في محافظة ولبة Huelva الحالية)[99].

ومن المحتمل جداً أن خصوبة منطقة قبرة وكثرة أشجار الزيتون فيها، كانت من العوامل المساعدة التي دفعت هؤلاء الأقوام إلى اختيارها وتفضيل

---

(94) المقري (برواية ابن غالب): 1/ 294؛ انظر أيضاً: **أخبار مجموعة**، ص 99؛ ابن عذاري: 2/ 49؛ المقري: 3/ 35.

(95) **الجمهرة**، ص 343، 364 ـ 365.

(96) ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص 19؛ انظر أيضاً: ابن الأبّار، **المعجم**، ص 241 ـ 242.

(97) **الجمهرة**، ص 333، 341 ـ 342.

(98) لم اتمكن من التوصل إلى معرفة اللفظ الإسباني المقابل لقرية اختيانة. انظر: المصدر السابق، ص 363؛ الحميري: ص 149 ـ 150؛ ابن غالب، ص 282؛ انظر أيضاً: ابن عذاري: 2/ 34؛ صاعد، ص 91؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 14؛ الأنصاري: 1/ 372 ـ 373، قد1، 5/ 536، قد2.

(99) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 287 ـ 288، وعن مدينة اروش Aroche انظر: ابن غالب، ص 290، الذي يشير إلى أنها كانت تتبع منطقة باجة؛ انظر أيضاً: Madoz, Vol. II. pp. 590-591.

السكان فيها[100]. ومن الأماكن التي استقر فيها الأنصار قلعة رباح Castillo de Calatrava la Vieja[101]، ووادي الحجارة Guadalajara[102]، وأندة Onda، وسوريون Sorrion في الشرق[103]، أما في الغرب، فقد عاش بنو الحبيب في شلب Silves، جنوبي البرتغال الحالية[104].

الأزد:

استعرض بعض أفراد هذه القبيلة في أكثر من مكان واحد في الأندلس، ولكن تركّز استيطانهم كان في منطقة تدمير في محافظة مرسيه الحالية، التي كانت غنية بالمعادن خاصة الفضة والرصاص[105]. وكان يعيش بن عبد الله الأزدي، أحد قادة الأزد، من بين العديد من القادة المشهورين الذين شهدوا على معاهدة الصلح التي عقدت بين عبد العزيز بن موسى وتدمير Theodemir[106]. وسكن بنو دوس، وهم فرع من الأزد، في تدمير نفسها، وكان أشهر هؤلاء شاهر بن زرعة وبنو هارون بن زرعة[107]. واستمر العديد من الأسر الأزدية الشهيرة الأخرى في العيش في مرسية لقرون بعد الفتح الإسلامي للأندلس[108]. واستقر بنو وهيب أولاً في لورة Illora (في محافظة

---

(100) قارن: الحميري، ص 149.

(101) **الجمهرة**، ص 341؛ السلفي، **أخبار وتراجم أندلسية**، اختيار وتحقيق: احسان عباس، بيروت، 1963، ص 39.

(102) ابن دحية، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرين، بيروت، 1955، ص 216؛ ابن سعيد: 2/ 26.

(103) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 304 ـ 307، 316 ـ 318؛ الأنصاري: 1/ 144 ـ 145، قدا، 6/ 407 ـ 408؛ **الإحاطة**: 1/ 503؛ وقارن: Ribera, p. 211

(104) الأنصاري: 6/ 33 ـ 34.

(105) قارن: العذري، ص 2.

(106) المصدر نفسه، ص 5.

(107) **الجمهرة**، ص 383.

(108) **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 841 ـ 844؛ **الإحاطة**، م. تونس: 3/ 65 ب.

غرناطة الحالية)، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى إشبيلية[109]. وعاش بعض الأزديين أيضاً في نبلة Niebla؛ وكان من ضمن هؤلاء غياث الأزدي، الذي ثار فيما بعد على عبد الرحمن الأول (138 ـ 172/ 756 ـ 788)[110]. أما بالنسبة إلى الجماعات الأخرى من الأزد، مثل بني المهلب، فيبدو على وجه التأكيد تقريباً أنهم دخلوا الأندلس فيما بعد من شمال أفريقيا، ويتضمن هؤلاء بعض الأفراد من نسل المهلب بن أبي صُفرة في كل من شون Jun وهي قرية شمالي غرناطة[111]، وفحص أبي العوجاء قرب جيان[112].

غافق:

تنسب بعض عشائر غافق خطأً إلى العدنانيين الذين ينتمون إلى عك بن عدنان[113]. ويعود السبب في ذلك إلى خطأ في قراءة اسم أحد أجداد غافق، الذي يجب أن يقرأ عدثان بن هزان بن الأزد، بدلاً من عدنان، ولهذا فإن غافق في الحقيقة، هي من القبائل اليمنية وليست من القبائل العدنانية[114].

شكلت غافق ثلث رجال القبائل العربية البالغ عددها ثلاث آلاف وخمسمائة رجلاً، والتي دخلت مصر تحت قيادة عمرو بن العاص[115]. وقد استقرت هذه العشيرة في كل من مصر وشمال أفريقيا. وعندما عبر موسى بن

(109) **التكملة**، نشر الأركون (برواية ابن بشكوال)، ص 360.

(110) النويري: 22/ 8، قدا.

(111) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 368؛ **التكملة**، نشر الأركون، ص 344؛ **الإحاطة**: 1/ 129، 320، 2/ 293؛ المقري: 1/ 293؛ وقارن: وهو يطلق على هذه القرية أيضاً اسم Jund (جُند) Palacios, p. 115

(112) الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1954، ص 335، 340.

(113) **الجمهرة**، ص 328، 329.

(114) المقري: 1/ 294.

(115) ابن عبد الحكم، ص 56؛ الكندي، ص 8.

نصير إلى الأندلس إلتحق بعض هؤلاء الغافقيين بجيشه واستوطنوا هناك على طول الطريق التي سلكتها الحملة في أماكن مثل، الجزيرة الخضراء، وشذونة في الجنوب[116]، وسرقسطة في الشمال الشرقي[117]. ولكن تجمعات سكانهم الرئيسة كانت في مناطق إشبيلية، وقرطبة، وإلى حد ما في طليطلة والبيرة. ففي إشبيلية يشير الرازي إلى أسرة عظيمة، وهم بيت زيد الغافقي، الذين كانوا من البلديين المشهورين بالفروسية، وانتقلوا فيما بعد إلى طليطلة وقرطبة، ثم إلى غرناطة[118]. وكان إقليم الشرف Aljarafe، الذي يقع إلى الغرب من إشبيلية، موطناً لكثير من رجال القبائل العربية، ومن هؤلاء عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي والي الأندلس (112. 114/ 730 ـ 732). وقد استمر أعقابه في العيش في منطقة تسمى مرنيانة أو مرنانة، أو مرجانة الغافقيين ـ ربما كانت هذه الكلمة مشتقة من الكلمة الأيبيرية القديمة mor (morón بالقشتالية الحديثة) التي تعني التلة الصغيرة المدورة[119] ـ غربي إشبيلية على ضفة نهر الوادي الكبير[120]. ولكن لا يعرف بالضبط فيما إذا كان عبد الرحمن قد دخل الأندلس مع الفاتحين الأوائل كما يقول المراكشي[121]، أم جاء فيما بعد عندما تولى ولاية البلاد كما ينص على ذلك ابن عذاري ومؤرخون آخرون[122]. وعلى أية حال، واستناداً إلى كل من الروايتين، فإن عبد الرحمن وأتباعه يعدون من البلديين.

---

(116) ابن الفرضي، قد1، ص 323، 300، قد2، ص 169 ـ 170؛ ابن الشباط، ص 108 ـ 109.

(117) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 199 ـ 200؛ الأنصاري: 6/ 136 ـ 138.

(118) **الإحاطة** (برواية الرازي): 2/ 132.

(119) cf. Simonet, Glosario, p. 375.

(120) ابن القوطية، ص 13، 76؛ **الجمهرة**، ص 329؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي (برواية ابن القوطية)، ص 140 ـ 141.

(121) المراكشي، ص 10.

(122) ابن عذاري: 2/ 28؛ **فتح الأندلس**، ص 27؛ المقري: 1/ 235 ـ 236.

وهناك منطقة أخرى لاستقرار عشيرة غافق، تقع إلى الشمال من قرطبة حيث عاشت مجموعة تنتسب إلى رجل يدعى أسلم[123]. وإلى الشمال الغربي من هذا المكان، وعلى نحو مائة وأربع كيلومترات من قرطبة، كان يقع في المنطقة السهلية الخصبة لفحص البلوط حصن يسمى بحصن غافق[124]. وهذا يشير إلى أن عدداً لا بأس به من هذه العشيرة قد سكن في هذا المكان، لأن الحصن في الأندلس، كما أسلفنا، يعني منطقة محصنة ومأهولة بالسكان ويمكن أن تضاهي مدينة صغيرة[125]. ولقد كان القاضيان المشهوران في عهد الإمارة، سعيد بن سليمان الغافقي، وسليمان بن أسود الغافقي من ضمن الجماعات التي سكنت في حصن غافق[126]. وعاش قضاة آخرون ينتسبون إلى غافق في قرطبة. وكان جدهم الأعلى، دينار بن واقد الغافقي، الأول من عشيرته الذي دخل الأندلس، واستقر في قرية الغافقين قرب طليطلة[127]. وهناك بعض الجماعات الأخرى من غافق سكنت قرب البيرة في قرية تدعى الملاّحة La Mala جنوبي غرناطة. وتذكر المصادر أن

---

(123) **الجمهرة**، ص 328 ـ 329.

(124) فيما يتعلق بفحص البلوط، انظر: استقرار قضاعة، واستقرار البربر بالقرب من قرطبة. وموقع حصن غامق في الوقت الحاضر عبارة عن قرية صغيرة تدعى Belalcázar، وللمزيد من المعلومات عن هذا الحصن. انظر: ياقوت: 4/ 183؛ الاصطخري، **أقاليم**، ص 22؛ الإدريسي، ص 213؛ الحميري، ص 139، الترجمة الفرنسية، ص 167، هامش (1)؛

Félix Hernándes Jiménez, Gháfiq, Gahet. Gahete = Belalcázar, *Al-Andalus*, IX, 1944, pp. 71-109; Madoz, vol, IV, pp. 120-121.

(125) ياقوت: 1/ 532، 4/ 183، 454؛ وراجع مفهوم الحصن في الأندلس في مقدمة هذا الفصل.

(126) ابن القوطية، ص 59، 72؛ الخشني، قضاة، ص 92 ـ 94، 107؛ ابن الفرضي، قدا، ص 158، 162؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 210؛ النباهي، ص 54، 56.

(127) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 319؛ انظر أيضاً: الخشني، **قضاة** ص 18؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 46، 78؛ الحميدي، ص 171؛ ابن بشكوال: 1/ 244 ـ 245؛ ابن الفرضي، قدا، ص 22، 257، 260، 331، 332؛ ابن سعيد: 2/ 24.

جد هؤلاء، مروان بن حقل الغافقي، استقر في هذه القرية، ولكنها لا تشير إلى الزمن الذي تمّ فيه هذا الاستقرار[128]. وكما يبدو بوضوح فإن هذا المكان كان غنيّاً، لأن كلمة الملاّحة، كما أسلفنا، تعني منجماً للملح[129].

لخم:

رافق العديد من قادة لخم موسى بن نصير حين توجه إلى الأندلس، وكان من ضمن هؤلاء بشر بن قيس اللخمي، الذي وقّع مع كثير من القادة الآخرين على معاهدة الصلح مع تدمير[130]. ولهذا فمن المحتمل جداً أنه استقر مع أتباعه من هذه العشيرة في منطقة مرسية. ولقد اتخذ أيوب بن حبيب اللخمي، ابن أخت موسى بن نصير، الذي أصبح والياً على الأندلس بعد مقتل عبد العزيز بن موسى، مسكنه الأول في إشبيلية. ولكن بعضاً من أحفاده، استقر فيما بعد في بنّة في كورة رية (في محافظة مالقة الحالية)[131]. وفي هذه المنطقة الأخيرة، سكن أيضاً أحد أصحاب موسى بن نصير، وهو صُبيح اللخمي[132]. ومن المحتمل أن قادة آخرين من هذه العشيرة قد دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير، مثل عبد الرحمن بن كثير اللخمي، وعبد الرحمن بن علقة اللخمي، وزياد بن عمرو اللخمي، الذي أرسل

(128) **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 609 ـ 610؛ **صلة الصلة**، ص 25؛ الأنصاري: 6/ 431 فما بعدها؛ **الإحاطة**: 1/ 129؛ **الإحاطة**، م .الاسكوريال، رقم 1673، ص 146؛ **الإحاطة**، م. مدريد، رقم 4891، ص 276؛ ابن الخطيب، **كتاب التكملة**، مخطوط في المكتبة الوطنية بمدريد، رقم 4899، ص 1160.

(129) ويشير ابن غالب إلى موطن آخر لاستقرار غافق في منطقة شقورة Segura de la Sierra، في محافظة جيان الحالية، ولكن لا يوجد دليل واضح يرجح أن روايته هذه يمكن أن تنطبق على المراحل المبكرة للاستقرار، قارن: المقري (برواية ابن غالب): 1/ 294؛ انظر أيضاً: الرعيني، **برنامج شيوخ الرعيني**، تحقيق: إبراهيم شبوح، دمشق، 1962، ص 124، 161 ـ 162؛ **الإحاطة**: 2/ 388.

(130) العذري، ص 5.

(131) لم اتمكن من معرفة اللفظ الإسباني المقابل لقرية بنّة؛ انظر: ابن القوطية، ص 12.

(132) ابن الفرضي، ق1، ص 342؛ الأنصاري: 6/ 431.

قاربين من المؤن إلى بلخ بن بشر ورجاله حينما كانوا محصورين في سبتة[133].

وكان عبد الرحمن بن كثير اللخمي قد اختير من قِبل مسلمي الأندلس ليتولى النظر في الأحكام بعد وفاة الوالي ثوابة بن سلامة الجذامي[134]. أما عبد الرحمن بن علقة، فقد أصبح حاكماً على أربونة Narbonne في أثناء ولاية عبد الملك بن قطن الفهري، ولعب دوراً عظيماً في الصراع مع بلج بن بشر[135]. وباستثناء هذه الجماعات فهناك القليل فقط من البلديين الذين ينتمون إلى لخم، وقد استقر قسم من هؤلاء في جيان ومن ضمنهم البلديون المشهورون من أسرة محمد بن عمير اللخمي[136].

جذام:

إن البلديين الذين ينتمون إلى هذه العشيرة ربما كانوا أولئك الذين استقروا في تدمير[137]، وقلعة رباح[138]، والثغر الأعلى. وقد استقر بنو هود في المنطقة الأخيرة وهم ينتمون إلى هود الجذامي، وهو الداخل الأول من هذه العشيرة إلى الأندلس. وسكنت جماعات أخرى تنتسب أيضاً إلى بني هود في كورة ألْبيرة، حيث امتلكوا هناك إقليماً غنياً سمي باسمهم، إقليم

(133) المقري: 3/ 20؛ ويذكر مؤلف **أخبار مجموعة**، ص 38، أن اسم الشخص المذكور أعلاه هو عبد الرحمن بن زياد الأخرم، الذي ينتمي أيضاً إلى لخم.

(134) ابن عذاري: 2/ 35.

(135) ابن القوطية، ص 16 ـ 17؛ **أخبار مجموعة**، ص 43 ـ 44؛ ابن الأثير: 5/ 376؛ ابن عذاري: 2/ 32؛ المقري: 3/ 21.

(136) الأنصاري (برواية الحكيم عبد الله بن عبيد الله الأزدي المتوفي سنة 341/ 951): 1/ 212 ـ 213، قد1. وللمزيد من التفصيلات عن بعض الأحفاد المتأخرين لهذه الأسرة، انظر: صاعد، ص 108، 110 ـ 111؛ ابن أبي أصيبعة، **كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، نشر: فون اوغست ملر، جوتنجن، 1884: 2/ 49؛ ابن بشكوال: 2/ 663؛ النباهي، ص 88؛ ابن سعيد (برواية ابن حيان): 1/ 155.

(137) **الجمهرة**، ص 420 ـ 421.

(138) المقري: 1/ 296.

تيبل بني هود[139]، وتشير كلمة تيبل، كما أسلفنا، إلى غنى المنطقة وازدهارها الزراعي. وسكن أحد قادة جذام المشهورين، وهو يحيى بن حريث الجذامي، في كورة رية. وقد عُدّ خطأ أنه أحد الشاميين[140]، ولكنه كان بالتأكيد من البلديين، كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد[141].

معافر:

ربما كانت معافر العشيرة العربية الأولى التي استقرت في الأندلس. فقد عبرت مع طارق بن زياد، وكانت بقيادة عبد الملك بن أبي عامر المعافري، الذي لعب دوراً كبيراً في افتتاح الجزيرة الخضراء وحصن قرطاجنة Torre di Cartagena. ثم ركّز هو وأتباعه حاميتهم في الجزيرة الخضراء في أثناء المراحل الأولى المبكرة للفتح. وقد انتشر أعقاب عبد الملك في البلاد، ومنهم الوزير المشهور والحاجب ابن أبي عامر المنصور، الذي اشتهر فيما بعد في أثناء عهد الحكم الثاني (350 ـ 366/ 961 ـ 976)، ثم استطاع أن يسيطر على الأندلس زمن الخليفة هشام الثاني (366 ـ 399/ 976 ـ 109)[142].

يذكر ابن حزم، أنه لا توجد أماكن استقرار خاصة بعشيرة معافر في الأندلس ولكن توجد أسر متفرقة من هذه العشيرة. ويشير إلى بعض هذه

(139) العذري، ص 90. وقد حكم بعض أحفاد هذه الأسرة البارزين سرقسطة في أثناء عصر ملوك الطوائف (431 ـ 503 / 1039 ـ 1110). قارن: **الحلة السيراء**: 2/ 246؛ ابن عذاري: 3/ 221 فما بعدها، تحقيق: ليفي بروفنسال، باريس، 1930؛ ابن سعيد: 2/ 619؛ ابن خلدون: 4/ 351؛ **أعمال الاعلام**، ص 170.

(140) **أخبار مجموعة**، ص 57.

(141) انظر ادناه، الفصل السادس.

(142) ابن بسام، **الذخيرة**، **قد4**: **1/ 39 ـ 40**؛ **صاعد**، ص 88؛ **الحلة السيراء** (برواية ابن حيان): 1/ 268؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 359؛ المراكشي، ص 17 ـ 18؛ ابن عذاري: 2/ 256 ـ 257؛ **الإحاطة**: 2/ 102؛ **أعمال الاعلام**، ص 59؛ ابن سعيد (برواية ابن حيان): 1/ 199؛ المقري 1/ 295، 396، 399.

الأسر، مثل آل جحّاف في بلنسية، وبني مفوز في (ينبه، أو لينبه، أو بنيه)[143]، وبني منخل في جيان، وآل أبو عامر المنصور[144]. ولا توجد لدينا معلومات عن بني منخل. أما بنو جحّاف فقد اشتهروا وأصبحوا أسرة كبيرة في عصور متأخرة على الرغم من وجود إشارات تدل على أنهم كانوا من الأسر الأصلية التي استقرت مبكراً في بلنسيه[145] وتشير المصادر بإيجاز إلى منطقة استقرار بني مفوز، وإلى جدهم الأعلى، جعفر المعافري، الذي دخل إلى الأندلس واستوطن في شاطبة[146] ويظهر أن بعض الأفراد من معافر قد عبروا أيضاً مع موسى بن نصير وكان أحد هؤلاء، هو عبد الله بن يزيد المعافري، الذي توفي في قرطبة[147]. ويذكر ابن القوطية إحدى أماكن استقرار معافر المهمة قرب إشبيلية ويطلق عليها اسم قرية كنتش معافر، وهي تقع إلى الجنوب من إشبيلية، وكانت ما تزال موجودة في أثناء إمارة عبد الرحمن الثاني (207 ـ 238/ 833 ـ 852)[148] ويبدو أن هذه الجماعة من معافر كانت تشكّل قسماً من رجال القبائل العرب الذين عبروا إلى الأندلس بعد الفتح. ونظراً لمعارضته البلديين فقد أقطع هؤلاء أراضي من خمس الخلافة. ويتضح هذا الأمر بشكل جلي من معرفة المعنى الحقيقي لكلمة «كنتش»، التي ما هي إلاً تحريف للكلمة اللاتينية Quintus (Quinto بالإسبانية) التي تستعمل للدلالة على الخمس من ممتلكات أو مزارع

(143) لا يُعرف مكان هذا الموقع في الوقت الحاضر.

(144) **الجمهرة**، ص 419.

(145) الحميدي، ص 262؛ ابن الأبّار، **المقتضب من تحفة القادم**، ص 41؛ مجهول، ملحق ابن عذاري: 3/ 305؛ وقارن: Ribera, p. 212.

(146) ابن بشكوال: 2/ 503؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 285، 338، 341 ـ 342، 380؛ الأنصاري: 146 ـ 147، قد1، 4/ 153، 172؛ وقارن: Ribera, p. 212.

(147) **معالم الإيمان**: 1/ 180، 184؛ المقري: 3/ 9، وفي هذين المصدرين أيضاً ما يشير إلى أنه توفي في شمال أفريقيا.

(148) ابن القوطية، ص 64؛ انظر أيضاً: الزبيدي، **طبقات النحويين**، ص 333؛ ابن الفرضي، ق1 ص 18.

الفرد[149]. وتذكر المصادر أسراً معافرية أخرى مثل بني شراحيل، وبعض الأفراد من هؤلاء العشيرة مثل طالوت بن عبد الجبار المعافري[150]، على أنهم كانوا من سكنة مدينة قرطبة وأماكن أخرى في عهود لاحقة[151].

تجيب:

كانت تجيب إحدى العشائر العربية التي ساهمت في فتح الأندلس. وقد ضمت حملة موسى بن نصير العديد من قادة هذه العشيرة، من أمثال: سليمان بن قيس التجيبي الذي شهد على معاهدة الصلح مع تدمير[152]، ونعيم بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج[153]، وزيد بن قيس السكسي[154]، وعميرة بن المهاجر التجيبي وأخيه عبد الله بن المهاجر[155] وقد استقر هذان الأخوان وأتباعهما في الشمال الشرقي من البلاد، في الثغر الأعلى الذي أصبح الموطن الرئيس لتجيب في الأندلس، خاصة سرقسطة، ومن ثم دروقة Daroca وقلعة أيوب. ويظهر أن هؤلاء فضلوا الاستقرار في هذه المنطقة بسبب ما تشتهر به من مصادر طبيعية غنية، كالملح والفواكه

---

(149) راجع مقدمة هذا الفصل؛ انظر أيضاً: Simonet, *Glosario*, pp. 474-475.

(150) ابن القوطية، ص 53، 58؛ المراكشي، ص 14؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 345، الأنصاري: 4/ 105؛ ابن سعيد: 1/ 43.

(151) قارن: الخشني. قضاة، ص 14، 49، 107؛ ابن الفرضي، قد1، ص 26 ـ 27، 49، 86، 98، 319، قد2، ص 5، 21؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 81؛ الحميدي، ص 57، 74، 171، 267؛ ابن بشكوال: 1/ 44 ـ 45؛ 2/ 467؛ الضبي، ص 98، 223، 340؛ ياقوت: 1/ 245؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 372 ـ 373؛ ابن عذاري: 2/ 68، 145؛ الحميري، ص 128؛ **أعمال الاعلام**، ص 51، 54؛ المقري: 2/ 62.

(152) العذري، ص 5.

(153) الحميدي، ص 358 ـ 359؛ الضبي، ص 464؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 756.

(154) الحميدي، ص 221؛ الضبي، ص 281؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 330؛ المراكشي، ص 10.

(155) **الجمهرة**، ص 430.

العديدة إضافة إلى خصوبة تربتها[156]. ولقد أصبح عميرة بن المهاجر حاكماً على مدينة برشلونة لمدة سنتين في أثناء الفترة المبكرة التي أعقبت الفتح، ولكن لا توجد معلومات أكيدة عن ذريته. ولا يشير ابن حزم، الذي يورد معلومات مفصلة عن أصل هذه الأسرة ودورها في المنطقة، إلى أية ذرية لعميرة، بل ينص بوضوح على أن عبد الله بن المهاجر. الذي كان شقيق عمير وليس أباه، كما يذكر ذلك بقية المؤرخين ـ كان الجد الأعلى لهذه الأسرة[157]. وكان أحفاد عبد الله كثيرين، وقد استمروا في تأثيرهم الكبير في المنطقة حتى سقوط الخلافة الأموية[158]. واستطاع بنو صُمادِح، الذين ينتسبون إلى الأسرة نفسها، السيطرة على مدينة وشقة وما حولها[159] وعاش بنو سلمة التجيبيون، الذين كانوا أيضاً من المستقرين الأوائل في الشمال الشرقي،في مدينة وشقة[160]. ويشير الأنصاري إلى جماعة أخرى من تجيب سكنت في نبلة في أثناء الفترة المبكرة للفتح[161]. كما تذكر المصادر عدداً محدوداً فقط من المستقرين التجيبين في قرطبة. وأحد هؤلاء هو يزيد بن يحيى التجيبي، القاضي الشهير في أثناء ولاية يوسف الفهري وأوائل عهد

---

(156) قارن: العذري، ص 22؛ الحميري، ص 96 ـ 97.

(157) **الجمهرة**، ص 430 ـ 431؛ **الحلة السيراء**: 2/ 78 ـ 79؛ العذري، ص 84؛ الأنصاري: 5/ 646، قد2.

(158) ومنذ ذلك الوقت استطاع هؤلاء الاستقلال بحكم سرقسطة، واستمروا في تولي أمورها في أثناء عصر ملوك الطوائف (408 ـ 430 ـ 1017 ـ 1039). انظر: **الجمهرة**، ص 430 ـ 431، 500؛ وللمزيد من المعلومات عن دور هذه الأسرة في الثغر الأعلى، انظر: ابن القوطية، ص 113 ـ 114؛ **المقتبس**، نشر أنطونيا، ص 20 ـ 21؛ ابن عذاري: 3/ 175 ـ 181؛ العذري، ص 41 فما بعدها.

(159) وقد نجح هؤلاء أيضاً في تأسيس حكمهم في مدينة المرية في أثناء عصر ملوك الطوائف (433 ـ 484 / 1041 ـ 1091) انظر: **الجمهرة**، ص 431؛ العذري، ص 73، 84؛ **الحلة السيراء**: 2/ 78 فما بعدها؛ ابن عذاري: 3/ 173؛ الأنصاري: 5/ 647، ق2؛ **أعمال الاعلام**، ص 189؛ ابن دحية، المصدر السابق، ص 34.

(160) العذري، ص 27، 57، 60.

(161) الأنصاري: 1/ 111، قد1.

عبد الرحمن الأول. ويقال إنه أرسل إلى الأندلس من قِبل الخليفة عمر بن عبد العزيز، أو هشام بن عبد الملك[162].

حضرموت:

يبدو أن أفراد قلائل فقط من حضرموت دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير. وربما كان النعمان بن عبد الله الحضرمي، الذي توفي في أقصى الثغور شمالي الأندلس، واحداً من هؤلاء[163]. ومع هذا فإن المصادر تشير إلى العديد منهم في أوقات متأخرة، وفي أماكن مختلفة. ومن المحتمل أن هؤلاء الجماعات ينتمون إلى المجموعة الثانية من حضرموت والتي دخلت الأندلس فيما بعد مع بلج بن بشر[164].

خولان:

إن منطقة استقرار خولان الرئيسة كانت في كورة الجزيرة الخضراء الخصبة، حيث امتلكوا هناك مكاناً يسمى بقلعة خولان، تقع قرب شذونة على الطريق بين الجزيرة الخضراء وإشبيلية[165]. وسكنت جماعات أخرى من خولان، وهم بنو نجيح، قرب البيرة في إقليم الملاّحة، الذي يشتهر بمناجم الملح في قرية تدعى غلجر Cojar جنوبي غرناطة[166]. وعاش بعض

---

(162) ابن القوطية، ص 34؛ الخشني، **قضاة**، ص 28 ـ 29؛ **الجمهرة**، ص 430؛ **أخبار مجموعة**، ص 94 ـ 95؛ **فتح الأندلس**، ص 42 ـ 43؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 707؛ ابن عذاري: 2/ 48؛ النباهي، ص 43.

(163) الحميدي، ص 358؛ ابن الفرضي، قد2، ص 158؛ الضبي، ص 464.

(164) الحميدي، ص 233؛ ابن الفرضي، قد1، ص 48، 167، 314؛ الضبي، ص 409، 464؛ المراكشي، ص 65؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 857 ـ 858؛ الأنصاري: 1/ 341، قد1؛ **أعمال الاعلام**، ص 54؛ المقري، 1/ 298.

(165) **الجمهرة**، ص 418؛ ابن سعيد: 1/ 310؛ المقري: 1/ 295.

(166) الخشني، **طبقات**، الورقة 150أ؛ **الجمهرة**، ص 418؛ الحميدي، ص 197، 358؛ ابن الفرضي، قد1، ص 315؛ الضبي، ص 256، 463؛ **التكملة**، نشر الأركون، ص 331؛ الأنصاري: 4/ 99؛ **الإحاطة**: 1/ 130 ـ 131؛ وقارن: Palacios, p. 118.

الأفراد من هذه العشيرة أيضاً في قرطبة[167]. وكان في إشبيلية جماعات متعددة من خولان لهم محلتهم الخاصة بهم والتي كانت تُدعى بالخولانيين[168].

خثعم:

كانت شذونة موطناً لاستقرار هذه العشيرة في الأندلس[169]. ومع هذا فقد سكن بعضهم في ألبيرة أيضاً؛ ومن هؤلاء آل عطيف بن شُعيب[170]. ولقد أصبح أحد أفراد هذه العشيرة، وهو عثمان بن أبي نسعة الخثعمي، والياً على الأندلس لمدة خمسة أشهر (110 ـ 111/ 278 ـ 279). ولكن يبدو أنه لم يكن واحداً من المستقرين الأوائل من خثعم في الأندلس، لأن ابن عذاري يذكر أن عثمان بن أبي نسعة كان قد أُرسل من شمال أفريقيا ليتولى أمر الأندلس[171].

بجيلة:

يذكر ابن حزم على أن موطن هذه العشيرة في الأندلس كان يقع بالقرب من مدينة أربونة[172].

مذحج:

يسمي الكثير من عشائر هذه القبيلة أنفسهم بأسماء أحد فروعها، مثل: مراد، وعنس، وأود، وسعد العشيرة، وزبيد، وقد احتفظ بعضهم مع ذلك

---

(167) **الجمهرة**، ص 418.

(168) **المقتبس**، تحقيق: الحجي، ص 170؛ الأنصاري: 1/ 487، قد2.

(169) **الجمهرة**، ص 392؛ المقري: 1/ 296.

(170) **الجمهرة**، ص 392.

(171) ابن عذاري: 2/ 28؛ انظر أيضاً: ابن القوطية، ص 13؛ ابن الأثير: 5/ 158؛ ابن خلدون: 4/ 257؛ المقري: 1/ 235.

(172) **الجمهرة**، ص 390.

باسم مذحج. ويعود السبب في ذلك في أول الأمر إلى عدم توفر العدد الكافي من الرجال في كل جماعة لتشكيل عشيرة كبيرة، ولهذا فقد كان من الأفضل لهم من الناحية العملية أن ينتسبوا إلى قبيلتهم الرئيسة مذحج، وكان من ضمن هؤلاء بنو سراج في قرطبة[173]، وكذلك مذحجيون آخرون في قرطبة[174] أيضاً وفي الجزيرة الخضراء[175].

مراد:

عاشت عشيرة مراد بصورة عامة في قرطبة ومناطقها. وقد استقر العديد منهم غربي المدينة في مكان حصين سمي على اسمهم بحصن مراد[176] وفي قرطبة نفسها عاش بنو عمار المراديون[177]، حيث عُهد إلى جدهم الحسن بن الأزرق المرادي بمناصب عالية في أثناء عهد الإمارة الأموية في الأندلس[178]. وتشير المصادر إلى وجود العديد من المراديين في مناطق مختلفة من البلاد، مثل: غرناطة[179]، وإشبيلية[180]، ومكّادة Maqueda (في محافظة طليطلة الحالية)[181]، وإستجة[182]، وقبرة[183]، ووشقة[184]،

(173) المقري: 1/ 295.

(174) الحميدي، ص 49، صاعد، ص 106؛ **التكملة**، نشر الأركون، ص 346؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 940 ـ 941؛ المقري: 1/ 295.

(175) **التكملة**، نشر: الأركون، ص 274.

(176) الإدريسي، ص 207، ياقوت: 1/ 92. ابن سعيد: 1/ 232؛ المقري: 1/ 295.

(177) **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 81؛ انظر أيضاً: الحميدي، ص 150؛ ابن الفرضي، قد1، ص 16؛ الضبي، ص 197.

(178) **الجمهرة**، ص 96؛ ابن حزم، **نقط العروس**، تحقيق: شوقي ضيف، **مجلة كلية الآداب**، جامعة فؤاد الأول، المجلد الثالث عشر، الجزء الثاني، 1951، ص 73.

(179) **الإحاطة**، م. الاسكوريال، ص 12؛ ابن الخطيب، **التكملة**، ص 7.

(180) ابن الفرضي، ق1، ص 55.

(181) ابن بشكوال: 1/ 207؛ ياقوت: 5/ 179؛ وقارن: Palacios, p. 118.

(182) الحميدي، ص 155؛ الضبي، ص 204، ابن الفرضي، قد1، ص 11 ـ 12، 71.

(183) المصدر نفسه، ق1، ص 226؛ الضبي، ص 339.

(184) الحميدي، ص 240؛ ابن الفرضي، قد1، 164 ـ 165، 210؛ الضبي، ص 305.

وسرقسطة[185]، ولقنت Alicante[186]، ولكن هذه الإشارات تعود بالدرجة الأولى إلى عصور متأخرة.

عنس:

كانت منطقة قلعة بني سعيد أو قلعة يحصب Alcala Real في (محافظة جيان الحالية) هي موطن عشيرة عنس، وكانت في الوقت نفسه موطناً لعشيرة يمنية أخرى، هي عشيرة يحصب، ويُعد عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر، أول شخصية مشهورة تستقر في هذه المنطقة. وكان لعبد الله بن سعيد منزل آخر في قرطبة، حيث استطاع هناك أن يتميّز من بين القادة اليمنيين. ومع هذا فهناك إشارة في المصادر إلى أنه كان أميراً على جند دمشق في البيرة، في أواخر عهد يوسف الفهري[187].

أود

يمثل بنو مُزين هذه العشيرة في شبه الجزيرة الأيبيرية، وقد سكن جدهم الأعلى، مزين الأودي في أكشونبة Faro, Ocsonoba، جنوبي البرتغال الحالية. وتولى أحفاد مزين وأولاده مناصب إدارية وقضائية مشهورة في البلاد. فأصبح كل من إبراهيم بن مزين، وحفيده إبراهيم بن محمد حاكماً على مدينة طليطلة. وقد عُين محمد بن إبراهيم بن مزين قاضياً لقرطبة من قبل عبد الرحمن الأول. وأخيراً استطاعت هذه الأسرة أن تستقل بحكم

---

(185) الحميدي، ص 249، 334؛ ابن الفرضي، قد1، ص 120، 214، 373؛ الضبي، ص 316، 437.

(186) cf. Palacios, p. 10.

(187) **الجمهرة**، ص 406؛ الأنصاري: 4/ 28، 5/ 411 ـ 412، قد1؛ ابن سعيد (برواية ابن حيان): 2/ 161؛ **الإحاطة**: 1/ 214 ـ 215؛ **الإحاطة**، م. الأسكوريال، 61؛ ابن الخطيب، **التكملة**، ص 47؛ المقري: 1/ 295، 2/ 330، 270 (برواية ابن حيان).

جنوبي البرتغال، حيث اتخذت من مدينتي باجة وشلب قاعدة لها (432 ـ 455/ 1041 ـ 1063)[188].

سعد العشيرة:

سكنت جماعتان من هذه العشيرة في الأندلس، إحداها في وادي آش Guadix، على نحو ثلاثة وخمسين كيلومتراً شمال شرقي غرناطة[189]. أما الآخرون، فهم من ذرية عبد الله بن بشير بن أبي ضمرة، الذي ربما دخل إلى الأندلس زمن الفتح واستقر في إشبيلية[190].

زبيد:

لا يوجد في الأندلس إلاَّ أفراد قلائل فقط من هذه العشيرة، وقد سكن بعضهم في إشبيلية[191].

سبأ:

تذكر المصادر أسماء أشخاص معدودين فقط من سبأ، ومن هؤلاء سعيد بن عبد الله السبئي، الذي دخل الأندلس، وعاش في قرطبة، حيث كانت له علاقة قوية جداً مع عبد الرحمن الأول[192]. ويُعد محمد بن يحيى

---

(188) **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 79؛ **الحلة السيراء**: 1/ 88؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 355؛ **فتح الأندلس**، ص 70؛ ابن عذاري: 3/ 192 ـ 193؛ مجهول، ابن عذاري: 3/ 296 ـ 297؛ الأنصاري: 6/ 105؛ المقري: 2/ 514؛ ويذكر الحميدي، ص 373 أن مزين كان مولى لرملة ابنة الخليفة عثمان بن عفان؛ انظر أيضاً: الضبي، ص 210، 482؛ ابن الفرضي، ق2، ص 181.

(189) **الجمهرة**، ص 408.

(190) المصدر نفسه، ص 412.

(191) الحميدي، ص 192؛ ابن الفرضي، ق1، ص 110؛ **المقتبس**، نشر: انطونيا، ص 68، الضبي، ص 247؛ المراكشي، ص 19، 65؛ المقري: 1/ 295.

(192) ابن الفرضي، ق1، ص 159 ـ 160؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص 312؛ الأنصاري: 4/ 35.

السبئي، الذي توفي في عهد عبد الرحمن الثاني، الجد الأعلى للسبئيين في قرطبة[193]. وفي البيرة، سكن أسد بن عبد الرحمن السبئي الذي عُيِّن قاضياً للمدينة في عهد عبد الرحمن الأول[194].

يحصب:

استقرت في زمن الفتح أعداد كبيرة من يحصب في القلعة الملكية Alcala Real التي أصبحت تدعى باسم قلعة يحصب[195]. وسكنت مجموعات أخرى من يحصب في وادي بجانة[196] Pechina، قرب المرية، وفي بسطة Baza، على نحو مائة وثلاثة وعشرين كيلومتراً شمال شرقي غرناطة[197]. وهناك أيضاً إشارات إلى استقرار جماعات أخرى من يحصب في أماكن مختلفة، ومن هؤلاء عبد الرحمن بن طريف اليحصبي، الذي عاش في ماردة وأصبح فيما بعد قاضياً لقرطبة في أثناء عهد عبد الرحمن الأول[198]، وسعيد بن عياض اليحصبي، الذي أصبح مسؤولاً عن الشرطة في قرطبة في إمارة هشام الأول (172 ـ 180/ 788 ـ 796)[199].

قضاعة:

يؤكد ابن الأبار أن أندة Unda، التي تقع على نحو عشرين كيلومتراً

---

(193) ابن الفرضي، قد2، ص 2 ـ 3؛ الضبي، ص 134.

(194) الحميدي، ص 172؛ الضبي، ص 224؛ ابن الفرضي، قد1، ص 74.

(195) **الجمهرة**، ص 406؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 211؛ ياقوت: 5/ 391؛ العذري، ص 92؛ ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص 18؛ المقري: 1/ 297، 2/ 330.

(196) **الجمهرة**، ص 436.

(197) ابن الأبّار، **المعجم**، ص 294؛ **الإحاطة**، م. تونس، جـ3، الورقة 106أ.

(198) الخشني، **قضاة**، ص 39؛ ابن الفرضي، قد1، ص 256؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 744؛ الأنصاري: 5/ 20 ـ 21، قد1؛ **الإحاطة**: 2/ 48؛ النباهي، ص 44، 193؛ النويري: 22/ 18، قد1؛ ابن سعيد: 1/ 144؛ المقري: 3/ 46.

(199) النويري: 22/ 26، قد1؛ انظر أيضاً **فتح الأندلس، ص 15.**

غربي قسطليون Castellón de la Plana، كانت موطناً لقضاعة في الأندلس[200] وعلى الرغم من وجود إشارات إلى أن بعض أفراد قضاعة دخلوا الأندلس واستقروا فيها في أثناء الفتح، لكن لا تتوفر أدلة قاطعة تشير إلى أن القضاعيين الذين استقروا في أندة كانوا من هذه المجموعة.

دخلت عشيرة بليّ القضاعية إلى الأندلس بقيادة زياد بن عذرة البلوي، الذي شارك في عملية قتل عبد العزيز بن موسى[201]. وقد استقرت هذه العشيرة بصورة رئيسة إلى الشمال من قرطبة في مكان سُمي بليّ بِاسمهم، يقع في سهل فحص البلوط El Valle de les Pedroches الذي اشتهر بمصادره الطبيعية الغنية، وبشكل خاص البلوط والزئبق[202]. وكان من جملة هؤلاء المستقرين من بليّ، إبراهيم بن شجرة البلويّ، الذي أصبح قاضياً لقرطبة في أثناء عهد الأمير عبد الرحمن الأول[203]، وعديّ بن جذيمة البلويّ، الذي منحه هذا الأمير أراضي في فحص البلوط[204]. وقد عاشت جماعات أخرى من بليّ في المناطق الآتية:

مورور، التي تقع على بعد ستين كيلومتراً جنوب شرقي إشبيلية[205]، وقرية الأرحا، قرب شذونة[206]، وإشبيلية[207]، والبيرة[208].

---

(200) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 145، 2/ 624، 812 ـ 813، 856، 888 ـ 890؛ وقارن: Ribera. p. 212.

(201) ابن عذاري: 2/ 24.

(202) **الجمهرة**، ص 443؛ ياقوت: 1/ 494؛ ليفي بروفنسال، الترجمة الفرنسية **للروض المعطار**، ص 168، هامش (1)؛ انظر أيضاً: الأنصاري: 1/ 309 ـ 310، قد1؛ الرعيني، المصدر السابق، ص 112 ـ 113؛ ياقوت: 1/ 492؛ الحميري، ص 142.

(203) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 130.

(204) الخشني، **طبقات**، الورقة 61أ؛ ابن الفرضي، قد1، ص 153، وانظر أيضاً ص 283، والحميري ص 294 ـ 295؛ الضبي، ص 383.

(205) **الجمهرة**، ص 443.

(206) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 199، 292.

(207) المقري: 1/ 297.

(208) ابن الخطيب، **التكملة**، ص 157؛ **الإحاطة**، م. تونس، جـ3، الورقة 18ب؛ انظر =

واستقرت عشيرة خشين القضاعية في أماكن مختلفة، منها نبلة[209]، وأطراف البيرة[210]، وجيان، وأبذة Udbeda التي تقع على نحو خمسين كيلومتراً شمال شرقي جيان[211]. ويبدو أن بعض أفراد هذه العشيرة استقر أيضاً في كورة الجزيرة الخضراء، لأن العذري يطلق على أحد أجزاء هذه الكورة اسم جزء خشين[212]. يضاف إلى ذلك، وجود قرية تسمى بخشين تقع، حسب رواية الأنصاري، إلى الغرب من مالقة[213].

وباستثناء بعض الجماعات التي استقرت في جيان والجزيرة الخضراء[214]، فإن موطن هذه العشيرة الرئيس كان في دلاية Dalias في محافظة المرية الحالية[215]، وفي الثغر الأعلى، حيث سكنت أعداداً كبيرة من هذه العشيرة، وبشكل خاص، في سرقسطة[216]. وكان من أوائل المستقرين من عذرة في دلاية، زُغيبة بن قطبة، وياسين بن يحيى[217]. ومن الواضح أن هذين الرجلين كانا من الأفراد الأقوياء في هذه المنطقة، لأنهما

= أيضاً: الحميدي، ص 295؛ الضبي، ص 381؛ ابن الفرضي، قد1، ص 292.

(209) **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 68؛ **الجمهرة**، ص 455.

(210) المصدر نفسه، ص 455.

(211) المصدر نفسه، ص 455؛ الخشني، **قضاة**، ص 18؛ ابن سعيد: 2/ 54؛ الأنصاري: 5/ 249، 391، قد1؛ النباهي، ص 13؛ أنظر أيضاً: **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 253، 258؛ الحميدي، ص 68؛ الفتح بن خاقان، **مطمح الأنفس**، القسطنطينية، 1302هـ، ص 56 ـ 57؛ ابن الفرضي، قد2، ص 15؛ الحميري، ص 72؛ المقري: 2/ 236.

(212) العذري، ص 120.

(213) الأنصاري: 4/ 71؛ وقارن: Palacios, pp. 125 - 126.

(214) **الجمهرة**، ص 450؛ المقري: 1/ 298.

(215) **الجمهرة**، ص 450.

(216) المصدر نفسه، ص 450؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 365.

(217) كان زغيبة هو الجد الأعلى لأحمد بن عمر العذري الذين صنف الكتاب الشهير، «**ترصيع الأخبار وتنويع الآثار**»، انظر: العذري، ص 90 ـ 92؛ ابن بشكوال: 1/ 66؛ **صلة الصلة**، ص 55؛ ياقوت: 2/ 460؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص 249؛ الحميري، ص 77؛ الترجمة الفرنسية، ص 96، هامش (3).

كانا يسيطران أيضاً على مكان آخر سمي باسمهما، وهو جزء زُغيبة بن قطبة وياسين بن يحيى العذريين[218]. ويقول البكري إن دلاية تعود إلى إقليم البشرى Boscus، وتبعاً للمعنى اللاتيني لهذه الكلمة، فإن هذا المكان ربما كان يتميز بوجود الغابات[219]. ولم تكن دلاية هي المكان الوحيد في منطقة ألمرية الذي استقر فيه أفراد من هذه العشيرة، لأن الأدريسي يشير إلى قرية أخرى قرب المرية تدعى باسم عذرة[220].

وهناك جماعات أخرى من قضاعة استقرت في أماكن مختلفة من شبه الجزيرة الأيبيرية، ولكن يبدو أن هؤلاء كانوا أقل عدداً وأهمية من العشائر التي أسلفنا الحديث عنها. ومن هؤلاء، على سبيل المثال، جهينة التي استقرت بشكل رئيس في قرطبة[221]. كما توجد بعض الإشارات إلى احتمال استقرار عشيرة تنوخ في قرية تدعى بزند، تقع قرب البيرة[222]، على الرغم من عدم إمكانية الجزم بانتماء هذه العشيرة إلى قضاعة.

مهرة:

يذكر المقري أن شخصاً واحداً من هذه العشيرة دخل الأندلس في أثناء الفتح، وهو عبد الله بن ثمامة المهري[223]. ولكن المصادر تذكر معلومات عن أبي بكر محمد بن عمار المهري، الوزير المشهور الذي عاش فيما بعد

---

(218) العذري، ص 90.

(219) البكري، **مسالك**، ص 124؛ انظر أيضاً أعلاه، ص

(220) الإدريسي، ص 198.

(221) **الجمهرة**، ص 444؛ الحميدي، ص 157؛ ابن الفرضي، ق1، ص 287، 340؛ الضبي، ص 211؛ **أخبار مجموعة**، ص 45؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 359؛ ابن عذاري: 2/ 34؛ المقري: 1/ 297 ـ 298؛ انظر أيضاً: ابن الفرضي: قد1، ص 13؛ **أعمال الاعلام**، ص 54.

(222) لم أتمكن من تعيين موقع قرية بزند، انظر: ابن الفرضي، قد1، ص 190؛ وقارن: المقري: 1/ 297.

(223) المصدر نفسه: 3/ 60 ـ 61.

في أثناء عصر ملوك الطوائف حيث إن أصول أسرته كانت من قرية تدعى شنبوس قرب شلب جنوبي البرتغال[224].

أما البلديون من مصر فكانوا من العشائر الآتية:

هُذيل:

كانت أوريولة Orihuela، في محافظة مرسيه الحالية، حسبما يذكر ابن غالب، هي موطن هذيل في الأندلس[225]. ومن الواضح أن الأقوام الذين استقروا في هذا المكان ينتمون إلى الفئة نفسها التي رافقت أبا عاصم الهذلي، الذي شهد على معاهدة الصلح مع تدمير في المنطقة نفسها[226]. ولقد رافقت جماعة أخرى من هذه العشيرة موسى بن نصير في فتوحاته في الشمال الشرقي، فاستقروا في سرقسطة، ومن ثم في مناطق قريبة أخرى مثل تطلية Tudela، التي تبعد نحو ثمان وسبعين كيلومتراً شمال غرب سرقسطة[227]. وكان من ضمن هؤلاء، حسّان بن يسار الهذلي، قاضي سرقسطة في أواخر عهد الولاة[228].

تميم:

كانت هذه الجماعات القبلية قليلة العدد في الأندلس. وقد رافق أحدهم موسى بن نصير، واستقر في إشبيلية، وهو زياد بن النابغة التميمي، الذي اشترك في قتل عبد العزيز بن موسى والي الأندلس الأول[229]. وكانت

---

(224) **الحلة السيراء**: 2/ 131؛ المراكشي، ص 79؛ المقري: 1/ 297؛ انظر أيضاً: صاعد، ص 93؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق: 2/ 39؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 206.

(225) المقري (برواية ابن غالب): 1/ 291.

(226) العذري، ص 5.

(227) ابن الفرضي، ق1، ص 128؛ الضبي، ص 261.

(228) الخشني، **طبقات**، الورقة 149أ؛ الحميدي، ص 197؛ ابن الفرضي، ث1، ص 116؛ الضبي، ص 256.

(229) ابن عبد الحكم، ص 212؛ الحميدي، ص 219؛ الضبي، ص 280؛ **أخبار** =

هناك جماعة أخرى من تميم، ربما دخلت بعد الفتح، قد استقرت في مكان ما قرب طلبيرة Talvera de la Reina غرب طليطلة، في قرية سميت زبارقة باسمهم، لأنهم كانوا من ذرية الزبرقان بن بدر، إحدى شخصيات تميم المشهورة[230]. وسكن نسل بني عبد الله بن دارم في جيان، وكان منهم اثنان من قضاة قرطبة المشهورين في عهد الإمارة، وهما: قطن بن اللجلاج، وبشر بن قطن[231]. واستقر بنو الحذاء الذين ينتسبون إلى هذه العشيرة أيضاً في قرطبة. وقد عمل جدهم إبراهيم بن داود التميمي كاتباً في عهد هشام الأول وابنه الحكم الأول[232]، ولكن لا يعرف الزمن الذي دخل فيه هذا الرجل أو والده إلى الأندلس.

قريش:

رافق العديد من شخصيات قريش جيش موسى بن نصير إلى الأندلس، حيث عهد إليهم بتولي مناصب قيادية مهمة. وقد لعب هؤلاء القادة الذين ينتمون إلى مختلف عشائر قريش، مثل: فهر، وزهرة، وعبد الدار، وعدي بن كعب، وسهم، دوراً مهماً في أثناء الفتح وبعده. وكان لكل منهم مؤيديه من مختلف جماعات البربر التي ساهمت في فتح الأندلس. وكان من الأمور المألوفة في ذلك الوقت أن ينتسب بعض البربر إلى قريش، مثال ذلك جماعة من كتامة كانت، حسبما يشير ابن حزم، تنتمي إلى فهر

= مجموعة، ص 20؛ ابن عذاري: 2/ 23 ـ 24؛ انظر أيضاً: **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 228، 322؛ المقري (برواية ابن غالب): 1/ 291.

(230) **الجمهرة**، ص 219. وبعد أن تمكن النصارى من التغلب على هؤلاء في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، انتقلوا إلى طلبيرة، حيث أصبح لهم حي خاص بهم يدعى بحومة العرب، وتبعاً لما يورده العذري من إشارات ربما كانت كلمة حومة تعني حصناً كبيراً: العذري، ص 7 ـ 8؛ انظر أيضاً: ابن منظور، المصدر السابق: 1/ 763.

(231) **الجمهرة**، ص 233؛ الخشني، **قضاة**، ص 67 ـ 68؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص ـ 295، الأنصاري: 5/ 573 ـ 574، قد2.

(232) **التكملة**، نشر: الأركون، ص 392.

بالحلف[233]. ويشير مؤلف **أخبار مجموعة** أيضاً إلى حلفاء آخرين من البربر لفهر في ماردة[234]. واستناداً إلى هذه الحقيقة، يبدو أن البربر كانوا هم القوة الحقيقية لبعض هؤلاء القادة القريشيين. ويبدو من المحتمل أيضاً أن البربر كانوا وراء الكثير من الخلافات التي حدثت بين العرب والقادة القريشيين. ونظراً لاختلاف المصالح فقد حارب البربر بعضهم البعض بقيادة حلفائهم العرب كما سيتضح لنا ذلك بعد[235].

ويسجل ابن حزم وجود العديد من الفهريين الذين كانوا يعيشون في عصره في الأندلس[236]. وقد دخل بعض القادة الفهريين مع موسى بن نصير مثل عياض بن عقبة بن نافع[237]، وحبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، وابنه عبد الرحمن[238]، وعثمان بن عبيدة القريشي، وهو أحد الذين شهدوا على اتفاقية الصلح مع تدمير[239]. وعلى الرغم من رجوع بعض هؤلاء القادة إلى شمال أفريقيا، يبدو من المؤكد أن بعضاً من أتباعهم استقروا في الأندلس. وقد عبر يوسف بن عبد الرحمن الفهري، الذي سيصبح فيما بعد الوالي الأخير للأندلس، بعد عدّة سنوات من الفتح، فاستقر في البيرة، ثم انتقل إلى قرطبة حينما أصبح والياً للبلاد[240]. وسكن فرع آخر من أسرة يوسف الفهري في طليطلة، حيث أصبح هشام بن عروة الفهري حاكماً. وقد نقل هذا فيما بعد من قِبل عبد الرحمن الأول. ومع هذا فقد استمر نسله في

(233) **الجمهرة**، ص 501؛ وانظر استقرار البربر في الشرق.

(234) **أخبار مجموعة**، ص 98.

(235) انظر استقرار البربر في الجنوب.

(236) **الجمهرة**، ص 178.

(237) **التكملة**، نشر: الأركون، ص 261؛ المقري: 3/ 10.

(238) ابن عبد الحكم، ص 207؛ الحميدي، ص 199؛ المقري (برواية الرازي): 3/ 25.

(239) العذري، ص 5؛ الضبي، ص 400.

(240) ابن عذاري: 2/ 36 ـ 37؛ المقري (برواية الرازي): 3/ 25.

العيش في وادي آش في محافظة غرناطة الحالية[241].

وأنجبت فهر والياً آخر للأندلس، هو عبد الملك بن قطن الفهري. ولا يعرف بالضبط متى دخل عبد الملك إلى الأندلس، ولكن اسمه يظهر في مصادرنا سنة 114/ 732 عندما عُيِّن لأول مرة والياً على الأندلس[242]. وبرز من ذريته أسرتان كبيرتان في الأندلس هما: بيت بني الجد الأعيان في إشبيلية ولبلة[243]، وبيت بني قاسم الأمراء في ألبونت Alpuente في محافظة بلنسية الحالية[244]. ومع هذا فإن ابن حزم يُعد هذه الأسرة الأخيرة من بربر كتامة الذي ينتمون إلى فهر بالحلف[245]. واستقرت أسرة فهرية أخرى في منطقة بلنسية في قرية تدعى رغاط قرب شاطبة. وكان جدهم الأعلى، لبيب الفهري، من أوائل الذين سكنوا هناك، ولكن ذريته انتقلت إلى المناطق الأخرى الغنية والخصبة من شاطبة وبلنسية ودانية[246]. وسكنت جماعات أخرى من فهر في إشبيلية وقرطبة[247]. وفي إشبيلية، على وجه الخصوص،

---

(241) ابن الأثير: 5/ 527 ـ 528؛ **أخبار مجموعة**، ص 101؛ **فتح الأندلس**، ص 61، 63؛ ابن عذاري: 2/ 54؛ النويري: 22/ 6 ـ 7، ق1؛ ابن خلدون: 4/ 266؛ المقري: 3/ 17 ـ 18.

(242) ابن عبد الحكم، ص 217؛ ابن القوطية، ص 13؛ **الجمهرة**، ص 179؛ ابن عذاري: 11/ 28؛ **أخبار مجموعة**، ص 25؛ المقري: 3/ 18.

(243) **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 542 ـ 543؛ ابن سعيد: 1/ 340؛ ابن دحية، المصدر السابق، ص 190؛ **صلة الصلة**، ص 154 ـ 155؛ المقري: 1/ 291، 3/ 18؛ وقارن:
Elias Terés. Linajes árebes en al-Andalus. Segun la Ŷamhara de Ibn Hazm, *Al-Andalus XXII*, 1957. p. 89.

(244) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 388؛ الأنصاري: 6/ 236؛ ابن سعيد: 2/ 395؛ **أعمال الاعلام**، ص 138؛ المقري: 1/ 291، 440، 3/ 18.

(245) **الجمهرة**، ص 501؛ انظر استقرار البربر في الشرق.

(246) **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 832 ـ 833؛ ابن الأبّار، **المعجم**، ص 323؛ وقارن: Ribera. p. 212؛ انظر أيضاً: العذري، ص 18 ـ 19.

(247) **المقتبس**، نشر: انطونيا، ص 68؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 774، 927؛ الأنصاري: 4/ 184.

تقلد بعضهم منصب قاضي المدينة في أثناء عهد الأمير عبد الرحمن الأول واثنين من خلفائه[248].

ومن بني زهرة، كان عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، على قيادة ميسرة جيش موسى بن نصير أثناء فتح الأندلس. وهو أول من استقر في باجة Beja جنوب البرتغال. وسكنت ذريته في هذه المدينة وفي بطليوس Badajoz، وإشبيلية[249]. وتذكر المصادر أيضاً أفراداً آخرين ينتسبون إلى عبد الرحمن بن عوف، سكنوا في قرطبة وبالقرب من شاطبة في الشرق[250]. وقد استقرت جماعات أخرى من زهرة في سرقسطة وقرطبة[251]. وكان من أولئك الذين استقروا في سرقسطة، الحجاب بن رواحة، وتميم بن معبد الزهريين، اللذان ثارا في المنطقة المجاورة لسرقسطة، وحاصرا حاكم المدينة الصميل بن حاتم الكلابي، ولكن تمّ إخضاعهما وأخيراً قتلا من قِبل الوالي يوسف الفهري في سنة 138/ 755[252]. ويشير هذا التمرد إلى وجود أفراد قريشيين من أمثال الحجاب وتميم، وقفوا ضد يوسف الفهري، الذي ينتمي إلى القبيلة نفسها. وفي الحقيقة فإن هؤلاء الزعماء القريشيين لم يحاربوا منفردين، بل كان لهم أنصار ومؤيدون من العشائر العربية والبربرية. وكما سنرى فإن المصالح المختلفة لهؤلاء المؤيدين هي التي قررت مواقفهم السياسية نحو بعضهم البعض أكثر

---

(248) **الجمهرة**، ص 132؛ المقري: 1/ 290، 3/ 11، 64؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 179؛ ابن الأبّار، **المعجم**، ص 285 ـ 286؛ **صلة الصلة**، ص 100 ـ 101، 135 ـ 136؛ الرعيني، المصدر السابق، ص 111 ـ 112؛ الأنصاري: 1/ 290 ـ 291، قدا، 5/ 162 ـ 164، 248 ـ 249، قدا، ص 504، 670، قد2.

(249) المصدر نفسه: 4/ 124 ـ 125؛ ابن بشكوال: 2/ 358.

(250) الحميدي، ص 200؛ ابن الفرضي، قد1، ص 108، 290.

(251) ابن الأثير: 5/ 462 ـ 463، 492 ـ 493؛ **الحلة السيراء**: 2/ 345؛ **أخبار مجموعة**، ص 64؛ **فتح الأندلس**، ص 46؛ ابن عذاري: 2/ 37 ـ 38، 42 ـ 43.

(252) انظر الفصل السادس/ فترة السنوات شبه المستقلة الأخيرة.

من انتمائهم وأصولهم القبلية[253].

ودخل الأندلس من بني عبد الدار رجل شهير وهو عامر بن عمرو بن وهب العبدري، الذي اتخذ مسكنه غربي قرطبة قرب إحدى بواباتها التي سميت باسمه، باب عامر. وقد استطاع أن يبرز نفسه في قرطبة شخصية شهيرة وقائداً عسكرياً خاصة في عهد يوسف الفهري. ولكنه غادر قرطبة إلى سرقسطة حيث شارك في التمرد الذي ذكرناه آنفاً ضد يوسف الفهري والصميل بن حاتم الكلابي. أما أحفاده وذريته فقد استمروا في العيش قرب سرقسطة في قرية يُقال لها قربلان[254]. وتذكر المصادر بأن قائداً آخر ينتمي إلى عبد الدار رافق موسى بن نصير إلى الأندلس وهو المغيرة بن أبي بردة، ولكنه لم يستقر في الأندلس بل رجع فيما بعد إلى شمال أفريقيا[255].

ولا تشير المصادر إلى استقرار جماعات من قبيلة عدي بن كعب في الأندلس، باستثناء بعض الأفراد الذين ينتمون إلى ذرية الخليفة عمر بن الخطاب. وكان موطن هؤلاء الأول، هو طليطلة، حيث كان عثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب زعيمهم هناك. وقد ثار هذا مع هشام بن عروة الفهري ضد عبد الرحمن الأول لكنه قتل في سنة 147/ 764[256]. وقد التحق أفراد قلائل من قبيلة سهم بحملة موسى بن نصير.

(253) ابن القوطية، ص 23، 26؛ **الجمهرة**، ص 126 ـ 127؛ **فتح الأندلس**، ص 46؛ **أخبار مجموعة**، ص 63، 76 ـ 77؛ **الحلة السيراء**: 2/ 344 ـ 345؛ **ذكر بلاد** (رقم 85ج)، ص 24؛ المقري: 1/ 290، 3/ 32.

(254) **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 704، وانظر أيضاً، ص 772؛ المقري: 3/ 10، 60؛ **الإمامة والسياسة**، ص 140.

(255) **الجمهرة**، ص 154؛ **أخبار مجموعة**، ص 101، 105؛ **فتح الأندلس**، ص 61، 63؛ ابن عذاري: 2/ 53؛ ابن خلدون: 4/ 266. وهناك إشارات إلى أن أفراداً آخرين من هذه الأسرة قد عاشوا في عصور لاحقة في مناطق مختلفة مثل طرطوشة وشاطبة وجزيرة ميورقة، انظر: **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 2/ 930؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص 184؛ الأنصاري: 5/ 429 ـ 430، قد1، ص 442، قد2.

(256) العذري، ص 5.

ويذكر العذري قائداً واحداً فقط، وهو يحيى بن يعمر السهمي، الذي كان أحد الشهود على معاهدة الصلح التي عقدت بين عبد العزيز بن موسى وتدمير[257].

ضبّة:

كان عدد رجال القبائل التابعين لهذه العشيرة قليلاً في الأندلس. وقد أشار ابن القوطية إلى شخص يدعى الضبي عاش في مدينة الجزيرة الخضراء في أثناء إمارة هشام الأول، ولكنه لم يذكر عنه أية تفصيلات أخرى[258].

مزينة:

لا تتوفر معلومات عن استقرار هذه العشيرة باستثناء أن مدينة بيانة Baena كانت موطنهم في الأندلس[259]. وتقع هذه المدينة بالقرب من قبرة Cabra، التي تبعد نحو أربعة وستين كيلومتراً جنوب شرقي قرطبة[260].

المستقرون الأوائل من فهم وسليم وعبس وذبيان (عشائر متفرعة من قيس)

على الرغم من أن أفراد هذه العشائر ينتمون إلى قيس، لكنهم يختلفون عن القيسيين الآخرين الذين رافقوا بلج بن بشر الذين جاءوا بالأصل من الجزيرة. أن المستقرين الأوائل من قيس جاءوا على الأغلب من مواطنهم الأصلية في شبه الجزيرة العربية.

فهم:

كان عبد الله بن ميسرة الفهمي، زعيم هذه العشيرة، من أصحاب

(257) ابن القوطية، ص 41؛ المقري: 1/ 291، 334.

(258) **الجمهرة**، ص 201.

(259) الحميري، ص 59، الترجمة الفرنسية، ص 74، هامش (3).

(260) الضبي، ص 337.

موسى بن نصير. وقد شارك في حملة عبد العزيز بن موسى إلى شرق إسبانيا، وكان أحد الشهود الذين وقعوا على معاهدة الصلح مع تدمير[261]. ولا تتوفر معلومات عن استقرار هذه العشيرة ولكن ياقوت يذكر فيما بعد موقعاً بالقرب من طليطلة يدعى الفهميين[262]. وتسمى ضرائب هذا المكان في الوقت الحاضر باسم Alamin[263].

سُليم:

تُعد هذه العشيرة الوحيدة ضمن هذه المجموعة، والتي يمكن أن يكون لها صلة أو رابطة بالقيسيين السوريين[264]. ومع هذا فإن ابن الخطيب ينص على أن بعضاً من سُليم وقد دخلوا الأندلس مع موسى بن نضير. ومن ضمن هؤلاء حمود بن عنبسة بن حارث، الذي استقر في بلفيق في منطقة المرية[265]. ومن المحتمل أيضاً أن يكون المسلمون الذين سكنوا في منطقة تدمير (مرسية) في الشرق من المستقرين الأوائل[266].

عبس:

استقر بعض أفراد هذه العشيرة في أبذة في محافظة جيان الحالية[267]. ويحتمل أيضاً أن يكون البعض الآخر منهم قد عاش في إشبيلية[268]،

---

(261) ياقوت: 4/ 281.

(262) Palacios, pp. 44-45.

(263) انظر استقرار جند دمشق في البيرة/عشيرة سليم.

(264) **الإحاطة**: 2/ 143؛ انظر أيضاً: **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 166.

(265) ابن سعيد: 2/ 274؛ وقارن:
Ribera, p. 212; Eliás Terés, op. cit., p. 97.

(266) Cf. Otto Speis, Indishe Handschriften Von Ibn Hazm *Gamharat Ansab al-'Arab A pd Documenta Islamica Inedita* (Berlin Akademie Verlay, 1952) p. 103. cit., Elias Terés, op. cit., p. 98.

(267) **المقتبس**، نشر: انطونيا، ص 14.

(268) ابن خلدون: 4/ 270.

وطرسونة Tarazona، وقد تولى إدارة هذه المدينة الأخيرة رجل من عبس يدعى يوسف العبسي، وذلك خلال إمارة عبد الرحمن الأول[269].

ذبيان:

ينفرد ابن حزم من بين المؤرخين بالإشارة إلى استقرار هذه العشيرة في الأندلس. فقد ذكر بأن بني عياض الذين ينتسبون إلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان عاشوا في ألبيرة، ولكنه لا يعطي معلومات إضافية أخرى عنهم[270]. ويحتمل أن يكون بعض أفراد هذه العشيرة قد دخلوا الأندلس مع أبناء عمهم العبسيين.

المستقرون الأوائل من ربيعة:

هناك إشارة إلى مرافقة قائد واحد من ربيعة لحملة موسى بن نصير، وهو سعدون الربعي، الذي شهد على وثيقة الصلح مع تدمير[271]، ويحتمل أن يكون بنو النمر بن قاسط، الذين استقروا في حصن وضاح في كورة رية من ضمن المستقرين الأوائل[272]، ولكن بصورة عامة فإن ربيعة لم تكن كثيرة العدد في الأندلس[273].

ب) القادمون الجدد من السوريين (الشاميون):

أجبرت تطورات الأحداث الحاسمة في شمال أفريقيا الخليفة هشام بن عبد الملك لأن يرسل جيشاً شامياً من أجل إخضاع ثورة البربر[274]، ومع هذا فإن الجيش، الذي بلغ تعداده نحو ثلاثين ألف رجل، هزم وقتل قائده

(269) Otto Spies. op. cit., p. 103, cit Elias Terés, op. cit., p. 98.
(270) العذري، ص 5.
(271) **الجمهرة**، ص 302؛ المقري: 1/ 292.
(272) **أخبار مجموعة**، ص 58.
(273) عن ظروف تمرد البربر في شمال أفريقيا، انظر أدناه، الفصل الخامس.
(274) لقد وضحت هذه الأحداث بالتفصيل في الفصلين الخامس والسادس.

كلثوم بن عياض القشيري ضمن العديد من القواد الآخرين (124/ 741). وانهزم ابن أخيه بلج بن بشر القشيري بالناجين إلى مدينة سبتة، حيث حوصر هناك من قبل البربر لمدة بضعة أشهر، عانى فيها رجاله الكثير من المصاعب العظيمة، حتى إنهم اضطروا إلى أكل جيادهم، ولقد التمس بلج عدَّة مرات من عبد الملك بن قطن الفهري، والي الأندلس، أن يسمح له ولرجاله بالعبور إلى الأندلس، ولكن الأخير امتنع عن السماح للقادمين الجدد بالدخول، ورفض طلب بلج، وأخيراً عندما تعرض العرب في الأندلس نفسها إلى التهديد إثر ثورة عظيمة قام بها البربر هناك، لم يكن أمام عبد الملك بن قطن أي خيار سوى السماح لبلج ورجاله بالدخول شريطة أن يغادروا البلاد بعد أن يتمّ إخضاع البربر. واستطاع بلج، الذي كان يقود نحو عشرة آلاف رجل، أن ينتصر بسرعة على البربر في الأندلس، ثم رفض أن يغادر البلاد، ونتيجة لهذا، فقد قام صراع مرير بين المستقرين الأوائل وبين السوريين، استمر حتى وصول أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي، الذي أصبح والياً على الأندلس (125 ـ 127/ 742 ـ 744)[275].

ولقد كان على أبي الخطار أن يعمل على إيجاد جو مناسب لاستقرار السوريين في البلاد، ولم تكن هذه المهمة بالسهلة، لأن قرطبة كانت قد ازدحمت كثيراً والمستقرون الأوائل يطالبون بانسحاب السوريين وإخراجهم من البلاد، ولقد نصح أرطباس Ardabast، قومس Comes الأندلس وزعيم النصارى المسؤول عن خراجهم، أبا الخطار أن يفرق القبائل الشامية تبعاً لنظام الاستضافة الروماني القديم hospitalitas في إسبانيا. وبموجب هذا النظام الذي أشرنا إليه في الفصل الأول، سمح للقوط أن يستوطنوا في الأرض التابعة للمالكين الرومان في غالة Gaul، وأن يستولوا على ثلثي كل مزرعة بينما احتفظ المالك الروماني بالثلث الباقي من الأرض[276]. وهكذا

---

(275) راجع الفصل الأول/إسبانيا عن استيطان القوط في غالة.

(276) **الإحاطة** (برواية ابن حيان): 1/ 102 ـ 103.

فقد قرر أبو الخطار أن يمنح الشاميين إقطاعات من الأرض في كور معيَّنة في الأندلس حتى يتمكنوا من الاستقرار تحت إمرة زعمائهم، وأن يكونوا جاهزين للخدمة العسكرية عند الحاجة[277].

وقد جرى توزيع الشاميين واستقرارهم في الأندلس على غرار تجمعاتهم السابقة في بلاد الشام، أي نظام الجند. وتشير الروايات إلى أن أبا الخطار قد تحرى أن يكون استقرار كل مجموعة في مكان يحمل بعض التشابه للجند الأصلي الذي كانت تنتمي إليه في بلاد الشام، وهكذا فقد استقر جند دمشق في البيرة، وجند حمص في إشبيلية ونبلة، وجند قنسرين في جيان، ووزع جند فلسطين بين شذونة والجزيرة الخضراء، وجند الأردن في رية Raiyo، أما جند مصر فقد انقسم إلى قسمين: وزع الأول على أكشونبة Faro وocsonba، وباجة في جنوب البرتغال الحالية، والثاني في تدمير (محافظة مرسيه)[278]. أما أولئك الشاميون الذين سكنوا في مناطق مختلفة مع البلديين، قبل ترتيبات الاستقرار التي وضعها أبو الخطار، فقد بقوا في أماكنهم الأولى، ولهذا فقد سموا بالشاذة، لأنهم شذوا في أماكن استقرارهم عن بقية إخوانهم الشاميين[279]. لقد تضمنت تنظيمات أبي الخطار أن يكون للسوريين ثلثا الأرض والمزارع التي يستقرون عليها[280]. وقد احتفظ السكان الأصليون بالثلث الباقي من الأرض، واستمروا في الزراعة والعمل على ازدهار قراهم، وكانوا تحت قيادة زعمائهم الدينيين، الذين كانوا

---

(277) ابن القوطية، ص 20؛ **أخبار مجموعة**، ص 46؛ ابن الأثير: 273، 491؛ **الحلة السيراء**: 1/ 61 ـ 63؛ ابن عذاري: 2/ 33؛ **الإحاطة**: 1/ 102 ـ 104؛ ابن خلدون: 4/ 259 ـ 260؛ المقري: 1/ 237.

(278) **الإحاطة**: 1/ 104.

(279) المصدر نفسه (برواية ابن حيان): 1/ 102 ـ 103. وعلى الرغم من أن المخطوطة التي اعتمد عليها الأستاذ محمد عبد الله عنان في تحقيقه للإحاطة تنص بوضوح على أن السوريين استلموا ثلثي الأرض، لكن المحقق استبعد هذا، وثبت خطأً أن حصتهم كانت الثلث فقط.

(280) **الإحاطة**: 1/ 107.

بدورهم مسؤولين أيضاً عن جمع الجزيرة من رعاياهم المسيحيين[281].

باستثناء كورة تدمير، لا تتوفر لدينا معلومات تشير إلى أن أياً من أماكن الاستقرار هذه قد تم الاستيلاء عليها نتيجة معاهدات صلح عقدت بين العرب وأهل البلاد. ومع هذا، ففي زمن أبي الخطار، يبدو من الواضح أن السكان المحليين كانوا يمتلكون معظم هذه المناطق. ومما لا شك فيه أن المستقرين الأوائل، أو البلديين، سيطروا على بعض هذه المناطق بالقوة، ولكن من المحتمل جداً أن السكان المحليين استمروا في الاحتفاظ ببقية هذه الأراضي. ويعود هذا بطبيعة الحال إلى قلة عدد المسلمين الفاتحين الأوائل، وإلى حصانة مواقع بعض هذه الأماكن. ولكن مجيء الشاميين غير ميزان القوى في البلاد لصالح المسلمين، ولهذا لم يكن من الصعب على أبي الخطار أن ينهي اتفاقية عبد العزيز ـ تدمير في منطقة مرسيه، وأن يوزع الأراضي التي كانت ما تزال بيد المسيحيين على الجنود الشاميين في الكور المذكورة أعلاه[282]، والتي أصبحت تدعى منذ ذلك الحين بالكور المجندة[283].

لم يكن الشاميون مطالبين بالقيام بأية التزامات أخرى ما عدا الخدمة العسكرية والاستعداد للجهاد عند الحاجة. وكانوا معفوين من أداء العشور على الأراضي التي يسيطرون عليها، بينما كان يتوجب على البلديين وبقية المسلمين الآخرين دفع هذه الضريبة. وفي العهود التالية، في أثناء فترة الإمارة وعصر الخلافة، حصل الشاميون على امتيازات أخرى على حساب البلديين، الذين ابتدأوا يفقدون بالتدريج سيادتهم الأولى منذ دخول السوريين إلى الأندلس[284].

---

(281) انظر أعلاه، ص

(282) قارن الحميري، ص 36.

(283) **الإحاطة** (برواية الرازي): 1/ 104 ـ 105.

(284) ابن القوطية، ص 15.

وكان القادمون الجدد يتألفون من ثمانية آلاف عربي، ونحو ألفين من الموالي[285]. وينتمي العرب إلى مختلف عشائر اليمن وقيس ومضر وربيعة. ومن المحتمل جداً أن يكون أصل القيسيين في الأندلس من الجزيرة الفراتية، لأن الخليفة هشام بن عبد الملك، الذي كان في حاجة ماسة إلى جنود جدد للقضاء على تمرد البربر في شمال أفريقيا، اضطر إلى إرسال العديد من رجال القبائل القيسية في الجزيرة مع الشاميين الآخرين إلى المناطق المتأثرة بالتمرد. ويبدو هذا واضحاً من إجراءاته السابقة إزاء خطر الخزر عندما عهد بمنطقة الجزيرة إلى ابن عمه مروان بن محمد عام 114/ 732، وأعطاه صلاحية القيام بتجنيد أكبر عدد من رجال القبائل في المنطقة[286]. وبالنسبة إلى عشائر ربيعة ومضر الذين لم يكن عددهم كبيراً، فيمكن أن يكونوا من بقايا الخوارج في كل من الموصل والجزيرة إضافة إلى بعض رجال القبائل المنتشرين على طول الحدود السورية ـ البيزنطينية، وفي الثغور. أما الموالي فكانوا ينتمون إما إلى أصول بيزنطية أو بربرية، وشمال أفريقية. وقد رافق بعضهم بلج بن بشر في المشرق مثل أمية بن يزيد، الذي كان جده مولى لمعاوية بن مروان بن الحكم[287]. بينما من المحتمل جداً أن يكون الآخرون من الأفارقة والبيزنطينيين الذين اعتنقوا الإسلام، إضافة إلى البربر الموالين للعرب[288]، وقد أصبح هؤلاء الموالي الذين دخلوا مع بلج بن بشر يسمون بالموالي الشاميين، بينما أطلق على الآخرين الذين دخلوا مع العرب المستقرين الأوائل اسم الموالي البلديين[289]. وبما أن الكثير من موالي

(285) ابن الأثير: 5/ 177؛ وقارن: Shaban, op. cit., Vol. I. pp. 144-145.

(286) ابن القوطية، ص 23؛ **الحلة السيراء**: 2/ 373؛ ابن الأبار، **اعتاب الكتاب**، تحقيق: صالح الأشتر، دمشق، 1961، ص 71 ـ 72؛ المقري: 3/ 46؛ انظر أيضاً: **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 167؛ **الحلة السيراء**: 1/ 127، 240؛ ابن سعيد: 2/ 94.

(287) **أخبار مجموعة**، ص 91؛ المقري: 3/ 45.

(288) **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 196 ـ 197؛ **الحلة السيراء**: 1/ 201.

(289) قارن: **أخبار مجموعة**، ص 66، 70، 71، 82، 86، 87، 91، 92.

المجموعة الأولى كانوا على اتصال وثيق بالأسرة الأموية الحاكمة، فقد ابتدأوا يعرفون بموالي بني أمية[290]. وينص مؤلف كتاب **أخبار مجموعة** على أن موالي بني أمية في قرطبة كانوا يتألفون من «بيوتات لها وفر وثروة من البربر وغيرهم»[291].

1) استقرار جند دمشق في البيرة:

القبائل القيسية:

ينتمي كثير من الشاميين في هذه الكورة إلى قيس[292]. وقد سمي اثنان من أقاليمها باسم هذه القبيلة، وهما: إقليم قنب قيس، وإقليم أُرش قيس[293]. ويظهر أن المنطقة الأولى كانت خصبة وصالحة للزراعة، لأن كلمة قنب، كما أسلفنا، تعني في اللاتينية الأرض المزروعة (Campus)[294]. وتشير كلمة أُرش في الإقليم الثاني إلى أن هذا الإقليم كان قد منح إلى قيس[295] ـ ربما على أثر تنظيمات وضعها أبو الخطار، لقد كانت العشائر التالية تمثل غالبية القيسيين في البيرة ما حولها:

محارب:

استقرت هذه العشيرة قرب البيرة في قرية تدعى قشتالة Castella، وكان

---

(290) المصدر نفسه، ص 91.

(291) اليعقوبي، ص 254؛ **أخبار مجموعة**، ص 65؛ ابن عذاري: 2/ 42؛ انظر أيضاً: **الإحاطة**: 1/ 135 ـ 136؛ ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص 17. ويشير هذا المؤلف إلى وجود عدد كبير من العشائر العربية في هذه المنطقة، ولكن روايته لا تنطبق على الفترات المبكرة من الاستقرار.

(292) المصدر نفسه، ص 18، 19.

(293) راجع مقدمة هذا الفصل.

(294) للاطلاع على شرح كلمة أرش، انظر مقدمة هذا الفصل.

(295) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 337؛ ابن الأبّار، **المعجم**، ص 259؛ الأنصاري: 1/ 132، قدا، 4/ 160؛ **الإحاطة**، 1/ 127؛ **الإحاطة**، م. الأسكوريال، ص 266؛ **الإحاطة**، م. مدريد، ص 517؛ النباهي، ص 109؛ المقري: 1/ 292.

عطية بن خالد المحاربي من أوائل الذين سكنوا هناك[296]. وقد تمرد أحد أفراد هذه العشيرة المشهورين في هذه المنطقة بعد نحو قرن ونصف 276/ 889، وهو سوّار بن حمدون المحاربي على الحكومة المركزية في قرطبة[297].

هوازن:

يُعد بنو جودي من أشهر أفراد هذه العشيرة. وعلى الرغم من أن ابن الأبار يذكر أنهم ينتمون إلى جند قنسرين، لكنه يشير، كما فعل العديد من المؤرخين الآخرين، إلى أن منطقة استقرارهم كانت في البيرة[298]. ومن المحتمل أن يكون جعفر بن سليمان أول من استقر هناك، وقد تولى أحفاده مناصب عالية، ولعبوا دوراً مهماً في البيرة في أثناء عهد الإمارة الأموية، ومن هؤلاء: أسباط، وجودي، وسعيد بن سلميان بن جودي[299]. ويذكر ابن غالب أن هوزان استقروا، إضافة إلى موطنهم في البيرة، في مناطق أخرى مثل إشبيلية، وبلنسية، حيث سكنوا في مكان يدعى منازل هوزان Masalavés، الذي يبعد نحو خمسة كيلومترات شمالي بلنسية[300]. ولكن لا يعرف بالضبط فيما إذا كان هذا المكان موطناً أولياً، أم متأخراً لهوازن، تحول إليه بعض أولئك الذين جاءوا من البيرة أو من أماكن أخرى.

---

(296) **الجمهرة**، ص 260؛ **الحلة السيراء**: 1/ 147 ـ 149؛ ابن عذاري: 2/ 133؛ **الإحاطة**، م. الأسكوريال، ص 362؛ **الإحاطة**، م. تونس، ج3، الورقة 112ب.

(297) **الحلة السيراء**: 1/ 154 ـ 155؛ **الجمهرة**، ص 265.

(298) **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 29 ـ 31؛ **الحلة السيراء**: 1/ 154 ـ 155؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 210؛ ابن سعيد: 2/ 105؛ ابن عذاري: 2/ 134 ـ 136؛ **الإحاطة**: 1/ 418 ـ 419؛ المقري: 1/ 291.

(299) المصدر نفسه (برواية ابن غالب): 1/ 291 ـ 292؛ وقارن:
Palacios, pp. 118-119; Elias Terés, op. cit., p. 101.

(300) **أخبار مجموعة**، ص 76، 82.

ثقيف:

لا تشير المصادر إلاَّ إلى بضعة أفراد فقط من هذه العشيرة. ومن هؤلاء عاصم بن مسلم الثقفي، وأخوه عمران اللذان دخلا مع بلج بن بشر، وسكنا في كورة البيرة. ويتضح ذلك من الحقيقة التي تشير إلى أن عاصماً كان ضمن الأفراد القلائل الأوائل الذين رحبوا بعبد الرحمن الأول عندما دخل الأندلس ومكث في قرية طُرش Torrox[301]. وبعد قيام الإمارة الأموية، أصبح عاصم أحد المساعدين البارزين لعبد الرحمن الأول[302]. وظل أحفاده الكثيرو العدد معروفين في قرطبة وغيرها من الأماكن. وقد برز منهم قضاة وأصحاب شرطة ومحدثون وغيرهم[303].

غطفان:

كان العديد من أفراد هذه القبيلة، وبشكل خاص، في قرية تدعى إبرة في فحص غرناطة[304]. ويمتد هذا السهل، الذي يقع جنوب شرقي غرناطة، نحو أربعة وستين كيلومتراً وهو يحتوي على الكثير من القرى والبساتين والكروم وأشجار الزيتون، إضافة إلى توفر مصادر المياه العديدة[305].

---

(301) ابن القوطية، ص 28؛ **أخبار مجموعة**، 87، **فتح الأندلس**، ص 54؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص 311؛ ابن عذاري: 2/ 53؛ **الإحاطة**: م. الأسكوريال (رقم 1674)، ص 76؛ المقري: 3/ 54.

(302) الحميدي، ص 250، 299؛ ابن الفرضي، قد1، ص 8 ـ 9، 113، 220 ـ 221؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 76 ـ 77؛ الضبي، ص 201، 317، 391؛ ابن سعيد: 1/ 101؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 791؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص 311؛ الإنصاري: 1/ 39 ـ 45، قد1، 4/ 36، 219؛ **الإحاطة**: 1/ 188 ـ 189، 190، 192.

(303) **أخبار مجموعة**، ص 65؛ ابن عذاري: 2/ 42؛ ابن الخطيب، **التكملة**، ص 16.

(304) **الإحاطة**: 1/ 99، 109.

(305) **أخبار مجموعة**، ص 65؛ ابن عذاري: 2/ 42.

كعب بن عامر:

كان سليمان بن شهاب زعيماً لهذه العشيرة[306]. وقد استقر بعض أتباعه في قرية تدعى طغنر Tignar، التي تقع إلى الشمال الغربي من غرناطة[307].

قشير:

ينتمي بلج بن بشر القشيري إلى هذه العشيرة التي استقرت في جيان، على الرغم من أن بعض القشيريين سكنوا أيضاً في البيرة[308].

نمير:

كانت البراجلة Bérchules موطناً لنمير في الأندلس[309]. وكلمة البراجلة كما أسلفنا، مشتقة من الكلمة اللاتينية barcella، والتي تعني منطقة غير محددة من الأرض[310]. وتقع هذه المنطقة على سفوح جبال الثلج، أو جبال سيرانيفادا Sierra Nivada قرب البيرة وتضم قسمين: البراجلة العليا، والبراجلة السفلى، وكانت الأخيرة هي البراجلة الإسلامية المقصودة هنا. ومن مميزات هذه الأرض سواد تربتها التي تصلح بشكل جيد للزراعة. ولقد كان زيت الزيتون والحبوب كالحنطة والشعير من أهم منتجات هذه المنطقة. يضاف إلى ذلك، أنها مكان جيد لرعي الماشية وتربية الأغنام[311]. وهكذا فليس من الغريب أن تتخذ نمير وبقية العشائر الأخرى هذا المكان موطناً

(306) **الإحاطة**: 1/ 162 ـ 163؛ انظر أيضاً: ابن الخطيب، **التكملة**، ص 16، 108.

(307) **الجمهرة**، ص 290؛ وقارن: **الإحاطة**: 1/ 135.

(308) **الجمهرة**، ص 280؛ ابن الخطيب، **التكملة**، ص 16.

(309) راجع مقدمة هذا الفصل.

(310) cf. Madoz, Vol. IV p. 240; Elias Terés, op. cit., p. 103.

(311) انظر استقرار عشائر مضر في البيرة/ أسد بن خزيمة، كلب.

لاستقرارها[312]، وكان صقالة بن أبان بن مروان النميري، وثوابة بن حمزة النميري، من قادة نمير في هذه المنطقة[313]. وقد عاش بعض أحفاد الأخير، بنو أرقم، في وادي آش Guadix[314].

مرّة:

كانت البيرة موطن مرّة الرئيس[315]، حيث عاش هناك أفراد بارزون وأُسر كبيرة من هذه العشيرة على مدى قرون عديدة بعد الفتح[316]. ومع هذا فقد استقر بعضهم في المناطق القريبة، مثل بشارة بني حسان[317]. وقرية الصير مورتة Sierra Murada قرب غرناطة[318]. وكما أشرنا سابقاً فإن كلمة بشارة مشتقة من الكلمة اللاتينية boscalia، التي تعني غابة صغيرة، والاسم الإسباني لهذه المنطقة هو Alpujarras التي تقع على سفوح جبال سيرانيفادا[319]. وكان أبو عطاء بن حمد المري، أحد كبار قادة هذه العشيرة، ويُعد في الوقت نفسه رئيساً لكل العشائر الغطفانية. وعلى الرغم من أنه كان من جند دمشق، فقد استقر في استجة حيث كان يعيش في قصر منيف يسمى بلاط أبي عطاء[320].

---

(312) **الإحاطة**: 1/ 342، ابن الخطيب، التكملة ص 16، أنظر أيضاً: الأنصاري 1/ 87، قد 1.

(313) **الإحاطة**: 1/ 342؛ انظر أيضاً: المقري: 1/ 292.

(314) **الجمهرة**، ص 252، 254.

(315) الحميدي، ص 226، 291؛ ابن الفرضي، قد1، ص 158، 289؛ الضبي، ص 287؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 253 (برواية الرازي، ص 289)، 2/ 571 ـ 572؛ الأنصاري: 1/ 448، قد2، 6/ 310 ـ 312؛ **الإحاطة**: 1/ 135.

(316) المصدر نفسه: 1/ 422 ـ 423.

(317) **الإحاطة**، م. مدريد، ص 272، م. تونس، جـ3، الورقة 147أ.

(318) راجع مقدمة هذا الفصل. انظر أيضاً: Simonet, Glosario, p. 567

(319) **أخبار مجموعة**، ص 61، 65؛ **فتح الأندلس**، ص 38، 43؛ المقري: 3/ 23.

(320) ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص 19؛ انظر أيضاً: ابن الخطيب، **التكملة**، ص 158؛ **الإحاطة**: 1/ 135؛ المقري: 1/ 292؛ وقارن: Elías Terés, op. cit., p. 99.

فزارة:

سمي أحد أقاليم البيرة باسم إقليم فزارة نسبة إلى هذه العشيرة[321]. وربما يشير هذا إلى أن فزارة كانت قوية وكبيرة العدد نسبياً بحيث استطاعت أن تسيطر على إقليم كامل يضم العديد من القرى والمناطق المجاورة.

سُليم:

لقد ورد ذكر هذه العشيرة ضمن العديد من العشائر القيسية الأخرى في جند دمشق في البيرة[322]. وتشير المصادر إلى أن المُحدِّث الشهير، عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238 أو 239/ 852 أو 853)، الذي كان مقر استقراره الأول في قرية تسمى قرت قرب البيرة، كان ينتمي إلى هذه العشيرة[323]. كما تذكر المصادر أيضاً شخصية أخرى من سليم باسم القائد السلمي الذي تمرد على عبد الرحمن الأول[324].

القبائل المصرية في البيرة:

تميم:

لا يوجد إلاَّ القليل من أفراد هذه العشيرة في الأندلس، لأنهم لم يكونوا كثيري العدد في مناطق الجند الأصلية في بلاد الشام. وتشير المصادر إلى شخص واحد، هو زيد بن يحيى بن حنظلة، الذي استقر في قرية تسمى شوش، وهي على الأغلب تحتوي على منجم للملح[325]. وقد أصبح ابنه

(321) **أخبار مجموعة**، ص 65.

(322) الخشني، **قضاة**، ص 77؛ الحميدي، ص 282؛ ابن الفرضي، قد1، ص 238؛ ابن سعيد: 2/ 408؛ الفتح بن خاقان، **مطمح الأنفس**، ص 36؛ ابن عذاري: 2/ 110؛ ابن الخطيب، **التكملة**، ص 149 ـ 150؛ **الإحاطة**، م. مدريد، ص 511؛ 1/ 291.

(323) **أخبار مجموعة**، ص 112؛ ابن الأثير: 6/ 59؛ النويري: 22/ 14، قد.

(324) للاطلاع على شرح كلمة شوش، انظر مقدمة هذا الفصل.

(325) **الجمهرة**، ص 214؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص 261، انظر أيضاً: ص 397؛ =

عاصم، الذي يسمى أيضاً بأبي المخشي، شاعراً شهيراً في أثناء عهد عبد الرحمن الأول واثنين من خلفائه[326].

أسد بن خزيمة:

كان موطنهم في هذه الكورة في البراجلة Bérchules وفي البشري (من boscus وboscalia اللاتينية)، وهي مناطق تغلب عليها الغابات، تقع بالقرب من الأجزاء الجنوبية من جبال سيرانيفادا[327].

أميّة:

هناك إشارات قليلة بشأن الاستقرار المبكر لهذه العشيرة في الأندلس، لأن معظم أفرادها عبروا في وقت لاحق خاصة بعد سقوط الخلافة الأموية في دمشق[328]. ومع هذا، فهناك معلومات لا بأس عن موالي بني أمية في البيرة وغيرها. فقد كان هناك نحو خمسمائة من هؤلاء الموالي في كورتي البيرة وجيان بقيادة أبي عثمان عبيد الله وعبد الله بن خالد[329]. وكان هذا الأخير من ذرية أسلم بن أبان مولى الخليفة عثمان بن عفان[330].

ومما يدل على كثرة هؤلاء في كورة البيرة إطلاق اسمهم على أحد وديانها الذي كان يعرف باسم وادي بني أمية[331].

= ابن سعيد: 2/ 123 ـ 124؛ الأنصاري: 5/ 102، قد1؛ انظر أيضاً: ابن القوطية، ص 35 ـ 36.

(326) **الجمهرة**، ص 196 .**الإحاطة**، م. مدريد، ص 157 .**المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 63، انظر أيضاً: Simonet, Glosario. pp. 56-57

(327) راجع هامش 490.

(328) **أخبار مجموعة**، ص 66، 70 ـ 71، انظر أيضاً: الحميري، ص 29.

(329) **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 167، 168، ابن الفرضي، قد، ص 89؛ **الحلة السيراء**: 1/ 127، ابن سعيد: 2/ 94؛ **الإحاطة**: 1/ 419.

(330) العذري، ص 92.

(331) **أخبار مجموعة**، ص 58، انظر أيضاً أعلاه، ص.

قبائل ربيعة في البيرة:

كما ذكرنا سابقاً، كانت عشائر ربيعة قليلة في الأندلس[332]. وقد قدَّم أفرادها سوية مع المضريّين الذين جاءوا بالأصل من ديار مضر وربيعة ومن الثغور على الحدود السورية البيزنطية في المشرق، ثم توزعوا بين البيرة وجيان. وبالنسبة إلى البيرة، فقد استقر بنو أسد بن ربيعة إلى الشمال من وادي آش في إقليم سمي باسمهم بإقليم بني أسد[333]. واستقرت بكر بن وائل في كل المناطق التي تقع بين البيرة وقلعة رباح Calatrava، وبشكل خاص، في المنطقة الأخيرة ومنطقة نهر وادي آنة Guadiana[334]. التي تتبع كورة جيان، وكان بنو مطروح، وهم أسرة شهيرة في قرطبة، ينتمون إلى بكر بن وائل، وقد جاءوا بالأصل من باغة Priego، التي تقع على بعد مائة كيلومتر شمال غربي غرناطة[335]. وكذلك فقد استقرت عشيرة تغلب في مدينة باغة، ولكن بعضهم مثل بني حمدين، عاشوا في قرطبة[336].

قبائل يمن في البيرة:

تورد المصادر بعض أقاليم وأجزاء هذه الكورة وهي تحمل اسم اليمن، مثل إقليم رَبع اليمن، وإقليم اليمانيين، وجزء أُرش اليمن[337]. ولكن كما يشير مؤلف كتاب **أخبار مجموعة**، فإن اليمنيين لم يكونوا كثيري العدد في

---

(332) العذري، ص 92، المقري (برواية ابن غالب): 1/ 292.

(333) **المقتبس**، نشر أنطونيا، ص 19، **أخبار مجموعة**، ص 68، **الحلة السيراء**: 1/ 149.

(334) **الجمهرة**، ص 321، **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 27، ابن عذاري: 2/ 116، ابن سعيد: 2/ 155.

(335) **أعمال الاعلام**، ص 252، المقري: 1/ 292، انظر أيضاً: ابن بشكوال: 2/ 570، التباهي، ص 103، وقارن:

Elias Terés, Op. cit., P. 108.

(336) ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص 19، العذري، ص 90، 92.

(337) **أخبار مجموعة**، ص 83.

البيرة[338]. وقد يشير هذا إلى أن أعداداً قليلة فقط من رجال القبائل اليمانية استطاعت أن تمتلك هذه المناطق الواسعة التي كانت غنية بمصادرها الطبيعية. أما بقية أفراد العشائر العربية الأخرى، فلم تكن بالتأكيد راضية عن مثل هذا التفاوت وعدم المساواة بالنسبة إلى حيازة الأرض، مما خلق، بطبيعة الحال، بؤرة للتنافس والصراع بين المستقرين. أن القبائل التالية هي أهم القبائل اليمانية في المنطقة:

معافر:

يبدو أن أفراداً قلائل فقط من هذه العشيرة دخلوا الأندلس مع الشاميين. وقد أورد ابن الخطيب اسم عقبة بن نُعيم الذي استقر في قرية قرب لوشة Loja (على نحو خمسين كيلومتراً جنوب غربي غرناطة) على أنه من جند دمشق[339].

جذام:

يردد اسم شخص واحد فقط من هذه العشيرة دخل الأندلس مع الشاميين، وهو عبد الحميد الجذامي، الذي استقر بالقرب من البيرة في قرية كانت تتبع قلعة يحصب[340].

كلب:

إن الكلبيين الوحيدين في هذه الكورة كانوا بعض أولئك الذين ينتسبون

---

(338) **الإحاطة**، م. الأسكوريال، رقم 1674، ص 173، رقم 1673، ص 256، ابن الخطيب، **التكملة**، ص 135، انظر أيضاً: الخشني. **طبقات**، الورقة، 103ب.

(339) **المقتبس**، تحقيق: الحجي، ص 33 ـ 34، انظر أيضاً؛ **الحلة السيراء**، 1/ 305، ابن عذاري: 2/ 242.

(340) المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، 1939: 3/ 184 ـ 185، انظر أيضاً: **الإحاطة**: 1/ 157 ـ 158، **الإحاطة**، م. مدريد، ص 171.

إلى أبي الخطار الكلبي، والي الأندلس. وقد استقروا في مكان يدعى ولبة أو ولمة التابع لحصن البراجلة الذي يقع بالقرب من البيرة[341].

غسان:

لقد ذكر أبي الخطيب قرية بالقرب من غرناطة تدعى غسان[342]. وبطبيعة الحال، فإن هذا المكان كان موطناً لهذه العشيرة في كورة البيرة، وكان في وادي آش موطن أولي آخر لغسان، حيث عاش الجد الأعلى لبني حسان، وبني عمر الغسانيين[343]. وتشير المصادر أيضاً إلى بعض الأفراد الآخرين من غسان، مثل سعيد الغساني، الذي كان من جند دمشق[344]. ودهية أو وجيه الغساني، الذي ابتدأ التمرد في هذه المنطقة في عهد الأمير عبد الرحمن الأول[345].

همدان:

كانت البيرة موطناً لأفراد هذه العشيرة في الأندلس[346]. حيث كان بحوزتهم إقليم كامل، سمي على اسمهم بإقليم همدان، يقع بالقرب من

---

(341) **الإحاطة**، 1/ 28، انظر هامش (3) حيث يذكر المحقق الأستاذ عنان أن هذه القرية تدعى اليوم Cocin، بينما يسميها Palacios, P. 99 بقرية قاسم.

(342) ابن القوطية، ص 22.

(343) **التكملة**، نشر: الأركون، ص 328، الأنصاري: 5/ 9، ق1.

(344) **أخبار مجموعة**، ص 111، **فتح الأندلس**، ص 67، ابن الأثير: 6/ 58، النويري: 22/ 13، ق1. ابن خلدون: 4/ 268 ـ 269، انظر أيضاً: ابن الفرضي، ق1، ص 306 ـ 307، **التكملة**، ط. القاهرة. 1/ 359، 2/ 777، الأنصاري: 6/ 377، **الإحاطة**: 1/ 147. المقري: 1/ 45. وقد عاش جماعات من غسان في أماكن أخرى، مثل بني أسود الغساني الذين استقروا في بجانة Pechina التي تقع على بعد عشرة كيلومترات إلى الشمال من المرية، وفي المرية ذاتها في سنوات لاحقة، انظر: **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 87 ـ 88، العذري، ص 87، ابن سعيد: 2/ 190، الحميري، ص 38.

(345) **الجمهرة**، ص 397.

(346) الخشني، **طبقات**، الورقة 136أ، العذري، ص 90، ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص 19.

غرناطة[347]. وتذكر المصادر أيضاً إحدى قراهم في هذه المنطقة، وهي قرية همدان Alhendin[348]. وقد عد بعض المؤرخين هؤلاء الهمدانيين في عداد الشاميين[349]. ولكن هذا غير محتمل، كما يعتقد الدكتور محمد عبد الحي شعبان[350]. فليس هناك أفراد من هذه العشيرة في جند دمشق الأصلي في بلاد الشام. وكان يزيد بن الشمر، الجد الأعلى لبني أضحى الهمدانيين في البيرة، أول من استقر في قرية همدان[351]. ويذكر الأنصاري أسرة همدانية أخرى، سكن جدها، حديدة بن زبان في قرية بني حديدة التي سميت باسمه وهي تقع في وادي بيرة[352].

2) استقرار جند حمص في إشبيلية ونبلة:

القبائل اليمنية:

كان كل من جند حمص في إشبيلية ونبلة، وجند فلسطين في شذونة،

---

(347) ابن سعيد: 2/ 127، **الإحاطة**: 1/ 112، 127، انظر أيضاً. المقري: 1/ 295، Palacios, P. 64

(348) الخشني، **طبقات**، الورقة، 136أ، **الحلة السيراء**: 1/ 228، الأنصاري: 5/ 270، ق1.

(349) لقد عبر الدكتور شعبان عن هذا الرأي (في محادثة شفوية مع الباحث في 17/ 7/ 1977)، لأنه يرى أن همدان انتقلت عملياً إلى الكوفة في أثناء الفتوحات، لذلك فمن الصعب على المرء أن يجد أي همداني يعيش خارج الكوفة طيلة العصر الأموي، يضاف إلى ذلك أن الهمدانيين جميعاً كانوا من مؤيدي الإمام علي عليه السلام، واستمروا في معارضة وجود أهل الشام في العراق حتى سقوط الخلافة الأموية.

(350) ابن القوطية، ص 22، 83، **الحلة السيراء**: 1/ 157، 228 ـ 229، 2/ 211، 378 ـ 379، ابن سعيد: 2/ 108، ابن عذاري: 2/ 134، 137، **صلة الصلة**، ص 62، الأنصاري: 5/ 270، ق1، **الإحاطة**: 1/ 150 ـ 151، **الإحاطة**، م. الأسكوريال، رقم 1673، ص 301، **الإحاطة**، مدريد، ص 577، ابن الخطيب، **التكملة**، ص 139.

(351) الأنصاري: 4/ 2 ـ 3، انظر أيضاً: **الإحاطة**: 1/ 128 ـ 129، حيث يذكر المؤلف، ابن الخطيب، قرية تدعى بيرة، ويحتمل أن هذه القرية ما هي إلا قرية Baira الحالية، قارن: هامش رقم (11) من المصدر نفسه.

(352) **أخبار مجموعة**، ص 83.

وجند الأردن في رية، يُعدون من أجناد اليمن[353]. وذلك لأن اليمنيين كانوا يؤلفون الأغلبية في هذه الأجناد. وتمثل العشائر التالية المستقرين الشاميين من اليمن في إشبيلية ونبلة:

لخم:

كانت كل من إشبيلية وشذونة والجزيرة الخضراء مقراً لاستقرار اللخميين في الأندلس[354]، ولكن موطنهم الرئيس كان في إشبيلية وأطرافها. وفيما يلي ثبت بأهم الجماعات والأفراد الذين ينتمون إلى هذه العشيرة، والذين عبروا إلى الأندلس مع بلج بن بشر: آل عباد: كان جدهم الأعلى، عطاف بن لقُيم، ضمن أولئك الذين رافقوا بلج بن بشر إلى الأندلس، وقد استقر في قرية يامين في منطقة طشانة Tocina، على ضفاف الوادي الكبير، شمال شرقي إشبيلية. وعاش أحفاده فيما بعد في إشبيلية، حيث عهد إليهم هناك بمناصب رفيعة في أثناء فترة عهد الإمارة. وبعد تدهور الخلافة الأموية في قرطبة، استطاع القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد، أحد أفراد هذه الأسرة البارزين، أن يؤسس دولة مستقلة في إشبيلية وما حولها، وأن يتولى حكمها هو واثنان من خلفائه من بعده (414 ـ 484/ 1023 ـ 1091)[355].

وكان سعيد، أو الأسعد بن لوزان اللخمي، قائداً عظيماً آخر لهذه

(353) **الجمهرة**، ص 424.

(354) المصدر نفسه، ص 424، **الحلة السيراء**: 2/ 34 ـ 35، ابن خلكان، 5/ 21، ابن عذاري (برواية ابن حيان): 3/ 193 ـ 195. ابن دحية، المصدر السابق، ص 14، **أعمال الاعلام**، ص 153، **الإحاطة**: 2/ 108 ـ 109، ابن خلدون: 4/ 337، ويرى بعض المؤرخين أن هذه الأسرة ترجع في نسبها إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة، انظر: **الحلة السيراء**: 2/ 35، المقري: 1/ 296.

(355) ابن القوطية، ص 6، **الجمهرة**، ص 424 ـ 425، **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 131، العذري، ص 103، وللمزيد من المعلومات عن هذه الأسر، ودورها في إشبيلية انظر: ابن القوطية، ص 83، 105، 109، 112 ـ 113 **الجمهرة**، ص 424 ـ 425 .**المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 11، 71، العذري، 103 ـ 104، **الحلة السيراء**: 2/ 376، =

العشيرة. تزوج ابنه عمير من سارة القوطية ابنة ألموند Olmund، وهو الابن الأكبر لغيطشة ملك القوط. وكان من ثمرة هذا الزواج حبيب بن عمير اللخمي، الذي غدا الجد الأعلى لكثير من الأسر اللخمية في إشبيلية، وقرمونة، مثل بني حجاج، وبني مسلمة وبني حجز الجزر(356). وقد استقر بنو بحر، وهم فرع من لخم، في قرية تدعى بلة نوبة البحريين، أن مصطلح (بلة نوبة)، ما هو في الواقع إلاّ تحريف عربي للكلمتين اللاتينيتين «Villa» و«Nova» اللتين تعنيان الدار أو المدينة الجديدة. وربما يشير هذا إلى أن استقرار بني بحر في هذا المكان حدث في وقت لاحق في أثناء فترة عهد الولاة، وكانت هذه القرية التي تدعى الآن Brenes تقع في طشانة قرب إشبيلية(357).

وقد عاش آل نمارة أيضاً في إشبيلية. وكان سعيد بن عبد الملك بن هاني أول من استقر من هذه الأسرة هناك(358). وتشير المصادر أيضاً إلى أسماء أفراد آخرين من لخم استقروا في وقت مبكر في إشبيلية، ومن هؤلاء: حارث بن عمر اللخمي(359)، وسماعة اللخمي(360)، وثوابة بن عدي بن عمر اللخمي، الذي كان له منزل آخر في آش، وهي قرية في منطقة الشرف Ajarafe غربي إشبيلية. وقد استمرت ذرية هذا الأخير في العيش في كل من آش وإشبيلية وفي قرية أخرى مجاورة تدعى لبص(361).

= ابن عذاري: 2/ 146، ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، نشر ملحقاً لكتاب العبر، الجزء السابع، بيروت 1959، ص 799، **الإحاطة**، 2/ 444 ـ 445، **الإحاطة**، م. مدريد، ص 79، المقري، **أزهار الرياض**: 2/ 340 ـ 341.

(356) ابن القوطية، ص 26، **الجمهرة**، ص 425، وقارن: Dozy. P. 187: Simonet. Glosatio. P. 566.
انظر أيضاً، مقدمة هذا الفصل.

(357) **الجمهرة**، ص 424.

(358) ابن بشكوال: 2/ 512.

(359) **التكملة**، ط القاهرة، 2/ 891، الأنصاري: 5/ 686، قد1.

(360) **الجمهرة**، ص 423.

(361) المصدر نفسه، ص 435.

حِمْيَر:

لقد كانت المجموعات التالية تمثل هذه القبيلة في إشبيلية ونبلة:

بنو حراز: وكان موطنهم في نبلة[362].

بنو هوزن: وكان موطنهم قرب إشبيلية في قريتين تسميان ببني هوزن نسبة إلى اسمهم. وكان عبد الله بن إبراهيم أول من عبر منهم إلى الأندلس، وهو جدهم الأعلى الذي ينتسبون إليه[363].

ألهان:

استقروا في إشبيلية نفسها، وينتسب إليهم يحيى بن معمر الألهاني، قاضي قرطبة في أثناء عهد الأمير عبد الرحمن الثاني، وكان جد يحيى، عمران بن منير، هو الأول من هذه العشيرة الذي دخل الأندلس مع الشاميين من جند حمص[364].

ويذكر ابن حزم أسرتين آخريين في إشبيلية تنتميان إلى كهلان بن سبأ وهما: بنو يريم، وبنو بشتغير[365]. بينما يشير مؤرخ آخر إلى أن بني بشتغير عاشوا في لورقة Lorca (في محافظة مرسيه الحالية)، وأنهم ينتمون إلى لخم[366]. ولكن العذرى يعد هؤلاء من البلديين[367]. وعلى أية حال فإن اسمهم يشير إلى أنهم ربما كانوا من البربر وليسوا من أصل عربي.

---

(362) المصدر نفسه، ص 434، المقري (برواية ابن غالب): 1/ 297.

(363) الخشني، **قضاة**، ص 70 ـ 71؛ **الجمهرة**، ص 433، الحميدي، ص 379، ابن الفرضي، قد2/ ص 178، **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 54، الضبي، ص 492، ابن سعيد: 1/ 147: النباهي، ص 44 ـ 45، انظر أيضاً: الحميدي، ص 32، 45، ابن الفرضي، قد2 ص 21، الضبي، ص 21 ـ 22، المراكشي، ص 65.

(364) **الجمهرة**، ص 392، قارن: **المقتبس**، نشر أنطونيا، ص 68.

(365) ابن الأبّار، **المعجم**، ص 305، 309.

(366) العذري، ص 9.

(367) المصدر نفسه، ص 101.

كَلب:

كانت كلب العشيرة القضاعية الرئيسة في جند حمص. وقد استقر أفرادها في إشبيلية ونبلة ومورور Moron de la Frontera، وبالقرب من المدور Almodover del Rio في منطقة تدعى بوادي الكلبيّين[368]. وكان عدد الكلبيين كبيراً جداً في مورور مما حدا ببعض المؤرخين إلى عدِّ هذا المكان الموطن الأصلي لهذه العشيرة في الأندلس[369]. ومع هذا، يبدو من المؤكد أن أماكن استقرار عشائر كلب الرئيسة في منطقة إشبيلية ولبلة. وكان عبد الرحمن بن نعيم الكلبي من أشهر قواد هذه العشيرة هناك، فقد قاد القضاعيون ولعب دوراً مهماً في تأييد أبي الخطار الكلبي، والي الأندلس، في صراعه مع يوسف الفهري والصميل بن حاتم الكلاب[370]. واشترك فيما بعد في قتال يوسف الفهري، والي الأندلس الأخير، حيث قاد قوة الفرسان الشامية مع عبد الرحمن الأول[371]. ويعد ملهب الكلبي، وعنبسة بن سحيم، من قادة هذه العشيرة البارزين الآخرين. فقد برز الأول في جند حمص في إشبيلية في أثناء عهد عبد الرحمن الأول[372]. ولكن عنبسة بن سحيم لم يدخل الأندلس إلاَّ في عام 103/ 721 حينما أرسل من قبل والي عام شمال أفريقيا ليتولى ولاية الأندلس، وقد ظل حاكماً للبلاد لما يقرب من أربع سنوات ونصف حتى وفاته في عام 107/ 725[373]. وعاش بعض

---

(368) الزبيدي، **طبقات النحويين**، ص 281، **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 311 ـ 312.

(369) **أخبار مجموعة**، ص 58، ابن عذاري: 2/ 35، المقري: 3/ 24.

(370) **أخبار مجموعة**، ص 91.

(371) المصدر نفسه، ص 107.

(372) ابن عبد الحكم، ص 215، 217، ابن القوطية، ص 13، **الجمهرة**، ص 457، الرقيق، ص 102، **أخبار مجموعة**، ص 24، **فتح الأندلس**، ص 26، ابن عذاري، 2/ 27، ابن خلدون: 4/ 257، **أعمال الاعلام**، ص 6، المقري: 1/ 235.

(373) **الجمهرة**، ص 457.

أحفاد أبي الخطار في إشبيلية[374]. وفي الشرف أيضاً في قرية تدعى طليطلة[375]. وتشير المصادر إلى مجموعات كلبية أخرى لم تستقر في كورة إشبيلية[376]. ومن هؤلاء بنو سراج القضاعيون الذين تم استقرارهم فيما بعد من قبل الأمويين على ساحل بجانة Pechina ومناطقها (في محافظة المرية الحالية). وقد أصبحت هذه المنطقة تعرف بإقليم أُرش اليمن، وهي المنطقة الساحلية التي منحت لهؤلاء الأقوام اليمنية، الذين أصبحوا مسؤولين عن حمايتها والدفاع عنها[377]. والظاهر أن هذا الاستقرار حدث في سنوات لاحقة في أثناء عهد الأمارة الأموية. وتتحدث مصادر أخرى عن أسرة قضاعية أخرى كبيرة تسمى أيضاً ببني سراج عاشت في قرطبة، ولكن أصل هؤلاء مختلف فيه فيعدهم بعض المؤرخين من موالي الأمويين، بينما يرجع البعض الآخر أنهم ينتسبون إلى كلب بن وبرة بن قضاعة[378].

حضرموت:

يذكر الرازي أن الحضرميين كانوا أكثر من أن يحصوا في كورة إشبيلية[379]، وهذا صحيح لأن ابن حيان أيضاً يشير إلى أن غالبية سكان الشرف، غربي إشبيلية، كانوا من حضرموت[380]. وإلى جانب حضرموت، فإن منطقة الشرف، كما أسلفنا، كانت مزدحمة بسكني الكثير من العشائر الأخرى التي جاءت إليها بسبب خصوبتها وزيتونها الفاخر[381]. ولقد عبرت

(374) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 116 ـ 117، الأنصاري: 1/ 86 ـ 87. قدا.

(375) انظر استقرار قبيلة كلب في البيرة.

(376) الحميري، ص 37.

(377) قارن: ابن بشكوال: 1/ 518، 2/ 363 ـ 365، الضبي، ص 290 .**التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 787، ابن سعيد: 1/ 115، 161 ـ 162، الأنصاري: 4/ 230.

(378) **التكملة**، ط. القاهرة (برواية الرازي): 1/ 283.

(379) **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 69.

(380) انظر مقدمة هذا الفصل، واستقرار جند حمص في إشبيلية ونبلة/ استقرار لخم.

(381) وقد تمرد هذا القائد على الأمير عبد الرحمن في سنة 156/ 772 فسيطر على =

حضرموت إلى الأندلس بقيادة زعمائها مثل حيوة بن ملامس الحضرمي الذي ناصر عبد الرحمن الأول من مع جند حمص[382].

ويعد خالد بن عثمان بن هانيء، الذي يدعى أيضاً باسم خلدون، من كبار شخصيات حضرموت. وقد استقر مع أفراد عشيرته في قرمونة، التي تبعد نحو ثلاثين كيلومتراً إلى الشرق إلى إشبيلية، وينتمي ابن خلدون، المؤرخ وعالم الاجتماع العربي الشهير، إلى هذه الأسرة[383]. وهناك إشارة إلى استقرار شخصيتين أُخريين من حضرموت في إشبيلية وهما: حمزة بن خشين بن عمر، الذي كان الجد الأعلى لبني عصفور[384]. ومعاوية بن صالح الحضرمي، الذي أصبح قاضياً لقرطبة في أثناء عهد عبد الرحمن الأول[385]، ويحتمل أن تكون عشيرة الصدف، وهي فرع من حضرموت، قد دخلت الأندلس في الوقت نفسه. ويظهر أن الكثير من هؤلاء عاشوا في منطقة تسمي باسمهم إقليم الصدف[386]. ويذكر الإدريسي أيضاً قرية أخرى تسمى الصدف تقع على الطريق بين قرطبة وإشبيلية[387]. وكان بعض

= إشبيلية واستجة ومعظم الجهات الغربية من الأندلس، انظر: ابن القوطية، ص 6، العذري، ص 101، **أخبار مجموعة**، ص 107 ـ 108، **فتح الأندلس**، ص 65 ـ 66، الحميدي، ص 198. الضبي، ص 257، **الحلة السيراء**: 1/ 36، ابن عذاري: 2/ 51، **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 282 ـ 283، انظر أيضاً: **التكملة**، نشر: الأركون، ص 268.

(382) **الجمهرة**، ص 460؛ ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون**، ص 795 ـ 796، 798، انظر أيضاً: ابن القوطية، ص 105، **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 69، صاعد، ص 95، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق: 2/ 41.

(383) **الجمهرة**، ص 460 ـ 461.

(384) ابن القوطية، ص 34، الخشني، **قضاة**، ص 30 ـ 35، الخشني، **طبقات**، الورقة 105أ، الحميدي، ص 339، 341، ابن الفرضي، قد2، ص 138 ـ 140، المراكشي، ص 11، ابن عذاري: 2/ 48، الأنصاري: 1/ 286، قد1، النويري: 22/ 18، قد1، النباهي، ص 434.

(385) العذري، ص 125، **ذكر بلاد**، رقم 85 ج، ص 33.

(386) الإدريسي، ص 206 ـ 207.

(387) الخشني، **طبقات**، الورقة 145أ.

الصدف يعيشون أيضاً في مناطق أخرى، مثل سرقسطة[388] وتطيلة[389]. واستجة[390].

كلاع:

يبدو أن عدداً لا بأس به من هذه العشيرة قد سكن في إشبيلية ونبلة. وكان اثنان من قادتها، وهما سالم بن معاوية الكلاعي في نبلة[391]، وعبد الواحد بن سويد الكلاعي في إشبيلية[392]، من جملة الذين ثاروا على عبد الرحمن الأول، وتشير المصادر إلى عضو آخر من هذه العشيرة، وهو بجير بن عبد الرحمن، الذي دخل الأندلس وقتل فيها، ولكن لا يُعرف بالضبط كيف أو متى حدث ذلك[393].

يحصب:

يبدو أن يحصب كانت كثيرة العدد في هذه الناحية. وكان زعيمها أبو الصباح يحيى بن يحيى اليحصبي يُعد أيضاً زعيماً أو شيخاً لكل العشائر اليمنية في غرب الأندلس وكان مسكنه في مورة، وهي قرية تقع في الشرف غربي إشبيلية، وقد أيد هو وأتباعه قضية عبد الرحمن بن معاوية ضد يوسف الفهري[394]، ولكن عندما لم تتفق سياسة عبد الرحمن مع طموح أبي

---

(388) ابن الفرضي، قد 2، ص 12.

(389) المصدر نفسه، قد 1، 373، الحميدي، ص 335، الضبي، ص 438 ـ 439.

(390) **أخبار مجموعة**، ص 105.

(391) العذري، ص 101.

(392) الحميدي، ص 180 ـ 181، الضبي، ص 234، ابن الفرضي، قد7، ص 297، انظر أيضاً: الضبي، ص 294، ابن الفرضي، قد1، ص 166 ـ 167، 199.

(393) ابن القوطية، ص 21 ـ 22، **أخبار مجموعة**، ص 84، **فتح الأندلس**، ص 53، **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 536، النويري: 22/ 4، قد1، **أعمال الاعلام**، ص 8، المقري: 1/ 328، 3/ 33.

(394) **أخبار مجموعة**، ص 105، ابن عذاري: 3/ 53 ـ 54، انظر أيضاً: آخر الفصل السابع.

الصباح، ثار عليه في عام 149/ 766[395]. وكانت لبلة أيضاً من المواطن الكبيرة لرجال القبائل اليحصبيين من جند حمص وقد ثار اثنان من قادتها على عبد الرحمن الأول، وهما سعيد اليحصبي[396] وعبد الغافر اليمن الحصبي[397].

القبائل القيسية في إشبيلية ولبلة:

لم يسكن إلاً أفراد قلائل فقط من قيس في هذه الناحية. وكان بعضهم ينتمون إلى عشائر قيسية صغيرة، ولهذا فقد انتسبوا إلى قيس مباشرة، وسموا أنفسهم بالقيسيين. وقد سكن هؤلاء في الشرق غربي إشبيلية[398]، أما الباقون فينتمون إلى العشائر الآتية:

مرّة:

كان بنو عوف بن مرّة بن ديسم الأسرة الوحيدة التي تمثِّل هذه العشيرة في إشبيلية[399].

غطفان:

استقر بعض أفراد في الشرق في قرية تدعى قرشانة. أما الباقون، وهم بنو صخر، فقد عاشوا في قرمونة[400].

---

(395) العذري، ص 11، **أخبار مجموعة**، ص 105، ابن الأثير: 5/ 588 ـ 589، ابن عذاري: 2/ 53، النويري: 22/ 8، قدا. ابن خلدون، 4/ 266، انظر أيضاً، ابن عذاري: 3/ 193، 299 ـ 300.

(396) العذري، ص 101، **أخبار مجموعة**، ص 107 ـ 108، **فتح الأندلس**، ص 65، ابن عذاري: 2/ 51، النويري، 22/ 11، قدا، المقري: 3/ 48.

(397) الأنصاري، 4/ 174 ـ 175، انظر أيضاً، **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 871 ـ 872، النباهي، ص 96، **الإحاطة**: 2/ 170.

(398) ابن القوطية، ص 105، الخشني، **قضاة**، ص 70 ـ 71، **الجمهرة**، ص 254 ـ 255.

(399) المصدر نفسه، ص 249، 250؛ ابن الفرضي، قدا ص 203.

(400) **الجمهرة**، ص 272، انظر أيضاً: المقري: 1/ 291 ـ 292، Elias Terés, Op.. cit. P. 103.

سلول:

لقد أشار ابن حزم إلى بعض أفراد هذه العشيرة الذين استقروا في منطقة لبلة(401).

ثقيف:

لا تتوفر معلومات عن أي فرد ينتمي إلى هذه العشيرة في جند حمص باستثناء تمام بن علقمة الثقفي، الذي دخل الأندلس بمعية بلج بن بشر، ولعب دوراً هاماً في مساعدة عبد الرحمن بن معاوية في السيطرة على الأمور في البلاد. ومع هذا فهناك بعض الشك في نسبة هذا الرجل إلى ثقيف، حيث أورد أكثر من مؤرخ واحد أنه كان مولى لعبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي(402)، وقد ذكرت المصادر أفراداً آخرين من ثقيف، ولكن هؤلاء عاشوا في الأغلب في قرطبة في فترات لاحقة(403).

3) استقرار جند قنسرين في جيان:

القبائل القيسية:

كانت جيان والبيرة من المواطن الرئيسة لاستقرار القبائل القيسية في الأندلس، فقد انتشر العديد من هذه القبائل في هاتين الكورتين. ومن جملة هؤلاء كلاب، ومحارب، وسليم، وهوازن، وبنو كعب بن عامر، وعقيل،

(401) ابن القوطية، ص 24، 101، 103، **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 179، 182، 184، **أخبار مجموعة**، ص 74، 82، 104، **الحلة السيراء**: 1/ 143، **التكملة**، نشر: الأركون، ص 403، ابن عذاري: 2/ 45، 48، 63، 73، 152.

(402) ابن القوطية، ص 46، الخشني، **طبقات**، الورقة 105أ، الحميدي، ص 326، 333، الضبي، ص 279، 317، 428، 437، ابن الفرضي، قد1، ص 149، 321 ـ 322، 372، 3273، **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 79 ـ 80، **التكملة**، نشر: الأركون، ص 272، 273.

(403) **أخبار مجموعة**، ص 65 ـ 66، ابن عذاري: 2/ 42.

وقشير والحريش، وباهلة وغطفان[404]. وكما أسلفنا فقد عاش قسم منهم في البيرة[405]، أما أولئك الذين استقروا في جيان فهم العشائر الآتية:

كلاب:

بعد وفاة بلج بن بشر انتقلت زعامة قيس في الأندلس من رجال كعب بن عامر إلى كلاب[406]. وكان من قادة العشيرة الأخيرة في الأندلس، كل من الصميل بن حاتم الكلابي، وعبيد بن علي الكلابي، وكان الأول حفيداً للشمر بن ذي الجوشن، الذي كان له يد في مقتل الحسين بن علي عليه السَّلام. وقد رافق الصميل بلج بن بشر إلى الأندلس مع جند قنسرين[407]. ويبدو أنه استقر أولاً في جيان، لأن بعض أحفاده استمروا في العيش هناك في مكان يدعى لخشبل من شوذر في كورة جيان[408]. ولكن الصميل انتقل إلى قرطبة حيث أهدى إليه أرطباس Ardabast ابن غيطشة ملك القوط، عشرة ضياع كبيرة. وكانت إحدى هذه الضياع تدعى عقدة الزيتون في المدور، وهي تحتوي على عشرة آلاف شجرة زيتون تسقى من عين ماء موجودة في المزرعة نفسها[409]. ويُروى أن أرطباس أهدى أيضاً، بناءً على رغبته، ضيعة أخرى إلى تسعة رجال آخرين من أصحاب الصميل. ومن الواضح أن أرطباس ما كان ليفرط بكل هذه الضياع دونما سبب معقول، ربما خشي قوة ونفوذ هؤلاء الذين كانوا يضمون إلى جانب الصميل شخصيات كبيرة، مثل أبي عثمان وعبد الله بن خالد زعيمي موالي بني أمية

---

(404) انظر استقرار جند دمشق في البيرة/ القبائل القيسية.

(405) **أخبار مجموعة**، ص 65.

(406) المصدر نفسه، ص 56، **فتح الأندلس**، ص 40، ابن الفرضي، قد1، ص 198، **الحلة السيراء**: 1/ 67، ابن عذاري: 2/ 34، **الإحاطة**، م. الأسكوريال، رقم 1673، ص 203، **الإحاطة**، م. مدريد، حتى 385، المقري: 3/ 26.

(407) **الجمهرة**، ص 287 ـ 288، وقارن: Elias Terés P. 104.

(408) ابن القوطية، ص 40، **فتح الأندلس**، ص 38.

(409) ابن القوطية، ص 40، المقري: 1/ 267 ـ 268.

في البيرة[410]. وكان يحدث أن يطلب أحد الأفراد الاعتياديين من أرطباس منحه مزرعة أو ضيعة من أجل زراعتها واستثمارها، ولكن ذلك كان يتم بموجب مبدأ المشاركة من الربح لا على سبيل الإهداء[411]، والواقع أن أفراد الأسرة الحاكمة القوطية السابقة كانوا يمتلكون العديد من الضياع في الأندلس. ويعود السبب في ذلك إلى سماح المسلمين لهم بالاحتفاظ بأملاكهم التي كانت تتألف من ثلاثة آلاف ضيعة. وقد قسمت هذه الضياع بين أولاد غيطشة فحصل الابن الأكبر ألموند Olumund، الذي استقر في إشبيلية، على الضياع التي تقع في غرب البلاد، وكانت حصة أرطباس الذي سكن في قرطبة وأصبح قومساً للنصارى في الأندلس، تشمل الضياع الواقعة في وسط البلاد. أما رملة، الذي عاش في طليطلة فقد أعطى الضياع التي تقع في الجزء الشرقي من البلاد[412] وكان عبيد بن علي الكلابي قائداً للكلابيين في جيان وهو الذي ترأس فرقة الخيالة السورية التي أيّدت يوسف الفهري في صراعه مع عبد الرحمن الأول وقد قتل في المعركة الفاصلة بين الاثنين[413]، أما أحفاده فقد استقروا فيما بعد في مدينة قبرة في محافظة قرطبة الحالية. وكان من ضمنهم بعض قضاة قرطبة البارزين في أثناء عهد الإمارة، مثل علي ابن أبي بكر الكلابي[414] والنضر بن سلمة وأخيه محمد بن سلمة الكلابي[415].

(410) ابن القوطية، ص 38 ـ 39، المقري: 1/ 268.

(411) ابن القوطية، ص 65، المقري: 1/ 266.

(412) **أخبار مجموعة**، ص 65، 68، 89، 90، **فتح الأندلس**، ص 47، ابن عذاري: 3/ 42.

(413) الخشني، **قضاة**، ص 85، **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 68، **التكملة**، نشر: الأركون، ص 190 ـ 191، الأنصاري، 5/ 193، قد1.

(414) ابن القوطية، ص 103، الخشني، **قضاة**، ص 133 ـ 138، ابن الفرضي، قد ص 18، 158، **الحلة السيراء**: 1/ 123، ابن عذاري: 2/ 152.

(415) **أخبار مجموعة**، ص 44، 65.

عقيل:

كانت هذه العشيرة بقيادة الحصين بن الدَّجِن العقيلي، الذي كان في الوقت نفسه قائداً لكل العشائر التي تنتمي إلى كعب بن عامر في جند قنسرين بجيان[416]. وقد عاش أحفاده وهم بنو الحصين بن الدجن، وبنو عطاف بن الحصين في جيان ووادي آش ومنتيشة Mentesa[417]. وكانت منطقة وادي آش التي تشتهر بالفواكه وأشجار الزيتون والقطن[418]، موطناً لجماعات أخرى من عقيل، وهم بني سامي الوادي آشيون الذين ينتمون إلى بني حاجب بن المنتفق، وقد بني هؤلاء مدينة لهم في المنطقة سميت بمدينة بني سامي[419].

قشير:

كانت جيان، كما أسلفنا، موطناً لقشير في الأندلس[420]. وتذكر المصادر إلى جانب بلج بن بشر، زعيم هذه العشيرة قائداً قشيرياً آخر، هو العلاء بن

---

(416) **الجمهرة**، ص 292، انظر أيضاً: **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 29، **الحلة السيراء**: 2/ 377 ـ 378، **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 53، الأنصاري: 1/ 97 ـ 99، قد1، ابن عذاري: 2/ 136، لا توجد في إسبانيا في الوقت الحاضر مدينة باسم مُنتيشَة، ويقول ياقوت، 5/ 207، 208 إنها كانت مدينة قديمة في كورة جيان، ولكنه يخلط بينها وبين مدينة أخرى تسمى أيضاً منتيشة Montesa، بالقرب من شاطبة في محافظة بلنسية الحالية، قارن: ليفي بروفنسال، الترجمة الفرنسية لكتاب الحميري، ص 248، هامش (14)، **الحلة السيراء**: 2/ 378، هامش (1).

(417) **الحميري**، ص 192.

(418) **الجمهرة**، ص 291؛ العذري، ص 89؛ **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 122، وعاش بعض الأفراد من هذه العشيرة أيضاً في منطقة بلنسية، حيث ما يزال يوجد لحد اليوم مكان غير مأهول في محافظة بلنسية يدعى بني عقيل Benioquer، انظر: Palacios, P. 91. Elias Terés, Op. cit., p. 106.

(419) **الجمهرة**، ص 290، انظر استقرار قشير في البيرة.

(420) **أخبار مجموعة**، ص 116؛ **فتح الأندلس**؛ 69، ابن الأثير: 6/ 74، انظر أيضاً: المقري: 1/ 292.

عبد الحميد القشيري الذي عاش في عهد الأمير عبد الرحمن الأول[421].

باهلة:

ينفرد ابن حزم من بين المؤرخين بالتأكيد على أن بني عبد الخالق الذين ينتسبون إلى قتيبة بن مسلم، سكنوا في جيان، ويشير أيضاً أن أفراداً آخرين من الأسرة نفسها عاشوا في طليطلة ووادي الحجارة[422]. ولكن مؤرخين آخرين يذكرون طليطلة على أنها الموطن الرئيس لهذه الأسرة التي أنجبت العديد من القضاة البارزين، ومع هذا فمن المحتمل أن موطنهم الأول كان في جيان وأنهم انتقلوا فيما بعد إلى طليطلة[423].

العشائر المضرية في جيان:

بنو أسد بن خزيمة:

وكان من أشهر أفراد هذه العشيرة، بنو عبيد الله بن عكاشة بن محصن، ولقد استقروا مع غيرهم من أبناء العشيرة نفسها في مكان يدعى وادي عبد الله في كورة جيان[424]، Vélez de Benudalla، ويقع الآن في محافظة قرطبة الحالية[425]، وقد ثار أحد زعماء هذه العشيرة في جيان، وهو عبد الرحمن بن خراشة الأسدي، على الأمير عبد الرحمن الأول في عام 148/ 756[426].

---

(421) **الجمهرة**، ص 246.

(422) الخشني، **طبقات** الورقة، 118 ب، الحميدي، ص 148، 362؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 79 ـ 82؛ ابن الفرضي، قد1، ص 24 ـ 161، الضبي، ص 195 ـ 196، 467؛ **التكملة**، نشر الأركون، ص 165 ـ 166.

(423) **الجمهرة**، ص 192؛ ابن بشكوال: 2/ 438، ابن عذاري: 2/ 161، النباهي، ص 96؛ **الإحاطة**، م. تونس، جـ3، الورقة 105 ب.

(424) Palacios. P. 139. وقارن العذري، ص 21، 149.

(425) ابن الأثير: 5/ 589، النويري: 22/ 9، قد1؛ ابن خلدون: 4/ 267.

(426) **أخبار مجموعة**، ص 122 ـ 123؛ ابن عذاري: 2/ 67؛ المقري: 1/ 335 ـ 336.

كنانة:

ورد في أكثر من مصدر واحد معلومات تفيد أن بعضاً من بني كنانة قد عاشوا في كورة جيان في أثناء عهد الأمير عبد الرحمن الأول[427]. هذا فضلاً عن وجود مكان في هذه المنطقة سمي بكنانة Canena نسبة إلى هذه العشيرة[428].

عشائر ربيعة في جيان:

تُعد يعمر العشيرة الرئيسة التي تعود بأصلها إلى ربيعة في كورة جيان، وهي تنتمي إلى بني ضُبَيْعة بن ربيعة. وكان أفراد هذه العشيرة قد استقروا بناء على تنظيمات أبي الخطار الكلبي في منطقة أبدة ubeda، التي تبعد نحو خمسين كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من جيان. ولقد ظلت هذه المنطقة موطناً ليعمر حتى احتلالها من قبل النصارى في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[429].

العشائر اليمنية في جيان:

لم يكن اليمنيون، كما هو الحال في البيرة، كثيري العدد في جيان. وتشير المصادر إلى العشائر التالية فقط:

---

(427) cf. Palacios. P. 100.

(428) **الجمهرة**، ص 293؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 110 ـ 111، **التكملة**، نشر: الأركون، ص 158؛ الأنصاري: 1/ 183، قد1، 5/ 158، هامش (2): قد1، 5/ 653 ـ 654، قد2، وهناك إشارات متأخرة في بعض المصادر تشير إلى أن رجالاً آخرين من ربيعة من الذين ينتمون إلى بكر بن وائل، عاشوا أيضاً في جيان، انظر: الحميدي، ص 350؛ ابن الفرضي، قد2، ص 120؛ الضبي، ص 453 ـ 454؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 928، المقري: 2/ 254.

(429) **الجمهرة**، ص 433.

شعبان:

يذكر ابن حزم أن أفراد هذه العشيرة في الأندلس أطلقوا على أنفسهم اسم (شعبانيون)، باستثناء رجل واحد في مالقة كان يسمى نفسه (شعبي)[430]. وبالنسبة إلى كورة جيان فإن المصادر تشير إلى أسرة واحدة تنتمي إلى جند قنسرين، سكنت في مكان يدعى قلعة الأشعث أو الأشعب، وينتسب إلى هذه الأسرة كل من يخامر بن عثمان، وأخيه معاذ بن عثمان الشعباني، اللذين أصبحا قاضيين لقرطبة في أثناء عهد الإمارة الأموية[431].

أُصْبَح:

يشير كل من ابن الآبار والأنصاري إلى أن عدداً من أبناء هذه العشيرة الذين، ينتمون إلى جند قنسرين، قد سكنوا في جيان[432]. وربما كان هناك المزيد من أفراد هذه العشيرة في هذا المكان، ولكن لا تتوفر لدينا معلومات عنهم. ومن المحتمل أيضاً أن تكون هناك صلة بين الأصبحيين الذين اشتهروا في قرطبة في وقت لاحق، وبين أولئك الذين عاشوا في جيان[433].

طَيْء:

على الرغم من أن بعض أفراد هذه العشيرة قد عاشوا في أماكن أخرى[434]، فإن موطنهم الرئيسي كان في كورة جيان، وقد استقروا في

---

(430) الخشني، **قضاة**، ص 83 ـ 85؛ ابن القوطية، ص 59؛ ابن الفرضي، قد2، ص 210؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 63 ـ 64؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 731، 733؛ ابن سعيد: 1/ 149 ؛ 150؛ النباهي، ص 55.

(431) **التكملة**، نشر: الأركون، ص 193؛ الأنصاري: 5/ 316 ـ 317. قد1.

(432) المقري: 1/ 297.

(433) ابن القوطية، ص 29؛ **أخبار مجموعة**، ص 102؛ **الحلة السيراء**: 1/ 68، **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 322؛ المقري: 1/ 295.

(434) **الجمهرة**، ص 404؛ انظر أيضاً: ياقوت: 1/ 422؛ ابن سعيد: 2/ 84؛ الحميري، ص 44.

مناطق مختلفة من هذه الكورة، مثل بسطة Baza وتاجلة، وهي حصن قريب من بسطة، وغليار[435]، وربما تكون الأخيرة Güéjar أو Guajar التي تقع الآن في محافظة غرناطة الحالية[436].

4) استقرار جند فلسطين في شذونة والجزيرة الخضراء:

استقرت عشائر لخم وجذام اليمنية، وربما بعض من غسان أيضاً في هذه المنطقة. ولقد أصبح أحد أعضاء العشيرة الأخيرة، وهو رزق بن النعمان الغساني، حاكماً على الجزيرة الخضراء في عام 143/ 760[437]، وكان الشاميون من لخم بقيادة غياث بن علقمة اللخمي وبلوهة اللخمي. وربما كان الأول عاملاً على شذونة حين دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس، ووقف هذان القائدان إلى جانب قضية عبد الرحمن الداخل ضد يوسف الفهري[438]. وكانت شذونة والجزيرة الخضراء أيضاً موطناً لاستقرار عشيرة جذام[439]. وتورد المصادر أسماء العديد من مشاهير أبناء هذه العشيرة، مثل ثوابة بن سلامة الجذامي وأبي علامة الجذامي، وزياد بن عمرو الجذامي[440]. وثعلبة بن عبيد الجذامي، وكما يذكر مؤلف **أخبار مجموعة** فإن الشخص الأخير كان من الرجال المرموقين في جند فلسطين ولكنه لم

---

(435) cf. Palacios, p. 112.

(436) العذري، ص 120؛ **أخبار مجموعة**، ص 101؛ النويري: 22/ 6، قد1.

(437) ابن القوطية، ص 22، وهو يدعو غياث بن علقمة بعلقمة بن غياث؛ **أخبار مجموعة**، ص 87، 102؛ **فتح الأندلس**، ص 53؛ ابن الأثير: 5/ 494؛ النويري: 22/ 8، قد1؛ المقري: 1/ 328. وللمزيد من التفصيلات عن اللخميين الذين عاشوا في شذونة في أوقات متأخرة، انظر: ابن الفرضي، قد 1، ص 22، 307؛ **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 68؛ الضبي، ص 92، 223؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 700؛ ابن دحية، المصدر السابق، ص 208 ـ 209؛ **أعمال الاعلام**، ص 51.

(438) **الجمهرة**، ص 421.

(439) ابن القوطية، ص 22، 103؛ الخشني، **قضاة**، ص 137.

(440) **أخبار مجموعة**، ص 91.

يكن من قادتهم[441]. ومع هذا فقد، استطاع أن يتقدم ويبرز في عهد عبد الرحمن الأول كما استطاع أبناؤه وأحفاده العديدون أن يتبوأوا مراكز مهمة في عصر الإمارة[442]. أما ثوابة بن سلامة الجذامي، فقد لعب دوراً مهماً في أثناء الصراع بين الصميل بن حاتم وأبي الخطار، وبعد أن تمَّ القضاء على الأخير، أصبح ثوابة والياً على الأندلس (127 ـ 128/ 744 ـ 745)[443].

يشير ابن حزم إلى أن كلاًّ من شذونة والجزيرة الخضراء كانتا موطنين لاستقرار بني كنانة[444]. كما يذكر مؤلف **أخبار مجموعة** أيضاً أن بعضاً من بني كنانة كانوا ضمن جند فلسطين في الأندلس[445]. ولكن الدكتور محمد عبد الحي شعبان يرى، أن هؤلاء الذين يدعون ببني كنانة في الأندلس، ربما كانوا من ذرية رجل يسمى كنانة، ولكنه ليس من عشيرة كنانة التي تنتمي إلى قيس. وفي هذه الحالة يمكن أن يكون ابن حزم قد التبس عليه الأمر بين كنانة الذي هو اسم لرجل، وبين كنانة العشيرة القيسية المعروفة[446]. وكان من قادة هؤلاء الذين يدعون ببني كنانة في شذونة والجزيرة الخضراء، كنانة بن كنانة، وجبير الذي ينحدر من نسل ضمرة بن

---

(441) ابن القوطية، ص 6، 41؛ **الجمهرة**، ص 421؛ الحميدي، ص 67؛ العذري، ص 25، 29؛ ابن الفرضي، قد2، ص 31؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 157؛ **أخبار مجموعة**، ص 113؛ **الحلة السيراء**: 1/ 161؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص 286؛ الأنصاري: 5/ 572، قد2؛ المقري: 3/ 45.

(442) **أخبار مجموعة**، ص 57؛ **فتح الأندلس**، ص 38؛ ابن عذاري: 1/ 62، 2/ 35؛ **أعمال الاعلام**، ص 7؛ المقري: 3/ 23 ـ 24.

(443) **الجمهرة**، ص 189.

(444) **أخبار مجموعة**، ص 83.

(445) ذكر الدكتور شعبان (في محادثة شفوية مع الباحث في 9/ 10/ 1977) أنه لم يجد خلال أبحاثه أي أثر للكنانيين في فلسطين في ذلك الوقت، وفي الحقيقة كان معظم هؤلاء مع الوالي نصر بن سيار في خراسان.

(446) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 63؛ الأنصاري: 1/ 79 ـ 80، قد1، 5/ 295 ـ 296، قد2؛ **الإحاطة**: 2/ 230؛ انظر أيضاً: ابن سعيد: 2/ 381.

كنانة. وقد عاش بعض أحفاد جبير في منطقة بلنسية Valencia[447]. وقد تزعّم كنانة بن كنانة قومَه في المراحل الأولى من وجودهم في الأندلس، وساعد يوسف الفهري في صراعه مع عبد الرحمن الأول، ولكنه قتل في المعركة الفاصلة التي وقعت بين المتنافسين حينما كان على رأس فرقة المشاة في جيش يوسف الفهري[448]. وتولى الفرج بن كنانة ـ ربما كان أحد أولاد كنانة المذكور في أعلاه ـ قضاء قرطبة، ثم أصبح في عهد الحكم الأول عاملاً على مدينة سرقسطة[449]. وفي عهد عبد الرحمن الأول، دخل إلى الأندلس زعيم آخر من كنانة، يدعى الرماحس بن عبد العزيز الكناني، وقد عيّنه عبد الرحمن حاكماً على الجزيرة الخضراء وشذونة. ولكنه ثار عليه، واستطاع أن ينهزم فيما بعد إلى شمال أفريقيا[450].

5) استقرار جند الأردن في رية، محافظة مالقة الحالية

كان رجال القبائل الذين يشكلون هذا الجند في الغالب من القبائل اليمنية وهم ينتمون إلى العشائر الآتية[451]:

الأنصار:

ربما كان بنو عثمان بن سفيان الخزرجيون هم المجموعة الشامية الوحيدة التي تنتمي إلى هذا الأصل والتي سكنت في قَرْطَمة، في كورة رية[452]، ويُروَى أن أبا سليمان داؤد الأنصاري كان قد تولى حمل راية

---

(447) **أخبار مجموعة**، ص 83، 88، 89.

(448) الخشني، **قضاة**، ص 63، 65؛ الخشني: **طبقات**، الورقة 58أ؛ ابن القوطية، ص 58؛ الحميدي، ص 328؛ ابن الفرضي، قد1، ص 349؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص 168؛ ابن سعيد: 1/ 146؛ ابن عذاري: 2/ 64، 65، 68؛ النباهي، ص 53، 54.

(449) **الجمهرة**، ص 189؛ العذري، ص 117 ـ 118؛ **أخبار مجموعة**، ص 112؛ **فتح الأندلس**، ص 67؛ ابن عذاري: 2/ 56؛ المقري: 2/ 48.

(450) قارن: اليعقوبي، ص 354.

(451) **الجمهرة**، ص 348؛ وعن قَرْطَمَة انظر: ياقوت: 4/ 324.

(452) المقري: 3/ 51؛ انظر أيضاً: ابن عذاري: 2/ 46.

عبد الرحمن بن معاوية عند أول دخوله إلى الأندلس[453]. وقد ستمر أولاد سليمان وأحفاده بحمل راية الأمراء الأمويين في الأندلس[454].

لخم:

كان بنو زياد بن عبد الرحمن من أشهر أفراد هذه العشيرة، وقد عاشوا في أعداد كبيرة في قَرْطَمة حيث استقر جدهم الأعلى، زياد بن عبد الرحمن، لأول مرة في هذا المكان. وقد عاش بعضهم أيضاً في شذونة وقرطبة. وفي هذا البلد الأخير كانوا يعرفون ببني زياد القرطبيين[455].

جذام:

كانت هناك أعداد كبيرة من عشيرة جذام في كورة رية، وقد لعب هؤلاء دوراً بارزاً في الأحداث في أثناء الصراع بين الصميل بن حاتم وأبي الخطار[456]. وقد استقر العديد من أبناء هذه العشيرة في مالقة، وهي المدينة الرئيسة لهذه الكورة في جنوب الأندلس[457].

عاملة:

كان ثعلبة بن سلامة العاملي من أشهر أفراد هذه العشيرة، فقد كان

(453) **الجمهرة**، ص 348؛ المقري: 1/ 467.

(454) ابن القوطية، ص 42، 59، 101؛ الخشني، **قضاة**، ص 14، 19، 34، 46، 87، 98، 130، 131؛ **الجمهرة**، ص 423؛ الحميدي، ص 56، 218، 219؛ ابن الفرضي، قد1، ص 210 ـ 211؛ قد2، ص 4؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 71؛ ابن بشكوال: 1/ 188؛ ابن سعيد: 1/ 150، 153؛ ابن عذاري: 2/ 152؛ النباهي، ص 55.

(455) **أخبار مجموعة**، ص 57 ـ 60؛ ابن عذاري: 2/ 35 ـ 37.

(456) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 10؛ ابن سعيد: 1/ 426؛ الأنصاري: 1/ 100، قد 1؛ النباهي، ص 82، 84، 90؛ انظر أيضاً: الحميدي، ص 235؛ ابن الفرضي، قد1، ص 183؛ الضبي، ص 302.

(457) ابن القوطية، ص 14، 17؛ **الجمهرة**، ص 419؛ **أخبار مجموعة**، ص 30، 44، 45 ـ 46؛ **فتح الأندلس**، ص 34 ـ 35؛ ابن عذاري: 2/ 32 ـ 33؛ ابن خلدون: 4/ 259 ـ 260؛ **أعمال الاعلام**، ص 7؛ المقري: 1/ 237.

ومرسية كان قد تم في أثناء حملة موسى بن نصير، وذلك على يد ابنه عبد الأعلى بن موسى[66].

وقد عهد طارق إلى مغيث الرومي بقيادة الحملة المتوجهة إلى قرطبة. ويُقال بأن مغيثاً هذا كان أسيراً بيزنطياً من الشرق، وأنه كان مولى للخليفة الوليد الأول أو لأبيه عبد الملك بن مروان[67]. ولكن الأكثر احتمالاً هو أنه كان بيزنطياً من شمال أفريقيا. ويؤيد هذا الرأي، اطلاع مغيث ومعرفته الواسعة بهذه المنطقة وبإسبانيا أيضاً[68]. وقد سار مغيث مصحوباً بسبعمائة فارس من إستجة إلى قرطبة، بينما زحف طارق ببقية رجاله إلى طليطلة. وقد وصل الأول إلى ضواحي قرطبة وعسكر في شقندة Seconda قرب ضفاف نهر الوادي الكبير، فوجد بأن حاكم المدينة القوطي ما يزال موجوداً هناك ترافقه حامية مكوّنة من نحو أربعمائة أو خمسمائة رجل، أما بقية سكان المدينة فقد غادروا إلى طليطلة. وقد أفلح مغيث في اقتحام المدينة بسبب تهدم أسوارها، فانسحب حاكمها مع حاميته، وتحصنوا في كنيسة تقع خارج الأسوار تدعى سان أسيكلو (San Acisclo) حيث ضرب عليهم الحصار هناك لمدة ثلاثة أشهر وعندما أيقن هؤلاء بعدم قدرتهم على الاستمرار في المقاومة، حاول حاكمهم الهروب إلى طليطلة، ولكنه وقع في أسر المسلمين وأبيدت الحامية بأجمعها. وبعد ذلك اتخذ مغيث قصر المدينة سكناً له، بينما سكن رجاله في المدينة. وتذكر المصادر أيضاً أنه جمع كل يهود المدينة وعهد إليهم بالاشتراك مع المسلمين بمهمة الدفاع عنها[69].

---

(66) **الإحاطة**: 1/ 101؛ **الإحاطة** م. مدريد رقم 4891، ص 500؛ ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة، 1347هـ؛ ص 16؛ وقارن: المقري: 1/ 275؛ Sánchez - Albornoz, «Itinerario de la conquista...» pp. 32 - 34.

(67) ابن عبد الحكم، ص 207؛ **أخبار مجموعة**، ص 10؛ ابن عذاري: 2/ 9؛ المقري (برواية ابن حيان): 3/ 12 ـ 13.

(68) قارن: **أخبار مجموعة**، ص 31.

(69) الرازي، نشر: جاينجوس، ص 69 ـ 70؛ **أخبار مجموعة**، ص 13 ـ 14؛ **فتح** =

هناك إشارات كثيرة في المصادر العربية إلى التعاون بين اليهود والمسلمين في أثناء فتح الأندلس، وتروي هذه المصادر أن المسلمين كرروا ما فعلوه في قرطبة مع بقية المدن الإسبانية الأخرى، فحين تتم سيطرتهم على أية مدينة، كانوا يعمدون إلى ضم سكانها اليهود إلى جملة المدافعين عنها[70]. ومن الناحية الأخرى فإن المصادر اللاتينية لا تشير إلى أي تعاون لليهود مع المسلمين وبشكل خاص **حولية سنة 754م، وحولية البلدة، وحولية ألفونسو الثالث،** ولكن لذريق الطليطلي (Rodericus Toletanus, Roderic of Toledo) ولوقادي توي (Lucasde Tuy. Lucas of Tuy) قد ذكرا بأن اليهود ساعدوا المسلمين في الفتح[71]. وعلى ما يبدو فإنه من غير الممكن تجاهل روايات المؤرخين العرب، ومع هذا فعلى المرء أن يتوقع أن قصة هذا التعاون قد بولغ فيها كثيراً. ومن المحتمل أن اليهود ساعدوا المسلمين حينما أصبح هؤلاء فعلاً في إسبانيا، وذلك نتيجة للاضطهاد الطويل الذي لاقاه اليهود على يد ملوك القوط الغربيين[72]. ولكن من المستحيل، كما أسلفنا سابقاً[73]، أن يكون هناك اتفاق سابق أو «مؤامرة»، كما يحاول أن يبرهن بعض المؤرخين الإسبان[74]، بين اليهود والمسلمين لتسليم البلاد إلى

= الأندلس، ص 8؛ ابن عذاري: 2/ 9 ـ 10؛ المقري (برواية الرازي): 1/ 261 ـ 263؛ وقارن: Saavedra. p. 85.

(70) الرازي، نشر: جاينجوس، ص 72؛ **الإحاطة** (برواية ابن القوطية): 1/ 101؛ **أخبار مجموعة**، ص 12، 14، 16؛ ابن الأثير: 4/ 564؛ ابن عذاري: 2/ 12؛ المقري (برواية الرازي): 1/ 263 ـ 264.

(71) Toderic of Toledo (d. 1247 A.D.), *De rebus Hispaniae*, III, 23-24 (Schott, *Hispaniae illustratae*, Frankfurt a/n, 1603, III, 67-68); Lucas of Tuy, Chronicon mundi, III, Era 748 (Schott, op. cit., IV, 70) in: Katz, *The Jews in the Visigothic and Frnakish Kingdoms...*, pp. 116-117.

(72) راجع الفصل الأول من هذا الكتاب عن اضطهاد اليهود من قبل القوط الغربيين.

(73) راجع التفاصيل في الفصل الأول من هذا الكتاب.

(74) R. Anador de los Rios, *Historia social, politica y religiosa de los judios de*

على قيادة جند الأردن في سوريا، واستمر في منصبه هذا بعد عبور الشاميين إلى الأندلس حتى وفاة بلج بن بشر، حيث تولى سلامة قيادة كل القبائل الشامية هناك، ثم أصبح والياً على البلاد لما يقرب من عشرة أشهر (124 ـ 125/ 741 ـ 742)، إلى أن وصل أبو الخطار الكلبي الذي نفاه إلى المشرق حيث لقي حتفه مع مروان بن محمد، الخليفة الأموي الأخير[458]. ومع هذا فقد استمر بعض أحفاده بالعيش في الأندلس ضمن الجماعات المستقرة من هذه العشيرة في بلة العامليين في رية[459]. وعاش بعض أفراد عاملة أيضاً في غرناطة، ومنهم بنو سماك القضاة[460].

مذحج:

كان جدار بن مسلمة بن عمرو المذحجي هو القائد المسؤول عن جند الأردن في رية في أواخر عهد الولاة في الأندلس. وقد أيد قضية عبد الرحمن بن معاوية فور دخول الأخير إلى البلاد. وبعد أن انتصر الأمير عبد الرحمن، عين هذا القائد قاضياً لجنده، ومن ثم قاضياً للجماعة في قرطبة[461]. ومن أفراد هذه العشيرة أيضاً، عباس بن رفاعة، الذي هاجر من رية إلى الثغر الأعلى بسبب امتناعه عن قبول منصب قاضي قرطبة في عهد الحكم الأول. وقد أطلق أعقابه هناك على أنفسهم اسم مراد[462] وهم فرع من مذحج ـ وهذا يشير إلى توفر عدد كاف من هؤلاء المراديين بحيث أصبح يشكّل عشيرة مستقلة في الثغر الأعلى.

---

(458) **الجمهرة**، ص 419 ـ 420؛ وعن مستقرين آخرين انظر: ابن الفرضي، قد1، ص 273؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 771.

(459) المقري: 1/ 295.

(460) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 253؛ **فتح الأندلس**، ص 53؛ **أخبار مجموعة**، ص 67؛ ابن عذاري: 2/ 46، 48؛ المقري: 3/ 32. ومن الجدير بالذكر أن ابن القوطية هو المؤرخ الوحيد الذي يدعوه بالقيسي، الجد الأعلى لبني عقيل، انظر، ص 24 ـ 25.

(461) ابن الفرضي، قد1، ص 297؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص 39.

(462) **الجمهرة**، ص 398؛ **الإحاطة**: 2/ 176؛ انظر أيضاً، ابن الفرضي، قد1، ص 45.

بنو الأشعر:

كان موطنهم في رية، ومع هذا فقد عاش بعضهم مثل بني بلج بن يحيى في إشبيلية[463].

قضاعة:

يُعد بنو القين من أكبر المجموعات القضائية التي سكنت في هذه المنطقة[464]. ويشير ابن حزم إلى بعض أعقاب نهد بن زيد الذين استقروا في رية، ومن الواضح أن هؤلاء كانوا أقل عدداً من أن يشكلوا عشيرة مستقلة، لهذا فقد نسبوا أنفسهم مباشرة إلى قضاعة[465].

رعين:

كانت كورة رية هي الموطن الرئيسي لاستقرار هذه العشيرة بحيث عاش أفرادها في منطقة سهلية خصبة عرفت نسبة إليهم بفحص رعين[466]. ومع هذا فقد استقر بعض أفراد هذه العشيرة في أماكن أخرى أيضاً، مثل شذونة[467]، وفي قرية تدعى بطشة، كانت تقع على ضفاف نهر الوادي الكبير بالقرب من إشبيلية[468].

6) استقرار جند مصر في باجة:

باستثناء بعض الأفراد الذين ينتمون إلى مختلف العشائر مثل طيء[469]،

---

(463) **الجمهرة**، ص 446 ـ 447.

(464) المصدر نفسه، ص 454؛ انظر أيضاً: ابن الفرضي، قدا، ص 73؛ الضبي، ص 221؛ ياقوت: 3/ 116.

(465) **الجمهرة**، ص 434.

(466) الخشني، **قضاة**، ص 68؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 280.

(467) الرعيني، المصدر السابق، ص 3؛ الأنصاري: 5/ 323، قدا.

(468) **أخبار مجموعة**، ص 102.

(469) **فتح الأندلس**، ص 38.

وجذام[470]. وثقيف[471]. كان جند باجة يتألف في معظمه من عشائر يحصب ومعافر.

وكانت يحصب من أكبر العشائر في هذه المنطقة، وهي بقيادة زعماء كبار، من أمثال العلاء بن مغيث اليحصبي وعمرو بن طالوت، وكلثوم بن يحصب[472]. ونظراً لتغيّر موقف العشائر اليمنية بصورة عامة من عبد الرحمن الأول، فقد تمرد عليه هؤلاء القادة كلهم، وقد ابتدأ العلاء بن مغيث بالتمرد في عام 146/ 763 ويقال بأنه حُرض من قبل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور[473]، وهذا أمر بعيد الاحتمال، لأن المنصور كان مشغولاً بمشاكله الخاصة في المشرق ولم يكن لديه الوقت الكافي للتدخل في أمور الأندلس البعيدة، ومع هذا فقد استطاع عبد الرحمن الداخل أن يقضي على هذه الحركة، ومن ثم أمر بحل جند باجة كرد فعل معاكس على قيامها[474].

وتُعدّ معافر العشيرة الكبيرة الأخرى. في المنطقة. وكان بنو شراحيل المعافري من أهم أبناء هذه العشيرة الذين سكنوا في باجة. وقد انتقل بعضهم إلى قرطبة بسبب تعيين عميد أسرتهم عمرو بن شراحيل المعافري،

---

(470) ابن القوطية، ص 31؛

(471) فتح الأندلس، ص 53.

(472) ابن القوطية، ص 32 ـ 33؛ ولكنه ينسب العلاء إلى جذام؛ ابن حزم، **نقط العروس**، ص 75؛ **أخبار مجموعة**، ص 102 ـ 103؛ **فتح الأندلس**، ص 62؛ ابن الأثير: 5/ 575؛ ابن عذاري: 2/ 51 ـ 52؛ النويري: 22/ 7؛ قد1؛ الحميري، ص 36؛ ابن خلدون: 4/ 266؛ **أعمال الاعلام**، ص 9؛ المقري: 1/ 332، 3/ 36.

(473) الحميري، ص 36. وبعد بضعة سنوات، أي في 156/ 772 شارك عمرو بن طالوت وكلثوم بن يحصب بني جلدتهم من عشائر جند حمص (إشبيلية ونبلة) في تمرد كبير، غير ناجح، على الأمير عبد الرحمن. انظر: ابن القوطية، ص 31 ـ 32؛ **أخبار مجموعة**، ص 107؛ **فتح الأندلس**، ص 65؛ ابن عذاري: 2/ 55؛ وانظر أدناه، ص.

(474) الخشني، **قضاة**، ص 39؛ الحميدي، ص 316؛ ابن الفرضي، قد1، ص 318؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 356؛ ابن عذاري: 2/ 48؛ النويري: 22/ 18، قد1؛ المقري: 3/ 46.

قاضياً على هذه المدينة في عهد عبد الرحمن الأول[475]. وشغل بعض الأعقاب البارزين لأسرة شراحيل منصب القضاء في قرطبة وأماكن أخرى، ومن هؤلاء، محمد بن بشير بن شراحيل وسعيد بن محمد بن بشير[476].

7) استقرار جند مصر في تدمير محافظة مرسية الحالية:

اتخذت كل من القبائل اليمنية والمصرية منطقة تدمير موطناً لها[477]، وتعد غسان وطيء من أشهر القبائل اليمنية هناك، حيث استقرت طيء إلى الجنوب من مرسية[478]. أما غسان، فقد اشتهر منهم بنو الشيخ، الذين كانوا من أقوى الجماعات الساكنة في هذه المنطقة. وقد استقروا في الشي Elche، وما حولها، وهي تبعد نحو عشرين كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من لقنت Alicante. وعاش بعضهم أيضاً في لقنت نفسها، وفي قلوشة Callosa de Segura[479].

وكان بنو خطاب التدميريّون من المجموعات المهمة الأخرى في هذه الناحية. وقد دخل جدهم الأعلى، عبد الجبار بن خطاب بن نذير، إلى الأندلس مع بلج بن بشر، وسكن أولاً في قرطبة، قرب بوابة أصبحت تعرف باسمه باب عبد الجبار. ويُروَى أن جده نذير كان مولى لمروان بن الحكم الأموي، ومع هذا فقد حاول أعقاب عبد الجبار أن ينسبوا أنفسهم إلى

(475) ابن القوطية، ص 44 ـ 45؛ الخشني، **قضاة**، ص 47 ـ 48؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 78؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 355، 2/ 930 ـ 931؛ ابن سعيد: 1/ 144؛ النباهي، ص 198؛ انظر أيضاً: الأنصاري: 6/ 208.

(476) ابن الأثير: 6/ 400؛ الحميري، ص 173، 181.

(477) المقري: 1/ 295.

(478) **الجمهرة**، ص 240؛ **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 21، 22؛ **المقتبس**، تحقيق: الحجي، ص 81، 106؛ العذري، ص 13 ـ 14، 142؛ ابن عذاري: 2/ 197.

(479) ابن الفرضي، قدا، ص 328؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 46، 290، 356، 2/ 561 ـ 566؛ العذري، ص 15 ـ 16؛ **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 38؛ **الحلة السيراء**: 2/ 308، 311؛ الأنصاري: 6/ 5 ـ 6.

الأزد. وقد انتقل عبد الجبار إلى تدمير، التي تقع في الجنوب الشرقي من إسبانيا، حيث تزوج هناك من ابنة الحاكم القوطي الشهير تدمير. ومن المحتمل أن انتقاله إلى هذا المكان كان بسبب التنظيمات التي قام بها أبو الخطار لإسكان الجنود الشاميين في الكور المجندة. وقد استقر أتباع عبد الجبار، وكذلك استمر أعقابه في العيش في المناطق المجاورة لتدمير[480].

وتشير الروايات إلى استقرار بعض أفراد كنانة في هذه المنطقة، ومن هؤلاء، بنو عتيق بن ملكان، الذين كانوا من أبرز الجماعات في مرسية وتدمير[481]. ومع هذا فلا يمكن للمرء أن يجزم بأن هؤلاء قد جاءوا بالأصل من مصر، لأن الكنانيين كانوا قلة محدودة هناك[482]، وتبعاً لما يذكر العذري، كان هناك مكان في منطقة بلنسبة يدعى إقليم كنانة[483]. ولكن لا يعرف بالضبط فيما إذا كان هذا المكان يعود إلى شخص اسمه كنانة أم إلى كنانة العشيرة القيسية المعروفة، ويعرف هذا المكان في الوقت الحاضر باسم Benicanena، وهو موقع غير مسكون في محافظة بلنسية الحالية[484].

وعاش آل طاهر، الذين ينتمون إلى قيس عيلان في تدمير[485]. وهناك ما يشير إلى وجود موطن آخر لقيس، وهو منطقة غير مأهولة تسمى Benicais، تقع الآن في محافظة لقنت Alicante[486]، وعاش بنو وضاح الذين ينتمون إلى أشجع

---

(480) **الجمهرة**، ص 189؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 2/ 565؛ انظر أيضاً: الحميدي، ص 227، 245، 247 ـ 248، 277، 318 ـ 319؛ ابن الفرضي، قدا، ص 202 ـ 203، 209، 228، 258، 259، 328، 352؛ الضبي، ص 312، 314، 356؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 178، 339؛ ياقوت: 2/ 19؛ الأنصاري: 4/ 171 ـ 172.

(481) قارن: ابن عبد الحكم، ص 125 ـ 126.

(482) العذري، ص 20.

(483) cf. Ribera. p. 213. notel (1); Palacios. p. 88.

(484) **الحلة السيراء**: 2/ 116، 118، 227.

(485) Ribera. p. 212; cf. Elías Terés. op. cit., p. 96.

(486) الحميدي، ص 133؛ الضبي، ص 178 ـ 180؛ **الحلة السيراء**: 1/ 237؛ ابن دحية، المصدر السابق، ص 158؛ ابن خاقان، **مطمح الأنفس**، ص 16 ـ 17.

في مرسية. ويُروى بأن الجد الأعلى لبني شهيد، شهيد بن عيسى بن شهيد، يعود بأصله إلى الوضاح من رازح الأشجعي(487)، ومع هذا فإن بعض المؤرخين يعدون بني شهيد من موالي الأمويين، ويذكرون أن شهيد بن عيسى كان مولى لمعاوية بن مروان بن الحكم(488)، وعلى أية حال فإن عشيرة أشجع، كما يذكر ابن حزم، كانت من أقل العشائر القيسية أهمية في الأندلس(489).

وهناك الكثير من المعلومات بشأن بعض المجموعات العربية الأخرى التي سكنت في الأندلس، ولكن يبدو أن معظمهم دخل البلاد في وقت لاحق. ومن هؤلاء عدد كبير من الأمويين الذين فروا من المشرق ودخلوا الأندلس بعد تأسيس عبد الرحمن الأول للإمارة الأموية(490)، وتشير المصادر إلى دخول عدد من بني هاشم إلى الأندلس، وبشكل خاص، الأفراد الذين هم من نسل إدريس بن عبد الله بن الحسن(491). أما المجموعات الأخرى

(487) **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 26، 447، هامش 86؛ **الحلة السيراء**: 1/ 238 (برواية الرازي)؛ المقري: 3/ 45. وللمزيد من المعلومات عن أسرة بني شهيد، انظر: ابن القوطية، ص 85، 62، 64، 74، 103؛ ابن الفرضي، قدا، ص 93؛ **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 4، 53؛ الضبي، ص 304؛ العذري، ص 99؛ **أخبار مجموعة**، ص 111؛ ابن الأثير: 6/ 190؛ المراكشي، ص 38؛ ابن سعيد: 1/ 44؛ ابن عذاري: 2/ 63، 120، 142، 151، 159؛ النويري: 22/ 13، قدا؛ ابن خلدون: 4/ 269.

(488) **الجمهرة**، ص 259 ـ 260.

(489) للاطلاع على المزيد من التفصيلات بشأنهم، انظر: **الجمهرة**، ص 85، 89 ـ 90، 92، 94، 103، 110، 115؛ ابن الفرضي، قدا، ص 34، 104؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 94؛ **أخبار مجموعة**، ص 95، 96؛ **الحلة السيراء**: 1/ 37 ـ 38، 56 ـ 60؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 187، 277؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص 259، 351؛ ابن سعيد: 1/ 60، 2/ 10؛ الأنصاري: 6/ 171، ابن عذاري: 2/ 49؛ ابن خلدون: 4/ 264؛ المقري: 1/ 290، 3/ 60.

(490) قارن: مصعب الزبيري، المصدر السابق، ص 328؛ **الجمهرة**، ص 147 ـ 148؛ انظر أيضاً: ابن الفرضي، قدا، ص 66، 89؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 188، 366؛ ياقوت: 1/ 202؛ المراكشي، ص 74؛ ابن سعيد: 1/ 63؛ الأنصاري: 1/ 61، قدا؛ المقري: 1/ 290.

(491) قارن: **الجمهرة**، ص 160 ـ 161؛ **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 358، 2/ 468؛ الأنصاري: 6/ 127، 131؛ المقري: 1/ 290.

فيحتمل أنها تعود إلى قريش، مثل أولئك الذين عاشوا في باجة وقرطبة. وينسب هؤلاء إلى خالد بن الوليد، من مخزوم، وهذا خطأ لأن ذرية خالد انقرضت في بلاد الشام على إثر انتشار مرض الطاعون(492). وقد ادعى آخرون، وهم الذين استقروا في قسطنطنية، بالقرب من دانية Denia أنهم ينتسبون إلى عثمان بن مظعون، من جمح. وهذه القرابة غير محتملة لأن أعقاب عثمان بن مظعون كانوا قد انقرضوا في ذلك الوقت(493).

ثانياً: استقرار القبائل البربرية:

لقد كان استقرار البربر مماثلاً للبلديين ـ العرب الأوائل ـ إذ سكنوا على امتداد الطريق التي سلكتها حملتا طارق وموسى، ومع هذا يرى المستشرق الهولندي رينهارت دوزي Renhart Dozy أن العرب أنفسهم هم الذين قرروا وحددوا أماكن استقرار البربر في الأندلس، وهو يعتقد أيضاً أن العرب لم يكونوا عادلين في تقسيمهم للأرض بين هؤلاء البربر، لأنهم ـ أي العرب ـ، على حد زعمه، حاولوا الاحتفاظ بالأماكن السهلية والخصبة لأنفسهم ومن هنا يخلص دوزي إلى القول بأن العرب أقصَوْا البربر أتباع طارق إلى سهول لامانشا La Mancha وإسترامادورا Estremadora الجدباء أو المناطق الجبلية القاحلة في ليون Léon وغاليسية Galicie وأشتوريش Asturia. . . .(494). ولا يمكن العثور في المصادر على أي تبرير لهذا الاستنتاج الذي توصل إليه

---

(492) Dozy. p. 139.

(493) Cf. Provençal, Vol. I. p. 87; Barbour, Nevill, «The Berbers in al-Andalus», in *Actes du I, Congrès des études de culture méditerranéenne, d'influence arabe-berbère,* ed. Micheline Galley and D. R. Marshall Algiers, 1973, p. 107; Livermore, p. 305;

محمود علي مكي، «التشيع في الأندلس». مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، العدد الثاني، 1954، ص 98؛ سالم، المرجع السابق، ص 124.

(494) ومن هؤلاء على سبيل المثال الدكتور حسين مؤنس، انظر: **فجر الأندلس**، ص 128، 195.

دوزي. ومع الأسف فإن هذه المقولة التي لا أساس لها من الصحة قد صدقها الكثير من المؤرخين المحدثين[495]، وإن كان هناك قليل منهم ممن رفض هذه الفكرة وأنكرها[496].

كان البربر، كما أسلفنا هم الأغلبية الساحقة في حملة طارق بن زياد. كذلك كانوا في أعداد لا بأس بها في جيش موسى بن نصير. يضاف إلى هذا، أن العديد منهم عبروا إلى الأندلس بعد سماعهم نبأ انتصار طارق على القوط الغربيين ومن غير المحتمل أن يكون للعرب تأثير كبير على استقرار البربر، وفي الحقيقة فإن استقرار العرب والبربر في الأماكن التي نزلوها لأول مرة كان يخضع لعامل الصدفة لا غير، إذ لم تكن لديهم فكرة واضحة في البداية عما ستكون عليه هذه الأماكن، وإن كان البربر أكثر اطلاعاً ومعرفة بالمنطقة بحكم معيشتهم في الشمال الأفريقي المجاور. ولهذا فقد كانوا في موقف أفضل لاختيار أحسن المناطق للاستقرار فيها. ويمكن تفسير وربط اختيارهم للمناطق الجبلية في الأندلس بالحقيقة التي تشير إلى أن عدداً كبيراً منهم عاشوا بالأصل في جبال شمال أفريقيا، ولهذا فليس من الغريب أن نجدهم يستقرون في الأقاليم التي تشابه أماكن استقرارهم الأصلية.

وينتمي البربر الذين ساهموا في فتح الأندلس إلى العديد من قبائل البتر والبرانس في شمال أفريقيا. ولكن المجموعة الكبيرة من هؤلاء كانت في غالبيتها من مصمودة[497]، ويعود الآخرون إلى القبائل الأخرى المختلفة، مثل هوارة، ونفزة، وزناتة، ومكناسة، ومطغرة[498]، وبصورة عامة استقر

---

(495) عبيد الله بن صالح، تحقيق: بروفنسال، ص 224؛ عبيد الله بن صالح (المخطوط)، ص 24 ـ 25، 28؛ ابن عذاري: 1/ 43.

(496) عبيد الله بن صالح، 224؛ ابن خلدون: 6/ 239، 256، 265، 286؛ **الجمان**، الورقة 97 ـ 98؛ **الدرّة**، الورقة 67 ـ 68.

(497) العذري، ص 120.

(498) اليعقوبي، ص 354.

العديد من القبائل البربرية في شبه الجزيرة الأيبيرية وخاصة في المناطق الآتية:

أ ـ الجنوب:

إن مراكز الاستقرار الرئيسة في هذه المنطقة هي: الجزيرة الخضراء، وشذونة، وإشبيلية ومنطقتها، وقرطبة، ومنطقتها ورندة، وجيان، والبيرة.

ويبدو أن البربر كانوا بأعداد كبيرة في منطقة الجزيرة الخضراء حيث كان لهم إقليم كامل يسمى بإقليم البربر[499]. وكانوا يتفوّقون حتى على العرب بأعدادهم في مدينة الجزيرة الخضراء نفسها[500]، ومعظمهم من البرانس الذين ينتمون إلى مصمودة[501]. وتشير المصادر إلى أحدهم وهو عباس بن ناصح المصمودي، الذي أصبح قاضياً لشذونة والجزيرة الخضراء في أثناء عهد الحَكَم الأول (180 ـ 206/ 796 ـ 822)[502]. ويذكر ياقوت مدينة في هذه المنطقة تسمى قصر كتامة[503]، وكذلك يوجد مكان في محافظة قادس الحالية Gadaz يدعى Gazules نسبة إلى قبيلة جزولة البربرية[504]. ومن المحتمل جداً أن يكون استقرار البربر في هذه الأماكن حدث في أوقات متأخرة.

كانت شذونة هي مكان الاستقرار الأول لجماعات البربر التي تنتمي إلى قبيلة ملزورة البترية. ومن ضمن هؤلاء بعض الأُسر المتميّزة مثل بني نبيه،

---

(499) قارن: **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 7؛ ابن الأثير: 7/ 57؛ ابن عذاري: 2/ 90.

(500) ابن الفرضي، قد1، ص 296 ـ 297؛ **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 36؛ **الحلة السيراء**: 1/ 48؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص 258؛ ابن سعيد: 1/ 324.

(501) ياقوت: 4/ 362.

(502) cf. Palacios. p. 107.
وانظر أيضاً: الإدريسي، ص 70.

(503) **الجمهرة**، ص 499 ـ 500؛ المقري: 3/ 20.

(504) **الجمهرة**، ص 499؛ العذري، ص 113؛ ياقوت: 5/ 136؛ ابن سعيد: 1/ 313.

وبني أبي الأخطل، وقد نزحت هذه الأسر ـ ربما بعد اندحار البربر على عهد بلج بن بشر ـ إلى منطقة الثغور في الشمال الشرقي، حيث أصبحوا حكاماً مشهورين[505]. وعاشت مغيلة، التي كانت تضم عدداً من الأفراد يدعون ببني إلياس في شذونة، في مكان يسمى نسبة إلى هذه العشيرة بإقليم مغيلة[506]. وقد انتقل بعض بني إلياس أيضاً إلى الشمال الشرقي وأضحوا حكاماً بارزين[507]. وسكن العديد من أفراد زناتة أيضاً في شذونة، وكان أحد هؤلاء الزناتيين على رأس برابر هذه المنطقة في أثناء تمردهم على العرب في سنة 123/ 740[508]. أما بالنسبة إلى بربر مصمودة، فلم يستقروا في شذونة باستثناء قسم قليل منهم[509].

وفي مورور Moror de la Frontera استقر العديد من البربر الذين يرجعون في أصول بترية وبرانسية[510]. وربما كان البرانس من هؤلاء ينتمون إلى مصمودة، وكانوا بقيادة إبراهيم بن شجرة البرنسي الذي كان رئيساً للبربر في مورور. وقد أيد إبراهيم وأتباعه قضية الأمير عبد الرحمن الداخل الذي عينه على قيادة البربر في أثناء القتال مع يوسف الفهري ومع هذا فقد كان إبراهيم من الذين تمردوا فيما بعد على عبد الرحمن الأول، لكنه قتل من قبل أحد موالي الأمير[511]، وكانت هوارة من القبائل البرنسية الرئيسة في هذه المنطقة. وقد أصبح أحد أفرادها، وهو عبد الرحمن بن موسى الهواري

(505) **الجمهرة**، ص 499.

(506) ابن عذاري: 2/ 31.

(507) ابن الفرضي، قد1، ص 195، 334 ـ 335.

(508) ابن القوطية، ص 67؛ **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 68.

(509) **أخبار مجموعة**، ص 87، 111؛ **فتح الأندلس**، ص 53، 67؛ ابن الأثير: 5/ 494، 6/ 58؛ ابن عذاري: 2/ 47، 56؛ النيوري: 22/ 4، 13، 40، قد1.

(510) ابن الفرضي، قد1، ص 257 ـ 258؛ الزبيدي، **طبقات النحويين**، ص 275 ـ 276؛ **أخبار مجموعة**، ص 120؛ **الحلة السيراء**: 1/ 42؛ انظر أيضاً: ابن الفرضي، قد1، ص 288.

(511) العذري، ص 101؛ **أخبار مجموعة**، ص 108.

الذي عاش في عهد عبد الرحمن الأول وثلاثة من خلفائه، قاضياً على مدينة استجة[512].

وكانت إشبيلية والمناطق التي تجاورها موطناً لمختلف المجموعات البربرية. وكان هؤلاء متحالفين مع العديد من العشائر العربية اليمنية. وعندما أدركوا بأن مصالحهم تتوافق مع هذه العشائر العربية، اتخذوا الموقف العدائي نفسه من الأمير عبد الرحمن الأول. وربما لا نبالغ إذا ما قلنا إن هؤلاء البربر كانوا المحركين الحقيقين للأحداث في المنطقة. وقد قاد أحد زعمائهم، وهو عدي بن موسى الزناتي، أتباعه في تمرد مع حيوة بن ملامس الحضرمي على عبد الرحمن الأول[513]. وكان البربر يشكلون أيضاً غالبية العناصر التي ساهمت في التمرد الذي تزعمه كل من عبد الغافر اليماني في إشبيلية، وسعيد اليحصبي في نبلة على الأمير عبد الرحمن الأول[514].

وقد عاش العديد من البربر في أماكن مختلفة خارج مدينة إشبيلية وكان هؤلاء يتألفون من المجموعات التالية: بني الخرّوبي الزناتيين، الذين استقروا في لقنت Fuente de cantos شمال غرب إشبيلية[515]، وبني الليث من زناتة أيضاً، الذين أقاموا في شنت فيلة Siete Filla على الطريق بين إشبيلية وقرطبة[516]. واستقر بعض أفراد صنهاجة في إستجة ومنطقتها[517]، كما سكنت مجموعات غير مميّزة من البرانس ربما تكون من مصمودة أو صنهاجة ـ في قرمونة[518]. وعاش بنو جهور المرشانيون من هوارة، في

(512) ابن عذاري: 2/ 51، 53.

(513) **الجمهرة**، ص 499؛ **مفاخر البربر**، ص 79.

(514) **الجمهرة**، ص 499؛ العذري، ص 106، 176؛ الإدريسي، ص 207؛ **مفاخر البربر**، ص 79.

(515) ابن الفرضي، قد1، ص 136، 191، 339؛ ابن عذاري: 2/ 70.

(516) **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 68، 70؛ العذري، ص 103؛ الإدريسي، ص 206.

(517) **الجمهرة**، ص 500.

(518) المصدر نفسه، ص 502؛ **مفاخر البربر**، ص 63، 78؛ ابن خلدون: 6/ 311؛ وقارن: Guichard, *Al-Andalus*, p. 470.

مرشانة Marchena التي تقع على نحو ثلاثين كيلومتراً إلى الشرق من إشبيلية، وكان هؤلاء، كما يذكر ابن حزم، على درجة كبيرة من الغنى والعدد الوفير[519]. واستقر بنو عبد الوهاب، وهم من ذرية ميمون بن جميل الصنهاجي، ابن أخت طارق بن زياد، في أُشونة Osuna على بعد أربعة وثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب من إستجة، وكانوا متميزين بالثراء وكثرة العدد. وقد برز منهم قواد وكُتاب وفقهاء لكنهم، كما يشير ابن حزم، خملوا في عهده، ولم يبق منهم إلاً رجل كان يخطب ويقرأ القرآن في جامع قرطبة[520] وعاش في اشونة أيضاً كل من بني طاهر بن مناع من صنهاجة، وبني طريف من مصمودة[521].

وسُكنت قرطبة من قبل العديد من القبائل البربرية مثل: مصمودة، وهوارة، وكتامة، ومغيلة، ومن المحتمل أن يكون بعض أفراد القبيلة الأخيرة قد استقروا في مكان من منطقة قرطبة ما زال لحد الآن يدعى نسبة إليهم باسم Benamagi[522]، وكان كثير بن وسلاس المصمودي ضمن أولئك الذين رافقوا طارق بن زياد إلى الأندلس. وقد استقر بعض أحفاده في قرطبة، وأصبحوا محدثين مشهورين، من أمثال يحيى بن يحيى بن كثير. واستمرت

---

(519) **الجمهرة**، ص 500، 502؛ **مفاخر البربر**، ص 80؛ وقارن: Guichard, op. cit., p. 370.

(520) Cf. César E. Dubler, «Uber Berbersie-dlungen auf der iberischen Halbinsel», *Romanica Helvetica* (Sache und ort Festschrift Fakob Fud), 1942, Band, 20, p. 193; Madoz, vol. IV. p. 177;

انظر أيضاً: ابن الفرضي، قد1، ص 227؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 77.

(521) الخشني، **طبقات**، الورقة 30أ؛ الخشني، **قضاة**، ص 172؛ **الجمهرة**، ص 500؛ الحميدي، ص 382؛ ابن الفرضي، ق2، ص 178 ـ 180؛ **المقتبس**، نشر: مكي، ص 84؛ الأنصاري: 1/ 188 ـ 90، ق1؛ ابن خاقان، **مطمح الأنفس**، ص 46؛ **مفاخر البربر**، ص 60؛ ابن خلدون: 6/ 462؛ **الإحاطة**، م. مدريد، ص 773؛ المقري: 2/ 9 ـ 12.

(522) **الجمهرة**، ص 500؛ **مفاخر البربر**، ص 80؛ انظر أيضاً: **الجمان**، الورقة 98أ.

ذرية يحيى في الغنى وكثرة العدد في العهود اللاحقة، لكن القليل منهم بقوا إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي(523). واستقر بنو القمراطي الهواريون في القسم الغربي من قرطبة، لكنهم انقرضوا أيضاً في حدود التاريخ المذكور في أعلاه(524). ومن كتامة، سكن بنو مشرف في شقندة Secunda وهي قرية كانت تقع على الضفة اليسرى من نهر الوادي الكبير، على نحو خمسة كيلومترات من قرطبة(525).

وفي خارج قرطبة، كان هناك العديد من الأماكن التي أقام فيها البربر، مثل المدوّر Almodóver والحصون المجاورة الأخرى(526) ولكن أكثر المناطق المأهولة بالبربر كان سهلاً يدعى بفحص البلّوط El Valle de los Pedroches الذي يقع إلى الشمال الغربي من قرطبة وجبال سيراموريـنا Sierra Morena. ويعود السبب في تركز البربر في هذا السهل لأنه كان غنيّاً بالمصادر الطبيعية كالبلوط، والزيتون، ومعدن الزئبق(527)، وتُعَدّ مكناسة، ومديونة ومصمودة، ونفزة، وجراوة من أكثل القبائل التي كانت تقطن في هذه المنطقة. وقد سيطرت القبيلة الأخيرة على مكان في فحص البلوط سمي بجراوة نسبة إلى إسم القبيلة(528). وأقام المستقرون الأوائل من مكناسة في المنطقة ذاتها. وكان من هؤلاء الجد الأعلى لبني الأفطس حكام بطليوس Badajoz في عصر ملوك الطوائف (413 ـ 488/ 1022 ـ 1094)(529).

---

(523) **الجمهرة**، ص 501؛ انظر أيضاً: الرازي، نشر: جاينجوس، ص 69؛ الحميري، ص 104، الترجمة الفرنسية، ص 127، هامش (4).

(524) **أخبار مجموعة**، ص 42؛ **فتح الأندلس**، ص 33؛ الإدريسي، ص 205.

(525) ياقوت: 1/ 492؛ الحميري، ص 142.

(526) ياقوت: 2/ 117.

(527) ابن عذاري: 3/ 235 ـ 236.

(528) **الحلة السيراء**، (برواية ابن حيان): 2/ 96 ـ 97؛ **أعمال الاعلام** (برواية ابن حيان)، ص 182.

(529) الخشني، **قضاة**، ص 175؛ الضبي، ص 429، ياقوت: 1/ 492؛ ابن الأثير: 8/ 674؛ **مفاخر البربر**، ص 61، 79، 80؛ النباهي، ص 66، 69، 75؛ ابن خلدون: 6/ 210؛ انظر أيضاً: الهمذاني، **مختصر كتاب البلدان**، ص 87.

ومع هذا فقد ادعت هذه الأسرة أنها تنتسب إلى عشيرة تجيب العربية الأمر الذي لا يؤيده المؤرخ ابن حيان ويرى أنه ادعاء نادر وغريب[530]، ومن المحتمل أن هؤلاء كانوا حلفاء لتجيب لكنهم وبمرور الزمن إلى عصر ابن حيان أخذوا ينسبون أنفسهم إلى تجيب.

وكان أفراد قبيلة نفزة وفرعها ولهاصة كثيرو العدد أيضاً في هذه المنطقة وينتمي منذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة الشهير في عهد عبد الرحمن الثالث (300 ـ 350/ 912 ـ 961) إلى ولهاصة[531]. ولكن ابن حزم يرى أن منذر بن سعيد ينتمي إلى مديونة التي كان تقطن في المنطقة ذاتها[532]. ويرجع بعض أفراد مصمودة الذين عاشوا في فحص البلوط إلى بني يحيى بن يحيى بن كثير في قرطبة[533].

وقد استقرت جماعات أخرى من مصمودة في بيانة Baena التي تقع على بعد ثمانية وأربعين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي في قرطبة. ومن هؤلاء سفيان بن عبد ربه الذي أصبح حاجباً للأمير عبد الرحمن الثاني (206 ـ 238/ 822 ـ 852)[534]. وإلى الغرب من قرطبة، ومن فحص البلوط أيضاً أقامت قبيلة لوانة البترية في مكان سمي على اسمها بإقليم لوانة ويتبع هذا الإقليم مدينة قريش[535].

---

(530) **الجمهرة**، ص 500.

(531) الخشني، **طبقات**، الورقة، 38أ.

(532) ابن القوطية، ص 62، 68؛ **الجمهرة**، ص 500؛ **المقتبس**، نشر: مكي (برواية ابن القوطية) ص 25، 28؛ عبيد الله بن صالح (المخطوط) ص 28.

(533) ابن غالب، ص 290؛ ياقوت: 5/ 24. مدينة قريش الآن عبارة عن بقايا وآثار فقط. ولكن حصناً قديماً يدعى Castillo del Hierro ما زال في الوجود في المنطقة ذاتها، وهو يبعد نحو تسعين كيلومتراً شمال غرب قرطبة. انظر: الحميري: ص 143، الترجمة الفرنسية، ص 171، هامش (5).

(534) انظر: ابن الفرضي، قد1، ص 217.

(535) ابن القوطية، ص 32؛ العذري، ص 21؛ النويري: 22/ 10، قد1.

وقد عاش بعض أفراد صنهاجة وهوارة في جيان وما حولها[536]. وكان للمجموعة التي تنتمي إلى هوارة موطنها الخاص للاستقرار بالقرب من جيان، ويدعى بحصن الهواريين[537]. وسكنت هترولة، وتكتب أيضاً هتروقة، وهي على الأغلب فرع من هوارة بالقرب من جيان في قرية تسمى الملاّحة[538]، وهذا الاسم، الذي يعني منجماً للملح يشير إلى أهمية المكان ورغبة ومصالح ساكنيه من البربر المستقرين، وأقام بنو حبر الصنهاجيون في بلكونة، وهي قرية صغيرة بالقرب من مارتوس Martos، تقع إلى الجنوب من الطريق بين قرطبة وجيان[539].

وتُعد كتامة من أهم القبائل البربرية في كورة البيرة، وكان بنو المهلب الذين يكونون أحد الفروع العشائرية لهذه القبيلة من أكبر وأضخم الأسر البربرية هناك، فقد استقروا في حصنين بالقرب من البيرة يدعيان قرذيرة وأشبرغيرة. وينتمي إلى هذه المجموعة الأخوان خليل وسعيد اللذان تمردا على الحكومة المركزية في قرطبة في عهد الأمير عبد الله بن محمد (275 ـ 300/ 888 ـ 912)[540]. واتخذت قبيلة لماية البترية موطنها في رية والتي تقابلها في الوقت الحاضر مالقة في إقليم سمي بإقليم لماية[541]، ويحتمل أن يكون بعض أفراد مغيلة عاشوا أيضاً في رية، على الرغم من أن هذا

---

(536) **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 25؛ قارن: **الجمهرة**، ص 496.

(537) وكان من جملة هؤلاء يحيى بن ضريس، وهو فارس مشهور قاتل ابن حفصون الثائر المعروف في أثناء عصر الإمارة، انظر: **الجمهرة**، ص 502؛ **مفاخر البربر**، ص 78؛ الحميري، ص 56، الترجمة الفرنسية، ص 71.

(538) وبعد وفاة هذين الأخوين، تمكن الأمير التالي، عبد الرحمن الثالث، من القضاء على التمرد الذي استمر بقيادة ابنائهما. انظر: **الجمهرة**، ص 501؛ **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 31؛ ابن عذاري: 2/ 137.

(539) الحميري، ص 170.

(540) ابن الفرضي، ق1، ص 320.

(541) cf. Dubler, p. 193; Madoz, Vol. I. p. 557; Palacios, p. 16 وقارن: الإدريسي، ص 78.

الاحتمال مبني على خبر واحد فقط يشير إلى إقامة أحد أعضاء هذه القبيلة هناك في عهد عبد الرحمن الأول[542]. كما يحتمل أيضاً أن يكون بنو عطوش، وهم مجموعة غير معروفة، من البربر قد استقروا أيضاً في كورة رية في مكان ما زال يحمل اسمهم Algatocin[543]، ولكن على الأغلب أن هؤلاء القوم دخلوا الأندلس في فترات متأخرة.

وكانت تاكُرونا التي تقابلها في الوقت الحاضر المنطقة الجبلية المحيطة بمدينة رندة Ronda على نحو مائة كيلومتر إلى الغرب من مالقة موطناً لمجموعة كبيرة من البربر الذين ينتمون إلى مصمودة ونفزة. وكان عبد الرحمن بن عوسجة المصمودي قائداً لجميع البربر الموجودين في هذه المنطقة، وقد أيد الأمير عبد الرحمن بن معاوية حين وصوله إلى الأندلس[544]. وكونت نفزة وفرعها ولهاصة نسبة كبيرة من البربر في تاكُرونا. ولكن ابن حزم يرجع أصل العديد من هؤلاء إلى مديونة وهي ـ كما هو الحال بالنسبة إلى نفزة أيضاً ـ قبيلة بترية[545]. وينتمي إلى هذه المجموعة من البربر بنو الخليع الذين ساعدوا عبد الرحمن الداخل في محاولته الاستيلاء على الأندلس وربما يشير لقب جدهم (الخليع) إلى أن عشيرته قد خلعته أو تبرأت منه ولكن لا تتوفر لدينا معلومات لتوضيح الظروف التي تم فيها هذا الخلع. وعلى الرغم من موالاة هؤلاء البربر لعبد الرحمن الأول فقد تمردوا على الأمير هشام سنة 178/ 794. ونتيجة للقسوة الشديدة التي استخدمها هذا الأمير في القضاء على تمردهم، انتقل العديد منهم إلى أماكن أخرى مثل طلبيرة وترجيلة أو ترجالو، Trujillo، التي تبعد نحو ثمانية

---

(542) **فتح الأندلس**، ص 53.
(543) **الجمهرة**، ص 500.
(544) ابن القوطية، ص 25؛ ابن الأثير: 6/ 109، 144، 406، 7/ 51، 289؛ ابن عذاري: 2/ 64، 82، 142؛ **مفاخر البربر**، ص 79؛ النويري: 22/ 24 ـ 25، قد1؛ ابن خلدون: 4/ 272.
(545) ابن سعيد (برواية ابن حيان): 1/ 333.

وأربعين إلى الشرق من قاصرش Càceres، وعلى الرغم من هذا فقد ظلت منطقة تاكرونا موطناً مهماً للبربر، الذين تمردوا عدَّة مرات في أثناء عهد الإمارة[546]. وقد أنجبت هذه المنطقة بعض الشخصيات المشهورة من أمثال الفيلسوف عباس بن فرناس التاكرني[547] وكذلك بنو الزجالي الذين برز منهم محمد بن سعيد الزجالي، فأصبح كاتباً لعبد الرحمن الثاني[548].

ب) الوسط والغرب:

تمتد منطقة استقرار البربر في وسط الأندلس عبر وديان نهر تاجة من شمال طليطلة وطلبيرة وإلى وادي نهرانة في الجنوب حيث تقع ماردة ومادلين وبقية المناطق المأهولة في الأجزاء الغربية من شبه الجزيرة الايبيرية[549]، وكانت غالبية البربر في طليطلة من البرانس[550]، ولكن بعضهم يرجعون أيضاً إلى البتر مثل أولئك الذين ينتمون إلى مغيلة، والذين استقروا في منطقة ما تزال تحمل اسمهم Corral de Almaguer[551]، ويروي ابن الأبار أن أحد أفراد مصمودة، وهو ميمون بن سعيد، أصبح عاملاً على طليطلة في عهد عبد الرحمن الأول[552]. وتشير المصادر إلى جماعة كبيرة

---

(546) **الجمهرة**، ص 500؛ **المقتبس**، نشر: مكي، ص 32 ـ 33؛ **مفاخر البربر**، ص 79؛ ابن سعيد: 1/ 330؛ انظر أيضاً: **الإحاطة**، م. تونس، جـ3، الورقة 24أ، 51أ.

(547) Cf. Jacinto Bosch Vila «El elemento humano norteafricano en la historia de la España-muslmana», *Cuadernos Bibl. Esp.*, II, Tetuan, 1954, pp. 24-5.

(548) **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 292.

(549) cf. dubler, p. 193; Madoz, Vol. VII, p. 131.

(550) **التكملة**، ط. القاهرة: 1/ 315.

(551) لقد كان بربر طلبيرة أقوياء جداً بحيث أنهم تمكنوا من قتل عدد من أفراد بني فخشي في سنة 181/ 797 عندما دخل هؤلاء المدينة، على الرغم من أنهم كانوا بضيافة حاكمها عمروس بن يوسف. انظر: ابن خلدون: 6/ 158؛ ابن عذاري: 2/ 69؛ النويري: 22/ 28 ـ 29، ق1؛ ابن خلدون: 4/ 273.

(552) ومع هذا، فقد تمكن هؤلاء من مقاومة عشرة آلاف من عرب طليطلة في سنة 259/ 872. انظر: **المقتبس**، نشر: مكي، ص 330؛ ابن الأثير: 7/ 265؛ النويري: 22/ 55، قد1.

وقوية في طليطلة تدعى ببني مَخْشي، ولكن لا تحدد هذه المصادر بالضبط أصول هذه الجماعة وانتماءاتها. ومع هذا فمن الواضح أنه كانت هناك عداوة بين بني مخشي وبربر طلبيرة[553]. وكان هناك العديد من البربر خارج طلبيرة أيضاً، فقد عاش في حصن يقع إلى المشال من المدينة، يدعى بحصن سكتان أو سكيان نحو سبعمائة من البربر ربما كانوا ينتمون إلى برانس مصمودة[554]، واستقرت جماعات من نفزة مثل بني رشيد في وادي نهر زانة[555]، بينما عاش آخرون من هذه العشيرة في برجلة ـ ربما تقابل ترجالو Tarjalu أو Turjillo الحالية ـ[556]، وبالقرب من ماردة في قرية تحمل إلى الوقت الحاضر اسم نفزة[557]، وأقامت مكناسة أيضاً في هذه المنطقة، وما يزال موطنها الذي استقرت فيه معلوماً يحمل اسم قرية مكناسة التي تقع بين طلبيرة وقاصرش[558].

وكانت جبال «المعدن Sierra de Almadén» مأهولة بالبربر وتدعى هذه الجبال أيضاً، التي تقع إلى الجنوب من وادي نهرانة، بجبال البرانس لأن غالبية سكانها كانت من البرانس وهذه المنطقة غنية بمصادرها المعدنية ولهذا فقد أطلق عليها المسلمون اسم جبال المعادن، وهي ما تزال تحتفظ بنفس

(553) **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 137.

(554) المصدر نفسه، ص 124.

(555) الأصطخري، **أقاليم**، ص 24؛ الاصطخري، **مسالك**، ص 34، 46 ـ 47؛ ابن حوقل، ص 106؛ وقارن: .Dubler. p. 192

(556) الاصطخري، **أقاليم**، ص 24؛ الاصطخري، **مسالك**، ص 46 ـ 47؛ ابن حوقل، ص 110؛ الإدريسي، ص 190؛ ياقوت: 5/ 181؛ وقارن: .Dubler, p. 192

(557) **المقتبس**، نشر: مكي، ص 331، 615، هامش (456)؛ الحميري، ص 142؛ وقارن: عنان، جغرافية الأندلس والمصطلحات الجغرافية الأندلسية، **مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية**، العدد 3 4، تطوان، 1958 ـ 1959، ص 40.

(558) **المقتبس**، نشر: مكي، ص 631، 638 ـ 639 هامش (590)؛ ياقوت: 5/ 126؛ **الحلة السيراء**: 2/ 178؛ انظر أيضاً: **أخبار مجموعة**، ص 110 ـ 111؛ **الجمهرة**، ص 498؛ **مفاخر البربر**، ص 64.

التسمية[559]، وإلى الشرق من هذه الجبال عاشت مجموعة أخرى من البرانس تشمل أولئك الذين ينتمون إلى مسطاسة، وهي فرع من عشيرة وزداجة، وقد كان لهؤلاء حصنهم الخاص بهم وهو حصن مسطاسة في الإقليم الذي يسمى أيضاً باسمهم، إقليم مسطاسة، وكان يقع بالقرب من أوريط Oreta في منطقة قلعة رباح[560]، ويحتمل أن تكون قرية ميستانزا Mestanza، الحالية، التي تقع على بعد خمسين كيلومتراً إلى الجنوب من المدينة الملكية Ciedad Real، هي الموقع الأصلي للحصن المذكور في أعلاه[561]. وقد عبر بعض أفراد وزداجة نفسها إلى الأندلس في أوقات لاحقة، وكانوا بقيادة أبو دليم بن خطاب، الذي استقر في قرطبة وأصبح بعض أحفاده فقهاء ومحدثين مشهورين في هذه المدينة[562].

واستقر العديد من البربر في المنطقة الغربية التي كانت تدعى من قبل الكُتّاب العرب باسم أرض الجوف[563]. وكان عدد البربر في هذه المنطقة كبيراً للغاية بحيث نجد ابن حيان يطلق عليها اسم بلاد البربر فيقول إن «أرض الجوف بلاد البربر»[564]. وكانت كل من ماردة ومادلين Medellin اللتين تقعان على ضفاف نهر وادي انة من أكثر المراكز ازدحاماً بالسكان. ومن حسن الحظ فإن المصادر غنية بالمعلومات التي تتعلق بهؤلاء البربر في

---

(559) قارن: **الحلة السيراء**: 2/ 178 هامش (2) Madoz, Vol. XI. p. 397.

(560) **الجمهرة**، ص 498؛ ابن خلدون: 6/ 293 ـ 294.

(561) لقد استخدمت كلمة (الجوف) في المصادر بشكل عام لتشير إلى الشمال. ولكن في السياق المذكور أعلاه، فإن مصطلح الجوف يقابل استراما دورا الحديثة Estremadora، وهي منطقة غرب إسبانيا ـ وتشمل محافظتي قاصرش Càceres، وبطليوس Badajus. يضاف إلى ذلك، فإن ياقوت يعد الجوف جزءً من منطقة اكشونبة Ocsonaba جنوبي البرتغال الحالية، انظر: ياقوت: 2/ 188.

(562) **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 139.

(563) ابن القوطية، ص 67؛ **أخبار مجموعة**، ص 98، 131؛ **فتح الأندلس**، ص 35؛ **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 69؛ ابن عذاري: 1/ 65، 2/ 33، 49.

(564) بالنسبة إلى قبيلة كتامة، انظر: ابن خلدون: 4/ 289.

هذه المنطقة(565)، فقد كان معظمهم ينتمي إلى مصمودة ومكناسة وهوارة وكتامة(566). وكان من ضمن الأفراد الذين يتمون إلى مصمودة عبد الجبار بن محمود واخته جميلة، اللذان تمردا سوية في عهد عبد الرحمن الثالث(567)، واستقر بنو وانسوس المكناسيون في ماردة. ومن المحتمل أن يكون لهؤلاء القوم صلة بوانسوس الذي يدعى أيضاً «أبو قرّة المغيلي»(568)، الذي حمى عبد الرحمن بن معاوية، وأخفاه حينما كان في شمال أفريقيا، ونتيجة لهذا فقد أصبح بنو وانسوس من أخلص القبائل البربرية للأمويين في أثناء عهد عبد الرحمن الأول(569). ومع هذا فقد تمرد حفيد لوانسوس يدعى أصبغ بن عبد الله بن وانسوس، على السلطة القائمة في عهد الحكم الأول. وقد أيده في هذا التمرد بربر منطقة ماردة، فاستطاع أن يسيطر على المنطقة لما يقرب من سبع سنوات(570). وأقام بنو فرفرين من هوارة في فترة مبكرة في كل من ماردة ومادلين، ولكنهم كانوا أكثر ثروة وقوة في المدينة الثانية. وقد أصبح العديد منهم أمراء لهذه المدينة كما انتقل بعضهم، وخاصة بعد القضاء على

---

(565) **الجمهرة**، ص 500ـ 501؛ **المقتبس**، نشر: مكي، ص 397؛ ابن الأثير: 6/ 410 ـ 411؛ ابن سعيد: 1/ 48؛ **مفاخر البربر**، ص 80؛ النويري: 22/ 44، ق1.

(566) ترجع قبيلتي مكناسة ومغيلة في نسبهما إلى ضري بن زجيك من البتر. انظر: **الجمهرة**، ص 496.

(567) ابن القوطية، ص 21، 31؛ **أخبار مجموعة**، ص 74؛ المقري: 1/ 333.

(568) **المقتبس**، نشر: مكي، ص 189؛ **الحلة السيراء**: 1/ 160؛ ابن الأثير: 6/ 201 ـ 202؛ ابن عذاري: 2/ 72؛ النويري: 22/ 34 ـ 35، ق1؛ ابن خلدون: 4/ 276. وبعد أن تمت المصالحة بين أصبغ والسلطة، تحسنت العلاقات بين بني وانسوس والسلالة الأموية الحاكمة، مثال ذلك، سليمان بن محمد بن أصبغ، الذي أصبح وزيراً للأمير الأموي عبد الله بن محمد. انظر: ابن القوطية، ص 104؛ **الجمهرة**، ص 499؛ الحميدي، ص 226 ـ 227؛ **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 6؛ **المقتبس**، نشر: مكي، ص 189؛ الضبي، ص 287 ـ 288؛ ابن سعيد: 1/ 362؛ انظر أيضا: **التكملة**، نشر: الأركون، ص 401 ـ 402؛ ابن عذاري: 2/ 142، 159؛ **مفاخر البربر**، ص 79.

(569) **الجمهرة**، ص 499 ـ 500.

(570) **أخبار مجموعة**، ص 107.

تمرد البربر في عهد بلج بن بشر، إلى الثغور في الشمال الشرقي، حيث غدوا أيضاً حكاماً في أوقات لاحقة[571].

وكانت قورية ولجدانية من المواطن الكبيرة لاستقرار البربر، وبشكل خاص، أولئك الذين ينتمون إلى مصمودة، وربما بعض أعضاء مكناسة أيضاً[572]. وتشير المصادر إلى اسمي هاتين المدينتين جنباً إلى جنب بصورة مستمرة وتقع قورية Coria التي تتبع محافظة قاصرش Caceres الحديثة في وادي نهر تاجة بالقرب من الحدود البرتغالية غربي إسبانيا[573]. وربما تكون لجدانية، التي كانت تقع في المناطق الغربية نفسها يشبه الجزيرة الايبيرية، هي المدينة البرتغالية الحديثة المسماة Idanha a Valha والتي تبعد نحو ستين كيلومتراً إلى الغرب من قورية[574]. وقد استقر البرانس من مصمودة في هذه المناطق أولاً، لكنهم تحولوا عنها إلى ماردة عندما ابتدأ نصارى الشمال بتهديد المنطقة في عام 261/ 874[575]. ومع هذا فقد أقام بعضهم في نواحي متطرفة إلى الغرب مثل شنترين Santarem بالقرب من مصب نهر تاجة، على بعد نحو ثمانية وسبعين كيلومتراً شمال غربي لشبونة Lisbon[576]. ويبدو أن مجموعات أخرى من البربر الذين ينتمون إلى البرانس قد سكنت أيضاً في هذه المنطقة، وذلك لوجود مكان يقع إلى الشمال الشرقي من شنترين ما يزال يدعى Pernes نسبة إليهم[577]، وربما استقر بعض أفراد مصمودة أيضاً

(571) الرازي، تحقيق: بروفنسال، ص 84 ـ 86؛ البكري، **مسالك**، ص 63؛ **المقتبس**، نشر: مكي، ص 363، 642 ـ 643 هامش (595)؛ الإدريسي، ص 183؛ ابن غالب، ص 290؛ ياقوت: 4/ 214؛ الحميري، ص 164، الترجمة الفرنسية ص 19.، هامش (1).

(572) الرازي، تحقيق: بروفنسال، ص 89 ـ 90؛ **المقتبس**، نشر: مكي، ص 363، 640 ـ 642 هامش (595).

(573) **الجمهرة**، ص 501؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 363؛ ابن خلدون: 4/ 289 ـ 291.

(574) ابن بشكوال: 2/ 659، انظر أيضاً: ص 367، 609 ـ 610.

(575) cf. Dubler, p. 195.

(576) ابن الفرضي، ق1، ص 17 ـ 18؛ الضبي، ص 212؛ ياقوت: 1/ 195.

(577) قارن: ياقوت: 4/ 362، 356.

في لشبونة، لأن المصادر تشير إلى أسماء العديد منهم على أنهم عاشوا هناك[578].

واستقر بنو دانس بن عوسجة من مصمودة، الذين كانوا حكاماً لقلنبيرة Colenbira، في الأقسام الجنوبية من البرتغال. وكان لهم في هذه المنطقة موطن يدعى قصر أبي دانس. وربما كان هذا الموقع مدينة صغيرة لأن كلمة قصر في المفهوم الجغرافي الأندلسي تعني عادة مدينة[579]. ويظهر أن بربر هذه الناحية كانوا يتاجرون بالملح، الذي يشكّل المنتوج الرئيس لهذه المنطقة. وهذا واضح من التسمية البرتغالية لهذا المكان في الوقت الحاضر «قصر الملح» Alcacer do Sal الذي يقع في منتصف الطريق بين باجة ولشبونة[580]. وعاش فرع آخر من بني دانس في قلمرية Coimbra، التي تقع على بعد مائة وعشرين كيلومتراً إلى الجنوب من بورتو Porto[581].

وقد استقرت بعض القبائل البربرية البترية في هذه المنطقة الغربية، ومن هؤلاء جماعات من نفزة ـ أو مديونة على رأي ابن حزم ـ أقاموا في حصن يدعى بحصن أم جعفر، يقع في كورة ماردة[582]. وكان لعشيرة زواغة حصنها الخاص بها بالقرب من بطليوس[583]، وما يزال هذا المكان يسمى بـ Azuaja نسبة إلى هذه العشيرة[584]. وربما عاشت جماعات أخرى تنتمي إلى كل من قبيلتي مغيلة وزناتة في منطقة بطليوس في أماكن ظلت تحمل

(578) **الجمهرة**، ص 501؛ **الحلة السيراء**: 2/ 272 هامش (1)؛ الحميري، ص 161 ـ 162.

(579) **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 369، 528 هامش (320)؛ الحميري، ص 164، الترجمة الفرنسية، ص 197 هامش (1).

(580) **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 22 ـ 23؛ **الجمهرة**، ص 500؛ انظر أيضاً: البكري، **مسالك**، ص 120؛ ياقوت: 1/ 250.

(581) الإدريسي، ص 213.

(582) Cf. Madoz, vol. III, pp. 221-222; Dubler, p. 193; Palacios, pp. 80-81.

(583) Ibid., p. 193; Madoz, vol p. 20.

(584) Dubler, p. 191.

اسمي هاتين القبيلتين إلى هذا اليوم، مثل Maguilla[585] و Gineta[586].

جـ ـ الشرق:

تذكر المصادر العديد من البربر الذين استقروا في الأقسام الشرقية من الأندلس وبشكل خاص في منطقتي بلنسية وتدمير (مرسية)[587]، وينتمي هؤلاء إلى قبائل من البتر والبرانس. وكان معظم البرانس من صنهاجة وأوربة، وكتامة، وهوارة، ومصمودة. ومن المحتمل أن يكون البربر التابعون للقبيلة الأخيرة قد عاشوا حياة رعوية في ناحيتهم التي تقع في منطقة بلنسية، والتي كانت تدعى بجزء مصمودة[588]. وسكن بربر صنهاجة في أماكن مختلفة من ضمنها المناطق التي تشكل في الوقت الحاضر ما يعرف بمحافظات قسطليون Castellón ولقنت Alicante، ومرسية Murcia. وقد أقام بعض أفرادهم في منطقة مرسية في مكان أطلق عليه اسم (الصنهاجيون)[589]، بينما سكن آخرون في مناطق قسطليون ولقنت في مواقع ما تزال تسمى نسبة إلى قبيلتهم مثل Cenija وSoneja في محافظة قسطليون[590]، وSenija في محافظة لقنت[591]. واستقرت كتامة في قرية تدعى البونت Alpuente. وكان من أشهر هؤلاء الكتاميين بنو قاسم، وكما أسلفنا، فقد كان هؤلاء ينتمون أيضاً إلى فهر بالحلف[592]. وأقام بعض أفراد أوربة في قرية بالقرب من دانية

---

(585) اليعقوبي، ص 355؛ ابن الأثير: 6/ 64، 117؛ **الحلة السيراء**: 1/ 257؛ ابن عذاري: 2/ 50، 56؛ ابن خلدون: 4/ 268.

(586) العذري، ص 20.

(587) البكري، **مسالك**، ص 128.

(588) Cf. Dubler, pp. 193-194; Madoz, vol. VI, p. 308.

(589) Cf. Dubler, p. 194; Madoz, vol. XIV, p. 170; Palacios, p. 134.

(590) **الجمهرة**، ص 501؛ انظر أيضاً: Ribera, p. 214; Palacios, p. 88;، وانظر «المستقرون الأوائل من مصر» قبيلة قريش.

(591) ياقوت: 1/ 278؛ السلفي، المصدر السابق، ص 152؛ وقارن: Palacios, p. 126.

(592) قارن: الاصطخري، **أقاليم**، ص 24؛ الاصطخري، **مسالك**، ص 47؛ Dubler, p. 196.

Denia في محافظة لقنت كانت تدعى باسم القبيلة نفسها وتسمى الآن Orba[593]. وقد سميت بعض المناطق الأخرى في محافظة لقنت نسبة إلى إقامة أفراد من قبيلة هوارة فيها مثل Alahuar وLahuar[594].

ومثلت كل من قبيلتيْ نفزة وزناتة البربر البتر في هذه المنطقة، فقد شغلت الأقوام التي تنتمي إلى نفزة، وبشكل خاص أولئك الذين يرجعون بأصلهم إلى فرعها ولهاصة، منطقة شاطبة Játive. وامتاز هؤلاء بكثرة العدد في هذا المكان، وقد تولت بعض أسرهم الشهيرة فيما بعد حكم شاطبة ومناطق أخرى من الشمال الشرقي، وكان من ضمنهم: بنو عميرة، وبنو ملهان، وبنو غزلون[595]، وهناك موقع في منطقة شاطبة ما يزال يعرف لحد الآن باسم Nifzies نسبة إلى قبيلة نفزة[596]. وعاشت جماعات من زناتة في الأماكن التي تعرف حالياً بمحافظات بلنسية ومرسية، ولقنت، وكان أحد أقاليم بلنسية يسمى بإقليم زناتة في الأماكن التي تعرف حالياً بمحافظات بلنسية ومرسية، ولقنت، وكان أحد أقاليم بلنسية يسمى بإقليم زناتة[597]، وهذا يدل على سكنى بعض أعضاء هذه القبيلة هناك، وما يزال العديد من المواقع الأخرى في الأجزاء الشرقية من الأندلس يسمى نسبة إلى قبيلة زناتة ومن هذه الأماكن على سبيل المثال:

Adsaneta de Albayda في محافظة بلنسية[598] وAdsaneta de Maestre وZaneta في محافظة قسطليون[599]. وAdsaneta وSanet y Negrales في

(593) **الجمهرة**، ص 499، **مفاخر البربر**، ص 80؛ السلفي، المصدر السابق، ص 65؛ **الجمان**، الورقة 97ب.

(594) cf. Ribera, p. 212.

(595) العذري، ص 20.

(596) Dubler, p. 191; Madoz, vol. I. p. 99.

(597) Dubler, p. 191; Madoz, vol. I. p. 100, XVI, p. 503.

(598) Dubler, p. 191; Madoz, vol. I. p. 99, vol. XIII, p. 732, cf. Palacios, p. 43.

(599) Dubler, p. 191; Madoz, vol. VIII, p. 423-424.

محافظة Albacete[600] وLa Gineta وGinete في محافظة Albacete[601]، وAzenaat وCeneta وIfre أي يفرن وهم فرع من زناتة ـ في محافظة مرسية[602].

د) الشمال الشرقي:

تمتد هذه المنطقة من جبال البرت في الأراضي التي تشمل في الوقت الحاضر كلاً من محافظتي لاردة Lérida ووشقة Huesca، ثم تتوغل جنوباً إلى وادي نهر الابرة والمحافظات الحديثة سُرته Soria ووادي الحجارة Guadajara، وقونقة Cuenca وتيروال Teruel. وباستثناء مدينة سرقسطة وما حولها، والتي سكنت في الغالب من قبل عشائر عربية[603]، كانت هذه المنطقة تعد إحدى أوسع أماكن الاستقرار للبربر في شبه الجزيرة الأيبيرية. ومع هذا فقد أقامت في سرقسطة نفسها بعض المجموعات من البربر الذين ينتمون إلى مختلف العشائر مثل: زواغة[604]، وهوارة[605] وصنهاجة[606]، ومكناسة. وربما يكون أفراد العشيرة الأخيرة قد استقروا في منطقة واسعة ما تزال تسمى باسمهم Mequinenza، وهي تقع على ضفاف نهر

---

(600) Dubler, p. 191; Madoz, vol. III, p. 211, vol. VI, p. 309, vol. IX, p. 384; انظر أيضاً: **مفاخر البربر**، ص 79.

(601) **أخبار مجموعة**، ص 38؛ ابن عذاري: 2/ 31.

(602) **أخبار مجموعة**، ص 38؛ ابن عذاري: 2/ 31.

(603) العذري، ص 26؛ ابن عذاري: 2/ 63.

(604) **مفاخر البربر**، ص 80.

(605) cf. Dubler. p. 193.

وانظر أيضاً: **أخبار مجموعة**، ص 116؛ **الجمان**، الورقة 89أ؛ **الدرّة النثيرة**، الورقة 67ب.

(606) قارن: الاصطخري، **أقاليم**، ص 23؛ الاصطخري، **مسالك**، ص 44؛ الإدريسي، ص 190؛ **كتاب الجغرافية في مساحة الأرض**، ص 5 ـ 6؛ Palacios. p. 121; Dubler, p. 192.

الأبرة بالقرب من التقائه بنهر Segre[607].

وكانت المراكز المأهولة بالبربر تتمثل بالمناطق التي تشمل وادي الحجارة، ومدينة سالم Medinaceli، وقلعة أيوب Calatayud، وشنبترية Castro de Santaver، ووبذة Huete وتيروال، وتعد مغيلة من أوائل القبائل البربرية التي سكنت في منطقة وادي الحجارة. وقد أصبح أحد زعمائها، وهو محمد بن إلياس المغيلي، الذي دخل الأندلس بمعية طارق بن زياد، قائداً للحامية الإسلامية الأولى التي أقيمت في هذه المدينة[608]، ويوجد في المنطقة ذاتها موقع ما يزال يسمى باسم هذه القبيلة Megina[609]، ومع ذلك، فقد عاش بعض أعضاء هذه القبيلة في أماكن أخرى تقع أيضاً في الشمال الشرقي، مثل المنتانية، وشنتبرية التي تقع على نحو ستين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من وادي الحجارة. ومن ضمن هؤلاء بنو برزال وبعض أفراد بني إلياس الذين جاءوا إلى هذا المكان من شذونة[610].

وكان برانس مصمودة من جملة المستقرين الأوائل في منطقة وادي الحجارة، ومن المحتمل أن يكون سالم بن ورعال، جد بني الفرج، أحد الذين رافقوا طارق بن زياد إلى الأندلس. وقد أصبحت مدينة وادي الحجارة تسمى باسم مدينة الفرج نسبة إلى أحد أحفاد سالم، الذي يدعى الفرج بن مسرة بن سالم[611]. وهناك مدينة أخرى في هذه المنطقة سميت نسبة إلى أسرة سالم وهي مدينة سالم التي ما تزال تحتفظ بنفس الاسم في روايته

(607) **مفاخر البربر**، ص 60؛ **الجمان**، الورقة 97ب؛ **التكملة**، نشر: الأركون، ص 214.

(608) cf. Dubler. p. 193.

(609) **الجمهرة**، ص 499.

(610) يذكر ابن حزم أن الفرج المتوفي سنة 217/ 832 كان إبناً لسالم بن وريمال **الجمهرة**، ص 499، 501؛ انظر أيضاً: **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 79؛ ابن عذاري: 2/ 82. وهو يخالف ابن حزم، فيقول بأن مسرة الذي كان عاملاً على جيان هو والد الفرج؛ عبيد الله بن صالح (المخطوط) ص 28.

(611) **الجمهرة**، ص 501؛ انظر أيضاً: العذري، ص 44.

الإسبانية Medinaceli، وتقع على بعد مائة كيلومتر إلى الشمال من وادي الحجارة[612]. وعاش بعض أفراد بني الفرج إلى الشمال من هذه المنطقة في طرسونة Tarazona بالقرب من تطيلة Tudela[613].

واستقرت أسر مشهورة أخرى من مصمودة في منطقة الثغور، وبشكل خاص في شنتبرية، ووادي الحجارة، وكان من جملة هؤلاء بنو أران وبنو مضى، وبنو رسين[614]. وأقام بعض أفراد غمارة وهي فرع من مصمودة في مكان ما زال يدعى Bengamar ويقع في محافظة قونفة[615].

وكان برانس هوارة أيضاً من جملة المستقرين الأوائل في الشمال الشرقي[616]، وتشير المصادر إلى مجموعتين من هؤلاء سكنتا في هذه المنطقة. وكانت المجموعة الأولى بقيادة السمح بن ورد ـ حيقن الهواري الذين دخل الأندلس في زمن الفتح واستقر هو وأتباعه في منطقة شنتبرية في قرية تسمى أقاقلة[617]. ويعد هذا القائد الجد الأعلى لبني ذي النون، الذين لعبوا دوراً هاماً في هذه المنطقة وشيّدوا الحصون القوية مثل وبذة وأقليش Uclés، وولبة. وتمكّنوا أخيراً من السيطرة على طليطلة وجعلوها عاصمة لهم كما أسسوا سلالة مستقلة حكمت في هذه المدينة في عهد الطوائف (427 ـ 478/ 1036 ـ 1085)[618].

---

(612) **الجمهرة**، ص 501.

(613) المصدر نفسه، ص 499، 501؛ **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 161 ـ 162.

(614) cf. Dubler. p. 195; Madoz. Vol. IV. p. 205.

(615) قارن: الاصطخري، **أقاليم**، ص 23؛ الاصطخري، **مسالك**، ص 44.

(616) **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 18؛ العذري، ص 4، 15.

(617) **الجمهرة**، ص 599 ـ 500؛ **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 17 ـ 19؛ ابن عذاري: 3/ 276 ـ 277. وللمزيد من المعلومات عن هذه الأسرة البربرية، انظر: العذري، ص 49، 63؛ صاعد، ص 99؛ ابن بسام، **الذخيرة**: 4/ 110 ـ 111، قد1؛ ابن الأثير: 7/ 271 ـ 272؛ المراكشي، ص 51؛ ابن خلدون: 4/ 347، 6/ 286؛ **أعمال الاعلام**، ص 176 ـ 177.

(618) **المقتبس**، تحقيق: مكي (برواية الرازي) ص 234.

أما الأسرة الهوارية الأخرى التي تستحق الذكر فهي أسرة بني رزين، ومن المحتمل جداً أنها تنتمي إلى رزين البرنسي الذي كان من أعظم القواد الذين دخلوا الأندلس بصحبة طارق بن زياد. وقد استقر بنو رزين أولاً في قرطبة حيث حلّ هناك جدهم الأعلى رزين[619]. ثم تحولوا فيما بعد إلى الشمال الشرقي - ربما بعد فشل تمرد البربر في الأندلس في حدود عام 123/730 - وأقاموا في مكان يدعى السهلة، وهي منطقة سهلية تقع في محافظة تيروال الحالية. وقد أصبح هؤلاء البربر الذين تميّزوا بالثروة وكثرة العدد، حكاماً لمنطقة السهلة وفي نهاية الخلافة الأموية في قرطبة أعلن بنو رزين، الذين كانوا بزعامة هذيل بن خلف بن لب استقلالهم في هذه المنطقة وحكموها لما يقارب التسعين عاماً (403 - 497/ 1012 - 114)[620]. وما تزال عاصمتهم إلى سميت باسمهم، وتقع على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الغرب من يتروال، تحتفظ بنفس هذه التسمية Albarracin لحد الآن[621]، وكذلك السلسلة الجبلية Sierra de Albarracin التي كانت تحد السهلة من الشمال والشمال الشرقي.

وعاشت جماعات عديدة من نفزة أيضاً في الشمال الشرقي. ومن هؤلاء: بنو عميرة وبنو غزلون، وبنو نعمان، وبنو بلال، الذين استقروا في شنتبرية ووادي الحجارة وتيروال[622]، وأقام في المنطقة الأخيرة بعض الأفراد من برغواطة، ومن المحتمل أنهم سكنوا في المكان الذي ما يزال يحمل

(619) **الجمهرة**، ص 499، 500؛ **الحلة السيراء**: 2/ 109 (برواية ابن حيان)؛ ابن سعيد: 2/ 427 - 428؛ ابن عذاري: 3/ 181، 182 (برواية ابن حيان)؛ **مفاخر البربر**، ص 79؛ النويري: 22/ 108 ق1؛ ابن خلدون: 6/ 286؛ **أعمال الاعلام**، ص 205؛ ابن عذاري: 3/ 307 - 309.

(620) cf. Palacios. pp. 46, 69.

(621) **الجمهرة**، ص 499، 500، **مفاخر البربر**، ص 80؛ انظر أيضاً: الاصطخري، **أقاليم**، ص 23؛ الاصطخري، **مسالك**، ص 44.

(622) cf. Dubler. p. 195; Madoz, Vol. IV. p. 500.

اسمهم Burbagena[623]، وعاش بنو صبرون، الذين ينتمون إلى قبيلة أوربة، في هذه المنطقة أيضاً، ومنهم صبرون بن شبيب وابنه وكيل اللذان كانا حاكمين لأليشة Aliaga، في الشمال الشرقي لتيروال، في عهد عبد الرحمن الثالث[624]. وكانت شنتبرية وما يجاورها أيضاً موطناً لقبيلة مكناسة، وقد قاد أحد أعضاء هذه القبيلة وهو شقنا بن عبد الواحد، تمرداً على الدولة في عهد عبد الرحمن الأول، استمر ما يقارب عشر سنوات[625]. وتعد مديونة من القبائل القوية الأخرى في هذه المنطقة، وكان بنو هذيل، الذين ينتمون إلى هذه القبيلة، أمراء في الثغور، وبشكل خاص، في شنتبرية ووادي الحجارة[626]. وقد أقرّ عبد الرحمن الأول تعيين اثنين من أبناء مديونة على التوالي كزعماء لعشائر هذه القبيلة في الشمال الشرقي، وهما هلال وعامر بن ثابت المديوني[627].

واستقر بعض أفراد ملزورة أيضاً في شنتبرية، وكان من جملة هؤلاء عوسجة، أو أبو عوسجة، الذي يُنسب إليه بلاط عوسجة في شنتبرية[628]. وحكم في وبذة وما يجاورها على بعد خمسين كيلومتراً إلى الغرب من قونقة، فرع آخر من هذه القبيلة يدعى العامر بن وهب[629]، وكان بنو عزّون

---

(623) **الجمهرة**، ص 501؛ **مفاخر البربر**، ص 80.

(624) **فتح الأندلس**، ص 64 ـ 65؛ ابن الأثير: 5/ 605، 606، 6/ 35، وما بعدها؛ ابن عذاري: 2/ 54 ـ 55؛ النويري: 22/ 9 ـ 10، 12، ق1؛ ابن خلدون: 4/ 267، 6/ 266؛ وقارن: ابن القوطية، ص 23؛ الاصطخري، **مسالك**، ص 44.

(625) **الجمهرة**، ص 499.

(626) المصدر نفسه، ص 499؛ ابن عذاري: 2/ 54 ـ 55؛ ابن خلدون: 6/ 256؛ انظر أيضاً: الاصطخري، **أقاليم**، ص 23؛ الاصطخري، **مسالك**، ص 44.

(627) **الجمهرة**، ص 498 ـ 499؛ **مفاخر البربر**، ص 79.

(628) **الجمهرة**، ص 500؛ انظر أيضاً: ابن خلدون: 6/ 286، وهو يرجع نسب هذه الجماعات إلى هوّارة.

(629) **الجمهرة**، ص 499.

من زناتة أيضاً أمراء في شنتبرية ووادي الحجارة[630]، ومع هذا فقد استقر أفراد آخرون من زناتة في منطقة سرقسطة وإلى الشمال منها في نواحي لاردة وبالقرب من مصب نهر الابرة، حيث ما تزال هناك أماكن تحمل أسماءهم إلى يومنا هذا مثل Butsenit وSanet وBenisnet[631]. وربما استقر بعض أفراد صنهاجة في وادي الحجارة، لأن اليعقوبي يذكر أحدهم على أنه كان حاكماً لهذه المدينة[632]. وكان بنو عبدوس من صدينة، وهي قبيلة بترية أيضاً من ضمن أمراء منطقة الثغور، وقد سكنوا في سُرتة وشنتبرية ووادي الحجارة[633]، وهناك أسرة أخرى تنتمي إلى مدغرة، وهي أيضاً قبيلة بترية، ذكرها ابن الأبار على أنها عاشت في طرطوشة Tortosa بالقرب من مصب نهر الأبرة[634]. وتشير المصادر إلى مجموعات أخرى من البربر استقرت في الشمال الشرقي، ولكنها لا تحدد بدقة أصول هذه المجموعات، ومن هؤلاء على سبيل المثال: بنو أبي الأدْلَم، وبنو قِنّة (من هوتوتة)، في الثغور، وشنتبرية، ووادي الحجارة[635]، وبنو شميط، في منطقة قلعة أيوب، وبنو دروقة الذين استقروا مبكراً في ناحية دروقة Daroca التي سميت على اسمهم وتبعد نحو ثمانية وعشرين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من قلعة أيوب[636].

هـ) الشمال والشمال الغربي:

لقد قام المسلمون، كما أسلفنا، بإنشاء العديد من الحاميات في الشمال

(630) ياقوت: 3/ 151؛ وقارن:
Dubler. p. 190; Madoz. Vol IV. pp. 224, 682. Vol XIII. p. 732.

(631) اليعقوبي، ص 355.

(632) **الجمهرة**، ص 499؛ انظر أيضاً: **المقتبس**، تحقيق: مكي، ص 324.

(633) **التكملة**، نشر: الأركون، ص 165.

(634) **الجمهرة**، ص 499.

(635) العذري، ص 41، 53؛ الحميري، ص 76 ـ 77.

(636) راجع فتوحات موسى وطارق في الشمال والشمال الغربي في إسبانيا في الفصل الثالث.

والشمال الغربي من إسبانيا في أثناء الفتح(637)، وعلى الرغم من وجود بعض العرب في هذه الحاميات لكن هناك إشارات عديدة إلى أن أغلبية هؤلاء المستقرين الأوائل في هذه المنطقة كانوا من البربر، وهكذا فقد استقرت أعداد كبيرة من البربر الذين ينتمون إلى مختلف القبائل في جليقية Galicia وأستورقة Astorga وشرطانية Cerretania غربي جبال البرت(638). واستقر في أول الأمر منوسة، الذي كان قائداً في جيش طارق بن زياد، في خيخون Gijón في الأشتوريش Asturias. وقد أصبح فيما بعد حاكماً على شرطانية، ومسؤولاً عن كل المنطقة التي تمتد من جبال البرت إلى المحيط الأطلسي(639). ومما يؤسف له عدم توفر المعلومات الكافية عن هؤلاء البربر في هذه المناطق النائية، باستثناء ما جاء من أن عددهم كان كبيراً(640). ومع هذا فقد استطاع César. E. Dubler في دراسته لأسماء المواقع الجغرافية وعلاقتها باستقرار البربر في شبه الجزيرة الايبيرية، أن يتوصل إلى معرفة العديد من الأماكن التي تحمل أسماء قبائل بربرية. وهذا بطبيعة الحال، يشير إلى أن هذه المواقع ـ وبشكل خاص في هذه المنطقة وفي كثير من المناطق الأخرى في شرق وغرب إسبانيا ـ كانت على الأغلب مواطن مبكرة للبربر الذين ينتمون إلى هذه القبائل(641). ومن الأمثلة على هذه المواطن Orba التي تقع في محافظة نافار Navarre وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة

---

(637) **أخبار مجموعة**، ص 38، 39، 40؛ **فتح الأندلس**، ص 31؛ ابن عذاري: 2/ 29، 30 ـ 31؛ المقري: 1/ 276؛ وقارن: (ملحق أخبار مجموعة، ص 167)، *Paul the Deacon, Book6,*

(638) *Chr. 754,* p. 155 (no. 58); *Alfonso III*, p. 612; cf. Saavedra, p. 70; Livermore. p. 310; **فجر الأندلس**، ص 384.

(639) لقد تحوّل معظم البربر فيما بعد إلى الجنوب، ومن ثم عَبَروا إلى شمال أفريقيا، وللمزيد من التفصيلات، انظر آخر الفصل السادس من هذا البحث.

(640) وقارن مؤنس، **فجر الأندلس**، ص 381 ـ 382 ;Dubler. pp. 182-197.

(641) Dubler, p. 196; cf. Madoz, vol. XII, p. 291.

أوربة[642]. وكذلك فإن كلا من Gomeriz وGomeris في جليقية، وGomra في محافظة سُرتة، قد اتخذت أسماءها من اسم قبيلة غمارة البربرية[643]. أما كتامة فقد أعطت اسمها إلى كل من المناطق التالية: Cotanes في محافظة بلد الوليد Valladolid وCotanillos حي في مدينة شقوبية Segovia وCotimos التي تقع بين مدينتي Lamego وAlmedia في البرتغال[644]. وكذلك فقد سُميت جبال Sierra de Bornes وBornes في الشمال الشرقي من البرتغال وAlbornos في محافظة آبِلة Avila على اسم البرانس، وهؤلاء البرانس، كما تبيّن لنا في البحث آنفاً، يؤلفون أغلبية البربر الذين اختاروا الاستقرار في هذه المنطقة الجبلية، وكانت، كما يبدو بوضوح، تناسبهم أكثر من غيرها من المواقع بسبب التشابه الكبير بينها وبين أماكن سكناهم الأصلية في شمال أفريقيا.

---

(642) Dubler, p. 195; cf. Madoz, vol. VII, p. 437.

(643) Dubler, p. 194; cf. Madoz, vol. VII, p. 148.

(644) Dubler, p. 195; cf. Madoz, vol. I. p. 339.

الفصل الخامس

عصر الولاة والتوتر الداخلي في الأندلس[1]

تعاقب على الأندلس منذ مغادرة موسى بن نصير في سنة 95/ 714 حتى عام 138/ 756 واحد وعشرون والياً، كانوا يمارسون السلطة باسم الخليفة الأموي ووالي شمال أفريقيا. ويمكن تصنيف الأساليب التي اتُّبعت في اختيار وتعيين هؤلاء الولاة كما يأتي[2]:

1 . التعيين من قِبل الوالي السابق، كما في حالة عبد العزيز بن موسى الذي عُيِّن من قِبل والده[3].

2 . التعيين مباشرة من قِبل الخليفة، كما في حالة المسح بن مالك الخولاني، الذي عُيِّن من قِبل الخليفة عمر بن عبد العزيز[4].

---

(1) cf. Salvador Vila, «El nombramiento de los waties de al-Andalus», *Al-Andalus, IV*, 1936, pp. 215-220.

(2) ابن القوطية، ص 10، **أخبار مجموعة**، ص 19؛ ابن عذاري: 2/ 30؛ **الإمامة والسياسة**، ص 138.

(3) ابن القوطية، ص 12؛ **أخبار مجموعة**، ص 23؛ ابن عذاري: 2/ 26.

(4) المصدر نفسه: 2/ 27 ـ 29؛ **أخبار مجموعة**، ص 24 ـ 25.

3 ـ التعيين من قِبل ولاة شمال أفريقيا، كما في حالة الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي، وعنبسة بن سحيم الكلبي، ويحيى بن سلمة الكلبي، وحذيفة بن الأحوص الأشجعي، وعثمان بن أبي نسعه الخثعمي، والهيثم بن عبيد الكناني، وعقبة بن الحجاج السلولي[5].

4 ـ تعيينات فرضت من قبل مسلمي الأندلس أنفسهم، وهناك مجموعتان من الولاة تم تعيينهما بهذه الطريقة:

أ ـ المجموعة الأولى تم اختيارها من قِبل فئة واحدة من مجموع فئات أهل الأندلس، مثال ذلك، بلج بن بشر، وثعلبة بن سلامة العاملي، وثوابة بن سلامة الجذامي ـ الذين اختيروا من قبل الشاميين[6].

ب ـ المجموعة الثانية اختيرت تبعاً لرغبة أغلبية المسلمين في الأندلس، مثل أيوب بن حبيب اللخمي، وعبد الرحمن الغافقي ـ في ولايته الأولى ـ وعذرة بن عبد الله الفهري، ومحمد بن عبد الله الأشجعي، ويوسف بن عبد الرحمن الفهري[7].

لقد كان معظم الخلفاء الأمويين يميلون إلى دمج الأندلس مع شمال أفريقيا. ولهذا فإن مهمة تعيين الحكام للأندلس كانت في الغالب من مسؤولية والي شمال أفريقيا. أن عملية دمج الولايتين تعني ضمناً أن الأندلس يجب أن تبقى تابعة لشمال أفريقيا من الناحية الإدارية. ولهذا، فقد كان يجب إرسال كل الواردات التي تتجمع في الأندلس إلى بيت المال في القيروان. وكما سيتضح فيما بعد، فإن هذا الموقف كان يجابَه بالمعارضة المستمرة من قِبل المسلمين الذين استقروا في الأندلس. ومع هذا، ففي حالة واحدة فقط، تولت الخلافة تعيين ممثلها الخاص في الأندلس مباشرة من

(5) ابن عبد الحكم، ص 220؛ ابن القوطية، ص 17؛ **أخبار مجموعة**، ص 41، 44؛ ابن عذاري: 2/ 31 ـ 32، 35.

(6) المصدر نفسه: 2/ 27، 28، 36 ـ 37؛ ابن الأثير: 5/ 171 ـ 172؛ المقري: 3/ 17 ـ 18.

(7) انظر أعلاه، الفصل الرابع/ استقرار قريش.

دمشق. وقد حدث هذا في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز، حيث إنه، وتبعاً لسياسته العامة في كل الدولة العربية، كان يريد أن يفصل الأندلس عن شمال أفريقيا بسبب حرصه الشديد واهتمامه وعنايته بهذه الولاية البعيدة، وتنظيم شؤونها. وقد أتاح انفصال الأندلس عن شمال أفريقيا للمستقرين المسلمين أن يحتفضوا بواردات ولايتهم لتستخدم وفق مصلحة الولاية ذاتها بدلاً من أن تحمل إلى القيروان. ولكن هؤلاء المستقرين، ظلوا مع هذا يجاهدون من أجل الاستقلال عن كل من سلطة الخلفاء والولاة في شمال أفريقيا، وأن يتولوا إدارة شؤونهم بأنفسهم كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

وعلى الرغم من قصر المدة التي استغرقها عصر الولاة، فبالإمكان تقسيم هذا العصر إلى المراحل الآتية:

1 . فترة سيادة المستقرين الأوائل، البلديين.
2 . تمرد البربر ودخول الشاميين.
3 . الصراع بين الشاميين والبلديين.
4 . فترة ولاية أبي الخطار الكلبي.
5 . فترة السنوات العشر الأخيرة شبه المستقلة.

1 ـ فترة سيادة المستقرين الأوائل:

استغرقت هذه المرحلة ما يقارب ثماني وعشرين سنة، تولى خلالها السلطة في الأندلس ستة عشر والياً. وكان الوالي الأول هو عبد العزيز بن موسى، الذي عُيِّن من قِبل والده قبيل مغادرته إلى دمشق. وقد نزل عبد العزيز في قصر الولاة في إشبيلية، الذي كان يقع بالقرب من كنيسة تدعى ربينة، أو على الأغلب رفينة Rubina or Rufina. وهناك بني مسجداً صغيراً اتخذ الاسم نفسه. وقد كان عبد العزيز محاطاً بالعديد من القادة العرب الذين ينتمون إلى مختلف العشائر العربية، مثل حبيب بن أبي عبيدة الفهري، وزياد بن النابغة التميمي، وزياد بن عذرة البلوي. وكان لهؤلاء

القادة العرب، كما أسلفنا، حلفاؤهم من القبائل البربرية[8]. ولهذا فعلى الرغم من أن عبد العزيز كان الحاكم الشرعي للولاية، لكن القوة الحقيقية كانت بيد القادة العرب وأنصارهم من البربر.

ويبدو أن عبد العزيز كان والياً متسامحاً، وبشكل خاص في تعامله مع السكان المحليين. ويتضح هذا من معاهدته المتساهلة التي عقدها مع تدمير Theodemir، الحاكم القوطي لمنطقة مرسية[9]. وقد أدرك عبد العزيز أنه يفتقر إلى قوة كبيرة تشد أزره، لهذا فإنه رأى أن السبيل الأفضل لتقوية موقفه هو أن يتبع سياسة اللين والتسامح مع المسيحيين، وأن يحول دون أن يلحق بهم ضيم أو مظلمة. ولكن العرب والبربر، من الناحية الأخرى، اعتقدوا أن عبد العزيز قد تمادى في سياسته هذه على حساب مصالحهم، وابتدأوا بالتآمر عليه. وعلى الرغم من أن القادة العرب الآخرين قد تزوجوا من زوجات مسيحيات، مثل زياد بن النابغة التميمي[10]، لكنهم كانوا لا يشعرون بالارتياح من زواج عبد العزيز من أيلة Egilona أرملة لذريق Roderic. ونتيجة لهذا، فقد انتشرت إشاعات عديدة بين رجال القبائل العربية في إشبيلية، مفادها أن زوجة عبد العزيز قد أقنعته بأن يضع على رأسه تاجا في مجلسه الخاص، وأنها أيضاً فرضت على الذين يدخلون إلى القصر أن يحنوا رؤوسهم، وذلك بالمرور من باب واطئ أقيم لهذا الغرض. وقد عدت هذه الممارسات التي تتنافى مع التقاليد العربية، من قبل العديد من المؤرخين، من أسباب اغتيال عبد العزيز بن موسى في سنة 98/ 717[11]. وتذكر **حولية عام 754** اللاتينية، بأنه إلى جانب تزوجه من ملكة إسبانيا، فإن «عبد العزيز

(8) انظر أعلاه، الفصل الثالث.

(9) **أخبار مجموعة**، ص 20؛ **فتح الأندلس**، ص 21.

(10) المصدر نفسه، ص 21 ـ 22؛ **أخبار مجموعة**، ص 20؛ الرقيق، ص 94 ـ 95؛ ابن الأثير: 5/ 22؛ ابن عذاري (برواية الواقدي) 2/ 24؛ النويري: 22/ 31 ـ 32، ق2.

(11) *Chr. 754*, p. 151 (no. 42).

أشغل نفسه بمظاهر الشرف والسلطان والأبهة، وأنهمك بطيش مع أثرياء إشبيلية، وبنات الملوك ومحظيات النبلاء». وتنتهي هذه الحولية أخيراً إلى النتيجة التي مفادها، إن عبد العزيز كان يحاول أن ينفرد بالحكم على كل المناطق المفتوحة من إسبانيا[12]. ويعتقد سيمونيت Simonet أيضاً بأن عبد العزيز كان ينشد الاستقلال عن الحكم الأموي في دمشق[13].

إن الافتراض بأن عبد العزيز كان ينوي الانفصال عن الخلافة الأموية ضعيف جداً. ومع هذا، من الصعب التوصل إلى تفسير مقتنع للأحداث في الأندلس دون أخذ أبعاد الموقف في بقية أرجاء الدولة العربية بنظر الاهتمام. وكما أسلفنا، فإن الخليفة سليمان بن عبد الملك لم يكن راضياً عن سياسة موسى بن نصير في شمال أفريقيا والأندلس[14]. فقد عزل ابنه عبد الله بن موسى عن ولاية أفريقيا، كما أوصى الوالي المعيَّن الجديد أن يسيء معاملة جميع أصدقاء وأقارب موسى في المنطقة[15]. ويبدو أن سليمان أيضاً لم يكن راضياً عن وجود ابن آخر لموسى حاكماً على الأندلس، وإن هذا الموقف بالذات هو الذي شجع الكثير من المؤرخين على الاعتقاد بأن سليمان كان وراء حادث اغتيال عبد العزيز بن موسى[16]. ومن الناحية الأخرى، فإن تبدل سياسة الحكومة المركزية واتخاذها موقفاً مناوئاً لموسى بن نصير وأسرته قد أثر وبالطريقة ذاتها في اتخاذ القرار باغتيال عبد العزيز. ولهذا فقد اغتنم القادة العرب والبربر، الذين ربما كانوا يعتقدون بأن تساهل

---

(12) F.J. Simonet Historia de Los Mozarábes de España, P. 147.

(13) انظر أعلاه، الفصل الثالث.

(14) ابن عبد الحكم، ص 213؛ الرقيق، ص 94؛ ابن عذاري: 1/ 47؛ ابن خلدون: 4/ 403؛ المقري: 1/ 280؛ انظر أعلاه، الفصل الثالث، ص

(15) ابن القوطية، ص 11؛ الحميدي، ص 289 ـ 290؛ ابن الفرضي، قد1، ص 276؛ ابن الأثير: 5/ 22؛ ابن عذاري (برواية الرازي): 2/ 24؛ النويري (برواية الرازي): 22/ 32، قد2؛ المقري: 1/ 281؛ **الإمامة والسياسة**، ص 170 ـ 173.

(16) ابن القوطية، ص 12.

عبد العزيز مع السكان المحليين يمكن أن يؤثر وبشكل معاكس في هيمنتهم على الأراضي في الأندلس، الفرصة للتخلص من دون أن ينالوا عقاباً من الخليفة. فروجوا عنه الشائعات المشار إليها في أعلاه، وأنه ينوي أيضاً اعتناق المسيحية، لذلك قتلوه مدعين بأنهم يتصرفون باسم الخليفة في دمشق.

وتروي المصادر أن القواد العرب هم الذين نفذوا خطة اغتيال عبد العزيز، ومع ذلك، يبدو أن البربر أيضاً كانوا مشتركين في هذه المؤامرة. ويتضح هذا من رواية ابن القوطية، التي تشير إلى أن الوالي التالي، وهو أيوب بن حبيب اللخمي، كان من اختيار البربر[17]. ولكن ليس من المرجح أن يكون لأيوب، الذي هو ابن أخت موسى، أية يد في الاغتيال، كما جاء في كتاب **الإمامة والسياسة**[18]. **وحولية سنة 754** اللاتينية[19]. وكان أيوب رجلاً صالحاً ويحتمل أن دوره اقتصر على إمامة المسلمين في أوقات الصلاة[20]. يضاف إلى هذا، أنه لم يتسلم مهام عمله بعد اغتيال عبد العزيز مباشرة، وذلك لأن مسلمي الأندلس لم يتفقوا على اختيار الوالي الجديد إلاً بعد مرور عدّة أشهر. ويذكر ابن عذارى أن أيوب اللخمي كان مجرد إمام للصلاة، وهو يشير أيضاً إلى أن مسلمي الأندلس، بعد اختيارهم أيوباً لإمامة الصلاة، ظلوا فترة من الوقت بدون أمير[21]. وعلى أية حال فإن أيوباً، الذي احتفظ بمنصبه لمدة ستة أشهر فقط، مثل بكل تأكيد مصالح البربر والمستقرين العرب الأوائل، أو في الأقل، لم يكن لديه القوة الكافية ليمارس أي تأثير على ممتلكاتهم في الأندلس، وإلاً ما

(17) **الإمامة والسياسة**، ص 172؛ انظر أيضاً: **فتح الأندلس**، ص 22 ـ 23.

(18) *Chr. 745*, p. 151 (no. 42).

(19) **أخبار مجموعة**، ص 21؛ ابن الأثير: 5/ 489؛ ابن عذاري: 2/ 25.

(20) المصدر نفسه: 2/ 25.

(21) **أخبار مجموعة**، ص 21.

كانوا اختاروه لهذا المنصب. ويشير مؤلف **أخبار مجموعة** إلى أن مسلمي الأندلس عينوا أيوباً اللخمي أميراً عليهم، ثم نقلوا بعد ذلك العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة[22]. ويؤكد هذه الرواية كل من ابن الأثير، وابن عذارى والمقري. ولكن المؤرخين الأخيرين يرويان أيضاً، إن تغيير العاصمة حدث في أثناء عهد الحر بن عبد الرحمن الثقفي[23]. ولا تقدم المصادر تفسيراً مقنعاً لهذا التغيير، ولكن، وكما مرّ في الفصل السابق، كانت قرطبة وما حولها موطناً لعدد كبير من البربر الأقوياء[24]، ولهذا فمن المحتمل أن البربر، الذين كان لهم يد في اختيار أيوب، عملوا أيضاً على نقل العاصمة حتى تكون تحت سيطرتهم.

إن كلاًّ من حادث اغتيال عبد العزيز بن موسى، واختيار أيوب اللخمي، وتغيير العاصمة، وقع دون أية مراجعة للخليفة في دمشق، أو لعامله على شمال أفريقيا، وهذا أمر على جانب كبير من الأهمية، لأنه يشير إلى الروح الاستقلالية لدى المستقرين في الأندلس. ويعود سبب هذه الرغبة في الاستقلال إلى بعد الأندلس عن مركز الخلافة، وإلى حرص المستقرين الشديد للمحافظة على مكاسب الفتح دون أي تدخل من السلطات العليا. إن تحقيق رغبة المستقرين في خلق ولاية أندلسية تحكم من قبلهم فقط، كان يعني عدم حمل الأحوال إلى دمشق أو القيروان، وإن المستقرين أنفسهم سوف يحتفظون بواردات الولاية من أجل أن تستخدم لمصلحتهم الخاصة. وكان تملك الأراضي من جملة المغانم التي رغب المستقرون في المحافظة عليها. وكما أسلفنا في الفصل الرابع، فإن العديد من هؤلاء المستقرين العرب والبربر، سيطروا على مناطق واسعة من أراضي البلاد. ونظراً لافتقار الولاية إلى الإدارة الحازمة في عهد كل من عبد العزيز بن موسى، وأيوب

---

(22) ابن الأثير: 5/489؛ ابن عذاري: 2/25؛ المقري: 3/14.

(23) انظر أعلاه، الفصل الرابع استقرار البربر في الجنوب.

(24) *Chr. 754*, p. 151 (no. 44).

اللخمي، يبدو بأن معظم هؤلاء المستقرين لم يدفعوا أية ضرائب عن الأراضي التي كانت في حوزتهم ومن المحتمل أيضاً أنهم احتفظوا بالضرائب التي ربما جمعوها من السكان المحلّيين، وبطبيعة الحال، فإن هذه الرغبة الاستقلالية لم تلق التأييد من الحكومة المركزية. واستمر الخليفة سليمان بن عبد الملك في معاملة الأندلس على أنها جزء من شمال أفريقيا. ولهذا فقد أرسل عامله على المنطقة الأخيرة محمد بن يزيد، والياً جديداً للأندلس، هو الحر بن عبد الرحمن الثقفي. واستناداً على ما تذكره **حولية عام 754** اللاتينية، كان على الحر «أن يعيد تنظيم الحكم الإسلامي في البلاد، ويعيد الطمأنينة والسلام حتى يتمكّن السكان المحليون من دفع الضرائب إلى بيت المال»[25]. ولكن هذه الحولية لم تحدد مقدار هذه الضرائب أو ماهيتها.

وصل الحر إلى قرطبة بصحبة أربعمائة رجل من شمال أفريقيا[26]. وقد أمضى في ولايته ما يقارب السنتين وثمانية أشهر. وعلى الرغم من اتخاذه إجراءات قاسية، وبشكل خاص مع البربر، لا تتوفر لدينا معلومات تشير إلى أنه نجح في تحقيق أية منجزات خلال هذه الفترة[27]. وقد جاء في **حولية عام 754** إن الحر غزا غالة وأربونة[28]، كما يذكر إبدال Abadal بأن هذا الوالي فتح قطلونية Catalonia، وبرشلونة Barcelona، ووصل إلى جبال البرت[29]. ولكن لا توجد أية إشارة في المصادر العربية تؤكد هذه الفتوحات. ومن جهة أخرى، يبدو من المؤكد، أن الحر لم ينجح في مهمته، وأن المستقرين الأوائل استمروا في مطاليبهم بأن تكون الأندلس ولاية مستقلة. ولهذا، فقد عُزل الحر من قِبل الخليفة عمر بن عبد العزيز،

---

(25) ابن عذاري: 2/ 25؛ **فتح الأندلس**، ص 23.

(26) *Chr. 754*, p. 151 (no. 44).

(27) Ibid., p. 151 (no. 43).

(28) R. Abadal, «El paso de Septimania del dominio godo al franco a través de la invasión Sarracena 720-768», p. 16.

(29) ابن القوطية، ص 12؛ **أخبار مجموعة**، ص 23؛ ابن عذاري: 2/ 26.

الذي عَيَّن شخصياً والياً جديداً للأندلس، هو السمح بن مالك الخولاني[30]. وهكذا تم فصل الأندلس عن شمال أفريقيا، وابتدأ الأمير الجديد باستخدام موارد الولاية لمصلحة البلاد نفسها، فأعاد على سبيل المثال، تعمير وإصلاح القنطرة الرومانية القديمة على نهر الوادي الكبير، وكذلك بناء أسوار مدينة قرطبة[31].

وكما أسلفنا، فقد كان على السمح أن يواصل العمل في تخيمس الأراضي، وفي إلزام أصحاب هذه الأراضي بدفع ما استحق عليها من ضرائب إلى بيت المال في الولاية. ولكن المستقرين الأوائل، الذين كانوا يتوقعون المزيد من الاستقلالية، عارضوا سياسة السمح، ورفضوا أن يسمحوا لمرافقيه، الذين جاؤوا معه، بأن يشاركوهم في أراضيهم، أو أن يستقروا فيما بينهم. وقد ارتابوا في نية السمح، وأنه ربما كان يريد أن يجردهم مما كانوا يعدونه جزء من حقوقهم. وهكذا فقد رفعوا شكواهم إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، الذي أمر السمح بعدم التعرض للمستقرين الأوائل، وأن يرضي القادمين الجدد ويعوضهم من حصة الخلافة، أي أراضي الخمس، التي كان على السمح أن يقوم بتعيينها وفرزها عن بقية المناطق[32].

وعندما توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز، ظهر أن الأندلس كانت ما

---

(30) المصدر نفسه: 2/26؛ **أخبار مجموعة**، ص 24؛ **فتح الأندلس**، ص 25.

(31) انظر أعلاه، الفصل الرابع لاستقرار البلديين.

(32) **فتح الأندلس**، ص 25؛ الحميدي، ص 237؛ ابن عذاري: 2/26؛ المقري: 1/235، 3/15 (برواية ابن بشكوال)؛ ابن خلدون: 4/257؛ انظر أيضاً:

Chr. 754, p. 152 (no. 48); *Continuador del Biclarense* or *Continuatio Byzantina Arabica a 741*, (ملحق **أخبار مجموعة**، رقم (1)، ص 145) *Chronicle of Moissac*, (ملحق **أخبار مجموعة**، رقم (4)، ص 165) See slao: R. Abadal, op. cit., pp. 17, 19; M. Rvinaud, «Incursions of the Muslims into France, Piedmont and Switzerland», translated from the French by: Harun Khan Sherwani, *Islamic Culture*, IV, 1930, pp. 261 - 263.

تزال تعاني من بعض مظاهر الاضطراب والتوتر الداخلي بين رجال القبائل العربية، وأن السمح لم يكن قادراً على إرضاء كل الأطراف المعنية. وبسبب هذه الحقيقة، كان على السمح أن يعمل بسرعة من أجل أن يحفظ وحدة البلاد، وكانت المعارضة للمزيد من الفتوحات قد زالت بوفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز، ولهذا فقد قام السمح بسلسلة من الحملات والفتوحات الإسلامية في غالة Gaul. فسار بجيش لا تتوفر لدينا عنه أية تفصيلات، عبر منطقة سرقسطة إلى أربونة التي افتتحها عنوة. وتوغل السمح في داخل غالة حتى وصل إلى طولوشة Toulouse. وفي محاولة لفتح هذه المدينة بالقوة، أحاطها المسلمون بالخنادق وبقية آلات الحصار. وعندما سمع الدوق أودو Eudo، دوق أكتانية Aquitania، بهذا سار مسرعاً نحو المدينة. وقد استشهد السمح والعديد من رجاله في أثناء المعركة التي جرت خارج أسوار مدينة طولوشة (102/ 721م). واستطاع مساعدة، عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، أن يقود الباقين ويرجع بهم إلى الأندلس[33].

استغل المستقرون الأوائل هذه الفرصة ليواصلوا فصل الأندلس عن شمال أفريقيا، فاختاروا عبد الرحمن الغافقي، الذي كان واحداً منهم، لتولي منصب الولاية، ولكن بشر بن صفوان، والي أفريقية، استعاد سلطته على الأندلس، وأصر على دمجها مع شمال أفريقيا، ولهذا سرعان ما استبدل الغافقي بأحد رجاله، وهو عنبسة بن سحيم الكلبي، الذي وصل الأندلس في صفر عام 103هـ/ 721م[34].

وتبعاً لما ترويه **حولية سنة 754** اللاتينية، فقد ضاعف عنبسة مقدار الضرائب التي تدفع من قبل السكان المحليين[35]، ولكن لا تتوفر معلومات

(33) ابن عبد الحكم، ص 215؛ ابن القوطية، ص 13؛ **أخبار مجموعة**، ص 24؛ **فتح الأندلس**، ص 26؛ ابن عذاري: 1/ 49، 2/ 27؛ المقري: 1/ 235.

(34) *Chr. 754*, p. 153 (no. 52).

(35) المقري: 4/ 350. *Alfonso III*, p. 613.

أخرى عن طبيعة هذه الضرائب ـ لقد كان عنبسة بالتأكيد بحاجة ماسة إلى الأموال كي يستطيع أن يواصل حملاته على كل من الأستوريش Asturias وغالة القوطية Gothic Gaul. ففي منطقة الأشتوريش كانت تكمن مشكلة بلاي Pelagius. وهناك خلاف في أصل هذه الشخصية، لكن من المؤكد أنه كان نبيلاً قوطياً، هرب إلى الأشتوريش، حيث انتخب هناك ليقود المعارضة ضد المسلمين، ويروي المقري، أن بلاي هرب من قرطبة في سنة 98هـ/717م في أثناء ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي[36]. وقد لوحق من قِبل منوسة، القائد البربري المسؤول عن منطقة الأشتوريش، ولكن بلاي تمكن من تضليله والإفلات منه إلى المناطق الجبلية، حيث ضم إليه العديد من الأفراد الذين رغبوا في الالتحاق به، وهكذا فقد أصبح بلاي يشكل تهديداً خطيراً للمسلمين وكان من الضروري أن تتخذ إزاءه إجراءات قوية[37]. وتذكر حولية **ألفونسو الثالث** أن عنبسة أرسل جيشاً بقيادة رجل يدعى علقمة[38]، ولا تشير المصادر العربية إلى هذا القائد، ولكن من المحتمل أن يكون علقمة هو والد الفارس الشهير، عبد الرحمن بن علقمة اللخمي، عامل أربونة[39]. وقد سارت حملة علقمة إلى الأشتوريش في سنة 104/722، ولكن بلاي، الذي انسحب إلى الصخرة المشهورة باسم كوڤادونجا Govadonga، تمكّن من إحراز النصر على علقمة، الذي استشهد مع العديد من رجاله في المعركة[40].

انظر أيضاً: **فتح الأندلس**، ص 26؛ المقري (برواية ابن حيان): 3/17، (برواية عيسى بن أحمد الرازي) 40/450 ـ 351؛ وقارن: Provençal. Vol. I. p. 48.

(36) *Alfonso III*, p. 613.

(37) قارن: **أخبار مجموعة**، ص 43 ـ 44.

(38) *Alfonso III*, pp. 614-615.

(39) Ibid., p. 614.

(40) Antonio Ubieto and others, *Introducción la historia de España,* Barcelona, 1970, p. 8; See also: O'Callaghan, op. cit., p. 99.

ولقد شوه الكُتّاب المسيحيون رواية هذه المعركة في القرون الوسطى، إذ بالغوا مبالغة كبيرة في عدد الجيش الإسلامي، وصوروا انتصار المسيحيين على أنه «عمل من تدبير الرب»[41]. وعلى الرغم من هذا، فإن **حولية عام 754** لا تذكر شيئاً عن هذه المعركة، وهذا يعكس التأثير الحقيقي الذي تركته هذه الحادثة في الأندلس، حيث إنها عُدت مناوشة صغيرة، أو حادثة ثانوية غير مهمة بين مجموعتين من الأفراد، كما يرى أنطونيو أوبيتو Antonio Ubieto[42].

وبعد هذا الانتصار، حكم بلاي، من عاصمته، في قرية Cangas. الوديان المجاورة حتى وفاته في عام 119/ 737[43]. ولكن قبل ذلك كان عليه، وأتباعه أيضاً، أن يتحملوا نتائج الحملة الانتقامية الإسلامية التي أرسلت إليهم في عهد الوالي عقبة بن الحجاج السلولي (116 ـ 123/ 734 ـ 741). فقد هاجم هذا منطقة جليقية، وفتح كل قرية من قراها، ولكنه لم يستطع السيطرة على الصخرة الشهيرة Picos de Europa، التي تحصن فيها بلاي وثلاثمائة من رجاله. وقد حاصر المسلمون المكان حتى هلك واستسلم الكثير من المحاصرين، وظل على قيد الحياة منهم نحو ثلاثين رجلاً وعشر نساء. ويقال إن هؤلاء الأفراد عاشوا فقط على العسل الذي كانوا يستخرجونه من بعض المناحل المتوفرة في شقوق الصخرة. وبعد أن أيقن المسلمون من صعوبة الوصول إلى هؤلاء، تركوهم قائلين: «ثلاثون علجاً ما

= وللمزيد من المعلومات عن بلاي ومعركة كوفا دونجا انظر:
Sánchez-Albornoz, «Otra vez Guadalete y Covadonga», pp. 68 - 114; Dozy, *Recherches,* vol. I. p. 96; Livermore, pp. 307-308; W.C. Atkinson, *A History of Spain and Portugal,* London, 1960, p. 62.

(41) *Alfonso III,* p. 615; cf. Livermore, p. 308.

(42) **أخبار مجموعة**، ص 28؛ ابن عذاري: 2/ 29.

(43) المصدر نفسه: 2/ 29؛ **أخبار مجموعة**، ص 28.

عسى أن يكون أمرهم»[44] وتستمر الرواية، فتذكر أن المسلمين «احتقروهم»، غير أن أمر هؤلاء القوم تطور فيما بعد إلى جماعة قوية يخشى بأسها على المسلمين[45].

لقد كان عنبسة مهتماً بالدرجة الأولى بالحفاظ على منطقة غالة القوطية. ولأجل أن يحمي طرق المواصلات بين سرقسطة وأربونة هاجم غالة بجيش عظيم، لا تتوفر لدينا معلومات عنه. فحاصر قرقشونة Carcassona، التي تمت السيطرة عليها بعد فترة وجيزة، وعُقدت معاهدة صلح مع سكانها الذين وافقوا على منح نصف المدينة وما حولها للمسلمين، وأن يدفعوا الجزية، ويطلقوا سراح جميع الأسرى المسلمين الموجودين في المدينة، وأن يلتزموا بروح هذه المعاهدة، وذلك بمقاتلة أعداء المسلمين، ومحالفة أصدقائهم[46]. وبعد هذا استسلمت جميع مناطق غالة القوطية، ووصل المسلمون إلى (نيمس Nimes)، ومن هذا المكان شن المسلمون، الذين كانوا بقيادة عنبسة، هجوماً على الأراضي الفرنجية، فدخلوا مدينة آتون Autun في 22 آب 725م/ ربيع الثاني 107هـ، وتوغلوا بعيداً حتى وصلوا إلى سينس Senes على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب من باريس. ومن ثم رجعوا إلى الأندلس محملين بكميات هائلة من الغنائم والأسلاب[47]. واستناداً إلى ما ترويه **حولية عام 754**، وما أورده المقري أيضاً، فإن عنبسة توفي في أثناء إحدى المعارك قبل أن يصل إلى الأندلس[48]. وتضيف

---

(44) ابن الأثير: 5/136؛ *Chronicle of Moissac*, p. 165 انظر أيضاً: **فتح الأندلس**، ص 26؛ ابن عذاري: 2/27؛ المقري: 1/235.

(45) *Chronicle of Moissac*, p. 165; cf. Reinaud, op. cit., pp. 263-264; Abadal, «El paso de septinania...», p. 20; Livermore, p. 310;
فجر الأندلس، ص 236 ـ 247.

(46) المقري: 1/235; *Chr. 754*, p. 153 (no. 53).

(47) Ibid., p. 153 (no. 53).

(48) ابن القوطية، ص 13، المقري (برواية ابن حيان): 3/17 ـ 18، ابن عذاري: 2/27.

الحولية أيضاً بأن عنبسة عَيَّن شخصاً يدعى عذرة (Hodere) قبيل وفاته ليتولى قيادة الجيش والرجوع إلى الأندلس[49]. وعلى أية حال، فإن كلا من ابن القوطية، وابن حيان، وابن عذارى، يذكرون أن مسلمي الأندلس اختاروا أحد أفرادهم، وهو عذرة بن عبد الله الفهري، ليتولى إمارة الولاية، وذلك بعد وفاة عنبسة في صفر 107/كانون الثاني 726[50].

إن اختيار هذا الأمير يشير إلى جهود المستقرين الأوائل المستمرة لتحقيق انفصال الأندلس عن شمال أفريقيا. ولكن والي المنطقة الأخيرة استمر في معارضة هذا الموقف، وأصر على أنّ الأندلس جزء من ولايته، إضافة إلى شمال أفريقيا. وقد اتضحت محاولاته لممارسة السلطة الكاملة على الأندلس بشكل ملموس بعد وفاة عنبسة، فلم يصادق على اختيار عذرة من قِبل مسلمي الأندلس، وأرسل بعد شهرين فقط أميراً كلبياً جديداً للبلاد، هو يحيى بن سلمة الكلبي (شوال 107 ـ ربيع الأول 110/ شباط ـ آذار 726 ـ تموز 728)[51]. وقد حكم أربعة ولاة آخرون بعد هذا الوالي حتى تعيين عبد الرحمن الغافقي ـ في ولايته الثانية ـ وهؤلاء الولاة هم: حذيفة بن الأحوص الأشجعي، عثمان بن أبي نسعة الخثعمي، الهيثم بن عبيد الكناني، ومحمد بن عبد الله الأشجعي[52]. وقد تم تعيين الثلاثة الأُول من هؤلاء من قِبل والي شمال أفريقيا. وكما تروي **حولية عام 754**، فإن اثنين من هؤلاء الولاة، وهما يحيى بن سلمة الكلبي، والهيثم بن عبيد الكناني، اتخذا إجراءات قاسية إزاء المستقرين الأوائل. فقد حاول يحيى بن سلمة جاهداً أن يجبر العرب والبربر على التخلي عما كانوا قد أخذوه من السكان المحليين.

---

(49) ابن القوطية، ص 13؛ **أخبار مجموعة**، ص 24؛ **فتح الأندلس**، ص 26؛ ابن عذاري: 2/ 27، 49؛ **أعمال الاعلام**، ص 6؛ ابن خلدون: 4/ 257؛ المقري: 1/ 235.

(50) ابن القوطية، ص 13؛ **أخبار مجموعة**، ص 24 ـ 25؛ **فتح الأندلس**، ص 26 ـ 27؛ ابن عذاري: 2/ 27 ـ 28.

(51) *Chr. 754*, pp. 154-155 (no. 54, 57).

(52) Ibid., p. 154 (no. 56).

أما الهيثم، الذي حكم لمدة عشرة أشهر فقط (محرم ـ ذي العقدة 111هـ/ نيسان 729 ـ كانون الثاني 730م) فقد اتهم العديد من الأغنياء العرب بالتمرد، فعذبهم، وقرر نفي بعضهم وقتل البعض الآخر[53]. ولكن لا توجد أية تفصيلات عن هذه الروايات في بقية المصادر الأخرى. ومع هذا، فإن موقف هذين الواليين ربما يشير إلى سياسة الحكومة المركزية ـ ممثلة بالحكم العام لشمال أفريقيا والأندلس. وكانت هذه السياسة ترمي إلى ممارسة المزيد من السلطة على المستقرين الأوائل لزيادة الواردات والضرائب التي تجبى من هذه الولاية، ولحملها إلى بيتَي المال في كل من القيروان ودمشق. ويتضح هذا من رواية **حولية عام 754** بشأن الوالي حذيفة بن الأحوص، الذي فشل في تحقيق هذا الهدف، إذ تذكر الحولية بأنه حكم دون صرامة لمدة ستة أشهر، لكنه لم يعمل على زيادة الواردات، ولم يحقق شيئاً يذكر للدولة[54].

وعندما توفي الهيثم في ذي القعدة 111 هـ /شباط 713م، حاول المستقرون الأوائل مرة أخرى أن ينفصلوا عن شمال أفريقيا. ولذلك سرعان ما انتخبوا أحد أفرادهم، محمد بن عبد الله الأشجعي، عاملاً على الأندلس، لكن عبيدة بن عبد الرحمن السلمي والي شمال أفريقيا، لم يرضَ بتعيين محمد الأشجعي. وبالرغم من ذلك، فقد حاول ألاَّ يثير استفزاز المستقرين الأوائل، وأن يضمن سلطته عليهم في الوقت نفسه. ولهذا، فقد استبدل الأشجعي بعامل آخر، هو عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، الذي كان أيضاً من المستقرين الأوائل (صفر 112 ـ رمضان 114/ آذار ـ نيسان 730 . تشرين

---

(53) ابن عبد الحكم، ص 216 ـ 217؛ الحميدي، ص 274؛ أحفاد عبد الرحمن الغافقي، ادّعوا أن جدهم عُيّن من قِبَل الخليفة يزيد بن عبد الملك وليس من قبل والي شمال أفريقيا. ويروي المؤلف المجهول لحولية فتح الأندس، وابن خلدون، والمقري أن ولاية الغافقي ابتدأت في أواخر سنة 113/ 731 أو في 114/ 732، وأنه أرسل من قبل عبيد الله بن الحجاب والي شمال أفريقيا: **فتح الأندلس**، ص 27 ـ 28؛ ابن خلدون: 4/ 258؛ المقري: 1/ 235 ـ 236.

(54) ابن عبد الحكم، ص 216 ـ 217؛ الحميدي، ص 274؛ ابن الأثير: 5/ 174 ـ 175.

الأول 732)[55]. ولكن سرعان ما خيب الغافقي آمال عبيدة، الذي كان يريد بطبيعة الحال مزيداً من الأموال من الأندلس، ويبدو أن الغافقي لم يكن مستعداً لتزويده بها. يضاف إلى هذا أنه استمر في عدّ الأندلس ولاية مستقلة عن شمال أفريقيا. ففي حملاته على فرنسا حصل على كميات كبيرة من الغنائم، لكنه وزعها على جنده، وأمتنع عن إرسال الخمس إلى شمال أفريقيا. وعندما سمع عبيدة بهذا، غضب غضباً شديداً، وكتب إلى الغافقي يهدده، ولكن الأخير لم يهتم بتهديدات عبيدة، واستمر في سياسته هذه إلى أن استشهد في حملته على فرنسا[56].

وقبل أن يبدأ حملته على فرنسا، كان على الغافقي أن يجابه خطر منوسة، الحاكم البربري في منطقة شرطانية. واستناداً على ما ترويه **حولية عام 754** اللاتينية، فإن الأخير بعد سمعه باضطهاد الذي يلاقيه إخوانه البربر في شمال أفريقيا من قبل الولاة، اتفق فجأة مع الفرنجة، وعقد معهم الصلح، وتهيأ للتمرد على العرب[57]. وربما كان هذا التمرد قبل حدث قبل بعض سنوات، لأن ابن عذارى يشير إلى أن والي الأندلس السابق، الهيثم بن عبيد، قاد حملة ضد منوسة، ولكن لا تتوفر أية معلومات عن نتائج هذه الحملة[58]. ويحتمل أن علاقات منوسة مع الفرنجة، وبشكل خاص مع أودو Eudo دُجِر أكيتانية Aquitaine، كانت قائمة على المصالح المشتركة، التجارة مثلاً، على الرغم من عدم توفر أية إشارات في مصادرنا إلى هذه الناحية. وقد وثّق منوسة علاقته بالدوق أودو، وذلك عن طريق المصاهرة والزواج من ابنة الدوق لامبيجية Lampégie. وبعد سماع الغافقي بالموقف المعادي

(55) *Chr. 754*, p. 155 (no. 58).

(56) ابن عذاري: 2/ 28.

(57) *Chr. 754*, pp. 155-156 (no. 58); cf. Reinaud, op. cit., pp. 272-273; Abadal, op. cit., p. 29.

(58) Paulus Diaconus, ex Lib. VI (Paul the Deacon, book 6).

ملحق **أخبار مجموعة**، ص 167.

لمنوسة، وبالعلاقات القائمة بينه وبين الدوق أودو، أرسل حملة عسكرية للقضاء على تمرده. وقد تمكّن الأخير من الهرب إلى الجبال، ولكن ملاحقيه الذين فاجأوه، لم يتركوا له الفرصة للنجاة، فألقى بنفسه من فوق صخرة شاهقة، ومات قبل أن يتمكنوا من القبض عليه[59]. ونتيجة لهذا، أسرع الغافقي لمجابهة تحدي الفرنجة لسلطته على البربر، وتهديداتهم لحكم المسلمين في غالة القوطية. وكان من جملة الأسباب التي دعته إلى استئناف الحملات على فرنسا، العمل على تأسيس وتثبيت موطن قدم للمسلمين عبر جبال البرت. ومن المحتمل أنه كان ينوي إسكان بعض بربر الشمال الغربي من إسبانيا في المناطق المفتوحة الجديدة، ويدل على هذا ما جاء في نص مسيحي من أن المسلمين الذين عبروا إلى فرنسا كانوا بأعداد كبيرة، وقد اصطحبوا نساءهم وأطفالهم وممتلكاتهم مما يدل على أنهم كانوا يزمعون الاستقرار هناك[60]. ولا يتطرق المؤرخون إلاَّ إلى رواية مختصرة لحملة الغافقي. فهم يذكرون أنه خرج للجهاد في أرض الفرنجة، حيث استشهد مع مجموعة كبيرة من جيشه في مكان يدعى بلاط الشهداء[61]. ومن الناحية الأخرى، تتحدث الحوليات المسيحية بإسهاب عن حملة الغافقي والظروف التي أدت إلى هزيمته.

عبر المسلمون جبال البرت بالقرب من بنيلونة Pamplona من ممرات

---

(59) ابن عبد الحكم، ص 217؛ **أخبار مجموعة**، ص 25؛ **فتح الأندلس**، ص 27 ـ 28؛ الحميدي، ص 274؛ ابن الفرضي، ق1، ص 256؛ ابن الأثير: 5/ 174 ـ 175؛ ابن عذاري: 2/ 28؛ المقري: 1/ 236، 3/ 15 ـ 16.

(60) *Chr. 754*, pp. 156-157 (no. 95); See also: *Chronicle of Moissac*, p. 66; *The second continuation of Fredegar; Paul the* (168 ملحق **أخبار مجموعة**، ص)*Third continuation of Fredegar* op. cit., p. (168 ملحق **أخبار مجموعة**، ص) *Deacon*, 167; cf Reinaud, op. cit., pp. 397 - 404; E. Creasy, *Fifteen Decisive Battle of the word*, London, 1862, pp. 239 - 254.

(61) *Chronicle of Moissac*, p. 156.

رونشغالة Roncesvalles. وقد هاجموا آرل Arles ووصلوا بوردو Bordeaux التي قاومت مقاومة واهية. وحاول الدوق أودو عبثاً أن يمنع المسلمين من التوغل في أكيتانية، لكنه دمر بالقرب من نهري الدوردوني Dordongne والجارون Garonne، فانهزم وقتل القسم الأكبر من جيشه. وقد طلب أودو النجدة من شارل مارتل، حاجب ملك الفرنجة، فاستجاب الأخير إلى التماس أودو، وتقدم نحو جيش الغافقي. وكان المسلمون يتهيأون للاستيلاء على مدينة تور Tours عندما سمعوا بمقدم شارل مارتل وجنده. وقد التقى الجيشان في رمضان 114هـ/ تشرين الأول 732، وجرت بينهما عدة مناوشات لمدة سبعة أيام. انتهت بهزيمة المسلمين واستشهاد الغافقي. وقد تسلل الناجون في جماعات صغيرة في أثناء الليل متجهين نحو الأندلس[62]. ويذكر مصدر آخر أن الموقعة حدثت في نواحي مدينة بواتيه Poitiers[63]. ويحتمل أن المعركة وقعت، كما يرى ليفي بروفنسال، بالقرب من طريق روماني يربط بين شاتلرو Chatellerault وبواتيه، على بعد نحو عشرين كيلومتراً من المدينة الأخيرة، وربما بالقرب من مكان يدعى في الوقت الحاضر موسيه لاباتي Moussais la Bataille[64].

وبالإضافة إلى توغل جيش الغافقي كثيراً في أراضي الأعداء، كان هناك عوامل رئيسة أخرى أضعفت المسلمين وساهمت في هزيمتهم. ويبدو أن قسماً كبيراً من الجيش الإسلامي كان يتكوّن من العناصر البربرية المستقرة في منطقتي الأشتوريش وجبال البرت. ويمكن التوصل إلى هذا الاستنتاج من حقيقة اتخاذ الغافقي لمدينة بنبلونة قاعدة لاستعداداته العسكرية. وكان هناك بالطبع بعض العرب في هذا الجيش، وبشكل خاص من القبائل اليمنية في منطقة سرقسطة والثغر الأعلى. ولكن البربر شكلوا الأغلبية، وكانوا، كما

---

(62) Provencal, vol I. p. 62.

(63) See: Reinaud, op. cit., pp. 400-401.

(64) Ibid., p. 401.

أسلفنا، برفقة أسرهم. وقد أرهق هذا الموقف الجيش، وأضعف من قابليته على المناورة، خاصة وأن المسلمين كانوا قد توغلوا بعمق في أراضي معادية. ولم يكن باستطاعة الغافقي، الذي كان على علم بهذا الموقف أن يقوم بعمل أي شيء بسبب رغبة رجاله الشديدة لحماية أسرهم. وهذه الحقيقة بالذات، كانت هي السبب في ضعف موقف المسلمين، وليس تلهفهم على الغنائم كما ورد في بعض المصادر المسيحية[65]. وقد أدرك الفرنجة نقطة الضعف هذه في جيش المسلمين. ولهذا ففي أثناء الموقعة الفاصلة، هاجمت كتيبة من الجيش المسيحي ـ ربما كانت بقيادة دوق أكيتانية ـ مؤخرة معسكر الملسلمين الذي كان يضم نساءهم وأطفالهم[66]. وما إن سمع المسلمون بهذا حتى ترك الكثير منهم مواقعه، وذهب ليدافع عن أهله وأولاده. وكان هذا بداية لاختلال النظام في صفوفهم، وعاملاً رئيساً لهزيمتهم المشؤومة.

تذكر المصادر العربية أن والي شمال أفريقيا، عبيدة بن عبد الرحمن، عين عاملاً جديداً للأندلس، هو عبد الملك بن قطن الفهري[67]. واستناداً على ما يذكره ابن عذارى، فإن هذا التعيين كان في رمضان أو شوال 114/ تشرين الأول أو تشرين الثاني 732، أي في حدود الوقت الذي استشهد فيه الغافقي، العامل السابق[68]. وتشير المصادر أيضاً إلى أن عبد الملك بن قطن كان قد أرسل إلى الأندلس من شمال أفريقيا. ولكن المعروف أن عبد الملك كان أحد المستقرين الأوائل الأصليين في الأندلس[69]. ولهذا، يمكن للمرء أن يفترض بأنه كان قد أختير من قبل المستقرين الأوائل ليتولى

(65) ابن عبد الحكم، ص 217؛ ابن الأثير: 5/ 175؛ **أخبار مجموعة**، ص 25؛ **فتح الأندلس**، ص 28؛ المقري: 1/ 236.

(66) ابن عذاري: 2/ 28.

(67) انظر أعلاه، الفصل الرابع لاستقرار قريش.

(68) راجع تفاصيل ذلك في هذا الفصل.

(69) راجع تفاصيل ذلك في هذا الفصل.

البلاد على إثر إخفاق حملة عبد الرحمن الغافقي في جنوب فرنسا. وقد تصرف المستقرون الأوائل بالضبط بالطريقة نفسها في مناسبتين سابقتين، الأولى عندما اختارو الغافقي ـ في ولايته الأولى ـ على إثر استشهاد السمح بن مالك الخولاني بالقرب من طولوشة[70]. أما الحالة الثانية، فقد حدثت بعد وفاة عنبسة بن سحيم الكلبي، حينما اختاروا عذرة بن عبد الله الفهري عاملاً لهم[71]. وربما يؤيد ما حدث بعد عدّة سنوات هذا الرأي، وذلك لوجود دليل بان المستقرين الأوائل قد انتهزوا مرة أخرى الفرصة في أثناء تمرد البربر في شمال أفريقيا إذ استبدلوا عقبة بن الحجاج، الوالي الشرعي للأندلس، بعبد الملك بن قطن نفسه، الذي حكم للمرة الثانية، كما سيرد تفصيل ذلك فيما بعد[72].

يروي المقري أن عبد الملك كان والياً ظلوماً جائراً في حكمه[73]. ولكن المقري لم يوضح طبيعة هذا التصرف، وهل أنه كان موجهاً ضد مجموعة معيَّنة من الناس في الأندلس، أم أنه كان ضدهم جميعاً. ومع هذا، فإن **حولية عام 754** تلقي بعض الضوء على هذه المسألة، فهي تقول بأن إسبانيا وهنت تحت حكم عبد الملك غير المبالي، وأنها استنزفت بكثير من مصادر العذاب، فقد كان الطمع مستولياً على قضاته، وأنه أصاب البلاد بجروح لم تؤدِ فقط إلى أن تنزف إسبانيا حتى الموت تقريباً، بل إن الممتلكات انتزعت من جميع الأثرياء في المملكة، ولم يبقَ هناك أمل في الشفاء والخلاص...)[74]. ويبدو من هذا النص بوضوح أن إجراءات عبد الملك كانت موجهة نحو العناصر الغنية من الكسان المحليين، ولصالح

---

(70) انظر الصفحات التالية.

(71) المقري: 1/ 236.

(72) *Chr. 754*, p. 157 (no. 60).

(73) Ibid., p. 157 (no. 61).

(74) انظر هامش رقم (82).

المستقرين الأوائل، يضاف إلى هذا، أن الرشوة انتشرت في البلاد، وكان بيت المال خاوياً تقريباً[75]. لذلك فمن المؤكد أنه لم ترسل أية أموال إلى شمال أفريقيا. ونتيجة لهذا فقد عُزل عبد الملك من منصبه، واستبدل بعامل آخر. وكان القصد من إرسال هذا العامل الجديد، كما سنرى فيما بعد، هو البدء بسياسة جديدة وإعادة تنظيم الأندلس بحيث يكون لوالي شمال أفريقيا تأثير حاسم على شؤونها[76].

لقد شجع اندحار المسلمين في جنوب فرنسا سكان الولايات الشمالية المحليين على التمرد على حكومة قرطبة. فأسرع عبد الملك لمواجهة هذا الخطر، موجهاً جهوده إلى كل من قطلونية Catalonia وأراغون Aragon، ونافار Navarre حيث أخضع الباسك في سنة 115/ 733[77]. ويذكر بعض المؤرخين أن عبد الملك ذهب مباشرة بعد تهدئته للولايات الشمالية في إسبانيا إلى منطقة لانجدوك Languedoc في فرنسا، حيث قام بتحصين المدن التي كانت بأيدي المسلمين (77) ولكن من غير المحتمل، كما يرى رامون دي إبدال، أن يهاجم المسلمون على نطاق واسع بعد فترة وجيزة فقط من هزيمتهم السابقة بالقرب من بواتيه[78].

ومن الجدير بالذكر هنا، أن **حولية عام 754** تقول «إن رؤساء عبد الملك لاموه لأنه لم يقم بعمل فعّال في أرض الفرنجة[79]، ولكن عندما تصف هذه الحولية حملات عبد الملك لا تتحدث إلاّ عن معركته مع سكان جبال البرت.

---

(75) ابن الأثير: 5/ 181؛ المقري: 1/ 236، 3/ 19.

(76) **فجر الأندلس**، ص 276؛ Reinaud, op. cit., p. 405.

(77) R. Abadal, op. cit., p. 29.

(78) *Chr. 754*, p. 157 (no. 60).

(79) ابن عذاري: 2/ 28؛ المقري: 3/ 18 ـ 19، وتذكر مصادر أخرى أنه احتفظ بمنصبه لمدة ستة أشهر أو سنة واحدة فقط، انظر: **أخبار مجموعة**، ص 25؛ **فتح الأندلس**، ص 28.

استمرت ولاية عبد الملك الأولى ما يقارب السنتين (رمضان 114 ـ شوال 116/ تشرين الأول 732 ـ تشرين الثاني 734)[80]. وفي أثناء هذه الفترة أزاح الخليفة هشام بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن السلمي عن ولاية شمال أفريقيا. ويعود السبب في ذلك إلى التحول الفجائي في سياسة هشام الذي كان مضطراً، نظراً لظروف حكمه، إلى الإذعان للقوى المعتدلة في الدولة[81]. وقام الوالي المعيَّن الجديد لشمال أفريقيا، عبيد الله بن الحجاب السلولي، بعزل عامل الأندلس، عبد الملك بن قطن، وعيّن بدله عقبة بن الحجاج السلولي[82]. ولقد جاء هذا التعيين من أجل إعادة تنظيم الولاية وللتأكيد على اندماج الأندلس بشمال أفريقيا.

وعندما وصل الوالي الجديد إلى الأندلس كان عليه أن يجابه العديد من المشاكل في إدارة الولاية، وبشكل خاص، ضمان دفع الضرائب إلى بيت المال. ويبدو أن المستقرين الأوائل كانوا ما يزالون يتلاعبون في هذه المسألة التي كانت على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للحكومة المركزية. ويذكر مؤلف حولية **فتح الأندلس** أن عقبة عدّل في ضريبة الأرض أو الخراج وفي مسائل أخرى، ولكن هذا المؤلف المجهول لم يفصل في طبيعة هذه التعديلات[83]. ومن الناحية الأخرى يمكن الحصول على المزيد من التفصيلات الأخرى في **حولية عام 754** اللاتينية. إذ يتحدث مؤلف الحولية المسيحي بحرارة عن إجراءات عقبة وجهوده في ضمان سيادة القانون على البلاد. ويشير إلى أن عقبة وضع القيود في يد سلفه وعاقب القضاة الذين

---

(80) قارن: ابن عبد الحكم، ص 217؛ الرقيق، ص 105 ـ 106؛ ابن الأثير: 5/ 174 ـ 175؛ ابن عذاري: 1/ 50 ـ 51؛ **الحلة السيراء**: 1/ 66؛ وللمزيد من المعلومات عن سياسة هشام، انظر:

Shaban op. cit. Vol. I. pp. 138 - 152.

(81) ابن القوطية، ص 14؛ **فتح الأندلس**، ص 28؛ ابن الأثير: 5/ 185؛ ابن عذاري: 2/ 29.

(82) **فتح الأندلس**، ص 29.

(83) *Chr. 754*, p. 157 (no. 16).

كان قد عيّنهم. وقد فرض سلطة القانون، وأمر بأن تجمع الضرائب بشكل صحيح. كما أمر أيضاً بنفي أولئك الرجال القساة الذين كانوا مسؤولين عن العديد من الأعمال السيئة في الأندلس. وأغنى بيت المال بسرعة من مصادر عديدة، وأنهى كل الضروب والممارسات غير المشروعة في دفع الضرائب، وذلك بتحريم الرشوة. ولم يعاقب أحداً إلاّ بموجب القانون[84].

ويبدو أن عقبة أحرز نجاحاً في مهمته، يضاف إلى ذلك أنّ لديه الوقت الكافي ليتفرغ إلى المزيد من الفتوحات. وتتفق المصادر العربية والمسيحية على أن عقبة كان من كبار القادة المسلمين الذين قادوا الحملات في شمال إسبانيا وجنوب فرنسا. ففي إسبانيا أخضع معظم المناطق القلقة في الشمال والشمال الغربي، مثل بنبلونة وجليقية والأشتوريش، حيث هاجم بلاد Pelagius وأتباعه، كما أسلفنا ذكر ذلك في أعلاه[85]. أما الفتوحات الإسلامية فيما وراء جبال ألبرت فقد استؤنفت أيضاً في عهد عقبة. ونتيجة لذلك أصبحت أربونة من أهم القواعد الإسلامية في جنوب فرنسا. وفي ولاية عقبة قام مسلمو لانجدوك بتحصين كل المواقع، التي كانت تدعى الرُبط، حتى ضفاف نهر الرون Rhône[86]. ومع هذا، فإن زمام المبادرة في هذا المجال لم يكن لعقبة، بل لعامله على أربونة يوسف بن عبد الرحمن النهري، الذي سيصبح فيما بعد الوالي الأخير للأندلس. فقد تحالف مع بعض الحُكام والأمراء في سبتمانية Septimania وبروفانس Provence. وقد فضل هؤلاء، الذين كانوا يخشون كلاً من شارل مارتل ودوق أكيتانية، مساعدة المسلمين للسيطرة على ولاياتهم ووضعهم تحت الحماية الإسلامية.

---

(84) **أخبار مجموعة**، ص 28؛ **فتح الأندلس**، ص 29؛ ابن عذاري: 2/ 29.

(85) المقري: 3/ 19؛ انظر أيضاً: ابن عذاري: 2/ 29؛ وقارن:
Reinaud, op. cit., p. 407.

(86) (ملحق **أخبار مجموعة**، ص 170) See: *Chronicon Fontallense* cf. Reinaud, op. vit., p. 405; Abadal. op. cit., p. 35.

وكان من ضمن هؤلاء الزعماء الدوق ماورنت Mauronte الذي امتدت سلطته على جميع بروفانس، وكان يلقب بدوق مرسيلية Duke of Marseilles[87].

لقد كان عقبة بن الحجاج متحمساً للأخذ بثأر هزيمة المسلمين بالقرب من بواتيه، ومد سيطرتهم إلى ما وراء جبال البرتات، من أجل نشر الإسلام وإغناء بيت المال. وتشير المصادر العربية إلى رغبة في هداية المسيحيين إلى الدين الإسلامي. فتروي هذه المصادر أنه كان من عادته التي لا يتخلى عنها حينما يأسر أسيراً مسيحياً، أن يعرض عليه الإسلام. وبهذه الطريقة أسلم على يديه نحو ألفي رجل[88]. وبصورة مبدئية اتخذ عقبة مدينة سرقسطة قاعدة عسكرية له، حيث نظم قواته هناك[89]. ويحتمل أنه بدأ من هذا المكان بمساعدة عامله على أربونة وإمداده بالجنود المسلمين. وفي سنة 117/735 عبر الأخير نهر الرون Rhône، ودخل المناطق التابعة لمدينة آرل Arles وسيطر على الأموال الموجودة فيها، ثم توغل بعد ذلك في قلب ولاية بروفانس وافتتح مدينة فريتا Fertta التي تدعى الآن سان ريمي St. Remi. ومن ثم ذهب إلى أفنيون Avignon وسيطر عليها على الرغم من المقاومة المستميتة التي أبدتها حامية المدينة. وهكذا وقع القسم الأكبر من بروفانس تحت الحكم الإسلامي الذي استمر نحو أربع سنوات[90]. وفي هذه الفترة قامت الجيوش الإسلامية، ربما بقيادة عقبة نفسه، بمهاجمة العديد من الأماكن الأخرى مثل دوفينية Dauphine، وسان بول تروا St. Paul Trois Chateaux، ودونزير Donzére[91]. ثم هاجموا ولايات شارل مارتل وهكذا

(87) الخشني، **قضاة**، ص 20؛ ابن عذاري: 2/ 29. ويذكر هذا المؤرخ أن عدد المسيحيين الذين دخلوا الإسلام بهذه الطريقة بلغ ألف شخص؛ المقري: 3/ 19.

(88) *Chr. 754*, p. 157 (no. 61).

(89) *Chronicle of Moissac*, p. 166; *The third continuation of Fredegar*, p. 168; cf. Reinaud, op. cit., pp. 406407; Abadal, op. cit., p. 35.

(90) Reinaud, op. cit., p. 407, cit. *Gallia Christiana*, Vol. I. p. 703, 737.

(91) Ibid., pp. 407-408.

أدركوا ثار المسلمين في معركة بلاط الشهداء. وأعادت هذه الجيوش أيضاً فتح مدينة ليون Lyons، ودخلت برغندي Burgundy، وتمكّنت من التوغل والوصول إلى جبال دوفينية وبيدمنت Piedmont في إيطاليا[92]. ولكن شارل مارتل الذي ذعر نتيجة لهذه الانتصارات، بادر بالعمل فوراً على مقاومة المسلمين. وتمكّن بمساعدة أخيه شلدبراند Childebrand إعادة احتلال الكثير من الأماكن الحصينة مثل أفنيون. ثم تقدم بعد ذلك إلى أربونة التي انقطعت عنها الاتصالات بالأندلس بسبب المقاومة المسيحية في جبال البرت. وقد أرسل عقبة، الذي عاد إلى قرطبة، حملة في سنة 120/737، كما تذكر الحوليات المسيحية، بقيادة رجل يدعى عمر. ولم تنجح هذه الحملة التي جاءت إلى أربونة عن طريق البحر في إنقاذ المدينة، لأن شارل مارتل تمكّن من دحرها بعد فترة وجيزة من نزولها على الشاطئ جنوبي أربونة بالقرب من نهر البر Berre[93]. وعلى الرغم من ذلك لم يتمكن شارل مارتل من احتلال أربونة التي ظلت قاعدة إسلامية في جنوب فرنسا إلى عهد عبد الرحمن الأول مؤسس الإمارة الأموية.

وتختلف المصادر بشأن نهاية حكم عقبة. فيذكر بعضها أنه عهد قبل وفاته في صفر 123/كانون الثاني 741 بولاية البلاد ثانية إلى عبد الملك بن قطن الفهري[94]. بينما يشير البعض الآخر بوضوح إلى أن عبد الملك ومؤيديه من المستقرين الأوائل، استغلوا فرصة حدوث تمرد البربر واندحار

---

(92) *Chronicle of Moissac,* P. 166; The third continuation of Fredegar, P. 168-169p Paul the Deacon, book 6, P. 167; *Cronicon Fontallense*, P. 170; cf. Reinaud, op. cit., PP. 404-409; Abadal, op. cit., P. 36;

فجر الأندلس، ص 281 ـ 283.

(93) *Chr. 754*, p. 158 (no. 61).

فتح الأندلس، ص 30؛ ابن عذاري (برواية ابن القطان): 2/ 30.

(94) ابن القوطية، ص 14؛ **أخبار مجموعة**، ص 29؛ **فتح الأندلس**، ص 29؛ ابن الأثير: 5/ 192 ـ 250؛ ابن عذاري: 1/ 53 ـ 54، 2/ 30؛ النويري: 22/ 36، قد2؛ ابن خلدون (برواية الرازي): 4/ 258 ـ 259؛ المقري (برواية الرازي): 1/ 236، 3/ 19 ـ 20.

العرب في شمال أفريقيا ليزيحوا عقبة عن ولاية الأندلس[95]. وتعد الرواية الأخيرة أكثر احتمالاً من سابقتها، لأنها تتفق مع طبيعة الأحداث في الأندلس خلال فترة الثماني والعشرين سنة الماضية. فلقد وجد المستقرون الأوائل، الذين تمتعوا بثمار الفتح دون أن يفكروا بدفع حصة للحكومة المركزية. أن من الصعب عليهم أن يسايروا حكم عقبة. لأن إجراءاته التي استهدفت تغيير النظام الاقتصادي، بثت الرعب في نفوسهم، لإدراكهم بأنهم وحدهم الذين سيتضررون من هذه العملية. ومع ذلك، فقد استطاع عقبة، إلى حد ما، أن يحوّل انتباههم إلى أرض الفرنجة فيما وراء جبال البرتات. ولكن ما إن سنحت الفرصة حتى انتهزوها، ونصبّوا مرة أخرى رجلهم عبد الملك بن قطن، متخطين سلطة والي القيروان، الحاكم العام لشمال أفريقيا والأندلس.

2 ـ تمرد البربر في شمال أفريقية والأندلس ودخول الشاميين:

لم يتمكّن المستقرون الأوائل بالرغم من هذا من الاحتفاظ بسيادتهم لفترة طويلة، لأن الأحداث كانت تتطور بسرعة في كل أجزاء الدولة العربية. فتمرد البربر في شمال أفريقيا على وجه الخصوص انتشر بسرعة إلى الأندلس، وكان له تأثيره على الأحداث في هذه الولاية. وكما أسلفنا في الفصل الثاني، فلقد ابتدأت السلطة العربية بعد الفتح بالعمل المباشر على تركيز التفاهم والانصهار بين العرب والبربر في شمال أفريقيا، فمنح البربر الذين دخلوا الإسلام شروطاً ممتازة للصلح، وعوملوا بصورة مشابهة تماماً لإخوانهم العرب. يضاف إلى ذلك. أن الكثير منهم جُنّدوا ومُنحوا العطاء من قِبل الولاة العرب من أمثال عقبة بن نافع، وحسّان بن النعمان، وموسى بن نصير، وذلك من أجل أن يشاركوا ويعملون مع الجيوش الإسلامية. ولقد سارت هذه السياسة، كما يرى الدكتور شعبان[96]، إلى

(95) Shaban. op. cit., Vol. I. pp. 122, 134.

(96) ابن عبد الحكم، ص 213؛ الرقيق، ص 94؛ ابن عذاري: 1/ 47؛ النويري: 22/ 31، =

حد ما ضد مزاج المروانيين وذلك لضرورة استكمال فتح شمال أفريقيا وإسبانيا، ولكن ما إن انتهى دور البربر حتى حاول الولاة في شمال أفريقيا أن يوقفوا عملية انصهار البربر في الإسلام، وأن يحرموهم من المساواة مع العرب. وظهرت بوادر هذا التغيير في أواخر عهد الوليد الأول، واستمرت إلى حد ما في عهد سليمان. فقد عَزَلَ الأخير عبد الله بن موسى من ولاية شمال أفريقيا، وعين بدله محمد بن يزيد القرشي الذي بدأ باضطهاد موالي موسى بن نصير من البربر، وكانت أعداد هؤلاء كبيرة جداً في شمال أفريقيا[97]. ولكن عندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة عاد إلى سياسة انصهار البربر في الإسلام والمساواة بينهم وبين العرب. لقد كان هذا الخليفة مقتنعاً بأن السياسة المعتدلة المتواضعة مع الشعوب غير العربية مفيدة جداً لبقاء الدولة العربية وانتشار الإسلام. ولعب الوالي الذي عيَّنه عمر بن عبد العزيز على شمال أفريقيا، وهو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ـ من موالي مخزوم، وربما كان أبوه وجده من البربر الذين اعتنقوا الإسلام ـ، دوراً كبيراً في تنفيذ سياسته والعمل على نجاحها. وتتفق المصادر على جهوده في هداية البربر وانصهارهم في بوتقة الإسلام، فتروى بأن معظم البربر الموجودين في شمال أفريقيا أصبحوا مسلمين في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، وولاية إسماعيل. وبالإضافة إلى هذا فقد أُرسِل عشرة من الفقهاء التابعين من قبل عمر بن عبد العزيز إلى شمال أفريقيا لكي يعلموا البربر ويفقهونهم في مسائل الدين الإسلامي[98].

ومن سوء الحظ كان عهد الخليفة عمر قصيراً (99 ـ 101/ 717 ـ 720).

= ق2؛ ابن خلدون: 4/ 403؛ المقري: 1/ 280؛ انظر أيضاً: أعلاه، الفصل الثالث.

(97) ابن عبد الحكم، ص 213؛ البلاذري (برواية الواقدي)، ص 231؛ أبو العرب، ص 84؛ الرقيق، ص 97؛ المالكي: 1/ 75 ـ 76؛ 1/ 48؛ **الحلة السيراء**: 2/ 335؛ النويري: 22/ 32 ـ 33، ق2؛ ابن خلدون: 4/ 403.

(98) وللمزيد من التفصيلات عن سياسة القيسيين واليمنيين في عهد الخلافة الأموية، انظر: Shaban, op. cit., Vol. I. pp. 123 - 124.

وكان خَلَفَه يزيد الثاني من المحبذين لسياسة الفتوح والتوسع، تلك السياسة التي حظيت بتأييد العناصر القيسية في الدولة الأموية. ووقف هؤلاء القيسيون الذين رفضوا أن يشاركوا العناصر غير العربية بامتيازاتهم، ضد سياسة انصهار البربر والتعاون بينهم وبين العرب[99]. ولذا فقد عزل إسماعيل بن عبد الله، وعُيِّن حاكم جديد لشمال أفريقيا في سنة 102/720. وكان هذا هو يزيد بن أبي مسلم، المولى والكاتب السابق للحجاج بن يوسف الثقفي، حاكم العراق في عهدي عبد الملك بن مروان وابنه الوليد الأول. وما إن وصل يزيد إلى شمال أفريقيا حتى ابتدأ بمعاملة البربر بالأساليب الشديدة نفسها التي اتبعها الحجاج. ولذلك فقد استاء منه البربر وأرادوا الرجوع إلى السياسة اللينة التي اتبعها معهم الوالي السابق. وكان من نتيجة هذا الموقف أن قتل يزيد من قبل حرسه الخاص بعد نحو شهر واحد من صوله إلى البلاد. وتروي المصادر العربية أن الحرس قتلوا يزيد لأنهم سمعوا بأنه ينوي أن يضع علامات على أيديهم بالوشم. كما تروي هذه المصادر أيضاً أنه حاول استعباد البربر على نطاق واسع، وتخميسهم تمهيداً لإرسال حصة بيت المال العام منهم[100]. ومن الصعب جداً على الباحث أن يصدق هذه الروايات، فعلى الرغم من أنها تتعارض مع التقاليد الإسلامية العامة، فمن غير المحتمل أن تتخذ مثل هذه الإجراءات من أي حاكم في شهر واحد.

لقد سارت أمور البربر في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك من سيّئ إلى أسوأ. وكان على ولاة هشام في شمال أفريقيا أن ينتزعوا المزيد من الضرائب من البربر من أجل تغطية نفقات الحملات البحرية في البحر المتوسط. وكان على الولاة أيضاً أن يجندوا المزيد من البربر لهذه الحملات ويقول مؤلف **حولية عام 754** الذي عاصر هذه الفترة: «لقد دفع هشام عماله

---

(99) ابن عبد الحكم، ص 213 ـ 214؛ البلاذري، ص 231؛ الطبري: 2/1435؛ الرقيق، ص 99 ـ 100؛ ابن الأثير: 5/101؛ ابن عذاري: 1/48؛ ابن خلدون: 4/403.

(100) *Chr. 754*, p. 154 (no. 55).

لجمع مبالغ طائلة جداً من الأموال، أكثر بكثير مما سبق أن جمع لأي من أسلافه السابقين»[101]. وهذه السياسة الخاصة كانت السبب الرئيس في تمرد البربر الذي استغرق كما يقول مؤلف الحولية «ما يقرب من ثلاث إلى أربع سنوات، لاقى فيها هشام الأمرين في سبيل استعادة السيطرة على المناطق المفقودة»[102] وتتفق معظم المصادر العربية مع هذه الرواية المسيحية وتشير بأن البربر لم يعاملوا معاملة جيدة في عهد الخليفة هشام. ويذكر الطبري برواية السريّ، كما ينقل عنه ابن الأثير أيضاً، أن الولاة في شمال أفريقيا امتنعوا عن إعطاء البربر المشاركين في الحملات العربية أنصبتهم من الغنائم. وفي أثناء القتال، كان البربر يؤمرون دائماً أن يكونوا في المقدمة. وكان الولاة أيضاً يقتلون أعداداً هائلة من الشياه التي يمتلكها البربر وذلك طلباً للغراء الأبيض النادر الذي يرسل إلى الخليفة[103]. ومن الواضح أن سبباً واحداً من هذه الأسباب كان يكفي لخلق السخط والاستياء بين البربر. وكان حاكم طنجة، عمر بن عبد الله المرادي، مسؤولاً عن الكثير من هذه الفعال السيئة التي ذكرت في أعلاه. وكتب الرفيق وغيره من المؤرخين العرب بمرارة عن هذا العامل الذي لا يمكن أن يمثل العرب، والذي حكم حكماً ظالماً مستبداً، وأساء التصرف بالأموال العامة كالصدقات والعشور. واتهموه كما اتهموا يزيد بن أبي مسلم من قبل بالعمل نفسه الذي لا يمكن تصديقه، أي تخميس البربر، وعدّهم فيئاً للمسلمين[104] وعلى الرغم من هذا، فإن مؤلف **أخبار مجموعة** ينفي أن تكون معاملة الولاة السيئة هي السبب في حركة البربر، لكنه في الوقت نفسه لا يقدم أية أسباب أخرى لهذه الحركة

---

(101) Ibid., p. 154 (no. 55).

(102) الطبري: 1/ 2815 ـ 2816؛ ابن الأثير: 3/ 92 ـ 93.

(103) الرقيق، ص 109؛ ابن عذاري: 1/ 51 ـ 52؛ ابن الأثير: 5/ 191؛ النويري: 22/ 34 ـ 35، ق1؛ ابن خلدون: 4/ 404 ـ 405، 6/ 221، 239 ـ 240.

(104) **أخبار مجموعة**، ص 28، 31 ـ 32.

اللهم إلا القول بأنها كانت ثورة خارجية[105]. ومع هذا، فمن الصعب إنكار الدوافع السالفة الذكر لوضوحها الشديد، ولأنها شهادات من مؤرخين موثوقين لا تقبل الجدل. فاستياء البربر بالتأكيد كان يعود إلى هذه الأسباب. يضاف إلى ذلك، أن على المرء أن يضع في الحسبان أيضاً أن السلطة كانت ما تزال توالي حملاتها المستمرة في السوس الأقصى، مثل حملة حبيب بن أبي عبيدة[106]. ولهذا فإن هذه العوامل كافة خلقت جوّاً خانقاً بين البربر وشجعتهم على التمرد في شمال أفريقيا وإسبانيا.

اشترك العديد من القبائل البربرية سواء من البتر أو من البرانس في هذا التمرد، ومن هؤلاء: مطغرة، وزناتة، وبرغواطة، وهوارة، ومغيلة، ومديونة[107]. وقد نال هؤلاء البربر التأييد من الجماعات الأخرى في المنطقة، وبشكل خاص الأفارقة وبعض الموالي الذين ينتمون إلى أصول بيزنطية[108]. ويجمع المؤرخون العرب تقريباً على أن حركة البربر هي ثورة خارجية. وهم يصفون البربر وقادتهم في هذه الحركة بالخوارج الأباضية أو الصفرية. لكن، كما يرى الدكتور شعبان، فإن هذه الحركة لا علاقة لها بالخوارج في المشرق. وأن البربر إنما دعوا بالخوارج لأنهم خرجوا وتمردوا على الحكومة المركزية، ويحتمل أن البربر أنفسهم لم يكونوا ليهتموا بأن يسموا بهذا الاسم أو بالإباضية. وهذا المصطلح الأخير أصبح مرادفاً لمصطلح الخوارج، لأن الأباضية في شرقي الجزيرة العربية كانوا من أهم المذاهب الخارجية الموجودة في ذلك العصر. وهكذا، فبالتسمي باسم

(105) ابن عبد الحكم، ص 217؛ الرقيق، ص 108؛ ابن الأثير: 5/ 191؛ ابن عذاري: 1/ 51؛ ابن خلدون: 6/ 221.

(106) ابن عبد الحكم، ص 218، 219، 220، 222؛ ابن القوطية، ص 15؛ البكري، **مسالك**، ص 135؛ ابن الأثير: 5/ 191؛ ابن عذاري: 1/ 52، 56 ـ 58؛ **مفاخر البربر**، ص 47، 59؛ ابن خلدون: 6/ 221، 256.

(107) ابن عبد الحكم، ص 218؛ ابن عذاري: 1/ 52؛ السلاوي: 1/ 108.

(108) Shaban op. cir., Vol. I. pp. 151 - 152.

الأباضية، فإن هؤلاء البربر «يعملون في الحقيقة على مساواة قضيتهم وتمردهم بقضية عرب متمردين آخرين»[109].

لقد كانت سنة 122/ 739 ـ 740 وقتاً مناسباً لتمرد البربر. لأن معظم القوات العربية في شمال أفريقيا كانت مشغولة في صقلية حيث كان حبيب بن أبي عبيدة، أحد أحفاد عقبة بن نافع، يقود حملة بحرية على الجزيرة. وكان يرافقه في هذه الحملة ابنه عبد الرحمن بن حبيب، وقد قرر أن يبقى في صقلية حتى يستكمل فتحها[110]. وفي هذه الأثناء قامت حركة البربر في طنجة وكانت في أول الأمر بقيادة ميسرة المطغري الذي يُقال بأنه كان سقاء في القيروان[111]. وتذكر رواية أخرى أنه، كان شيخاً لمطغرة إحدى القبائل البربرية في السوس[112].

هاجم البربر بقيادة ميسرة مدينة طنجة، وقتلوا عاملها عمر بن عبد الله المرادي. وقد نهبوا المدينة وفتكوا بالعديد من سكانها. وكذلك خربوا مدينة سبتة وأمروا العرب بالخروج منها[113] وبعد هذه الانتصارات نصّب البربر ميسرة «أميراً للمؤمنين». فعُيِّن عبد الأعلى بن جريج الأفريقي، الذي كان مولى لموسى بن نصير، وهو من أصل بيزنطي، حاكماً على مدينة طنجة. ويُعد هذا الحدث على غاية كبيرة من الأهمية، لأنه يشير إلى أن مساهمة العناصر غير البربرية في التمرد كانت على نطاق واسع بحيث كان لهم قائدهم الخاص بهم في هذه الحركة. ومن المرجح أن الإجراءات القاسية

---

(109) الرقيق، ص 109؛ ابن الأثير: 5/ 191؛ ابن عذاري: 1/ 52؛ ابن خلدون: 4/ 405.

(110) ابن خياط، **تاريخ خليفة بن خياط**: 2/ 368؛ ابن القوطية، ص 14؛ انظر أيضاً: ابن عبد الحكم، ص 218؛ ابن الأثير: 5/ 191؛ ابن عذاري: 1/ 52.

(111) ابن خلدون: 6/ 239 ـ 240؛ انظر أيضاً: السلاوي: 1/ 108.

(112) البكري، **مسالك**، ص 104.

(113) **تاريخ خليفة**: 2/ 368؛ ابن عبد الحكم، ص 218؛ ابن القوطية، ص 14؛ الرقيق، ص 109؛ ابن الأثير: 5/ 191؛ ابن عذاري: 1/ 52؛ **مفاخر البربر**، ص 47؛ النويري: 22/ 34؛ قد2؛ ابن خلدون: 4/ 404 ـ 405، 6/ 221؛ السلاوي: 1/ 108.

التي اتخذها الولاة العرب قد شملت أيضر، إلى جانب البربر، العديد من العناصر غير العربية الأخرى التي كانت موجودة بأعداد كبيرة في شمال أفريقيا. وأن التعاون الذي قام بين هؤلاء الأقوام، وبين البربر يفسر بشكل واضح مدى التفاهم الكامل الذي ساد بين الطرفين بضرورة الحاجة إلى التغيير في شمال أفريقيا.

سار ميسرة وجماهيره من البربر، ومؤيدوهم إلى السوس حيث قتلوا عامله إسماعيل بن عبيد الله[114]. وقد تجرأت بهذه الحركة جماعات أخرى من البربر في مختلف المناطق من شمال أفريقيا، ووقفت بوجه حكامها العرب، فقتلتهم، أو اضطرتهم إلى مغادرة البلاد[115]. وعلى إثر سماعه بهذه الأنباء، أسرع عبيد الله بن الحجاب، والي شمال أفريقيا، باستدعاء القائد العربي حبيب بن أبي عبيدة من صقلية. وفي الوقت نفسه أرسل حملة مستعجلة لتواجه المتمردين في المغرب الأقصى. وكانت هذه الحملة، التي تضم العديد من العرب المشهورين في القيروان، بقيادة خالد بن حبيب الفهري. وعبر خالد نهر شلف حيث التقى بالبربر بقيادة ميسرة بالقرب من منطقة طنجة. ولم تكن نتيجة هذه المعركة حاسمة بالنسبة لكلا الجانبين. وعندما لم يحقق البربر أي نصر، انسحبوا بسرعة إلى طنجة حيث عزلوا ميسرة عن منصبه كأمير للمؤمنين، وقتلوه. وقد حصل هذا، كما يذكر المؤرخون العرب، بسبب سوء سيرة ميسرة. ولكن من المحتمل أن يكون مقتل ميسرة قد حدث بسبب عدم رغبة بعض البربر بالانفصال التام عن الحكم العربي. ومما يدعم هذا الرأي الحقيقة التي تشير إلى أن البربر امتنعوا عن تنصيب خلفه المختار، خالد بن حميد الزناتي، أميراً للمؤمنين. لقد كان هذا الأخير أكثر توفيقاً من سلفه، لأن البربر في حربهم الثانية تحت زعامته

(114) **أخبار مجموعة**، ص 29.

(115) **تاريخ خليفة**: 2/ 368؛ ابن عبد الحكم، ص 218؛ الرقيق، ص 110 ـ 111؛ ابن الأثير: 5/ 192؛ ابن عذاري: 1/ 53 ـ 54؛ النويري: 22/ 35، قد2؛ ابن خلدون: 4/ 405.

(123/ 740) أبادوا الجيش العربي بالقرب من طنجة في معركة أطلق عليها اسم غزوة الأشراف[116].

يروى في **حولية عام 754م** أن عامل الأندلس، عقبة بن الحجاج، أسرع لمساعدة والي شمال أفريقيا في القضاء على التمرد وذلك بعد أن تلقى منه رسائل بشأن حركة البربر. فتخلى عن حملاته في الشمال الشرقي من الأندلس، وسار جنوباً إلى الشاطئ حيث عبر المضيق وهاجم مواقع المتمردين[117]. ولكن من الصعب تصديق مثل هذا الخبر البعيد الاحتمال ولا يوجد أي مؤرخ عربي يتفق مع ما جاء في هذه الرواية. يضاف إلى ذلك، فقد كانت الظروف في شمال أفريقيا، وفي إسبانيا نفسها صعبة جداً. حتى إن عقبة نفسه لم يكن قادراً على الحفاظ على ولايته بعد اندلاع التمرد[118]. ولهذا فمن غير المحتمل أن تكون حملة عقبة قد توجهت أصلاً إلى شمال أفريقيا. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان هناك احتمال آخر للمساعدة بالنسبة للعرب في شمال أفريقيا. وجاءت هذه المساعدة من الجيش الذي كان قد انسحب لتوه من جزيرة صقلية. فتقدم حبيب بن أبي عبيدة، قائد هذا الجيش لمساعدة خالد بن حبيب الذي كان يقاتل البربر بالقرب من طنجة. ولكن مجيء حبيب كان متأخراً جداً، وعندما سمع بهزيمة الأشراف المفجعة عسكر بالقرب من وادي نهر شلف[119]. ويبدو أنه لم يجرؤ على التقدم إلى أكثر من تلمسان حيث كان هناك موسى بن أبي خالد، مولى معاوية بن حديج[120]. ويحتمل أن يكون هذا الرجل من أصل بربري أو بيزنطي. واستناداً على ما يذكره ابن عبد الحكم. فإن هذا الرجل

(116) *Chr. 754*, pp. 157 - 158 (no. 61).

(117) وردت تفاصيل ذلك قبل صفحات قليلة.

(118) الرقيق، ص 110، ابن عذاري: 1/ 53.

(119) **تاريخ خليفة**: 2/ 369؛ ابن عبد الحكم، ص 218.

(120) المصدر نفسه، ص 218.

لم يكن منغمراً في الأحداث، وكان محاطاً بالكثير من الجماعات الموالية للعرب. ولكن حبيباً اتهمه، مع هذا، بتأييد المتمردين والاشتراك في الشغب، ولذلك أمر بقطع يده ورجله[121]. ويحتمل أن يكون تصرف حبيب مدفوعاً بالثأر لمقتل خالد، وبقية الجيش العربي. ولكن من الناحية الأخرى، يشير هذا الحدث إلى الهوة العميقة وعدم الثقة التي قامت بين السلطة وبقية الجماعات غير العربية. وعلى أثر هذه الاضطرابات، انتشرت موجة من الارتباك والفوضى في كل شمال أفريقيا. ويُروى بأن العرب في القيروان طردوا عبيد الله بن الحجاب بسبب فشله في القضاء على حركة البربر. وحينما أُعلم الخليفة هشام بهذه الانتكاسات في شمال أفريقيا، استدعى ابن الحجاب إلى دمشق في جمادى الأولى سنة 123/آذار 741[122].

أصبح موقف العرب في شمال أفريقيا خطيراً للغاية، وابتدأ البربر بإخراج العديد منهم من المنطقة. ولذلك، فقد اضطر الخليفة هشام مرة أخرى إلى الاعتماد على القوات الشامية من أجل الحفاظ على وحدة الدولة العربية. وبدأت الاستعدادات في سوريا لإرسال جيش عظيم إلى شمال أفريقيا. وقد هيأت كل من أجناد دمشق وحمص والأردن وفلسطين وقنسرين معظم رجال القبائل المقاتلين العرب لهذا الجيش. ولكن يحتمل، كما أسلفنا، أن يكون هشام قد اعتمد على ابن عمه مروان بن محمد في تجنيد المزيد من رجال القبائل من منطقة الجزيرة[123]. وعندما غادر هذا الجيش سوريا كان تعداده نحو ثلاثين ألف رجل[124]. ولكن بعد الإمدادات التي تلقاها هذا الجيش من مصر وبقية شمال أفريقيا، أصبح تعداده، كما يروي

(121) المصدر نفسه، ص 218؛ الرقيق، ص 111؛ ابن الأثير: 5/192؛ ابن عذاري: 1/54؛ النويري: 22/35، ق2؛ ابن خلدون: 4/405.

(122) راجع الفصل الرابع.

(123) ابن القوطية، ص 14؛ **أخبار مجموعة**، ص 31.

(124) المصدر نفسه، ص 31؛ المقري: 3/20 ـ 21.

بعض المؤرخين العرب، نحو سبعين ألف جندي[125] ومن الواضح أن هذا الرقم مبالغ فيه، لأنه من الناحية العملية يتعذر أخذ أعداد كبيرة من مصر التي كانت تعاني الكثير من الاضطراب وعدم الاستقرار في ذلك الوقت[126]. وعهده قيادة هذا الجيش إلى كلثوم بن عياض القشيري، الذي عُيِّن في الوقت نفسه والياً على شمال أفريقيا. وفي حالة وفاته يخلفه، كما تروي بعض المصادر، ابن أخيه بلج بن بشر، ومن بعده ثعلبة بن سلامة العاملين، قائد جند الأردن[127]. إن تعدد التعيين لواليَين أو ثلاثة في وقت واحد ليخلف أحدهما الآخر يُعدّ من الممارسات غير الاعتيادية للخلافة الأموية. ولهذا، فيحتمل بأن بعض الرواة العرب قد اخترع مثل هذه الرواية ليبرر تولي كل من بلج بن بشر، وثعلبة بن سلامة، ولاية الأندلس، دون الرجوع إلى الحكومة المركزية وأخذ رأي كل من مغيث الرومي وهارون القرني، وهو مولى معاوية بن هشام. ويعود السبب في هذا بوضوح إلى أن هذين الشخصين، اللذين ينتميان إلى أصل بيزنطي، كانا على اطلاع واسع ومعرفة كبيرة بشمال أفريقيا وشعوبها، وربما كان مغيث، الذي حضر فتح الأندلس، قد قام بعدة رحلات إلى المشرق. وهناك إشارات عن رحلته الأولى عندما عاد مع موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق[128]. ولكن لا تتوفر معلومات عن الظروف التي أدت إلى حضوره في شمال أفريقيا في هذا الوقت بالذات في أثناء تمرد البربر. ويحتمل أن مغيثاً عَبَر من الأندلس مع بعض المتطوعين ليساعدوا والي شمال أفريقيا، وعندما عاد الأخير إلى دمشق أعلم الخليفة هشام بوجود مغيث في المنطقة. وعلى أية حال، فبعد وصول كلثوم إلى شمال أفريقيا، عهد إلى مغيث بقيادة فرقة المشاة العرب في شمال

---

(125) انظر الكندي، ص 81.

(126) ابن عبد الحكم، ص 218، 220؛ ابن القوطية، ص 14؛ **أخبار مجموعة**، ص 30.

(127) راجع الفصل الثالث.

(128) **أخبار مجموعة**، ص 31.

أفريقيا، وكذلك عهد إلى هارون بقيادة الخيالة[129].

وصل كلثوم يسبقه ابن أخيه بلج إلى شمال أفريقيا في رمضان 123/آب ـ أيلول 741 ـ وقد دخل بلج إلى القيروان واتخذ إجراءات شديدة أثارت نفرة وعداء العرب الساكنين هناك. فقد أمرهم بترك أبواب دورهم مفتوحة كي يتسنى لأهل الشام دخولها واستخدمها[130]. ويبدو أن عرب القيروان، بل جميع العرب الموجودين في شمال أفريقيا، ابتدأوا يخشون من النتائج التي ستترتب على حضور أهل الشام واحتمال استقرارهم في البلاد. فكتبوا إلى قائدهم حبيب بن أبي عبيدة الفهري، الذي كان ما يزال معسكراً بالقرب من نهر شلف، يخبرونه بتصرفات بلج في القيروان. وفي هذا الوقت وصل كلثوم وعسكر خارج المدينة. فكتب حبيب إلى كلثوم يهدده قائلاً بأنه سوف يحوِّل أعنة الخيل إلى قتال أهل الشام فيما إذا استمروا في استفزازهم للعرب في شمال أفريقيا فأجابه كلثوم معتذراً، وطلب من حبيب البقاء في موقعه حتى يصل أهل الشام. ولكن عندما وصل هؤلاء إلى معسكر حبيب، أهانه كل من كلثوم وبلج، وأهملوا شأن العرب في شمال أفريقيا. وقد زادت رغبة الشاميين في أن تكون لهم اليد العليا على العرب في شمال أفريقيا من حدة التوتر بين الطرفين. وتناسوا عدوهم المشترك ووقعوا في هوة النزاع فيما بينهم. ومع هذا، فقد أمكن التوصل إلى اتفاق مؤقت بين الطرفين. ولكن هذا الصراع، كما يذكر الرقيق وابن عذاري، إضافة إلى الموقف غير الحكيم لبلج وكلثوم كانا من الأسباب الرئيسة لهزيمة العرب أخيراً[131].

التقت القوات المشتركة للشاميين وعرب شمال أفريقيا بالبربر في مكان يدعى بقدورة بالقرب من نهر سبو. وكان معظم البربر شبه عراة لا يرتدون

---

(129) الرقيق، ص 112؛ ابن عذاري: 1/ 54.

(130) الرقيق، ص 113؛ ابن عذاري: 2/ 55؛ انظر أيضاً: ابن عبد الحكم، ص 219؛ ابن الأثير: 5/ 192 ـ 193؛ ابن خلدون: 4/ 406.

(131) ابن عبد الحكم، ص 219؛ ابن الأثير: 5/ 193.

إلاّ المآزر، وهم بقيادة خالد بن حميد الزناتي. وقد حلقوا رؤوسهم تشبهاً بالخوارج. وكانوا مسلحين فقط بالسكاكين والحجارة. ومع ذلك، فقد كان عددهم هائلاً، هذا فضلاً عن أنهم كانوا يقاتلون على أرضهم. ولأجل التغلب عليهم يجب أن يكون لدى العرب قائد مجرب، ولم يكن كلثوم بالتأكيد الرجل المطلوب لهذه المهمة. يضاف إلى ذلك، أنه زاد في حراجة الموقف برفضه الأخذ بنصيحة كل من حبيب بن أبي عبيدة ومغيث الرومي، اللذين كانا ذوي خبرة عالية في شؤون البربر، وهكذا، فقد رفضت فكرة حبيب بن أبي عبيدة لقتال «الرجالة بالرجالة والخيل بالخيل» بفظاظة من قبل كلثوم[132]. وشبيه بهذا أيضاً رفض كلثوم، الذي كان متأثراً بابن أخيه بلج، لاقتراح مغيث الرومي وهارون القرني بحفر الخنادق وتحصين مواقع الجيش العربي، وإرسال السرايا الخيالة لمهاجمة قرى البربر[133]. وكان بلج الذي بخس تقدير قوة البربر الحقيقية، يميل إلى بدء القتال على الفور، فتم القرار بهذا الشأن، ونُفِذ رأيه.

كان معظم البربر يقاتلون في صفوف المشاة، لهذا فقد حاولوا بكل الوسائل أن يجبروا الفرسان العرب على الترجل في أثناء المعركة. وعندما نجحوا في ذلك، لم يكن من الصعب عليهم أن يتغلبوا على معظم العرب الآخرين. ونتيجة لتكتيك البربر، انفصل بلج وبعض أفراد خيالته عن بقية الجيش الذي هُزم هزيمة منكرة من قبل البربر. وقد استشهد في المعركة العديد من قادة الجيش العربي المشهورين، من أمثال: كلثوم بن عياض، وحبيب بن أبي عبيدة، ومغيث الرومي، وهارون القرني، وسليمان بن أبي المهاجر. أما الناجون، وبشكل خاص عرب شمال أفريقيا، فقد فروا شرقاً

(132) **أخبار مجموعة**، ص 32.

(133) ابن عبد الحكم، ص 220؛ ابن القوطية، ص 15؛ ابن الأثير: 5/ 193؛ **أخبار مجموعة**، ص 32 ـ 35؛ ابن عذاري (برواية الرقيق): 1/ 55؛ النويري: 22/ 36، قد2؛ ابن خلدون: 4/ 406، 6/ 221، 240؛ المقري: 1/ 236، 3/ 20.

إلى القيروان ومصر، بينما هرب بلج وبقية الشاميين إلى جهة الغرب[134]. وبعد أن هزم البربر قوة الجيش الرئيسة للعرب، التفتوا لمواجهة بلج ورجاله، وطاردوهم إلى سواحل المحيط الأطلسي. وأخيراً، وبعد أن فشلوا في دخول طنجة، نجح بلج ونحو عشرة آلاف رجل من أتباعه الناجين أن يدخلوا سبتة ويتحصنوا فيها. وكان هناك قائد بربري عظيم من قبيلة هوارة، يدعى أبا يوسف الهواري، مسؤولاً عن القوة البربرية المطاردة للشاميين. ولكن هؤلاء، تمكنوا، مع هذا، من دحره وقتله[135]. وكذلك فقد استطاعوا أن يصدوا عدة حملات بربرية كانت تهدف إلى إخراجهم من سبتة. ولكن البربر استمروا في حصار سبتة، وخربوا المناطق المحيطة بها، وأقفروا حولها مسيرة يومين، حتى كاد بلج وأتباعه أن يهلكوا لقلة موارد العيش. وأصبحت حالة الشاميين في سبتة سيئة للغاية، فاضطروا إلى أكل دوابهم وأضحوا على شفا الموت جوعاً[136].

وفي الجانب الآخر من المضيق كان العرب والبربر يراقبون باهتمام الموقف في شمال أفريقيا. وقد ظن المستقرون الأوائل في بداية الأمر أنهم يمكن أن يستفيدوا من حركة البربر في شمال أفريقيا لأنها حولت انتباه الحكومة المركزية بعيداً عنهم. وهكذا، فقد قاموا، كما أسلفنا بتنحية عقبة بن الحجاج، واختيار عبد الملك بن قطن الفهري والياً عليهم[137]. ولكن تطور الأحداث لم يجر كما كانوا يشتهون. فبعد القضاء على تمرد البربر في شمال أفريقيا ظهر في الأفق خطران جسيمان الأول، هو مشكلة بلج بن بشر وأتباعه من الشاميين المحصورين في سبته، الذين كانوا يطالبون بإلحاح

(134) ابن عبد الحكم، ص 220.

(135) **أخبار مجموعة**، ص 35، 37؛ ابن عذاري: 1/ 55 ـ 56، 2/ 30؛ المقري: 3/ 20؛ انظر أيضاً: ابن القوطية، ص 15.

(136) راجع هامش (95).

(137) ابن القوطية، ص 16.

السماح لهم بالعبور إلى شبه الجزيرة. أما الخطر الثاني، فكان قيام تمرد بربري في الأندلس ذاتها.

لم يكن المستقرون الأوائل يرغبون بالسماح لعشرة آلاف رجل من الشاميين بالدخول والاستقرار في بلاد يعدّونها خاصة بهم وحدهم. وكما يذكر ابن القوطية، فإن عبد الملك بن قطن ومشاوريه من هؤلاء المستقرين الأوائل كانوا يخشون من احتمال قيام بلج بأبعاد عبد الملك عن ولاية البلاد إذا سمح له بالدخول إلى الأندلس[138]. وقد ازدادت مخاوفهم بعد وصول عبد الرحمن بن حبيب الفهري، الذي نجا من معركة بقدورة وهرب إلى الأندلس، فنصح عبد الملك، وأوصاه بعدم السماح بدخول أهل الشام إلى الأندلس[139].

ومن المؤكد أنه أخبره وأخبر بقية المستقرين الأوائل البارزين عن أعمال الشاميين في القيروان، وعن موقف بلج العدائي من عرب شمال أفريقيا. وهكذا فقد رفض عبد الملك كل التماسات أهل الشام، كما عطل إرسال أية تموينات يمكن أن تخفف من مصاعبهم. وعاقب بقسوة أولئك الذين تجرأوا على شحن الأطعمة للشاميين، من أمثال عبد الرحمن بن زياد اللخمي[140] الذي يحتمل أنه كان مدفوعاً إلى هذا العمل بسبب انتماء عدد لا بأس به من الشاميين من جند حمص إلى عشيرة لخم التي ينتمي إليها هو أيضاً[141].

---

(138) ابن عبد الحكم، ص 220؛ انظر أيضاً: ابن عذاري (برواية الرقيق): 1/ 56.

(139) **أخبار مجموعة**، ص 38؛ المقري: 3/ 20. ويذكر هذا المؤرخ أن اسم هذا الرجل هو زياد بن عمرو اللخمي.

(140) انظر الفصل الرابع، استقرار جند حمص.

(141) **أخبار مجموعة**، ص 38 ـ 39؛ **فتح الأندلس**، ص 31؛ ابن الأثير: 5/ 251؛ ابن عذاري: 2/ 30 ـ 31؛ ابن خلدون: 4/ 406؛ المقري: 3/ 20. وكما يذكر ابن عبد الحكم، ص 206، فإن جزيرة أم حكيم سميت بهذا الاسم نسبة إلى جارية لطارق بن زياد، كان قد تركها في هذا المكان في أثناء فتح الأندلس. وتقع في هذه الجزيرة في الوقت الحاضر مدينة تدعى بالاسم نفسه: .Lafuente y Alcantaraقارن: (ملحق **أخبار مجموعة**، ص 16) «Umm Haquim «Indice Geografico.

لكن الانعطاف الحاسم للحوادث في إسبانيا ذاتها أجبر عبد الملك على تغيير رأيه. فسرعان ما أثرت أحداث شمال أفريقيا على الجانب الآخر من المضيق حيث قام بربر الأندلس بالتمرد أيضاً على العرب. وعندما فشلت قوات عبد الملك الخاصة بالقضاء على هذا التمرد، أيقن بأنه لا خيار له من أجل التغلب على البربر إلاّ بالسماح بدخول الشاميين إلى الأندلس. فعقد معهم اتفاقاً كان على الشاميين بموجبه أن يسلموا إليه عشرة رهائن من كل جند لضمان مغادرتهم الأندلس خلال سنة واحدة بعد أن يكونوا قد هزموا البربر. وبالمقابل، فقد تعهد عبد الملك بنقلهم في أثناء عودتهم إلى شمال أفريقيا في مجموعة واحدة، دون أن يفصلهم أو يعرضهم لخطر الهجوم من البربر في شمال أفريقيا. ولهذا فقد عبر بلج ورجاله. وأخذت الرهائن إلى جزيرة، تقع في أمام مدينة الجزيرة الخضراء ، تدعى جزيرة أم حكيم[142]. ولكن ابن عبد الحكم وابن القوطية يذكران روايتين مختلفتين بشأن عبور أهل الشام وتعاملهم مع عبد الملك بن قطن. فبالإستناد على ما يذكره ابن عبد الحكم، أن بلجاً كتب إلى عبد الملك يخبره بأنه هو الخلف الشرعي لكلثوم بن عياض، والي شمال أفريقيا وأنه يتوجب على عبد الملك أن يسمح له بتولي الحكم في الأندلس. وهكذا، فقد سلم عبد الملك مكرها مقاليد ولاية الأندلس إلى بلج. وعندما وصل الأخير إلى قرطبة سجن عبد الملك ثم قتله أخيراً[143]. وتشير رواية ابن القوطية إلى أن بلجا وأتباعه فقدوا كل الأمل في نيل مساعدة عبد الملك، ولذلك لم يكن لديهم إلاّ خيار واحد وهو عبور المضيق، مستخدمين بعض أنواع القوارب البسيطة، دون انتظار وصول سفن عبد الملك. وما إن سمع الأخير بهذا، حتى زحف ليقابلهم في جنوب شبه الجزيرة، حيث دحره الشاميون ثماني عشرة مرة. وأخيراً هرب عبد الملك، لكنه أسر، وصلب من قِبل الشاميين في

(142) ابن عبد الحكم، ص 220.

(143) ابن القوطية، ص 15 ـ 16.

قرطبة[144]. ولا يوجد في بقية المصادر الأخرى ما يشير بشكل قاطع إلى صحة هاتين الروايتين الناقصتين. وعلى الرغم من أن الرواية الثانية ربما تكون محتملة الوقوع، لكنها لا تذكر ـ كما هو الحال بالنسبة للرواية الأولى أيضاً ـ أي شيء عن تمرد البربر في الأندلس. ولذلك فعلى المرء أن يعتمد على رواية ابن عذاري وبقية المصادر التي تقدم معلومات شاملة عن الأحداث في كل من شمال أفريقيا وإسبانيا.

وصل الشاميون إلى الأندلس وهم في أسمال بالية وفي حالة يرثى لها من الجوع. فتلقاهم عرب الأندلس الذين كانوا، كما يصفهم مؤلف **أخبار مجموعة**، أغنياء كالملوك، بالطعم والملابس. وفي قرطبة، خلع عبد الملك الخلع الفاخرة على الشخصيات البارزة من الشاميين، وقدَّم لهم العديد من الهدايا. كذلك فعل بقية زعماء المستقرين الأوائل. وبعد أن ارتاح الشاميون واستعادوا قوتهم، نهضوا لمقابلة البربر وتنفيذ اتفاقهم مع عبد الملك بن قطن.

وفي غضون ذلك الوقت كانت حركة البربر قد انتشرت في كل أنحاء شبه الجزيرة. وعلى العكس من الروايات المتوفرة عن تمرد البربر في شمال أفريقيا، ليس لدينا إلاَّ قسط قليل من المعلومات التي تخص التمرد وأسبابه في الأندلس. فقد قرر البربر، استناداً على ما تذكره **حولية عام 754م**، أن يخضعوا عبد الملك ويحلوا محله في الحكم من أجل السيطرة على وسائل النقل البحري كالسفن والقوارب، ليتمكنوا من الاتصال بأقربائهم البربر في شمال أفريقيا[145]. فهذه الرواية تشير إلى أن البربر في الأندلس تمردوا وثاروا من أجل مساعدة إخوانهم في الجانب الآخر من المضيق. وعلى الرغم من ذلك، يمكن للمرء أن يفترض بأن بربر الأندلس كان لهم أسباب

---

(144) *Chr. 754*, p. 159, (no. 64).

(145) Ibid., p. 151, (no. 44).

أولئك الذين تمردوا في شمال أفريقيا نفسها، وأن هذه الأسباب كانت واضحة جداً بحيث لم يعبأ المؤرخون بتسجيلها مرة أخرى حينما تحدثوا عن الأندلس. ومع هذا، فإن **حولية عام 754م** تشير بعض الشيء إلى معاملة البربر السيئة من قبل بعض الولاة. فالحر بن عبد الرحمن الثقفي على سبيل المثال، فرض عقوبات على أولئك البربر الذين أخفوا الأموال، «وأمر بالتحقيق معهم وتعذيبهم ورميهم في غياهب السجون حيث ابتلوا بالحيات والقمل وكبلوا بالأغلال»[146] وربما تكون هذه حالة منفردة لا يجوز معها التعميم، ولكن على المرء أن يسلّم بأن بربر الأندلس لم يكونوا يعدون مساوين للعرب. فعلى سبيل المثال، لم يتولَ بربري واحد ولاية هذه البلاد التي تحملوا الجزء الأعظم من المشاق في أثناء فتحها. صحيح أن أحدهم، منوسة، أصبح القائد الأعلى والمسؤول عن مناطق الأشتوريش وجبال البرتات في الشمال والشمال الغربي. ولكن هذا القائد كان قد عُيِّن في المراحل المبكرة جداً من الفتح من قبل طارق بن زياد. يضاف إلى ذلك، فإن الولاة التالين، كما أسلفنا، لم يكونوا مقتنعين بوجود حاكم بربري مثل منوسة يشغل مثل هذا المنصب المهم، ويتمتع بقسط وافر من الاستقلال الذاتي. فهوجم من قبل اثنين من الولاة في الأقل، وأجبر أخيراً على رمي نفسه من فوق صخرة عالية[147]. وقد زادت هذه الحادثة دون شك في حالة الاستياء المنتشرة بين البربر في الأندلس، الذين كانوا يريدون اكتساب أقصى ما يمكن من الميزات والمصالح، وأن يحتفظوا بالأراضي التي سيطروا عليها في أثناء الفتح. وإذا ما أخذنا ما ورد في **حولية عام 754م** بنظر الاهتمام، فيمكن القول أنهم أرادوا أيضاً أن يحتفظوا بممتلكاتهم «والأموال» التي كانت معرضة دوماً للمصادرة من قبل الولاة العرب.

ومما يؤسف له عدم توفر الكثير من المعلومات عن زعماء هذه الحركة

(146) انظر هامش (58).

(147) **أخبار مجموعة**، ص 38 ـ 40؛ **فتح الأندلس**، ص 31 ـ 32؛ ابن عذاري: 2/ 30 ـ 31.

ولكن يبدو أنهم كانوا قادة متمرسين. فقد ابتدأوا عصيانهم في الشمال الغربي، في جليقية واستوقة، حيث قتلوا العديد من المستقرين العرب وأبعدوا الآخرين نحو الجنوب. أما في الشمال الشرقي ومنطقة سرقسطة، فلم يتدخل البربر في هذه الحركة بسبب التفوق العددي للعرب عليهم. وقد نظم المتمردون قواتهم في الشمال الغربي وزحفوا جنوباً للقاء بقية إخوانهم في منطقة قورية وطلبيرة وماردة[148]. ويبدو أنهم كانوا على إحاطة تامة بالموقف في كل من إسبانيا وشمال أفريقيا، وبشكل خاص خطر الشاميين في سبتة. لذلك فقد أنقسموا إلى ثلاث مجموعات: الأولى أرسلت إلى الجنوب لتمنع بلجا والشاميين من عبور المضيق، والثانية لمهاجمة عبد الملك في قرطبة، والثالثة لمهاجمة طليطلة[149]. ولكن عبد الملك تصرف بسرعة، فسمح لبلج والشاميين بالعبور سالمين قبل وصول البربر. ولقد كان هؤلاء، الذين يتزعمهم قائد مجهول من زنانة، ما زالوا معسكرين في شذونة عندما فوجئوا بقوات عبد الملك والشاميين، فدحروا بسرعة، وتفرقوا. وكذلك فقد رد عبد الملك وبلج الشراذم التي كانت تهدد قرطبة[150]. أما التجمع البربري الثالث، وهو الأكبر، فقد كان على بعد نحو تسعة عشر كيلومتراً من طليطلة بالقرب من نهر تاجة وعلى أحد فروعه الذي يسمى بوادي سليط Guazalete وكانت القوات المشتركة للشاميين وعرب الأندلس بقيادة أمية وقطن، ابني عبد الملك، وبلج بن بشر القشيري. وكان الشاميون متلهفين للثأر لأنفسهم من البربر، وفي الحقيقة، فقد قاتلوا بضراوة وذبحوا الألوف منهم، وهرب الناجون من البربر، ولكن العرب تتبعوهم حتى تفرقوا واختفوا في منطقة الثغور[151].

---

(148) *Chr. 754*, p. 159, (no. 64).

(149) Ibid., p. 159, (no. 64).

(150) **فتح الأندلس**، ص 31؛ ابن الأثير: 5/ 251؛ ابن عذاري: 12/ 31.

(151) **أخبار مجموعة**، ص 40؛ **فتح الأندلس**، ص 31 ـ 32؛ ابن عذاري: 2/ 31؛ المقري: 3/ 20؛ انظر أيضاً: *Chr. 754*, p. 159, (no. 64).

وعلى العكس من الموقف في الأندلس، كانت المشكلة في شمال أفريقيا صعبة جداً، وكان على الخليفة الأموي أن يرسل المزيد من الجيوش الشامية من أجل أن يسيطر على تمرد البربر. فبعد سماعه عن هزيمة العرب وبالقرب من نهر سبو، ومقتل معظم قادته، أرسل الخليفة هشام والياً جديداً، هو حنظلة بن صفوان الكلبي، إلى شمال أفريقيا يرافقه المزيد من القوات الشامية. وفي الوقت نفسه، تقدم البربر، الذين كانوا قد نظموا أنفسهم في المغرب الأقصى، عبر الزاب إلى أفريقية أي تونس الحالية، حيث التحق بهم العديد من قبائل البربر من زناتة وهوارة. وعندما وصل حنظلة إلى شمال أفريقيا في سنة 134/ 742، كانت القيروان نفسها مهددة من قبل جيشين بربريين عظيمين. ومع هذا، فقد استطاع حنظلة أن يدمر كلا الجيشين في موقعتين كبيرتين، الأولى في القرن بالقرب من القيروان، والثانية في الأصنام، على بعد خمسة كيلومترات من القيروان أيضاً[152]. وبعد هاتين الموقعتين، استرد العرب، إلى حد ما، سلطانهم على أفريقية والزاب. ولكنهم لم ينجحوا في السيطرة على بقية أجزاء المغرب الأقصى كما كانوا يفعلون سابقاً. وظل البربر في هذه المناطق أصحاب السيادة الذين لا ينازعون حتى سقوط الخلافة الأموية، وكذلك استمر الحال على هذه الشاكلة في العهود العباسية اللاحقة.

(152) ابن عبد الحكم، ص 222 ـ 223؛ الرقيق، ص 115 ـ 122؛ ابن الأثير: 5/ 193 ـ 194؛ **أخبار مجموعة**، ص 36 ـ 37، ابن عذاري: 1/ 58 ـ 59؛ النويري: 22/ 36 ـ 38، قد2.

الفصل السادس

عصر الولاة والتوتر الداخلي في الأندلس

1) الصراع بين الشاميين والبلديين:

ما إن انتهت حركة البربر في الأندلس حتى ابتدأ صراع جديد هناك. لأن الشاميين الذين أعجبوا بالازدهار الذي كانت تتمتع به البلاد، وبغنى المستقرين الأوائل، فضلوا البقاء في الأندلس على المغادرة إلى شمال أفريقيا وبلاد الشام. ولكن المستقرين الأوائل، من الناحية الأخرى، لم يكونوا مستعدين للتخلي عن أية ممتلكات كانت بحوزتهم، ولهذا فإن الخلاف بين الاثنين كان لا بدَّ منه. وهناك العديد من الآراء والمناقشات المطروحة من قِبل الباحثين بشأن النزاع بين رجال القبائل العربية في الأندلس. فلقد فُسِّرت الأحداث خطأً على أنها مجرد صراع قبلي بين القيسيين واليمانيين. ولقد بدأ الدكتور حسين مؤنس بداية طيبة في كتابة **فجر الأندلس** حينما انتقد طروحات دوزي التي تحاول البرهنة على أن العرب لم يكونوا سوى مجموعات متعادية لا يربط بعضها ببعض أية رابطة[1]. وهؤلاء هم رجال القبائل المنتمين إلى

---

(1) See Dozy, pp. 119 - 121, 126, 149 ff.

المجموعات القبلية لعدنان وقحطان، أو القيسيون الشماليون، واليمنيون الجنوبيون[2]، وعلى الرغم من ذلك، فحينما يسهب الدكتور مؤنس في الحديث عن النزاع بين العرب في الأندلس، يقع هو أيضاً في الأخطاء نفسها، ويتبنّى استنتاجات دوزي القديمة، التي لم تعد صالحة لتفسير الأحداث في المنطقة[3]. يضاف إلى ذلك، فإن الدكتور مؤنس يخلط في هذه المسألة إلى درجة بحيث يصبح من الصعب على أي شخص أن يتفهم وجهة نظره إزاء هوية وانتماء كل من قيس ويمن في الأندلس وشمال أفريقيا. فهو يدعو القيسيين يمانيين، وبالعكس كلما وافق ذلك سياق حديثه، أو كان يدعم وجهة نظر أو مناقشة معيّنة. وآراؤه متناقضة جداً بشأن العناصر القيسية واليمنية وتصرفاتها. ففي إحدى المناسبات، على سبيل المثال، يصف اليمنية بالجشع إلى المال، والميل إلى الفوضى، والعجز عن التنظيم وحسن الإدارة[4]، بينما يذكر في مكان آخر بأن اليمنية كانت «ذات ميل إلى التعمير والاستقرار والهدوء»[5]. ومن جملة الأمثلة الأخرى التي توضح هذه النقطة، تسميته لعبد الملك بن قطن **الفهري** باليمني، وبشيخ اليمنيين، بينما من المسلم به أنه كان من قريش. بل إن الدكتور مؤنس نفسه يذكر في مكان آخر بأنه كان من مضر[6]. وشبيه بهذا أيضاً وصفه لكل من عمر بن عبد الله **المرادي**، وحنظلة بن صفوان **الكلبي**، وثعلبة بن سلامة **العاملي**، بأنهم قيسيون[7]. ومن جهة أخرى، يعد الحبحاب بن رواحة **الزهري**، وعامر بن عمرو **العبدري**، وعذرة بن عبد الله **الفهري** من اليمنيين[8]. ويبدو بالإضافة

---

(2) **فجر الأندلس**، ص210.
(3) المرجع نفسه، ص 358 ـ 359.
(4) المرجع نفسه، ص 197.
(5) المرجع نفسه، ص 215.
(6) المرجع نفسه، ص 179، 195، 216، 436، 357.
(7) المرجع نفسه، ص 165، 357 ـ 358، 177، 169.
(8) المرجع نفسه، ص 101، 346.

إلى ذلك أن الدكتور مؤنس لم يستطع تشخيص هوية أبي عطاء **المري**، ففي إحدى المناسبات يشير إلى هذا القائد على أنه قيسي، وشيخ لغطفان، بينما يعده في مناسبة أخرى على أنه من اليمنيين، وأنه شيخ جذام[9]. وأخيراً وليس آخراً، ففي محاولة لتأييد نظره بشأن العصبية اليمنية، يصوّر الحجاج بن يوسف **الثقفي**، وكاتبه يزيد بن أبي مسلم بشكل خاص، وكأنهما كانا من الكلبيين اليمنيين[10].

لم تكن العصبية القبلية بالتأكيد السبب الرئيس في الصراع بين العرب في الأندلس. وكما يعترف الدكتور مؤنس نفسه، فإن الخلاف بين رجال القبائل العربية مرجعة رغبة كل مجموعة في الحصول على أكبر ما يمكن من المغانم والسلطان[11]. وكان العديد من هذه الجماعات على استعداد لنسيان عصبيتها في سبيل المصالح. ولهذا، فعلى الرغم من اختلاف الأصول العشائرية للمستقرين الأوائل، فقد شكّلوا جميعاً جبهة، واحدة قوية أمام الشاميين، ورفضوا تقبل هؤلاء، لأنهم أرادوا الاحتفاظ بأراضيهم، وامتيازاتهم، وسيادتهم على البلاد. ولم يرغبوا في اقتسام ثمار الفتح مع أية جماعة أخرى. ولكن الشاميين كانوا مصممين أيضاً على نيل حصتهم من الغنيمة.

لقد كانت الاتفاقية المعقودة بين عبد الملك بن قطن والشاميين تنص على أن يقوم الأول بنقلهم سالمين إلى شمال أفريقيا. ومن أجل خلق المصاعب أمام عبد الملك، وجعل أمر التفسير مستحيلاً، طلب الشاميون أن يتم نقلهم إلى أفريقية، أي تونس الحالية. وقد وجد عبد الملك أنه من الصعوبة بمكان تزويدهم بعدد كاف من السفن لتنقلهم في مجموعة واحدة

---

(9) المرجع نفسه، ص 226، 232.

(10) المرجع نفسه، ص 145، 151، 158.

(11) قارن: المرجع نفسه، ص 213.

إلى سبتة. وقد رفض الشاميون هذا الاقتراح معتقدين بأنه يحاول إرسالهم مرة ثانية إلى بربر المغرب الأقصى في شمال أفريقيا. ويمكن للمرء أن يفترض بأن الشاميين كانوا قد قرروا الإقامة في الأندلس حتى قبل قضائهم على تمرد البربر. ولكن نزاعهم الأخير مع عبد الملك أعطاهم حجة جيدة لإظهار نواياهم الحقيقية. ولهذا، فقد هاجموا قصر الإمارة في قرطبة، وأخرجوا عبد الملك بن قطن، ونصبوا بلج بن بشر بدلاً عنه (ذو العقدة 123/ أيلول 741)[12].

وبعد هذه الأحداث خيمت على جميع أنحاء البلاد حالة من الارتباك. فتوقف عامل الجزيرة الخضراء عن تزويد الرهائن الشاميين في جزيرة أم حكيم بالطعام والماء. ونتيجة لهذا، فقد توفي متأثراً بالعطش أحد الأشخاص البارزين من غسان، الذي كان ينتمي إلى جند دمشق. وعندما سمع الشاميون في قرطبة بهذا النبأ، ألقوا اللوم على عبد الملك بن قطن، وطالبوا بإنزال العقاب به. وقد نصح بلج، الذي لم يكن متعاطفاً مع هذه الفكرة، اتباعه بالتريث وعدم التصرف بطيش والانتظار لحين وضوح الأحداث في الولاية. ومع هذا، فقد خضع بلج لضغط جنوده، وبشكل خاص اليمنيين منهم، وأمر بإعدام عبد الملك، لتجنب أي إنقسام يمكن أن يحدث بين رجاله. وهكذا فقد قتل عبد الملك الذي كان ينيف على التسعين عاماً، وصلبت جثته وعلقت بين جثتي خنزير وكلب[13].

وفي هذه الأثناء هرب قطن وامية، ابنا عبد الملك، إلى سرقسطة

(12) **أخبار مجموعة**، ص 41؛ **فتح الأندلس**، ص 32 ـ 33؛ ابن الأثير: 5/ 251 ـ 252؛ ابن عذاري: 2/ 32؛ **ذكر بلاد** (رقم 85ج)، ص 87؛ ابن خلدون: 4/ 259، 406؛ المقري: 1/ 236، 3/ 21.

(13) **أخبار مجموعة**، ص 41 ـ 42؛ **فتح الأندلس**، ص 33؛ ابن الأثير: 252؛ ابن عذاري: 2/ 32؛ انظر أيضاً:

Chr. 754, p. 159 (no. 65).

وماردة. وكانا يحاولان الحصول على المساعدة من المستقرين العرب الأوائل في الشمال الشرقي، ومن البربر[14]. ولم يكن البربر، بطبيعة الحال، موالين جداً للعرب في الأندلس بعد خلافهم معهم. ومع هذا، فقد كان ما يزال هناك بعض البربر الذين استمروا في ولائهم لحلفائهم العرب. وعلى سبيل المثال، بربر المدور الذين كانوا من موالي فهر. فقد كان هؤلاء أقوياء إلى الحد الذي دفعهم إلى مهاجمة قرطبة من أجل رفع جثة عبد الملك التي كانت معروضة في المدينة[15]. وربما كان البربر يشعرون بصورة عامة بأن الشاميين يشكلون الخطر الحقيقي عليهم وليس المستقرين الأوائل، ولهذا، فقد وافقوا مبدئياً على التعاون مع المستقرين العرب الأوائل ليثأروا لأنفسهم من الشاميين. وفي الوقت نفسه كان البربر مقتنعين بأنهم متى ما أنجزوا هذه المهمة وثأروا من أهل الشام فسوف يكون لهم رأي آخر في أهل البلد، أي عرب الأندلس[16].

زحفت القوات المشتركة للبربر والبلديين من الشمال الشرقي باتجاه قرطبة. وإلى جانب قطن وامية، ابنا عبد الملك، فإن هذه التحشدات كانت أيضاً بقيادة كل من عبد الرحمن بن علقمة اللخمي، عامل أربونة، وعبد الرحمن بن حبيب الفهري، وروى أن هذا الجيش كان يضم مائة ألف رجل أو أكثر[17]. ولكن بعض المصادر الأخرى تذكر رقماً أكثر اعتدالاً من الأول لا يتعدى الأربعين ألفاً[18]. ومن الناحية الأخرى، تتفتى معظم المصادر على أن عدد الشاميين وأتباعهم كان يتراوح بين عشرة آلاف واثني عشر ألف رجل. ومن المفيد أن نلاحظ في هذا المجال بأن بعض هؤلاء

---

(14) **أخبار مجموعة**، ص 42؛ ابن الأثير: 5/ 252، 259.

(15) **أخبار مجموعة**، ص 42.

(16) المصدر نفسه، ص 43.

(17) المصدر نفسه، ص 43؛ **فتح الأندلس**، ص 34؛ ابن الأثير: 5/ 259؛ ابن عذاري: 2/ 32؛ المقري: 3/ 21.

(18) ابن القوطية، ص 16؛ **ذكر بلاد** (رقم 85ج)، ص 88.

(الأتباع)، كانوا من البربر والبلديين. ومن المرجح أن أفرد هذه الفئة الأخيرة كانوا لا يمتلكون إلاَّ القليل من الممتلكات، ولم تسنح لهم الفرصة للاستفادة من الفتح، كما فعل العديد من المستقرين العرب والبربر. ولهذا فقد رافقوا الشاميين بصفة خدم وأتباع[19]، آملين الحصول على أية مصالح قد تعقب انتصار الشاميين. وهذه الحقيقة ذات أهمية بالغة لأنها تشير بشكل واضح إلى السبب الحقيقي للصراع في الأندلس[20].

تقدم الشاميون لملاقاة البلديين، فاصطدموا بهم بالقرب من قرية تدعى أقوة برطورة Aqua Portora، تبعد نحو مرحلتين عن قرطبة. ويبدو أن معركة قاسية جداً حدثت بين الجانبين. ويقول مؤلف **حولية عام 754م** اللاتينية (إن كلام الإنسان يعجز عن وصف ضراوة المعركة التي قاتل فيها الطرفان) وكذلك فإن المصادر العربية، وبشكل خاص، **أخبار مجموعة،** توضح ببعض التفصيل أحداث هذه المعركة، فعلى الرغم من الأعداد الكبيرة للبلديين والبربر، لم يستطع هؤلاء أن يثبتوا أمام الشاميين. ولكن قيادة البلديين كانت كفؤة جداً، فقد كان عبد الرحمن بن علقمة اللخمي، الذي يعد فارس أهل الأندلس مصمماً على قتل بلج بن بشر. ونجح في شن هجوم فعّال بخيالة الثغر الأعلى على قلب الجيش الشامي، وضرب بلجاً على رأسه بالسيف ضربتين أصابتاه بجراح خطيرة. وما إن رأى الحصين بن الدجن العقيلي هذا الموقف الخطير، حتى أسرع بخيالة جند قنسرين لرد هجوم ابن علقمة وإنقاذ بلج. وبعد التحام شديد بين كل من خيالة الحصين بن الدجن وعبد الرحمن بن علقمة، انسحب الأخير إلى الشمال الشرقي، بينما هرب

(19) **أخبار مجموعة،** ص 43؛ المقري: 3/ 21 ـ 22.

(20) لقد أشار هذا المؤرخ إلى نيته في الكتابة بصراحة ووضوح عن الحروب المأساوية التي وقعت بين المسلمين في إسبانيا، وذلك في مؤلف آخر هو: Epitoma Temporum ولكن مما يؤسف له فإن هذا الكتاب هو في عداد المفقودات الآن، انظر:

Chr. 654, pp. 160, 161, (no. 65-70)..,

البلديون من ساحة المعركة. وبعد أيام قلائل توفي بلج متأثراً بجراحه، أو على رواية أخرى، فإنه مات ميتة طبيعية (شوال 124/آب 742)[21].

وعلى الرغم من هذا، فقد ظل حكم الأندلس بيد الشاميين، الذين نقلوا ولاية البلاد إلى ثعلبة بن سلامة العاملي قائد جند الأردن[22]. وفي الوقت نفسه استمر البلديون والبربر في مقاومتهم للوجود الشامي في البلاد، فضربت حرب أهلية مريرة أطنابها في جميع أرجاء الأندلس[23]. ووقعت معارك عديدة بين الطرفين في المناطق المجاورة لقرطبة[24]. ولكن القوة الرئيسية للبربر، خاصة، ولعرب الأندلس، أخذت تتركز في منطقة ماردة، حيث سار إليها ثعلبة مع جماعة من جنوده الشاميين. ولكن نظراً لكثرة أعدائه فقد اضطر إلى الالتجاء والتحصن في مدينة ماردة. وأرسل رسالة سريعة إلى نائبه في قرطبة يأمره بالقدوم مع بقية أهل الشام ليرفعوا عنه الحصار. ولكن قبل وصول هذه الإمدادات، تمكّن ثعلبة من السيطرة على الموقف. وقد حدث هذا حينما كان كل من البربر والعرب في ماردة مشغولين بالاحتفال بعيد الفطر أو الأضحى، حيث فوجئ العديد منهم بالهجوم الشامي، فقتلوا، أو أسروا. وقام الشاميون بسبي أسر مناوئيهم من العرب البلديين والبربر. وعاد ثعلبة إلى قرطبة مع أسراه، الذين كان بضمنهم العديد من كبار رجال العرب والبربر المستقرين، مثل: علي بن الحسن، أحد أبناء الأنصار القادمين من المدينة، والحارث بن أسد، من جهينة. وفي

---

(21) **أخبار مجموعة**، ص 43 ـ 44؛ انظر أيضاً: ابن عبد الحكم، ص 221؛ ابن القوطية، ص 16 ـ 17؛ **فتح الأندلس**، ص 34؛ **ذكر بلاد**، (رقم 85ج) ص 88؛ ابن الأثير: 5/ 259؛ ابن عذاري: 2/ 32؛ ابن خلدون (برواية الرازي): 4/ 259؛ المقري: 1/ 236 ـ 237، 3/ 21 ـ 22.

(22) ابن القوطية، ص 17؛ **أخبار مجموعة**، ص 44؛ **فتح الأندلس**، ص 34؛ ابن الأثير: 5/ 259؛ ابن عذاري: 2/ 32؛ المقري: 1/ 237.

(23) *Chr. 754*, p. 160 (no. 66).

(24) ابن القوطية، ص 17؛ انظر أيضاً: **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 88.

محاولة متعمدة لإهانة المستقرين الأوائل والتقليل من شأنهم، حاول ثعلبة أن يبيع العديد من هؤلاء الأسرى بالمزاد التناقصي في مكان بالقرب من قرطبة يدعى المشارة أو المصارة Almazara[25].

2 ـ ولاية أبي الخطار الكلبي:

لقد لفتت هذه الأحداث المثيرة انتباه الخلافة إلى ضرورة تعيين وال جديد للأندلس. ولهذا، فقد أمر الخليفة هشام واليه على شمال أفريقيا، حنظلة بن صفوان الكلبي، بإرسال ابن عمه أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي ليتولى ولاية الأندلس. وكان من المتوقع أن يحل هذا الأخير مشكلة الشاميين في الولاية، وأن يعمل على استقرارهم فيها. ويشير تعيين أبي الخطار إلى المحاولة المستمرة لدمج الأندلس مع شمال أفريقيا. فقد كان هذا الأخير متلهفاً لممارسة المزيد من السلطة على الأندلس عن طريق إرسال ممثله الخاص هناك. وإن هذه المحاولة كانت الفرصة الأخيرة لوالي شمال أفريقيا، وكذلك فقد كان أبو الخطار العامل الأخير الذي يتم تعيينه من قبل السلطات الأموية على الأندلس. ويروى أيضاً أن السبب في إرسال الخليفة ووالي شمال أفريقيا لعامل جديد إلى الأندلس جاء نتيجة لإلحاح مسلمي الأندلس والتماساتهم العديدة بهذا الشأن[26].

أبحر أبو الخطار من تونس ووصل الأندلس في رجب 125/ أيار 743. وتروي المصادر بأن وصول أبي الخطار إلى الأندلس صادف في الوقت الذي

---

(25) يبدو أن هذا المزاد يختلف عن المزادات المتعارف عليها، إذ تبدأ المزايدة بمبلغ مرتفع ثم تتناقص. وفي هذه الحالة بالذات، ابتدأ المبلغ بعشرة دنانير، ثم تناقص إلى أن بيع أحد الشخصين المذكورين بِكَلْبٍ، والآخر بجَدْي. انظر: **أخبار مجموعة**، ص 44 ـ 45؛ **فتح الأندلس**، ص 35؛ ابن الأثير: 5/ 259؛ ابن عذاري: 2/ 33 ـ 34؛ المقري: 2/ 22.

(26) ابن عبد الحكم، ص 221؛ ابن القوطية، ص 19؛ الرقيق، ص 115؛ **أخبار مجموعة**، ص 45 ـ 46؛ **فتح الأندلس**، ص 35 ـ 36؛ ابن الأثير: 5/ 273؛ **الحلة السيراء**: 1/ 61؛ ابن عذاري: 2/ 33 ـ 34.

كان يحاول فيه ثعلبة بيع وإهانة أسرى البربر والبلديين في المزاد. وقد قبلت جميع الأطراف المعنية في الأندلس بولاية أبي الخطار. وكان البربر والمستقرون العرب من أوائل الذين أسرعوا ليؤكدوا له تأييدهم، ولكنهم طالبوا في الوقت نفسه بوجوب مغادرة الشاميين للبلاد[27]. ولكن أبا الخطار كان متأنياً ولم يتخذ أي قرار ارتجالي، بل أجل النظر في حل المسألة كلها إلى أن يدخل قرطبة. وفي أثناء ذلك أمر بإطلاق سراح كل السجناء والرهائن الذين كانوا قد أسروا من قبل الشاميين. ولهذا فقد سمي أبو الخطار ومرافقوه من الحرس باسم (عسكر العافية). ولا تتوفر معلومات كثيرة عن أولئك الذين رافقوا أبا الخطار إلى الأندلس. ويصفهم كل من مؤلف **حولية عام 754م**، ومؤلف **أخبار مجموعة**، وابن عذارى، بأنهم كانوا عسكراً[28]. ومع هذا. فمن الأسلم الافتراض بأنهم كانوا كلبيين من عشيرة أبي الخطار، ولكن عددهم، كما يبدو، لم يكن كافياً لتكوين جيش أو عسكر، ولو كانوا كذلك فعلاً لتحدثت عنهم المصادر، وعن أماكن استقرارهم في البلاد[29].

وفي قرطبة تكوّنت لدى أبي الخطار القناعة بضرورة نفي بعض أفراد الشاميين الذين كانوا قد استفزوا البربر والبلديين، بالإضافة إلى بعض مثيري المشاكل الآخرين. وهكذا فقد أُبعِد إلى شمال أفريقيا كل من ثعلبة بن سلامة العاملي، وعبد الرحمن بن حبيب الفهري، وعثمان بن أبي نسعة، مع عشرة آخرين من زعماء الشاميين[30]. ولكن مؤلف **فتح الأندلس** يذكر بأن ثعلبة بن سلامة العاملي غادر الأندلس بناءً على رغبته. وكذلك يشير إلى أن بقية الجنود الشاميين أرادوا المغادرة معه، ولكن نظراً للمعاملة اللطيفة التي

---

(27) **أخبار مجموعة**، ص 46؛ ابن عذاري: 2/ 34.

(28) *Chr. 754*, p. 160 (no. 67);
أخبار مجموعة، ص 46؛ ابن عذاري: 2/ 34.

(29) ومع هذا، فإن المصادر تشير إلى استقرار بعض أحفاد أبي الخطار في الأندلس، كما أسلفنا في الفصل الرابع، انظر: ص

(30) ابن عبد الحكم، ص 221؛ ابن القوطية، ص 19 ـ 20؛ **أخبار مجموعة**، ص 46.

تلقوها من قبل ابن الخطار، وعوده الطيبة لهم،وافق الشاميون أخيراً على البقاء والاستقرار في البلاد وفق الترتيبات التي وضعها هذا الوالي، كما أوضحنا ذلك في الفصل السابق[31]. ومن المحتمل جداً أن أبا الخطار كان ينفذ رغبة الخلافة في إسكانه للشاميين في الأندلس. لقد كانت الحكومة المركزية على علم بأن عدد العرب لم يكن كبيراً في الأندلس، هذا بالإضافة إلى أن بقية العناصر الأخرى كالبربر والسكان المحليين كانوا متفوقين عددياً عليهم. ولهذا فقد كانت عملية استقرار الشاميين ضرورة ملحة بالنسبة للدفاع عن الولاية، وكان أبو الخطار ناجحاً في إنجازه لهذه المهمة.

تروى المصادر أن أبا الخطار كان رجلاً متعصباً على الرغم من حصانته واتزانه. فهو قد سارع بالوقوف إلى جانب اليمنيين وتفضيلهم على الجماعات الأخرى من قيس ومضر. وكان هذا هو السبب الرئيس الذي أدى إلى تنحيته عن ولاية البلاد[32]. وتروى المصادر أيضاً بأن مسألة تعصب أبي الخطار ابتدأت عندما تحيز بالحكم على رجل كناني من مضر لصالح خصمه الذي ينتمي إلى غسان من اليمن. وعندما اشتكى زعيم مشهور لكلاب، وهو الصميل بن حاتم الكلبي، إلى أبي الخطار بشأن هذه القضية، أهانه الأخير، مما دفع الصميل بالنتيجة إلى معارضة الوالي والعمل على الإطاحة به بالتشاور والعمل المشترك مع بقية قادة الأجناد في البلاد[33].

من المحتمل أن يكون أبو الخطار رجلاً متعصباً، ولكن ليس من السهل تقبل صحة الروايات المذكورة آنفاً حينما تصور مجموع الصراع بين رجال القبائل العربية في أثناء عهد أبي الخطار على أنه جاء نتيجة لتعصبه لليمنية. ولا يصح هذا تماماً، لأن هذه الروايات ذاتها تذكر بأن عشائر يمنية

(31) **فتح الأندلس**، ص 36؛ انظر أيضاً: الفصل الرابع، ص
(32) ابن القوطية، ص 20؛ **فتح الأندلس**، ص 37؛ ابن الأثير: 5/ 237؛ ابن عذاري: 2/ 34؛ ابن خلدون: 4/ 260؛ المقري: 1/ 237، 3/ 23 ـ 24.
(33) **فتح الأندلس**، ص 37 ـ 38؛ ابن الأثير: 5/ 337 ـ 338؛ المقري: 3/ 23 ـ 24.

قوية مثل لخم وجذام وقفت إلى جانب القيسيين والمضريين وساندتهم على أبي الخطار. ولهذا فالنزاع لم يكن قبلياً خالصاً بأية حال من الأحوال.

في محاولة لإعادة ترتيب الأحداث يجب التعرف على أولئك الذين ساهموا في الصراع ضد أبي الخطار وتشخيص هوياتهم. فقد كان الصميل بن حاتم الكلابي، المذكور آنفاً، من أشهر هذه الشخصيات، وهو ينتمي إلى جند قنسرين. ويعد هذا الزعيم أيضاً الرأس المدبر لعشائر قيس ومضر في الأندلس[34]. وكان تأثير الصميل كبيراً جداً، فلقد اتخذ مسكنه في قرطبة وشرع بالاختلاط مع أثرياء البلد من أمثال أفراد الأسرة القوطية المالكة. وقد استخدم نفوذه القوي، واستغل هؤلاء الأشخاص من أجل الحصول على المزيد من الثروة. ففي مناسبة واحدة، كما أشير إلى ذلك آنفاً، أصبح بحوزة الصميل وتسعة رجال آخرين من وجوه الشاميين مائة ضيعة ممتازة كانت تعود بالأصل إلى أرطباس بن غيطشة[35]. ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن بقية زعماء المعارضة لأبي الخطار. فلقد تملك أبو عطاء المري، على سبيل المثال، الذي كان شيخاً لغطفان، بلاطاً كبيراً وضياعاً عديدة في استجة[36]. وكذلك استغل ثوابة بن سلامة الجذامي، الذي كان من جند فلسطين في رية، نفوذه وحصل على الثروة بعد أن أشغل عدة مناصب مهمة في الولاية. ومن المحتمل جداً أن يكون هذا هو السبب الذي حدا بأبي الخطار إلى عزل ثوابة عن منصبه الأخير، عامل مدينة إشبيلية[37]. وعلى الرغم من أن المصادر لا تصرح باسم أي زعيم خاص لعشيرة لخم، لكنها تذكر بأن هذه العشيرة كانت خصماً مهماً لأبي الخطار.

---

(34) **أخبار مجموعة**، ص 65؛ **فتح الأندلس** 37؛ **الحلة السيراء**: 1/ 67 ـ 68؛ ابن عذاري: 2/ 34.

(35) ابن القوطية، ص 40، انظر أيضاً: الفصل الرابع/ استقرار جند قنسرين في جيان.

(36) **أخبار مجموعة**، ص 65؛ **فتح الأندلس**، ص 38، 43، المقري: 3/ 23.

(37) **فتح الأندلس**، ص 38؛ ابن الأثير: 5/ 338.

لقد كانت كل هذه الجماعات التي ينتمي معظم أفرادها إلى القادمين الجدد من الشاميين، متورطة في العمل ضد أبي الخطار. وكان هؤلاء يمثلون جند قنسرين في جيان. وجند دمشق في البيرة، وجند فلسطين والأردن في شذونة ورية، وجند مصر في باجة، وجند حمص في إشبيلية ونبلة. لقد كان القاسم المشترك الأعظم الذي يجمع كل هذه الأجناد، التي تضم عشائر مختلفة، هو الغنى والمنزلة التي اكتسبوها حديثاً. فلقد حصل العديد من قادة هذه الأجناد على الثراء والأراضي. إضافة إلى ما كانوا قد حصلوا عليه بموجب تنظيمات أبي الخطار ـ بطرق مختلفة لم يقرها حاكم البلاد، أي البلديين، عن طريق امتناعهم لدفع الضرائب المطلوبة على هذه الأراضي لبيت المال، ومعارضتهم لإرسال واردات الولاية إلى شمال أفريقيا. وهكذا يصبح بإمكان المرء تفهم الموقف الصارم الذي اتخذه أبو الخطار إزاء النفوذ المتنامي لهؤلاء الأفراد، ونزعتهم لتجاهل سلطة والي شمال أفريقيا التي كان يمثلها أبو الخطار. وقد تناسوا في صراعهم ضده، كل الاختلافات ولم ينظروا إليها بعين الاهتمام سواء كانت قبلية مثل قيس ويمن أو منافسات أخرى بين زعماء الأطراف المتعددين. وكان هدفهم الرئيس هو التخلص من أبي الخطار بأسرع ما يمكن من أجل إحكام السيطرة على الولاية، والاحتفاظ بمصالحهم، وبواردات البلاد دون أي تدخل من شمال أفريقيا.

ابتدأت خيوط المؤامرة على أبي الخطار في قرطبة، عندما استشار الصميل وجوه قومه عن أفضل السبل لتنحية أبي الخطار عن ولاية البلاد. وقد توصل الجميع إلى أن هذه المهمة لا يمكن تحقيقها دون التعاون التام بين جميع أجناد الأندلس. ونتيجة لهذا، فقد ذهب الصميل لمقابلة أبي عطاء المري في استجة. وقد قرر الزعيمان الاتصال بثوابة بن سلامة الجذامي، رئيس جند فلسطين، ومشاورته بشأن الثورة المزمع القيام بها. ووافق ثوابة على الانضمام إليهم بأفراد عشيرته. وقد شاركت مجموعات عربية أخرى،

تنتمي بشكل رئيس إلى لخم وجذام، من إشبيلية، ونبلة، وباجة، وأكشونبة، في هذه الثورة[38]. ويشير ابن الأثير إلى مساهمة أمية بن عبد الملك بن قطن، وهو من البلديين، في الوقوف ضد أبي الخطار. ولكن هذا حدث بعد هزيمة الأخير، حينما أخرج أمية خليفة أبي الخطار من قرطبة وعمل على نهب ممتلكات الاثنين معاً[39]. وعلى الرغم من هذا، يبدو أن أبا الخطار لم يكن له خيار سوى الاعتماد على البربر والبلديين للقضاء على الثوار. ولا تتوفر معلومات كافية عن البلديين، أو المستقرين العرب الأوائل، الذين وقفوا إلى جانب أبي الخطار. فهم يدعون من قبل مؤلف **أخبار مجموعة** بجماعة أهل الأندلس[40]. ولكننا لاحظنا قبل قليل أن أمية بن عبد الملك بن قطن، الذي كان يمثل بالتأكيد العناصر الثرية من بين البلديين، عمل ضد أبي الخطار، ولهذا فمن المحتمل جداً أن الذين وقفوا بجانب الوالي كانوا من بين المستقرين الأوائل الفقراء المحرومين من الأراضي والامتيازات. وقد زحف أبو الخطار بهؤلاء القوم ليقابل تجمع الثوار بالقرب من شذونة. ويبدو أن عدد أتباع أبي الخطار لم يكن كبيراً، لأنهم سرعان ما هُزِموا من قِبل قوات الأجناد المشتركة للشاميين. وقد وقع الوالي نفسه في الأسر، وجيء به مقيداً بالأغلال إلى قرطبة، بينما نصّب المنتصرون أحد أفرادهم، ثوابة بن سلامة الجذامي، والياً على الأندلس، في رجب 127/ نيسان 745[41].

بعد هذا الانتصار رجع أبو عطاء وبقية الأجناد إلى أماكن استقرارهم. ولكن الصميل بقي في داره في قرطبة، وقد ازدادت هيبته إلى درجة كبيرة على إثر تغلبه على أبي الخطار. وكان يُعد الحاكم الحقيقي للبلاد، بينما كان ثوابة الوالي الإسمي فقط. وفي هذه الأثناء كانت عشيرة إبي الخطار، كلب،

---

(38) **أخبار مجموعة**، ص 57؛ **فتح الأندلس**، ص 38.

(39) ابن الأثير: 5/ 338.

(40) **أخبار مجموعة**، ص 57.

(41) **أخبار مجموعة**، ص 57.

قد غضبت لما حدث له. فجمع أحد قادتها البارزين، عبد الرحمن بن نعيم الكلبي، نحو مائتي جندي راجل وأربعين فارساً من جند إشبيلية ونبلة، وهاجم بصورة فجائية سجن قرطبة بهؤلاء الرجال. وقد نجح في إطلاق سراح أبي الخطار، وأخذه بعيداً إلى مناطق استقرار كلب في نبلة وإشبيلية. وتبعاً لما يرويه مؤلف **أخبار مجموعة** وابن عذارى، لم يحدث أمر آخر ذو أهمية حتى فترة ولاية يوسف الفهري[42]. ولكن بقية المصادر الأخرى تروي بأن أبا الخطار حاول أن يستفيد من وجود العديد من العشائر اليمنية في غرب البلاد من أجل العودة إلى السلطة. وقد نجح بالفعل في إقناع عدد كبير من اليمنيين، من منطقتي ماردة وماجة، بالقتال لصالحه. وكانت غالبية هؤلاء اليمنيين من رجال القبائل الذين ينتمون إلى كلب، عشيرة أبي الخطار، وإلى عشائر قضاعة الأخرى التي تمت بصلة إلى كلب. وقد زحف أبو الخطار بهؤلاء المؤيدين، وعسكر بالقرب من قرطبة. وكان الصميل وثوابة، وكذلك بقية أتباعهم من مضر ويمن مستعدين لقتال أبي الخطار، ولكنهم مع هذا، ارتأوا أن أفضل وسيلة لدحره تكمن في إقناع أتباعه بعدم القتال من أجله. ومن هنا، فقد قام مناد من معسكر الصميل وثوابة بتوجيه نداء إلى أتباع أبي الخطار اليمنيين، مذكراً إياهم بأن الصراع بينهم ليس قبلياً، وأن المضريين ليسوا ضد أبي الخطار لأنه من أصل يمني، وإلاّ لكانوا قتلوه حينما كان أسيراً لديهم. وقد ذكرهم المنادي أيضاً بالحقيقة الماثلة، وهي أن الوالي الحالي، ثوابة بن سلامة الجذامي، هو واحد منهم، أي من اليمنيين. لقد أثمرت طريقة الصميل وأثرت تأثيراً فعّالاً في نفوس اليمنيين، وبالنتيجة، فقد رفض أتباع أبي الخطار القتال، وتخلوا عنه مما اضطره إلى الفرار مرة أخرى إلى باجة في الغرب[43].

---

(42) المصدر نفسه، ص 57؛ **فتح الأندلس**، ص 37 ـ 39؛ ابن الأثير: 5/ 338 ـ 339؛ ابن عذاري: 2/ 35؛ ابن خلدون: 4/ 260 ـ 261؛ المقري: 1/ 237 ـ 238، 3/ 23 ـ 24.

(43) **أخبار مجموعة**، ص 58؛ ابن عذاري: 2/ 35.

توفي ثوابة في المحرم سنة 129/ تشرين 746، وظلت الأندلس دون وال لمدة أربعة أشهر، لأن الأطراف المتعددة لم تتمكن من الاتفاق بشأن ولاية البلاد. وقد أراد بعض البلديين إعادة أبي الخطار، لكن الصميل عارض هذه الفكرة. ومع هذا، فقد اتفق الجميع على اختيار عبد الرحمن بن كثير اللخمي للنظر في الأحكام[44].

3) فترة السنوات شبه المستقلة الأخيرة:

في هذه الفترة كانت الحكومة المركزية في اضطراب كبير، وتدهور الموقف في كل أرجاء الدولة العربية تقريباً إلى فوضى شاملة. ففي دمشق ذاتها، قُتِل الخليفة الوليد الثاني في 126/ 744 من قِبل الجند الشاميين، وأصبح يزيد الثالث الخليفة الجديد. واستمر الموقف المشوش والاضطرابات في بلاد الشام خلال عهد يزيد الثالث القصير ـ حكم نحو ستة أشهر ـ حتى حكم مروان بن محمد[45]. وفي شمال أفريقيا، أخرج عبد الرحمن بن حبيب الفهري، الوالي حنظلة بن صفوان في 127/ 744، واغتصب الولاية لنفسه[46]. وفي الوقت نفسه، كان مروان بن محمد، آخر الخلفاء الأمويين مشغولاً بالصراع مع العباسيين وأصبحت الأندلس معزولة عن بقية أجزاء الإمبراطورية العربية، وكان عليها أن تواجه المزيد من النزاع والاضطراب قبل تأسيس الإمارة الأموية. واستمر الصراع بين جميع القوى في البلاد. وفي هذه المرحلة، كان يبدو أن زعيم كل جماعة قوية يريد أن يحصل على المزيد من السلطة والاستقلال لنفسه. فيحيى بن حريث الجذامي، على سبيل

---

(44) ابن الأثير: 5/ 335؛ **فتح الأندلس**، ص 39؛ المقري: 3/ 24؛ انظر أيضاً: *Chr. 754*, p. 160 (no. 68).

(45) **فتح الأندلس**، ص 40؛ ابن عذاري: 2/ 35؛ وقارن: ابن الأثير: 5/ 375؛ ابن خلدون: 4/ 260 ـ 261؛ المقري: 1/ 238، 3/ 24 (برواية الرازي).

(46) الطبري: 2/ 1775 فما بعدها، 1825 ـ 1836، 18149 ـ 1890؛ ابن الأثير: 5/ 280 ـ 323.

المثال، حصل على كورة رية في أثناء ولاية ثوابة بن سلامة. وكان يحيى يعتد بأن له من الحق في ولاية البلاد أكثر من أي زعيم آخر. ويشير مؤلف **أخبار مجموعة** إلى أن يحيى كان أحد أفراد جند الأردن[47]. ولكن من المؤكد أنه كان من البلديين. وهذا واضح جداً من موقفه المعادي إزاء الشاميين. ولقد كانت عداوته شديدة جداً حتى إنه قال في إحدى المناسبات: «لو أن دماء أهل الشام جمعت لي في قدح لشربتها»!![48].

ومن أجل التوصل إلى حل وسط، اضطر الصميل وبقية قادة الشاميين، على الأقل لفترة قصيرة، إلى منح كورة رية إلى يحيى بن حريث. ومن ثم اتفق الشاميون، والبلديون جميعاً على الوالي الجديد، وكان هذا هو يوسف بن عبد الرحمن الفهري، الذي ينتمي إلى البلديين، أو المستقرين الأوائل (ربيع الثاني 129 ـ 10 ذي الحجة 138/ كانون الأول 746 ـ كانون الثاني 747 ـ 14 أيار 756). ولكن معظم المصادر تشير إلى أن تنصيب هذا الوالي كان من تدبير الصميل الذي مثل قوة الشاميين الرئيسة في الأندلس[49].

إن سياسة الصميل في اختيار الولاة مثيرة جداً. فهو لم يحاول أبداً أن يكون حاكماً بنفسه، أو أن يختار أحداً من أبناء العشائر التي تعود إليه، ومع هذا، فإن اختياره كان يقع دائماً على شخصية ضعيفة من الأحزاب الأخرى. وهكذا يحكم الوالي المختار بالاسم فقط، بينما تكون السلطة الكاملة في يد الصميل. ولقد سمح هذا الموقف، بطبيعة الحال، للصميل وأتباعه، بالاستمرار في سيادتهم على حساب الجماعات الأخرى. وحتى إن الصميل حثّ يوسف الفهري بالاستمرار في سيادتهم على حساب الجماعات

(47) ابن عبد الحكم، ص 223 ـ 224؛ الرقيق، ص 123 ـ 124؛ ابن عذاري: 1/ 60.

(48) **أخبار مجموعة**، ص 57.

(49) المصدر نفسه، ص 60؛ ابن عذاري: 2/ 37.

الأخرى. وحتى إن الصميل حث يوسف الفهري على طرد يحيى بن حريث من كورة رية. ومن هنا فإن يحيى وعشيرته جذام قد جُرِّدوا من امتيازاتهم ـ وتتعلق هذه الامتيازات على الأرجح بملكية الأراضي ـ في تلك الكورة التي منحت إليهم قبل ولاية يوسف الفهري[50]. ولقد رد يحيى بشدة على هذه السياسة، وأخبر أبا الخطار في جند نبلة وإشبيلية عن جميع أبعاد الموقف. ووافق الأخير على الموقف ضد النظام الجديد في قرطبة[51]. لقد كانت قوة هذه المعارضة الجديدة تتألف في الأغلب من العشائر اليمنية، ولكنها كانت تضم أيضاً بعض الشاميين والبلديين. ويحتمل أن الصميل، الذي كان يمثل مصالح القيسيين والمضريين قد حاول خلق المصاعب أمام تملك الأراضي بالنسبة للعديد من الزعماء اليمنيين، كما فعل مؤخراً مع يحيى بن حريث. ويبدو أن هذه العشائر اليمنية قد أدركت بأنها قد استغلت من قبل الصميل. أن التحالف الجديد بين يوسف الفهري والصميل كان بالتأكيد ضد اليمنيين، لأن الفهري لم يكن سوى لعبة بيد الصميل. ومن هنا، فقد ثار اليمنيون بل حتى المستقرون الأوائل أيضاً ضد يوسف والصميل. وفي هذه الثورات، التي سنشير إليها فيما بعد، لعب البربر دوراً مهماً في تأييد اليمنيين، ولكن في هذا الصراع بالذات لا توجد أية إشارة إلى مساهمة البربر. ومع هذا، يمكن للمرء أن يفترض، بأنهم حتى لو لم يشتركوا مع اليمنيين، فقد كانوا في الأقل متعاطفين مع قضيتهم. فمنذ عهد الفتح، امتلك البربر، مثل المستقرين العرب الأوائل، أراضي واسعة في الأندلس. وكان من الطبيعي أنهم أرادوا الاستمرار في هذا الموقف بالتعاون التام مع الجماعات المعتدلة من العرب، أي اليمانيين. وتبعاً للموقف العام لهؤلاء اليمانيين إزاء الشعوب غير العربية في كل أرجاء الدولة الأموية، فقد

(50) **فتح الأندلس**، ص 41؛ ابن الأثير: 5/ 375؛ ابن عذاري: 2/ 36؛ المقري (برواية الرازي): 3/ 25.

(51) **أخبار مجموعة**، ص 57؛ ابن عذاري: 2/ 35.

فضلوا الاستقرار في الأندلس، وإقامة نوع من التعايش مع البربر[52]. أما الصميل وأتباعه من قيس ومضر، فقد رفضوا بعناد أن يشركوا البربر في امتيازاتهم[53]. ولقد دعي الصميل من قِبل أحد القادة القيسيين بأنه أعرابي. واستناداً إلى رواية يرويها ابن القوطية، فإن تعصب الصميل في اعتقاده بشموخ وترفع العرب كان كبيراً بحيث لم يكن قادراً على فهم مبادئ المساواة في الإسلام[54].

وفي الجانب اليمني حاول أبو الخطار أن ينتهز الفرصة ليعيد تأكيد مهمته في الولاية، أو في الأقل في قيادة المعارضة. ولكن طلبه لم يلقَ أذناً صاغية من قِبل يحيى الجذامي، الذي احتفظ بالقيادة لنفسه يؤيده في ذلك أعداد كبيرة من اليمنيين. وفي سبيل الحفاظ على وحدة الصف، احتفظت حتى قضاعة، قبيلة أبي الخطار، بزعامة يحيى الجذامي. أما يوسف والصميل، اللذان كانا مدعومين باتباعهما من قيس ومضر وربيعة، فقد قررا الدفاع عن قرطبة، في الوقت الذي زحف فيه يحيى بن حريث وأبو الخطار للاستيلاء عليها عام 130/ 747. فعسكر في شقندة Secunda على نهر الوادي الكبير، وهي قرية تقع مقابل قرطبة على الضفة اليسرى من النهر. وقد جوبه هؤلاء بقوات يوسف والصميل التي عبرت النهر والتحمت مع قواتهما بعد صلاة الفجر. وتشير المصادر معقبة على هذه الموقعة، بأن المسلمين لم يقاتلوا في معركة كهذه منذ حربي الجمل وصفين. فعلى الرغم من قلة عدد الجيشين، كانا يضمان خيرة الرجال المقاتلين. ومع هذا، فقد كان لليمنيين كفة راجحة على أعدائهم بسبب تفوقهم النسبي في العدد. وعندما أصاب المقاتلين الإعياء، أشار الصميل إلى يوسف بأنهما ما يزالان يمتلكان المزيد

---

(52) **أخبار مجموعة**، ص 58؛ ابن عذاري: 2/ 35 ـ 36.

See: *Shaban*, Op. cit., Vol. I. p. 152.

(53) **أخبار مجموعة**، ص 61.

(54) ابن القوطية، ص 41؛ انظر أيضاً: **الحلة السيراء**: 1/ 68.

من الرجال في قرطبة. وكان هؤلاء هم أهل السوق في المدينة. ولهذا فقد أرسل يوسف رسولين إليهم لدعوتهم للدفاع عن عاصمتهم. وقد نجح رسولا يوسف في جلب نحو أربعمائة رجل، كان من ضمنهم بعض القصابين، الذين قدموا بسكاكينهم، وبعض الرجال الآخرين الذين لا يملكون سوى الحراب والعصي، وكان القليل منهم فقط مسلحين بالسيوف. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان باستطاعة هؤلاء ترجيح كفة المعركة لصالح الصميل ويوسف. فذبحوا أعداداً كبيرة من رجال يحيى وأبي الخطار المنهكين. وقد أسر هذان القائدان وقتلا مع العديد من أتباعهما البارزين. وفي ساحة الكنيسة الرئيسة لقرطبة ـ التي ستكون فيما بعد موقعاً للمسجد الجامع ـ ضرب الصميل بنفسه أعناق سبعين أسيراً، ولم تتوقف هذه المذبحة إلاّ بتدخل شيخ عطفان، أبي عطاء المري[55].

بعد معركة شقندة تمَّ إخضاع معظم اليمنيين في جنوب الأندلس، لكن كان هناك المزيد من هؤلاء في الشمال الشرقي، وبشكل خاص في منطقة سرقسطة. لقد سكنت هذه المنطقة الخصبة من قِبل المستقرين الأوائل الذين ينتمون إلى العديد من العشائر اليمنية الشهيرة[56]، ومن المحتمل جداً أن الصميل لم يكن راضياً بترك هؤلاء القوم، الذين كانوا يمتلكون أراض واسعة في تلك المنطقة، دون أي تدخل. ولقد كانت هذه المسألة مهمة جداً بالنسبة للصميل، إلى الحد الذي دعاه أن يذهب هو بنفسه للإشراف على الموقف هناك. وتقدم بعض المصادر توضيحاً آخر لحضور الصميل إلى الشمال الشرقي. فتذكر بأن يوسف الفهري أراد إزاحة الصميل عن قرطبة لأنه بدأ يحسده ويقلق من موقفه. ولهذا، فقد عرض عليه ولاية منطقة سرقسطة

---

(55) **أخبار مجموعة**، ص 60؛ انظر أيضاً: ابن القوطية، ص 20 ـ 21؛ **فتح الأندلس**، ص 42 ـ 43؛ ابن الأثير: 5/ 375 ـ 376؛ ابن عذاري: 2/ 36؛ المقري: 1/ 238، 3/ 25 ـ 26 (برواية ابن حيان).

(56) انظر الفصل الرابع استقرار عشيرة تجيب.

في 132/ 749[57]. ولكن ما رأيناه من طبيعة العلاقة بين الرجلين، ومن النفوذ العظيم للصميل، يدل على أن الأخير هو الذي اتخذ هذا القرار. ويذكر مؤلف **أخبار مجموعة**، بأن غرض الصميل من الذهاب إلى سرقسطة كان لإذلال اليمنيين هناك[58]. وبطبيعة الحال، فإن أعظم إذلال يمكن أن يواجهه اليمنيون ـ وهم جميعاً من البلديين ـ هو حرمانهم من امتيازاتهم التي حصلوا عليها في أثناء الفتح. وعلى الرغم من عدم توفر المعلومات عن هذه الناحية، يبدو من المحتمل عليها أن إجراءات الصميل كانت موجهة بطريقة معيَّنة بحيث تجعل من الصعب على البلديين أن يحتفظوا بأراضيهم، مما يتيح له ولأتباعه من الشاميين السيطرة على حصة أكبر من الممتلكات. ويتضح هذا من الحقيقة التي تشير إلى سرعة إثرائه الفاحش، وتمتعه بحياة باذخة وهو وأتباعه الذين رافقوه إلى هذه المنطقة. وكان عدد هؤلاء يقدر بنحو مائتي رجل، من قريش وممن كان معه من غلمانه وحشمه ومواليه[59].

لقد خلق وجود الصميل في الشمال الشرقي استياءً كبيراً بين البلديين وحلفائهم من البربر. فأثرت إجراءاته على العديد من زعماء المستقرين الأوائل. وكن من جملة هؤلاء كل من الحبحاب بن رواحة الزهري، وعامر بن عمرو العبدري. لقد اشتهر الأخير، الذي كان يقيم في قرطبة، بقيادته للعديد من الطوائف ضد المسيحيين في الشمال. وعارض كل من يوسف والصميل لموقفهما العدائي من اليمنيين، والمستقرين العرب الأوائل، وكان بالتأكيد مهتماً بمصالح وممتلكات عشيرته، وربما ممتلكاته هو أيضاً، في منطقة سرقسطة. ويعود السبب في هذا، كما ذُكر في الفصل الرابع، إلى وجود بعض المستقرين من بني عبد الدار في هذه المنطقة[60]. ويروى أن

(57) **فتح الأندلس**، ص 44؛ ابن عذاري: 2/ 37.
(58) **أخبار مجموعة**، ص 62.
(59) المصدر نفسه، ص 63.
(60) انظر الفصل الرابع/استقرار قريش.

بعض المراسلات قد جرت بين الخليفة العباسي، أبي جعفر المنصور، وبين عامر العبدري، والحبحاب الزهري، اللذين كانا يحاولان نقل ولاء الأندلس إلى الدولة العباسية[61]. وهذا أمر بعيد الاحتمال، لأن المنصور، كما أسلفنا، لم يكن لديه الوقت الكافي لحل مشاكله في المشرق، ناهيك عن التدخل وخلق مشاكل جديدة في المغرب والأندلس[62].

استعداداً لمهاجمة الموالي يوسف الفهري، بنى عامر حصناً في منية له كان يقال لها قناة عامر تقع في الجزء الغربي من قرطبة. وفي هذه الأثناء كانت سلطة يوسف قد ضعفت جداً بسبب مجاعة خطيرة انتشرت في كل أنحاء البلاد، فكان لا يركب معه من حشمه وحرسه سوى خمسين رجلاً أو أقل. وبسبب ضعفه لم يستطع أن يتخذ أي إجراء فعّال ضد عامر دون إستشارة الصميل. وفي جواب لرسالة بعث بها يوسف، بشأن عامر، أوصى الصميل بضرورة قتل عامر. ولكن عامراً علم بأمر هذه الرسالة عن طريق أحد عيونه، فقرر مغادرة قرطبة إلى سرقسطة ليتمكن من الإسهام في المقاومة هناك بشكل فعّال، وقد حصل على مساعدة زعيم قريشي آخر، وهو الحبحاب بن رواحة، الذي حبذ فكرة القيام على الصميل ويوسف. وكانت غالبية مؤيديها من المستقرين العرب الأوائل الذين ينتمون إلى عشائر يمنية، ومن حلفائهم من البربر، الذين كانت لهم دوافع مماثلة للإسهام في الحركة[63]. فقد كانوا يريدون حماية أراضيهم التي تأثرت بالتأكيد من وجود الشاميين في الأندلس، ومن إجراءات الصميل في المنطقة سرقسطة.

عندما سمع الصميل بالتمرد حاول القضاء عليه وذلك بإرسال جماعة من الرجال والخيالة، الذين التقوا بالمتمردين في أطراف سرقسطة. فقضى

---

(61) **الجمهرة**، ص 126؛ **أخبار مجموعة**، ص 63 ـ 64؛ **الحلة السيراء**: 2/ 345؛ ابن خلدون: 4/ 261؛ المقري: 1/ 238.

(62) انظر الفصل الرابع/استقرار جند مصر في باجة.

(63) **أخبار مجموعة**، ص 64؛ **فتح الأندلس**، ص 46؛ ابن عذاري: 2/ 42.

هؤلاء على رجال الصميل، ومن ثم ساروا إلى سرقسطة وضربوا عليها الحصار لمدة سبعة أشهر (136 ـ 137/ 753 ـ 754). وفي خلال هذه الفترة طلب الصميل المساعدة من يوسف الفهري، ولكن دون جدوى، لأن الظروف القاسية التي خلقتها المجاعة، جعلت من الصعب على يوسف تجميع أية قوى بشرية وإرسالها إلى الشمال الشرقي. وعندما فَقَد الصميل الأمل في مساعدة يوسف، كتب إلى أبناء جلدته في جندي قنسرين ودمشق يخبرهم بمحنته القاسية، ويحثهم على إرسال ما يمكنهم من إمدادات. وقد تولى زعيم كلابي قوي، هو عبيد بن علي، مهمة تجميع أولئك الذين يرغبون بالتطوع للقتال إلى جانب الصميل. ولم تكن هذه المهمة سهلة، لأن رجال القبائل في هذين الجندين، على الرغم من أصلهم القيسي، لم يكونوا متحدين تماماً. وحسبما يذكر الرازي ومؤلفا **فتح الأندلس وأخبار مجموعة** فقد كان هناك تنافس بين عشائر كعب بن عامر وعقيل وقشير والحريش، وعشائر كلاّب ومحارب وهوازن وسليم. وكان هذا التنافس، كما تروي المصادر المذكورة آنفاً، بسبب الرئاسة في الأندلس[64]. وبما أن هذا السبب الخاص ليس مقنعاً تماماً، يمكن للمرء أن يفترض أن سبب التنافس كان يعود إلى الاختلافات القائمة بين هذه العشائر، بشأن الممتلكات ومناطق النفوذ. فقد كان عدد أفراد بعض هذه العشائر، مثل كلاَّب، قليلاً، ولكن بسبب هيبتهم ونفوذهم الكبير ـ كان الصميل أحد أفراد هذه العشيرة ـ استطاعوا أن يحصلوا على أراض وممتلكات أكثر مما حصلت عليه عشائر أكبر منهم. وهذا الموقف هو الذي خلق التنافس، وكان العامل الرئيسي الذي دعا كل من سليمان بن شهاب، زعيم بني عامر، والحصين بن الدجن العقيلي، في جند دمشق، لأن يمتنعا في أول الأمر عن المساهمة في إنقاذ الصميل في سرقسطة. وكانت غطفان بعد أن فقدت شيخها، أبا عطاء، الذي

(64) **أخبار مجموعة**، ص 65؛ **فتح الأندلس**، ص 47؛ ابن عذاري (برواية الرازي): 2/ 42.

كان قد توفي في ذلك الوقت، مترددة في اتخاذ القرار الحازم بشأن المساهمة في حملة الإنقاذ. وعلى الرغم من ذلك، فقد استطاع عبيد بن علي الكلابي أن يجمع معظم العشائر القيسية في الجندين، ويتمكن أخيراً من إقناع الغطفانيين بالمشاركة في الحملة. وأدرك كل من سليمان بن شهاب والحصين بن الدجن، إن تخلفهما عن الالتحاق لن يفيدهما في شيء، لأن الصميل سينجو أن عاجلاً أو آجلاً بمساعدة بقية العشائر القيسية. كما أدركا أيضاً موقفهما هذا سوف يخلق المزيد من العداء إزاءهما، ولهذا، فقد قررا المشاركة مع بقية القيسيين في محاولتهم لإنقاذ الصميل[65].

كانت حملة الإنقاذ تتألف مبدئياً من ثلاثمائة وبضع وستين فارساً وعدد غير معروف من المشاة. وقد التحق بها فيما بعد ثلاثون شخصاً من موالي بني أمية في البيرة، وأربعمائة رجل من بكر بن وائل وبني علي من ربيعة بالقرب من وادي نهر آنة[66].

وفي محاولة لكسب ود عشائر كعب بن عامر، نصب عبيد بن علي الكلابي زعيمهم سليمان بن شهاب قائداً لهذه الحملة. وعندما وصلوا إلى طليطلة بلغهم موقف الصميل اليائس واحتمال اضطراره لأن يستسلم قبل أن يصلوا إليه. ولهذا فقد أرسلوا رسولاً إلى سرقسطة ليبلغ الصميل بقدومهم، وليشجعه على مقاومة الحصار حتى وصولهم إليه. وما إن سمع عدوا الصميل، الزهري والعبدري، بهذه الحملة القادمة، حتى تخليا عن الحصار وانسحبا عن سرقسطة. وقد رحب الصميل بمنقذيه وكافأهم بسخاء على جهودهم العظيمة التي بذلوها من أجله، ثم غادروا جميعاً الثغر، فتوجه الصميل إلى قرطبة، وسار الشاميون إلى جندهم في كل من جيان والبيرة[67].

---

(65) **أخبار مجموعة**، ص 65 ـ 66.

(66) المصدر نفسه، ص 66 ـ 67 ـ 68.

(67) المصدر نفسه، ص 68 ـ 70؛ **فتح الأندلس**، ص 47 ـ 48؛ ابن عذاري: 2/ 43.

بعد مغادرة الصميل دخل المتمردون إلى سرقسطة، واستمروا في حركتهم ضد يوسف والصميل. ويبدو أن عدد هؤلاء المتمردين كان كبيراً، ولهذا لم يجرؤ الشاميون على مجابهتهم والدخول معهم في معركة. ولكن هزيمتهم النهائية لم تتم إلاً بعد سنة تقريباً حينما اضطر يوسف الفهري نفسه إلى المسير إلى سرقسطة. وعلى الرغم من أهمية هذا التمرد، وإنه الأخير في عهد يوسف، لكنه لم يكن الاضطراب الوحيد الذي كان عليه أن يجابهه. فقد ثار المستقرون الأوائل، الذين كانوا يتألفون من العرب والبربر، في ثغر أربونة على إدارة يوسف والصميل المشتركة. وكان هذا التمرد بقيادة، عامل أربونة، الفارس المشهور عبد الرحمن بن علقمة اللخمي. وبينما كان هذا القائد يتهيأ للهجوم على يوسف في قرطبة، تمكّن الأخير من تدبير اغتياله على يد أحد أتباعه في سنة 130/ 747[68]. وتذكر المصادر أن يوسف الفهري قضى على تمرد آخر كان يتزعمه رجل عربي يدعى عروة بن الوليد. ولكن هذه المصادر لا تزودنا بتفصيلات عن ظروف هذا التمرد، باستثناء أنه وقع في باجة، وأن العديد من مؤيديه كانوا من أهل الذمة، أي من السكان المسيحيين المحليين[69]. وهذه الحقيقة مهمة جداً، لأنها تشير إلى الموقف المناوئ للسكان المحليين إزاء السياسة القاسية للشاميين في الأندلس. فقد تعاونوا مع عروة بن الوليد، الذي كان في الأغلب من المستقرين الأوائل اليمنيين، وذلك بسبب موقف هؤلاء المعتدل من العناصر غير العربية.

وبالإضافة إلى كل هذه المشاكل، فقد تعرضت مناطق معيَّنة من الأندلس في عهد يوسف الفهري إلى جفاف شديد. ابتدأ في سنة 131/ 748، واستمر، باستثناء بعض الفترات المتقطعة، لمدة ست سنوات. وقد أدى هذا

---

(68) ابن الأثير: 5/ 376؛ ابن عذاري: 2/ 38؛ المقري: 3/ 26؛ انظر أيضاً: Abadal, op. cit., p. 39.

(69) ابن الأثير: 5/ 376؛ ابن عذاري: 2/ 38؛ المقري: 3/ 26.

الجفاف إلى حدوث مجاعة في البلاد وصلت ذروتها في عام 136/ 753. وكانت هذه المجاعة قاسية جداً بحيث اضطرت الكثير من المسلمين إلى ترك الأندلس والالتجاء إلى شمال أفريقيا. وبشكل خاص إلى طنجة وأصيلا Arzila، والريف Rif. ومعظم هؤلاء النازحين كانوا من البربر الذين تركوا مناطق استقرارهم في جليقية واسترقة. لقد كان ازدياد وتنامي قوة المسيحيين في الشمال، كما يذكر مؤلف **أخبار مجموعة**، عاملاً آخر اضطر المسلمين هناك إلى المغادرة إلى شمال أفريقيا. وبحلول الحرب الأهلية بين ثوابة وأبي الخطار، لم يعد باستطاعة المسلمين في جليقية الاستمرار في إقامتهم هناك، فغلبوا على أمرهم أخيراً. وأخرجوا من هذه المنطقة في سنة 133/ 750 ـ 751. فهرب البعض إلى استورقة، بينما قتل الآخرون، أو أجبروا على التنصر. وفي سنة 136/ 753. لم يعد باستطاعة المسلمين، الذين أنهكتهم المجاعة والحروب الداخلية، أن يقاوموا المسيحيين، فأبعدوا عن استورقة ومناطق الشمال الأخرى، وأجبروا على المغادرة إلى قورية وماردة. وبسبب المجاعة العظيمة فقد ترك العديد من هؤلاء هذه الأماكن الأخيرة أيضاً متوجهين إلى شمال أفريقيا. وعبروا من وادي نهر البرباط Barbate في كورة شذونة، ولهذا، فقد سميت سنوات المجاعة في الأندلس بسني البرباط[70].

وكان يوسف الفهري منذ بداية حكمه على علم بالتهديد المسيحي في الشمال، فأرسل عدة حملات صائفة لمقاومة هذا الخطر[71]. ولكن اهتمامه الأول كان موجهاً نحو الصراع الداخلي. فقد كان مصمماً على القضاء على التمرد المستمر في سرقسطة، ولهذا، فما إن رجع الصميل إلى قرطبة، حتى استعد يوسف لحملة جديدة على المتمردين. وفي نهاية عام 137/ 754 ـ 755

---

(70) **أخبار مجموعة**، ص 61 ـ 62؛ انظر أيضاً: **فتح الأندلس**، ص 43 ـ 44؛ ابن الأثير: 5/ 492؛ ابن الشباط، ص 108؛ ياقوت: 2/ 136؛ الحميري، ص 100؛ وقارن: Livermore, p. 326.

(71) **أخبار مجموعة**، ص 63؛ **فتح الأندلس**، ص 46.

سار يوسف، يرافقه الصميل، إلى جيان، التي اتخذها قاعدة لتجميع جنده. وقد حاول أن يقنع موالي بني أمية ـ وكان هؤلاء ينتمون إلى أصل بربري أو بيزنطي، قد دخلوا الأندلس مع الشاميين[72] ـ بالالتحاق بهذه الحملة، لكنهم لم يعودوا موالين له. وكما سنوضح في الفصل القادم، فإن هؤلاء كانوا قد قرروا مساعدة عبد الرحمن بن معاوية في تولي أمر الأندلس[73]. وعندما وصل يوسف إلى سرقسطة وجد أن القتال لم يعد ضرورياً. فقد وافق المتمردون، الذين كان عددهم أقل من قوات يوسف، على تسليمه زعماءهم، وهم كل من عامر العبدري، وابنه وهب، والحبحاب الزهري. وكان يوسف يعتزم قتل هؤلاء القادة، لكنه ارتأى أن يستشير كبار رجالات جيشه في الأمر. ولكن معظم هؤلاء لم يشاطروه هذا الرأي. وكان سليمان بن شهاب والحصين بن الدجن ضمن أولئك الذين وقفوا بقوة أمام فكرة قتل الزعماء القريشيين الثلاثة. ويمكن توضيح موقف ابن شهاب وابن الدجن على ضوء امتناعهما السابق عن إنقاذ الصميل حينما كان محاصراً في سرقسطة. فمن المحتمل أنهما كانا يتعاطفان مع المتمردين ولهما ذات الاعتراضات على ازدياد جشع الصميل وتسلطه على رقاب بقية العشائر العربية في الأندلس. وهكذا، فقد نجا القريشيون الثلاثة. ولكن يوسف والصميل لم يعدما وسيلة للتخلص من ابن شهاب وابن الدجن. فأرسلاهما مع قوة صغيرة من الجيش لمقاتلة البشكنس أو الباسك في بنبلونة، الذين ثاروا على الحكم العربي الإسلامي مثل أهل جليقية. لقد كانت قوات ابن شهاب وابن الدجن، التي تألفت على الأغلب من أبناء عشيرتيهما، قليلة نسبياً، وهكذا، فليس من الغريب أن دحرت هذه القوة من قبل مقاتلي الباسك الجبليين. وقد استشهد ابن شهاب مع العديد من رجاله، بينما تمكّن ابن الدجن وبعض الناجين من الانسحاب إلى سرقسطة. وكان يوسف

(72) انظر الفصل الرابع/استقرار القبائل الشامية في الأندلس.

(73) **أخبار مجموعة**، ص 70 ـ 71؛ **فتح الأندلس**، ص 48 ـ 49.

والصميل في طريقهما إلى قرطبة عند سماعهما بهذه الأنباء. فسر الاثنان، وأمر يوسف، بنصيحة الصميل، بضرب أعناق الأسرى القريشيين، عامراً، وابنه وهب، والحبحاب[74]. وقد ظن الصميل ويوسف بعد هذا أنهما قضيا على كل أنواع المقاومة، وأن الأندلس أصبحت خالصة لهما. ولم يدركا أبداً أن تلك اللحظة بالذات كانت تحل بداية النهاية لهما، وأن عليهما أن يجابها فوراً تحدي سليل للأسرة الأموية في المشرق.

(74) **أخبار مجموعة**، ص 77؛ **فتح الأندلس**، ص 49؛ انظر أيضاً: **الحلة السيراء**: 2/ 345.



الفصل السابع

دخول عبد الرحمن الأول
وتأسيس الإمارة الأموية في الأندلس

ابتدأ العباسيون باضطهاد أفراد البيت الأموي أعقاب سقوط الخلافة الأموية في المشرق (132/ 750). فقد قُتل في حادثة واحدة فقط ما يربو على سبعين شخصية بارزة من الأمويين. وكان أحد أحفاد الخليفة هشام بن عبد الملك، وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، من المحظوظين القلائل الذين نجوا من هذه المذبحة البشعة[1]. وُلِد عبد الرحمن في سنة 113/ 731 بالقرب من دمشق في مكان يدعى دير حنين أو دير حسينة. وكانت أمه سبية بربرية من قبيلة نفزة في شمال أفريقيا. أما أبوه، معاوية، فقد توفي حينما كان عبد الرحمن طفلاً[2]. وبعد صعوبات بالغة نجح عبد الرحمن في الهرب

---

(1) **أخبار مجموعة**، ص 46 ـ 50؛ **فتح الأندلس** 44؛ **ذكر بلاد** (رقم 558) ص 127؛ ابن الأثير: 5/ 429 ـ 432، 493 ـ 494؛ المقري: 1/ 327 ـ 328.

(2) ابن عذاري: 2/ 47؛ **ذكر بلاد** (رقم 558) ص 125، (رقم 85ج) ص 90. إن تاريخ ميلاد عبد الرحمن في هاتين النسختين هو 112/ 730، وأن زناتة هي القبيلة التي تنتسب إليها =

من مطارديه العباسيين، ووصل إلى فلسطين، حيث التحق به مولاه بدر، وسالم أبو شجاع، مولى شقيقته، وكان الأخير حسن المعرفة بالأندلس وشمال أفريقيا، لأنه كان قد دخل الأندلس مع موسى بن نصير، أو بعده بقليل، وشارك في الفتوحات الإسلامية هناك[3]. وقد غادر عبد الرحمن ورفيقاه إلى مصر، ومنها إلى أفريقية، أي تونس الحالية، حيث لم تكن سلطة العباسيين قد اعترف بها هناك بعد. وكان العديد من اللاجئين الأمويين قد ذهبوا أيضاً إلى أفريقية. وعلى الرغم من هذا، فلم يكن هذا المكان محلاً مناسباً للجوء، لأن حاكمه عبد الرحمن بن حبيب الفهري، الذي لم يعترف، بالعباسيين، كان يحاول أن يستقل بالحكم، وأن يجعل الولاية وراثية في ذريته. ولهذا السبب فقد أصبح قلقاً جداً لوجود العديد من الأمراء الأمويين في بلاده. فدبر قتل ابني الخليفة الوليد الثاني، وقرر إبادة الآخرين، لكن عبد الرحمن نجح في الهرب إلى غرب شمال أفريقيا حيث طلب الأمان بين قبائل البربر. تنقل عبد الرحمن من مكان لآخر ما يقرب من خمس سنوات. فأقام أولاً عند قبيلة مكناسة البربرية، ثم غادر إلى المغرب حيث حصل على تأييد البربر في قبيلة والدته، نفزة[4]. وقد نجح أيضاً في الحصول على حماية قبائل كبيرة في المنطقة، مثل زناتة ومغيلة. وعمل أحد زعماء هذه القبيلة الأخيرة، وهو أبو قرة، أو ابن قرة وانسوس على إخفائه

= والدته. ويشير مؤلف **أخبار مجموعة**، ص 50 إلى أن مسكن عبد الرحمن كان في مكان يدعى دير حنّة في منطقة قنسرين. أما المقري فيذكر (برواية ابن حيان): 3/ 48 أن هذا المكان بالذات كان يقع بالقرب من دمشق، وانظر أيضاً: المصدر نفسه: 1/ 333.

(3) **أخبار مجموعة**، ص 54 ـ 56.

(4) المصدر نفسه: ص 55؛ **فتح الأندلس**، ص 45؛ **ذكر بلاد** (رقم 558) ص 129؛ ابن الأثير: 5/ 494؛ **الحلة السيراء**: 1/ 35؛ ابن عذاري (برواية الرازي): 2/ 41؛ النويري: 22/ 3، ق1؛ **الإحاطة**، م. تونس جـ3 الورقة 80أ؛ **الإحاطة**، م. الأسكوريال (رقم 1673)، ص 240، الإحاطة م. مدريد (رقم 4891) ص 461؛ ابن الخطيب، **التكملة**، ص 101.

في أثناء فترة إقامته الأخيرة في شمال أفريقيا[5]. ومن هذا المكان ابتدأ عبد الرحمن بالاتصال بموالي بني أمية في الأندلس. وكما ذكرنا آنفاً، فإن هؤلاء كانوا من أصول بيزنطية أو بربرية أو أفريقية. وقد رافق العديد منهم بلج بن بشر عندما دخل إلى الأندلس قبل بضع سنوات، ولهذا فقد سموا بالموالي الشاميين. وبما أن العديد من هؤلاء كانوا على اتصال وثيق بالبيت الأموي، فقد عرفوا أيضاً بموالي بني أمية[6]. وقد شكّل نحو خمسمائة رجل من هؤلاء جزءاً من جندي دمشق وقنسرين، واستقروا في منطقتي البيرة وجيان. ومع هذا، فقد عاش بعضهم أيضاً في أماكن أخرى. وكان أبو الحجاج يوسف بن بخت زعيماً للموالي في جيان، بينما كان كل من أبي عثمان عبيد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد من زعماء الموالي في جند دمشق في البيرة[7].

لقد تملك هؤلاء الموالي، وبخاصة زعماؤهم، الأراضي والممتلكات وكان لهم نفوذ عظيم، وهيبة قوية بين بقية المستقرين في الأندلس. يضاف إلى ذلك، أنهم خالطوا كبار القادة من الشاميين والبلديين، فضلاً عن السكان المحليين وأفراد الأسرة القوطية الحاكمة السابقة. وكما أسلفنا، فإن ارطباس بن غيطشة، منح عشر ضياع لكل واحد من قادة الموالي الثلاثة المذكورين آنفاً، وعاملهم، كأنداد للصميل وبقية القادة، الشاميين الذين دعاهم جميعاً بـ «الملوك»[8] وقد اتخذ أبو عثمان مسكنه في طرش Torrox، قرية صغيرة تقع بين لوشة Loja، وإزناخار Iznájar، وهي إحدى الضياع

---

(5) ابن القوطية، ص 21؛ **أخبار مجموعة**، ص 74؛ ابن خلدون: 6/ 255؛ المقري: 1/ 333؛ انظر أيضاً: **فتح الأندلس**، ص 44؛ ابن الأثير: 5/ 494؛ النويري: 22/ 3 ـ 4، ق1؛ المقري: 3/ 29.

(6) انظر الفصل الرابع/ استقرار القبائل الشامية في الأندلس.

(7) **أخبار مجموعة**، ص 66 ـ 67، 70؛ ابن عذاري (برواية الرازي): 2/ 42؛ المقري (برواية ابن عبد الحكم): 3/ 29.

(8) ابن القوطية، ص 38 ـ 40.

العشر التي أعطيت له من قِبل ارطباس[9]. وكذلك فقد أقام عبد الله بن خالد في الفنتين Alfontin، بالقرب من لوشة، وهي أيضاً إحدى قُرى ارطباس[10].

إن عبد الرحمن الذي كان مختبئاً في المنطقة المقابلة للساحل الإسباني، كان يعلم بالتأكيد عن الصراع والاضطراب الموجود في الأندلس. ولقد عرف الكثير أيضاً عن هذه الولاية من أبي شجاع، مولى شقيقته، الذي كان قد غادر في ذلك الوقت إلى المشرق[11]. ولهذا، فقد قرر عبد الرحمن أن يجرب حظه في هذه البلاد. فأرسل رسالة مع مولاه بدر إلى قادة موالي بني أمية في البيرة. وقد شرح في هذه الرسالة موقفه، وكيف أنه عانى الكثير من المتاعب، وتعرض إلى المطاردة المستمرة من قبل العباسيين، وحاكم أفريقية لمدة خمس سنوات. وذكرهم بأنهم موالي بيته، ولذا فمن حقه عليهم أن يحموه ويساعدوه وأخبرهم أيضاً بأنه لا يتمكن من الدخول إلى الأندلس، لأن حاكمها يوسف الفهري سيعدّه عدواً، مثله في هذا مثل حاكم أفريقية. وسألهم أخيراً أن يبلغوه عن إمكانية إعادة السلطة الأموية في الأندلس[12]. وقد عبَر بدر إلى الأندلس في نهاية عام 136/ حزيران 754، وقابل أبا عثمان في طرش[13]. فأرسل الأخير إلى عبد الله بن خالد، وقرر الاثنان إستشارة يوسف بن بخت، زعيم الموالي في جند قنسرين[14].

---

(9) ابن القوطية، ص 24، 40؛ **أخبار مجموعة**، ص 80. وفي ص 76 من المصدر نفسه، نسبت هذه القرية خطأً إلى أبي الحجاج يوسف بن بخت. انظر: **فتح الأندلس**، ص 51؛ المقري: 3/ 32. ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه القرية هي ليست قرية Torrox الحديثة، الواقعة على الشاطئ إلى الغرب من المنكب Almunécar، انظر: **المقتبس**، نشر: أنطونيا، ص 115، 141؛ انظر أيضاً؛ (ملحق **أخبار مجموعة**، ص 25)؛ Lafuente y Alcantara, «Indice geogràfico», Dozy, p. 176.

(10) ابن القوطية، ص 24، 40؛ La fuente y Alcantara, op. cit, p. 5

(11) **أخبار مجموعة**، ص 55 ـ 56.

(12) المصدر نفسه، ص 67؛ المقري (برواية ابن عبد الحكم): 3/ 29.

(13) ابن عذاري: 2/ 41.

(14) ابن القوطية، ص 21؛ **أخبار مجموعة**، ص 67.

بعد مناقشة رسالة عبد الرحمن، قرر الزعماء الثلاثة أن مشروعه في إعادة الحكم الأموي إلى الأندلس يستحق المحاولة. ويذكر ابن عبد الحكم أن أبا عثمان طمع في المكاسب التي سترافق نجاح قضية عبد الرحمن، ولهذا فقد قرر أن يتكفل بها ويعمل على تأييدها[15]. ويعود السبب في هذا، بطبيعة الحال إلى أن نجاح عبد الرحمن سيضمن بالتأكيد مصالح الموالي، خاصة تملكهم للعديد من الضياع الممتازة. هذا فضلاً عن أنه سيعهد إليهم بكل المناصب العالية في حكومته الجديدة. ولكنهم مع ذلك، فضلوا التعرّف على رأي الصميل إزاء هذه المسألة قبل أن يرسلوا أي جواب لعبد الرحمن. ولقد كانوا مقتنعين بأنه في حالة رفض الصميل لهذا الأمر، فهو لن يخونهم[16] وفي رواية أخرى، أن عبد الله بن عبد بن خالد كان يشك في مساعدة الصميل، لأن أي تغيير في نظام الحكم في الأندلس، سيجرد الصميل بالتأكيد من قوته ونفوذه في البلاد. ولهذا السبب، فقد توصلوا إلى أنه من الأفضل إخفاء غرض عبد الرحمن الحقيقي، والاكتفاء بطلب مساعدة الصميل له قائلين أن عبد الرحمن لا يريد إلاّ الحماية والأمان، ومنحه الأخماس التي تعود إلى جده هشام بن عبد الملك[17].

في هذه الأثناء كان الصميل محاصراً في سرقسطة. ومن أجل مقابلته وإبداء الجميل له ولعشائره، القيسية، شارك زعماء الموالي الثلاثة، مع ثلاثين فارساً يصحبهم بدر مولى عبد الرحمن، في حملة الإنقاذ التي غادرت لنجدة الصميل. وكما أوضحنا آنفاً، فقد كانت الحملة ناجحة، وسر الصميل سروراً عظيماً بمنقذيه[18]. وقد باح الزعماء الثلاثة بسرهم إلى الصميل في أثناء عودتهم إلى قرطبة، وطلبوا مشورته. وأوضحوا له بأنهم سوف يتبعون

---

(15) المقري (برواية ابن عبد الحكم): 3/ 29.

(16) المصدر نفسه: 3/ 30؛ **أخبار مجموعة**، ص 67؛ ابن عذاري: 2/ 42 ـ 43.

(17) المقري (برواية ابن عبد الحكم): 3/ 30.

(18) راجع الفصل السادس.

رأيه، وذلك بالموافقة على أي أمر يقبل به، والامتناع عما يرفضه. فوعدهم بأنه سوف يفكّر في المسألة، وكافأ بدراً بقطعة ثياب وعشرة دنانير، لكنه لم يلزم نفسه بأي شيء قبل أن يصل إلى قرطبة[19]. وذهب الموالي الأمويون إلى مناطق استقرارهم في البيرة وجيان. وانتظروا هناك لبضعة أشهر حتى حانت لهم الفرصة لرؤية الصميل مرة أخرى. وفي الوقت نفسه، عبر بدر إلى شمال أفريقيا ليعلم سيده بنتيجة رحلته[20]. وفي ذلك العام (137/ 754 ـ 755) كان يوسف الفهري تواقاً لإخضاع المتمردين في سرقطة. فأمر باستدعاء الأجناد، وأرسل في طلب كل من أبي عثمان وعبد الله بن خالد لحث موالي بني أمية على الالتحاق بجيشه المتوجه لمحاربة المتمردين. ولم يكن الموالي، بطبيعة الحال، راغبين بمساعدة الحاكم، فأخبراه بعدم توفر القدرة لدى أي فرد من جماعتهم للمساهمة في الحملة، بسبب المجاعة المستمرة في البلاد. وأضافوا أيضاً بأن أولئك الذين بقيت فيهم بعض القوة، ساهموا في حملة الإنقاذ التي خلّصت الصميل، وهم الآن منهكون من رحلتهم الشتوية المتعبة. وقد عرض عليهم يوسف مبلغ ألف دينار لتشجيع أتباعهم وتقويتهم، لكنهما رفضا تسلّم المبلغ وعداه قليلاً بالنسبة لخمسمائة رجل من الموالي. وبعد مغادرتهما ليوسف فكرا في أمر المال وإمكانية استخدامه والانتفاع منه في قضيتهم الخاصة، فرجعا إليه وأخذا الألف دينار. ثم وزعا قسماً من هذا المال على اتباعهما دون مطالبتهم بالالتحاق بجيش يوسف، واحتفظا بالبقية لوقت الحاجة. وفي ذي القعدة 137/ نيسان أيار 755 وصل يوسف إلى جيان لإستكمال التجمع النهائي لجيشه. وعندما استفسر عن موالي بني أمية، أجابه أبو عثمان هذه المرة؛ بأنهم سيلحقون الأمير بالتأكيد في طليطلة، وذلك بعد أن يحصدوا شيئاً من شعيرهم، لأن سنة 137/ 754 ـ 755 كانت سنة رخاء ولم يكن لدى يوسف ما يثير الشك في أبي

(19) **أخبار مجموعة**، ص 70؛ **فتح الأندلس**، ص 48؛ ابن عذاري: 2/ 43.

(20) المصدر نفسه: 2/ 41.

عثمان، فصدقه، وسمح له بالرجوع إلى منطقة استقراره، بينما غادر هو إلى طليطلة. ولكن أبا عثمان لم يغادر، بل بقي لمقابلة الصميل، الذي كان ما يزال معسكراً هناك. وقد طلب أبو عثمان، يرافقه في ذلك عبد الله بن خالد، مقابلة الصميل على انفراد. فذكراه بطلبهم السابق الذي يتعلق بعبد الرحمن بن معاوية فأخبرهما بأنه لم ينسَ المسألة أبداً، وأنه قد فكّر فيها ملياً، وكتم أمرها ولم يشاور فيها قريباً ولا بعيداً. وأعلمهما بأنه يرى أن عبد الرحمن حقيق بنصره مساعدته، وسألهما أن يكتبا إليه ويدعواه لدخول الأندلس. وأضاف الصميل بأن يوسف الفهري لن يتدخل في هذا الأمر وأنه، أي الصميل، سوف يشير عليه بأن يزوج ابنته من عبد الرحمن، حتى يصبح واحداً منهم. فإذا فعل يوسف هذا، استحق عليه الشكر من قبل الجميع وإن كره، كما يضيف الصميل «هان علينا أن نقرع صلعته بسيوفنا»[21] وقد فرح زعيما الموالي لسماع مثل هذا الجواب الشافي، وخرجا من عند الصميل، وهما يعتقدان بأنهما قد وفقا في خطتهما.

على الرغم من ادعاء الصميل بأنه وافق على تأييد عبد الرحمن، يبدو أنه لم يكن متأكداً تماماً من موقفه إزاءه. فيروى بأنه حينما أعطى جوابه الإيجابي لأبي عثمان وعبد الله بن خالد كان لا يعي تماماً إثر دخول عبد الرحمن إلى الأندلس[22]. ولهذا، فبعد مغادرتهما له فكر الصميل أكثر بشأن الأمر والنتائج الخطيرة التي قد تتمخض عن تولي أمير أموي للأندلس لأن الصميل بالتأكيد سيكون أول من يفقد نفوذه القوي في البلاد. وما إن أدرك ذلك، حتى بادر بنفسه بالتوجه للحاق بزعيمي الموالي، ولم ينتظر استدعاءهما إليه. وأخبرهما عن تغيير رأيه إزاء قضية عبد الرحمن موضحاً لهما عدم تمكنه من تأييده، لأنه سليل أسرة قوية يكفي أي فرد منها أن

---

(21) **أخبار مجموعة**، ص 70 ؛ 72؛ **فتح الأندلس**، ص 48 ـ 49؛ انظر أيضاً: ابن القوطية، ص 23؛ ابن عذاري: 2/ 43؛ المقري: 3/ 30.

(22) **أخبار مجموعة**، ص 71؛ **فتح الأندلس**، ص 48.

يطغى بنفوذه على كل زعماء الجزيرة ويضمنهم الصميل نفسه، كما ذكّرهما بأنهم جميعاً ملزمون بطاعة يوسف الفهري، الذي يعمل دوماً بمشورتهم، على الرغم من كونه حاكم البلاد. واختتم الصميل كلامه بالقول بأن سيفه سيكون أول سيف يسل على سيدهما، ولكنه مع ذلك على استعداد لمساعدته فيما إذا تخلى عن المطالبة بالسلطان والولاية، وأن يوسف الفهري أيضاً سوف يزوجه من ابنته ويواسيه[23].

وبعد أن فقد زعيما الموالي كل أمل في مساعدة الصميل، ثم مساعدة جندي قنسرين ودمشق، التفتا إلى اليمنيين، الذين كانوا يضمون العديد من المستقرين الأوائل، ومعظم رجال الأجناد في حمص والأردن، وفلسطين. ومن هنا، فقد ابتدأوا في طريق عودتهم، بدعوة كل من يوثق به عن الشخصيات المتنفذة من قادة اليمنيين لتأييد قضية عبد الرحمن. وكانت استجابة اليمنيين مشجعة جداً[24]. ويعود السبب في هذا، كما أسلفنا سابقاً[25]، إلى امتعاضهم من إدارة الصميل ويوسف التي استهدفت تجريدهم من بعض ممتلكاتهم لصالح مؤيدي الصميل من جندي قنسرين ودمشق. ولقد كان هؤلاء اليمنيون، بالإضافة إلى العديد من جماعات المستقرين العرب الأوائل، والبربر، وحتى بعض الأفراد القيسيين من جندي دمشق وقنسرين، الذين نفروا أيضاً من سياسة الصميل، يفضلون أي تغيير سياسي في البلاد، فسارعوا بالانضمام إلى حركة عبد الرحمن وتأييدها[26].

تهيأ موالي بني أمية للأعداد لدخول عبد الرحمن إلى الأندلس، وقد

---

(23) **أخبار مجموعة**، ص 74؛ انظر أيضاً: ابن القوطية، ص 23 ـ 24؛ ابن عذاري: 2/ 44؛ المقري: 3/ 30 ـ 31.

(24) المصدر نفسه: 3/ 31؛ **أخبار مجموعة**، 74؛ ابن عذاري: 2/ 44. راجع الفصل السادس.

(25) راجع الفصل السادس.

(26) قارن: أخبار مجموعة ص 74 ـ 84 ابن عذاري 2/ 44، المقري: 3/ 31 أنظر أيضاً: ابن الكردبوس ص 55 ـ 56.

استغلوا في ذلك نجاحهم في الدعوة له، وانشغال الصميل ويوسف في حملتهم على المتمردين في سرقطة. فاشتروا قارباً، وأرسلوا، خمسمائة دينار مع وفد يتألف من أحد عشر عضواً، يرافقهم بدر ـ الذي كان قد رجع من شمال أفريقيا في ذلك الوقت ـ وكان هذا الوفد، الذي يترأسه تمام بن علقمة الثقفي، يتألف في معظمه من الموالي. وكان على تمام أن ينفق المال على مصاريف الأمير، ويوزع الباقي على مضيفيه من بربر مغيلة[27]. وعند وصولهم إلى شمال أفريقيا، قدَّم بدر تماماً وبقية أصحابه إلى سيده عبد الرحمن، وأخبره عن نجاحهم في الأندلس. وبعد أن تمَّ إرضاء بربر مغيلة، أبحر الأمير إلى الشاطئ الإسباني فنزل بالمنكّب Almunécar في ربيع الثاني 138/ أيلول 755[28]. وقد استقبل من قِبل عبد الله بن خالد، وابن عثمان، اللذين أخذاه أولاً إلى منزل ابن خالد في الفنتين، ومن ثم إلى مسكن أبي عثمان في طرش، بالقرب من لوشة في منطقة البيرة[29].

يذكر ابن حيان، ومؤلف **فتح الأندلس**، إنه ما إن سمع يوسف الفهري بوصول عبد الرحمن، حتى كتب إلى عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر، عامله على البيرة، يأمره فيها بالقبض على الداخل. وقد أجاب ابن سعد أنه من الصعب إتخاذ أي إجراء ضد عبد الرحمن، الذي كان محمياً من قبل مواليه، وعدد كبيرة آخر من المؤيدين، ولن يتمكن أحد من التصدي له

(27) **أخبار مجموعة**، 74؛ انظر أيضاً: ابن القوطية، ص 24؛ **فتح الأندلس**، ص 51؛ ابن الأثير: 5/ 494؛ ابن عذاري: 2/ 44؛ المقري: 3/ 31.

(28) يذكر ابن الخطيب أن عبد الرحمن لم ينزل في المنكب ذاتها. ولكن في قرية أخرى تدعى شاط، تقع على نحو تسعة عشر كيلومترا منها، انظر: **الإحاطة**، م. مدريد (رقم 4891) ص 461؛ **الإحاطة**، م. الأسكوريال (رقم 1673) ص 240؛ **الإحاطة**، م. تونس، ج3، الورقة 80أ؛ انظر أيضاً: الادريس، ص 199.

(29) ابن القوطية، ص 24؛ لنظر أيضاً: **أخبار مجموعة**، ص 75 ـ 76؛ **فتح الأندلس**، ص 51؛ ابن الأثير: 5/ 494؛ **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 92؛ ابن عذاري: 2/ 44؛ النويري: 22/ 3 ـ 4، ق1؛ المقري: 3/ 31 ـ 32.

سوى الأمير يوسف نفسه[30]. وقد علم موالي بني أمية بهذه المراسلات، ولهذا، فقد أخفوا عبد الرحمن في المناطق الجبلية، المجاورة. وفي الوقت نفسه، حاولوا تضليل يوسف الفهري بالكتابة إليه بأن عبد الرحمن لم يعبر إلى الأندلس طالبا الملك والسلطان، كما يظن الأمير بل جاء يطلب الثراء والأمان بين مواليه[31]. وتبعاً لما يذكره مؤلف **أخبار مجموعة**، فإن عامل البيرة، هاجم فعلاً عبد الرحمن وحماته، لكنه هزم وقد أعلم يوسف الفهري بهذا، وبكل الموقف المتعلق بدخول عبد الرحمن، من قبل رسول أرسلته زوجته أم عثمان[32] وصل هذا الرسول إلى يوسف حينما كان عائداً بجيشه من سرقطة، بعد أن قضى على التمرد هناك، وأعدم قادته القريشيين الثلاثة، عامراً العبدري، وابنه وهب، والحبحاب الزهري[33]. وقد نصح الصميل، يوسف بوجوب الزحف فوراً لملاقاة عبد الرحمن. ويبدو أن يوسف كان يرغب في هذا، ولكن هذه الأنباء انتشرت بين صفوف الجيش، وسببت قلقاً عظيماً في المعسكر. يضاف إلى ذلك، الكآبة العميقة التي سببها فقدان العديد من الرجال مع ابن شهاب في منطقة الباسك. ومن هنا فقد رفض بقية جنود يوسف الشروع في حملة جديدة، ولم يبقَ معه من أجناد اليمن، أي إشبيلية وشذونة، ورية، سوى عشرة رجال، بينما تفرّق الباقون. أما بقية الجيش الذي يضم الشاميين السابقين في جندي جيان والبيرة، فقد ظلوا، لكنهم كانوا قد ملوا من السفر، لهذا فقد حاولوا تهوين الأمر على يوسف وإقناعه بالمضي إلى قرطبة أولاً. وظل الصميل على رأيه الأول، لكن حلول الشتاء، والأمطار، والفيضانات، جعلت من المستحيل الاستمرار بالحملة،

(30) ابن سعيد (برواية ابن حيان): 2/ 161؛ المقري (برواية ابن حيان): 2/ 330؛ **فتح الأندلس**، ص 51 ـ 52.

(31) المصدر نفسه، ص 52؛ ابن عذاري: 2/ 44 ـ 45.

(32) **أخبار مجموعة**، ص 78؛ وتبعاً لما يذكره المقري: 3/ 32؛ فإن الرسول كان قد أرسل من قبل عبد الرحمن بن يوسف.

(33) راجع الفصل السادس.

لذلك تركوا الزحف على عبد الرحمن، وتوجهوا إلى قرطبة.

في أثناء الشتاء حاول يوسف التفاوض مع عبد الرحمن من أجل التوصل إلى حل وسط. فأرسل إليه وفداً يضم عبيد بن علي الكلابي، وكاتبه خالد بن زيد، ومولاه عيسى بن عبد الرحمن، الذي كان على أرزاق الأجناد، وحمل هذا الوفد الهدايا إلى عبد الرحمن وكانت تتضمن بعض الملابس، وفرسين، وبغلين، ووصيفين، وألف دينار[34]. وكانت لدى هؤلاء الرسل تعليمات بعرض الثراء والزواج من إحدى بنات يوسف على عبد الرحمن، فيما إذا كف عن الادعاء بحقه في حكم الأندلس[35]. لكن ابن عذاري، ومؤلف **فتح الأندلس**، يشيران إلى أن الوفد عرض أيضاً على عبد الرحمن ولاية منطقتين، هما جند دمشق في البيرة وجند الأردن في رية[36]. ويضيف ابن عذاري، أن عبد الرحمن قبل الهدايا، لكنه كره الزواج، وهذا الأمر أزعج أحد الرسل، وهو خالد بن زيد، الذي أغلظ في كلامه لعبد الرحمن، فأمر الأخير بالقبض عليه، فتوقفت المفاوضات[37]. وعلى الرغم من الاختلاف بين روايتي **أخبار مجموعة وفتح الأندلس**، فإن المصدرين يتفقان على أن موالي بني أمية كانوا وراء فشل المفاوضات. فيذكر مؤلف المصدر الأخير، أن الموالي الأمويين، حثوا عبد الرحمن على رفض شروط يوسف والاستمرار بالمطالبة في حكم كل الولاية لأنه حفيد الخليفة هشام بن عبد الملك. ولهذا فهو قد احتفظ بالهدايا، وأعاد الرسل دون أي جواب[38]. ولكن رواية **أخبار مجموعة** هي الأكثر تفصيلاً بهذا الشأن. فهي تشير إلى أن رسل يوسف ساروا نحو طرش، ولكنهم ما إن

---

(34) **أخبار مجموعة**، ص 79؛ ويشير كل من ابن عذاري: 2/ 45، مؤلف **فتح الأندلس**، ص 52 إلى أن المبلغ كان خمسمائة دينار.

(35) **أخبار مجموعة**، ص 80.

(36) ابن عذاري: 2/ 45؛ **فتح الأندلس**، ص 52.

(37) ابن عذاري: 2/ 45.

(38) **فتح الأندلس**، ص 52 ـ 53؛ انظر أيضاً: ابن عذاري: 2/ 46.

وصلوا أُرش Orch في أدنى كورة رية، حتى تركوا أحدهم وبمعيته الهدايا، وهو عيسى بن عبد الرحمن. وكان عليه أن يرجع بهذه الهدايا إلى قرطبة في حالة عدم التوصل إلى اتفاق مع عبد الرحمن. وفي أثناء المفاوضات، كان عبد الرحمن ميالاً للاتفاق، وطلب من أبي عثمان أن يجيب على رسالة يوسف. ويبدو أن أبا عثمان، بل كل الموالي الأمويين، لم يكونوا راضين عن نتائج المفاوضات. وكما أوضحنا آنفاً، فإن أبا عثمان توقع حظوة عظيمة، ومكانة عالية بتأييده لقضية عبد الرحمن(39). ولهذا فقد استغل حدوث خصام مع خالد بن زيد، أحد الرسل، بشأن الرسالة، وألقى القبض عليه. وذكر الموالي الأمويون لعبد الرحمن، بأن هذا الحادث هو أول نصر لهم على يوسف الفهري، ثم أطلقوا سراح الرسول الثاني، عبيد بن علي الكلابي، وحاولوا الاستيلاء على الهدايا في أُرش، ولكن عيسى بن عبد الرحمن، الذي علم بنبأ الخصام، نجح في الفرار والعودة بها إلى قرطبة(40).

وكان الموالي الأمويون، الذين عرفوا الموقف الدقيق للصميل، لا يعتقدون أبداً في إمكانية التوصل إلى حلّ وسط بين عبد الرحمن ومنافسيه. ولهذا، فقد شرعوا فور وصوله إلى الأندلس بالقيام بسلسلة من الاتصالات مع مختلف الجماعات التي تعيش في المناطق المجاورة. فذهب يوسف بن بخت إلى كورة رية حيث ضمن تأييد جند الأردن. وكذلك ذهب عبد الله بن خالد إلى جند فلسطين في شذونة(41). وفي الوقت نفسه، بقي أبو عثمان في طرش ليهتم بأمر عبد الرحمن، ولينظم أولئك الذين جاءوا لنصرته(42) ولقد كانت ردود فعل الجندين المذكورين آنفاً مشجعة جداً. أما جندي قنسرين

---

(39) راجع ما ذكرناه في بداية هذا الفصل عن موالي بني أمية.

(40) **أخبار مجموعة**، ص 80 ـ 82.

(41) ابن عذاري: 2/ 45.

(42) **أخبار مجموعة**، ص 76.

ودمشق، فقد وقفت بجانب يوسف والصميل. وعلى الرغم من ذلك، فقد التحق بعض أفرادهما بعبد الرحمن. وهؤلاء هم كل من جابر بن العلاء بن شهاب، وأبو بكر بن هلال بن الطفيل العبدي، والحصين بن الدجن العقيلي[43]. ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن يتذكر المرء أن عم جابر، سليمان بن شهاب، والحصين بن الدجن كانا من بين قادة جند دمشق، بخلاف موقف الصميل وكثير من أتباعه، لم يحصلا على الكثير من الممتلكات والمصالح في الأندلس. ولذلك، فقد عارضا سياسته، ولكن الصميل تمكّن من التخلص من ابن شهاب، وأرسله إلى حتفه في منطقة الباسك[44]. ويُروى أيضاً أن الصميل كان قد ضرب مرة هلال العبدي، ولكن لا تتوفر لدينا معلومات أخرى عن هذه الحادثة[45]. والتحق بعبد الرحمن أيضاً ثلاثة أفراد من ثقيف، وهم تمام بن علقمة، وعاصم بن مسلم الثقفي، وأخيه عمران[46]. ومن جندي البيرة وجيان، نال عبد الرحمن تأييد بني أضحى الهمدانيين، وبني حسان وبني عمر الغسانيين في وادي آش، وكذلك ميسرة وقحطبة من طيء في جيان[47].

ونظراً لعدم توفر مؤيدين كثيرين في كورة البيرة، قرر الموالي الأمويون وعبد الرحمن مغادرة هذه الكورة إلى أجناد اليمن في رية وشذونة وإشبيلية، أي أجناد الأردن وفلسطين وحمص[48]. وفي رمضان 138/ شباط ـ آذار 756 ساروا بستمائة فارس إلى كورة رية. وقد استقبلوا هناك من قبل جدار بن مسلمة بن عمرو المذحجي، قائد جند الأردن[49]. وفي أول أيام عيد الفطر،

(43) انظر: ابن القوطية، ص 22؛ **أخبار مجموعة**، ص 82؛ المقري: 3/ 52.
(44) راجع الفصل السادس.
(45) **أخبار مجموعة**، ص 82.
(46) المصدر نفسه، ص 82.
(47) ابن القوطية، ص 22.
(48) **أخبار مجموعة**، ص 82.
(49) المصدر نفسه، ص 83؛ **فتح الأندلس**، ص 53؛ ابن عذاري: 2/ 46.

طلب جدار من خطيب جامع أَرجُذُونة أو أَرشُذُونة Archidona، قاعدة كورة رية، أن يخلع يوسف الفهري ويخطب لعبد الرحمن بن معاوية كأمير للبلاد. وقد وافق كل المستقرين في أرشذونة على هذا القرار، وأقسموا يمين الولاء لعبد الرحمن(50). وأقام الأمير وموالية نحو عشرين يوماً في رية، أرسلوا خلالها رسولاً إلى عبد الرحمن بن عوسجة(51)، الزعيم البربري في منطقة تاكُرنا. وقد وافق الأخير على تأييد عبد الرحمن، ووصل أربعمائة فارس من موالي الأمويين من بني الخليع في تاكُرنا، والتحقوا بقوات عبد الرحمن(52). وتذكر إحدى الروايات أن بني الخليع ينتمون إلى ولهاصة، وهي فرع من نفزة، القبيلة البربرية التي تنتمي إليها والدة عبد الرحمن(53)، وعلى الرغم من ذلك يمكن للمرء أن يفترض بأن هؤلاء القوم، وكذلك الجماعات البربرية الأخرى التي أبدت قضية عبد الرحمن، كانوا جميعاً يعملون بالتنسيق مع اليمنيين. لقد اعتقد البربر أن التعاون مع العشائر اليمنية المعتدلة من أجل تغيير النظام القائم سوف يعمل بالتأكيد على تحسين الوضع في الأندلس لصالحهم. فقد كان للطرفين الموقف نفسه إزاء سيطرة الصميل على البلاد، لأن ممتلكات البربر وحيازتهم للأرض تأثرت، كما هو الحال بالنسبة لليمنيين، نتيجة لإجراءات الصميل. ومن الناحية الأخرى، كان هناك جماعات أخرى من البربر ساندت الصميل ويوسف(54). وكان هؤلاء، بطبيعة الحال، حلفاءهم المنتفعين الذين فضلوا، مثلهم في هذا مثل الشاميين السابقين في جُندَي جبان والبيرة، استمرار الوضع القائم.

---

(50) ابن القوطية، ص 25؛ وعلى العكس من جميع المصادر الأخرى، فإن هذا المؤلف ينسب جداراً إلى القبائل القيسية.

(51) ويدعى هذا الزعيم البربري أيضاً باسم عبد الأعلى بن عوسجة، انظر: **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 92؛ انظر أيضاً: **فتح الأندلس**، ص 55؛ ابن عذاري: 2/ 47.

(52) ابن القوطية، ص 25؛ **فتح الأندلس**، ص 53.

(53) **مفاخر البربر**، ص 79.

(54) **أخبار مجموعة**، ص 88.

وعندما غادر عبد الرحمن رية إلى شذونة كان عدد مؤيديه نحو ألفي فارس[55]. وقد ازداد هذا العدد حينما وصل إلى إقليم مغيلة في كورة شذونة، حيث التحق به عدد كبير من بني إلياس، الذين ينتمون إلى قبيلة مغيلة البربرية[56]. وفي شذونة، التي كانت مقر استقرار جند فلسطين، استقبل عبد الرحمن بشكل خاص من قبل كبار القادة هناك، وهم غياث بن علقمة اللخمي، الذي كان في الأغلب حاكم المنطقة، وأبو علاقة الجذامي، وزياد بن عمرو الجذامي، وهو الجد الأعلى لبني زياد الشذونيين. وقد التحق بقية هذا الجند ـ باستثناء بني كنانة الذين وقفوا مع يوسف ـ وكذلك المستقرين العرب الأوائل في شذونة، بجيش عبد الرحمن[57]. ومن شذونة أخبر الموالي الأمويون جند حمص في إشبيلية وبقية المستقرين في الغرب عن مسيرتهم إليهم. وبعد وصول رد هؤلاء الإيجابي، سار عبد الرحمن ومؤيدوه نحو إشبيلية. وقد مروا من طريقهم بمورور، التي كانت مقراً لاستقرار العديد من البربر البتر والبرانس. وكان هؤلاء بقيادة إبراهيم بن شجرة البرنسي، الذي استقبل عبد الرحمن ودخل في طاعته مع أهل مورور جميعاً[58]. ثم استمر عبد الرحمن في زحفه إلى إشبيلية حيث رحب به هناك من قبل اليمنيين من الشاميين والبلديين على حد سواء، خاصة سادة المنطقة الغربية وعلى رأسهم أبو الصباح يحيى اليحصبي، وحيوة بن ملامس الحضرمي. فقبلوا سيادته وأقسموا له يمين الطاعة، وحذا حذوهم بقية المستقرين في الغرب الذين جاءوا إلى إشبيلية يتقدمهم شيخهم عمرو بن

---

(55) ابن عذاري: 2/ 46.

(56) ابن القوطية، ص 25.

(57) ابن القوطية، ص 22، 25؛ انظر أيضاً: **فتح الأندلس**، ص 52؛ **أخبار مجموعة**، ص 83؛ ابن الأثير: 5/ 494؛ ابن عذاري: 2/ 46؛ المقري: 1/ 328.

(58) **فتح الأندلس**، ص 53؛ لنظر أيضاً: **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 92؛ ابن الأثير: 5/ 494؛ ابن عذاري: 2/ 46؛ وانظر الفصل الرابع/ استقرار البربر في الجنوب.

طالوت اليحصبي[59].

ازدادت قوات عبد الرحمن بشكل كبير بعد أن تعززت بانضمام المزيد من اليمنيين والبربر من المناطق المختلفة. فأصبحت تتألف من ثلاثة آلاف فارس وعدد غير محدد من المشاة. وبقي عبد الرحمن خلال الأيام الأخيرة من شوال وذي القعدة 138/آذار ـ نيسان 756 في إشبيلية لينظم جيشه. وفي هذه الأثناء حاول الصميل ويوسف، اللذان علما بزحف عبد الرحمن ووصوله إلى جند حمص، أن يأخذا جانب المبادرة، فسارا نحو إشبيلية بمؤيديهما من جندي قنسرين والبيرة. وما إن سمع عبد الرحمن بهذا، حتى قرر المسير إلى قرطبة والاستيلاء عليها بشكل مفاجئ. ولكن عندما أدرك يوسف والصميل، اللذان كانا يتقدمان بمحاذاة الجانب الآخر من نهر الوادي الكبير، غرض عبد الرحمن، عادا أدراجهما إلى قرطبة. وهكذا فقد تقابل الجيشان وجهاً لوجه لا يفصلهما سوى النهر. وكان للأجناد الثلاثة المرافقة لعبد الرحمن أي الأردن وفلسطين وحمص، ألويتها الخاصة بينما لم يكن لدى عبد الرحمن لواء خاص به. ولذلك ما إن وصلوا إلى منطقة طشانة Tocina في كورة إشبيلية، حتى عقدوا لعبد الرحمن لواء بسيطاً يتألف من عمامة مثبتة على رمح. وقد حدث هذا في بلة نوبة البحريين، وهي القرية التي سكنها بنو بحر من لخم[60].

لقد كان من المستحيل على أي من الجيشين عبور النهر بسبب فيضانه العالي. ولكن عبد الرحمن كان متلهفاً لدخول قرطبة ليحصل على تأييد موالي بني أمية الموجودين في المدينة. فحاول تحت جنح الظلام أن يسبق

---

(59) ابن القوطية، ص 25؛ وانظر أيضاً: ص 21 ـ 22؛ **أخبار مجموعة**، ص 83 ـ 84؛ **فتح الأندلس**، ص 53؛ ابن الأثير: 5/ 494؛ المقري: 3/ 33.

(60) ابن القوطية، ص 26؛ انظر أيضاً: **أخبار مجموعة**، ص 84؛ **فتح الأندلس**، ص 54. وفي هذين المصدرين، فإن الراية المقصودة، قدمت إلى عبد الرحمن في قرية تدعى قلنبيرة أو قلبيرة Colombera. وقارن: Dozy, p. 187.

يوسفا إليها، لكن الأخير، الذي كان يرقب معسكر عبد الرحمن من الجهة المقابلة، اكتشف رحيله المفاجئ، فأسرع هو الآخر لإنقاذ قرطبة. وابتدأ نوع من السباق بين، الجيشين للوصول إلى المدينة، فكلما سار عبد الرحمن، سار يوسف، وكلما عسكر أحد الجيشين عسكر الآخر في الجهة المقابلة. ولأجل أن يكسب هذا السباق، أمر عبد الرحمن بركوب المشاة مع الفرسان، وذلك بأن يردف كل فارس أحد الرجال معه. وقد أردف عبد الرحمن على فرسه أحد البربر البرانس من مورور، يدعى سابق بن مالك بن يزيد. ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الرجل يعرف بالرديف، وكذلك أعقابه في مورور الذين أطلق عليهم اسم بني سابق الرديف[61].

وأخيراً عسكر جيش يوسف في المسارة Almozara بالقرب من قرطبة، وفعل عبد الرحمن الشيء نفسه على الجهة المقابلة للنهر. ولكن فشل الآخير في دخول قرطبة سبب استياء في جيشه، وبشكل خاص (سَفِلَة أصحابه). وكان هؤلاء يأملون في دخول العاصمة والتمتع بخيراتها تعويضاً عن فقرهم وضيق معاشهم لأنهم كانوا يقتاتون على الفول الأخضر الذي كان ينمو في فصل الربيع على الطريق بين إشبيلية وقرطبة[62]. وتشير هذه الحقيقة بوضوح إلى دوافع بعض أتباع عبد الرحمن، الذين كانوا يهدفون من إلتحاقهم به إلى الحصول على المنافع المادية فقط.

انتظر الفريقان ثلاثة أيام حتى ينخفض مستوى ماء النهر - من يوم الاثنين السادس من ذي الحجة إلى الخميس التاسع منه عام 138/ الحادي عشر إلى الرابع عشر من أيار 756[63]. وفي هذه المدة كان عبد الرحمن مشغولاً بأمرين. الأول إنهاء الترتيبات الأخيرة لتنظيم قواته وتعيين القادة على

---

(61) ابن القوطية، ص 27 ـ 28؛ انظر أيضاً: **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 93 (رقم 558) ص 131 ـ 132.

(62) **أخبار مجموعة**، ص 86؛ المقري: 2/ 33.

(63) **فتح الأندلس**، ص 54؛ ابن عذاري: 2/ 46.

الفرق العسكرية المختلفة التي يتألف منها الجيش. والأمر الثاني، هو مشكلة عبورالنهر دون التعرض لهجوم الطرف الآخر. لقد كانت المسألة الأولى، بطبيعة الحال، أسهل. فعيّن عبد الرحمن بن نعيم الكلبي على الفرسان الشاميين، وبلوهة اللخمي على مشاة اليمنين. وكان على عاصم بن مسلم الثقفي أن يقود مشاة البربر وموالي بني أمية. وعين أحد الأمويين، وهو حبيب بن عبد الملك، على فرسان موالي بني أمية. وأعطيت قيادة فرسان البربر إلى أحدهم، وهو إبراهيم بن شجرة، البرنسي. وأخيراً، فقد عهد إلى أبي عثمان، أحد قادة الموالي الأمويين، بحمل اللواء[64].

أما المشكلة الثانية فقد حلّت حينما أرسل يوسف الفهري وفداً للتفاوض بشأن التوصل إلى حل سلمي مع عبد الرحمن. وقد استغل الأخير الفرصة وتظاهر بأنه يرغب حقيقة في قبول مقترحات يوسف السابقة. وهكذا لم يعارض يوسف في عبور جيش عبد الرحمن للنهر. ونتيجة لهذه الظروف، ولنزول مناسيب المياه في النهر، أكملت جميع قوات عبد الرحمن عبورها في مساء الخميس وقام يوسف بمبادرة كريمة لإطعام خصومه، فأرسل إليهم الغنم والبقر. وهكذا أمضى الجيشين ليلتهم لا يشكون بتمام الصلح بين الطرفين. ولكن مفاوضات عبد الرحمن مع يوسف لم تكن سوى ستارٍ من الدخان للسلام حتى لا يتعرض الأخير إلى قواته في إثناء عبورها للنهر[65]. وما إن تحقق هذا لعبد الرحمن، ووصلته في الوقت نفسه تعزيزات إضافية من اليمنيين في البيرة وجيان، حتى هاجم جيش يوسف في الصباح الباكر من يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة، أول أيام عيد الأضحى المصادف لليوم، الخامس عشر من أيار سنة 756. وقد أخذ جيش يوسف على حين غرة، واضطر للقتال دون استعداد وتنظيم كاملين. فتولى أمر المشاة على الفور ثلاثة من القادة، وهم كنانة بن كنانة، وجوشن بن

---

(64) المصدر نفسه: 2/ 47؛ **أخبار مجموعة**، ص 87؛ **فتح الأندلس**، ص 54.

(65) **أخبار مجموعة**، ص 88؛ انظر أيضاً: ابن الأثير: 5/ 495.

الصميل، وعبد الله بن يوسف الفهري. أما قيادة فرسان الشاميين السابقين في جندي دمشق وقنسرين، فكانت بيد علي بن عبيد الكلابي، بينما تزعم أحد موالي يوسف، واسمه خالد بن سودى أو سردى، قيادة موالي يوسف وحلفائه من البربر[66].

لقد كانت المعركة قصيرة، التحم فيها فرسان عبد الرحمن بالقلب والجناح الأيمن لقوات يوسف وهزموها. ومن هنا، فقد فرّ من أرض المعركة خالد سودى ومرافقوه من البربر والموالي، بينما قتل كل قادة القلب، وهم كنانة بن كنانة، وجوشن بن الصميل، وعبد الله بن يوسف. حاول قائد الجناح الأيسر، عبيد بن علي الكلابي، تدارك الموقف، لكنه لم يتمكن من الصمود أمام الفرسان الأعداء، فقتل هو أيضاً مع العديد من الشخصيات القيسية الشهيرة[67]. وكان بعض هؤلاء متيقناً من نتيجة هذه المعركة، فيروى بأن أحد قادتهم البارزين، وهو العلاء بن جابر العقيلي، حذر الصميل من النتيجة الحتمية لصراعهم مع عبد الرحمن. فذكره بأن ظروف هذه المعركة تشبه تماماً الظروف التي تمت فيها موقعة مرج راهط[68]، التي ما يزال عارها عالقاً بالقيسيين إلى ذلك اليوم. وطلب من الصميل أن يفكر بالأمر، وأن يعمل جهده للحصول على شروط مشرفة لهم جميعاً[69]. ولكن فات الأوان على الصميل ليتمكن من عمل أي شيء، ولم يكن أمامه سوى الهرب إلى جنده في جيان. أما يوسف الفهري، الذي فر هو أيضاً من المعركة، فقد أراد الدخول إلى قرطبة، لكنه منع من قبل القائد

---

(66) **أخبار مجموعة**، ص 88.

(67) المصدر نفسه، ص 89 ـ 90.

(68) حاز مروان بن الحكم وأنصاره من اليمنيين النصر في هذه المعركة على الضحاك بن قيس القهري، قائد ابن الزبير، الذي كان مؤيداً من قبل القيسيين. وقد وقعت هذه المعركة أيضاً في يوم الجمعة في الأول من أيام عيد الأضحى.

(69) ابن عذاري: 2/47؛ **فتح الأندلس**، ص 55.

البربري عبد الرحمن بن عوسجة، فاضطر إلى الالتجاء إلى طليطلة[70]، أو إلى البيرة، كما تذكر مصادر أخرى[71].

بعد المعركة دخل عبد الرحمن إلى قصر الإمارة، ثم أدى صلاة الجمعة في المسجد الجامع حيث بايعه أهل المدينة على الطاعة. ولكن بعض الجماعات في جيشه استغلت هذه الفرصة وقامت بنهب المدينة، وبخاصة قصر يوسف الفهري، وممتلكاته هو والصميل. وهاجم اثنان من قبيلة طيء اليمنية، وهما ميسرة وقحطبة، مقر إقامة الصميل في شقندة، ونهباه، وأخذا من جملة الأشياء الثمينة من الدار، صندوقاً يحوي على عشرة آلاف دينار[72]. وعندما علم عبد الرحمن بما جرى من السلب والنهب في المدينة، أمر بطرد القائمين بهذا العمل، وإعادة ما أخذوه إلى أصحابه. ولكن لم يحظ هذا الموقف من عبد الرحمن بموافقة كل مؤيديه. وقد غضب بعض اليمنيين واتهموه بالتعصب إلى أفراد قبيلته من القيسيين[73]. أما القادة العقلاء، فقد أخفوا عدم موافقتهم وقبلوا بموقف عبد الرحمن، لكنهم على الرغم من ذلك خاب أملهم فيه. يعود السبب في هذا إلى أن غرضهم الأول من تبني قضية عبد الرحمن وتأييده كان للتخلص من يوسف والصميل، والحصول على المزيد من المصالح والممتلكات نتيجة لتغيير النظام. ولكن موقف عبد الرحمن برهن على خطأ تقديراتهم. ومن هنا فقد أراد بعضهم القيام بعمل سريع ضده وضد مواليه الأمويين، فتبقى الأندلس خالصة لهم إلى الأبد. وكان أبو الصباح اليحصبي، زعيم غرب الأندلس، من أهم القادة اليمنيين الذين يمثلون هذه الجماعة. ومع هذا فقد أفشيت

(70) المصدر نفسه، ص 55؛ **أخبار مجموعة**، ص 91.

(71) ابن القوطية، ص 29؛ ابن عذاري: 2/ 47؛ انظر أيضاً: **ذكر بلاد** (رقم 85ج) ص 93 (رقم 558) ص 132.

(72) ابن القوطية، ص 29.

(73) **أخبار مجموعة**، ص 90.

المؤامرة بسرعة إلى عبد الرحمن من قبل أحد اليمنيين أنفسهم، وهو ثعلبة بن عبيد الجذامي وعلى الرغم من أن هذا الرجل كان من شخصيات جذام الشهيرة في جند فلسطين، لكنه لم يكن من قادتهم بسبب تقدم بعض الزعماء الآخرين عليه[74]. ولذلك، فبنقله لسر المؤامرة إلى عبد الرحمن، يكون قد قدم إليه فضلاً كبيراً، مما يؤدي إلى علو منزلته في النظام الجديد[75]. ولقد اتخذ عبد الرحمن إجراءات فورية لحماية نفسه ودولته الجديدة. فعين عبد الرحمن بن نعيم الكلبي، الذي ينتمي إلى قضاعة التي ظلت على ولائها له، قائداً للشرطة، واختار حرسه الخاص من مواليه يضاف إلى ذلك أنه أحاط نفسه بالموالي الأمويين في قرطبة. الذين كانوا يتألفون من أسر غنية من البربر وغيرهم[76].

على الرغم من انتصار عبد الرحمن في المسارة، لم يتمكن في أول الأمر أن يسيطر على كل الأندلس فلقد كان ما يزال ليوسف والصميل الكثير من المؤيدين. وعندما كان يوسف في طريقه إلى طليطلة التقى بابنه عبد الرحمن، الذي جاء بخمسمائة فارس من سرقطة. وفي طليطلة ساند الحاكم الفهري هشام بن عروة يوسفاً، وقدّم له تعزيزات تضمنت العديد من المستقرين في المدينة. وقاد يوسف هذه، القوات إلى جيان، حيث التقى بالصميل وأتباعه من جند قنسرين، ولهذا فقد استطاعوا أن يجبروا الحصين بن الدجن، الذي عين حاكماً على هذه المنطقة من قبل عبد الرحمن، على الانسحاب إلى مدينة منتيشة Mentesa[77]. وكذلك حينما وصلوا إلى البيرة، اضطروا جابر بن العلاء بن شهاب، الحاكم المعيّن الجديد للمنطقة، على

---

(74) المصدر نفسه، ص 90 ـ 91؛ انظر أيضاً: ابن القوطية، ص 30؛ **فتح الأندلس**، ص 57.

(75) أصبح ثعلبة شخصية متنفذة في عهد عبد الرحمن، واسندت إليه مناصب عسكرية مهمة انظر: ابن القوطية، ص 6، 30، 41؛ **أخبار مجموعة**، ص 112 ـ 113؛ العذري، ص 25.

(76) **أخبار مجموعة**، ص 91.

(77) انظر عن هذه المدينة الفصل الرابع، هامش (417).

الالتجاء إلى المناطق الجبلية المجاورة.

بوصول هذه الأنباء إلى عبد الرحمن، سارع بالزحف إلى البيرة بعد أن استخلف أبا عثمان على قرطبة وترك معه بعض الموالي والمستقرين اليمنيين من أهل المدينة. وما إن سمع يوسف بغياب عبد الرحمن عن قرطبة، حتى أوعز إلى ابنه، أبي زيد، الذي كان في ذلك الوقت في ماردة، بمهاجمة قرطبة والاستيلاء عليها. وعلى الرغم من نجاح الأخير في هذه المهمة، لكنه لم يستطع البقاء في المدينة، فغادرها فور سماعه برجوع عبد الرحمن إليها، مستصحباً معه أبا عثمان الذي وقع في الأسر في أثناء الهجوم(78). وقد أعاد عبد الرحمن تنظيم المدينة، واستخلف على القصر أحد الزعماء القحطانيين المعروفين بالسيادة والثروة، وهو عامر بن علي، جد بني فهر الرصافيين(79).

ثم توجه عبد الرحمن إلى استكمال حملته على البيرة. وعندما وصل هناك، وجد أن يوسفاً والصميل مستعدان للمفاوضات. ومن هنا، فقد تمّ التوصل إلى عقد معاهدة صلح بين الطرفين المتنازعين في سنة 140/ 757. وبموجب هذه الاتفاقية وافق يوسف والصميل على الاعتراف بعبد الرحمن أميراً على الأندلس مقابل احتفاظهما بكل ممتلكاتهما أينما وجدت، وإعلان الأمان والعفو العام لكل الناس. وقد رضي عبد الرحمن بهذه الشروط ووافق يوسف أيضاً على تسليمه اثنين من أبنائه، وهما أبو زيد وأبو الأسود رهينتين لفترة حتى تهدأ الأمور ويسود السلام. كما أطلق عبد الرحمن سراح خالد بن زيد، الذي كان قد سجن على إثر فشل المفاوضات الأولى في طرش، مقابل إطلاق سراح أبي عثمان ثم عاد الجميع إلى قرطبة(80).

(78) **أخبار مجموعة**، ص 92 ـ 93. واستناداً إلى **فتح الأندلس**، ص 57 ـ 58، فإن يوسفا هو الذي قام بالهجوم على قرطبة. وأسر أبي عثمان، انظر: ابن الأثير: 5/ 495.

(79) ابن القوطية، ص 30.

(80) **أخبار مجموعة**، ص 93 ـ 94؛ انظر أيضاً: ابن القوطية، ص 29؛ **فتح الأندلس**، ص 58 ـ 59؛ ابن الأثير: **الإحاطة**، م. تونس، ج3، الورقة 80أ؛ **الإحاطة**، م. مدريد، رقم 4891، ص 461؛ ابن الخطيب، **التكملة**، ص 102.

وما إن استقروا في قرطبة حتى ادعى بعض أعداء الوالي السابق، يوسف الفهري، بأنه قد استولى على أراضيهم وممتلكاتهم. وطالبوا بمقاضاته أمام القاضي يزيد بن يحيى التجيبي. وقد كان هؤلاء، الذين ينتمون في الأغلب إلى اليمنيين، يأملون أن يتحيز القاضي، الذي كان يمنياً أيضاً، ضد يوسف لما كان في نفسه عليه وعلى الصميل من موقفهما إزاء اليمنيين في معركة شقندة. وخاب أملهم، وأظهر القاضي براءة يوسف والصميل اللذين أقاما على أحسن حال مشمولين برعاية الأمير عبد الرحمن[81].

وفي هذه الأثناء، قدم إلى الأندلس من المشرق العديد من أقرباء الأمير الأموي. وكان من أهم هؤلاء: عبد الملك بن عمر بن مروان، المرواني، وابنه عبد الله، وجزئ بن عبد العزيز بن مروان. وغدا هؤلاء بالإضافة إلى الموالي الأمويين، وبعض قادة الأجناد، يشغلون المناصب الرئيسة العليا في النظام الجديد. ولكن هذا الوضع لم يعجب بطبيعة الحال، بقية الجماعات الأخرى، وبضمنهم معظم المستقرين السابقين من البربر. ففي قرطبة، بشكل خاص، كان هناك العديد من الأسر القرشية الكبيرة من بني فهر وبني هاشم وغيرهم. وكانوا هم ومواليهم يتمتعون في ظل الحاكم السابق، بالمناصب العالية، ونالوا الرفعة والثروة ولكن انقطع كل ذلك عنهم في هذا العهد وأصبحوا طي النسيان وخسروا كل نفوذهم. ومن هنا فقد ابتدأوا بتحريض يوسف الفهري على الأمير الجديد. وقد أذعن يوسف لضغطهم وبدأ بالاتصال بالأجناد من أجل القيام على عبد الرحمن. وقد كره الصميل وكذلك معظم القيسيين والأجناد الانضمام إليه لخشيتهم من الاشتراك في مثل هذه المغامرة الخطرة. وعلى الرغم من ذلك، فقد استطاع يوسف أن يحصل على تأييد المستقرين العرب الأوائل وحلفائهم البربر، خاصة في ماردة ولقنت Fuente de Cantos، وطليطلة. ولهذا، فقد هرب يوسف إلى ماردة في

---

(81) **أخبار مجموعة**، ص 94 ـ 95.

سنة 141/ 758 حيث حشد العرب والبربر، وسار بهم إلى لقنت. وبعد أن نال تأييد المستقرين في هذه المدينة الأخيرة، استقر في زحفه آملاً السيطرة على إشبيلية التي كانت تحكم من قِبل ابن عم الأمير عبد الرحمن، عبد الملك المرواني. ولكنه أدرك قلة أهمية حامية إشبيلية، وسمع في الوقت نفسه بتقديم عبد الرحمن إليه، لهذا فقد رفع الحصار عن إشبيلية، ومضى للقاء عبد الرحمن وقد لاحق المرواني، الذي انضمت إليه قوات جديدة بقيادة ابنه عبد الله، حاكم مورور، يوسفا، الذي خشي أن يقع بين جيش عبد الرحمن، المعسكر في المدور، والمرواني الزاحف خلفه، فقرر الإسراع، ومجابهة هذا الأخير. ونتيجة للمعركة التي جرت بين الطرفين، هرب رجال يوسف وفر هو أيضاً باتجاه طليطلة، حيث كان قريبه هشام بن عروة حاكماً على المدينة. ولكن أحد أحفاد الأنصار ويدعى عبد الله بن عمر الأنصاري، استطاع أن يتعرف عليه، فقتله على الطريق على بعد نحو ستة كيلومترات من طليطلة[82]. وتذكر مصادر أخرى أنه اغتيل من قبل بعض مواليه، الذين أرادوا أن ينالوا حظوة لدى الأمير عبد الرحمن[83] وعلى أية حال، عندما سمع الأمير الأموي بموت يوسف في سنة 142/ 759، أمر بإعدام أحد أبنيه الرهينين أبي يزد، وأبقى الآخر في السجن. ونظراً لاشتراك أحد أبناء الصميل في المؤامرة، فإن عبد الرحمن لم يكن يصدق أن الصميل كان لا يعلم بخطة يوسف[84]. ولهذا، فمنذ بداية هرب الأخير، اتهم الصميل بالتستر على المؤامرة، وسجنه في قرطبة. وبعد وفاة يوسف وابنه، مات الصميل في سجنه مخنوقاً في السنة ذاتها[85]. وهكذا اختتم

(82) المصدر نفسه، ص 95 ـ 110؛ ابن عذاري: 2/ 49؛ المقري (برواية ابن حيان): 3/ 35؛ انظر أيضاً: النويري: 22/ 5، ق1.

(83) ابن القوطية، ص 30؛ **فتح الأندلس**، ص 61؛ ابن الأثير: 5/ 495؛ ابن عذاري: 2/ 49 ـ 50.

(84) المقري (برواية ابن حيان): 3/ 35.

(85) **أخبار مجموعة**، ص 101؛ **فتح الأندلس**، ص 91؛ ابن عذاري: 2/ 49؛ المقري (برواية ابن حيان): 3/ 35 ـ 36.

عبد الرحمن، الذي كان يُعرف أيضاً بالداخل، عصر الولاة، وأصبح الحاكم الشرعي للأندلس، فتولى أمرها لفترة طويلة (138 ـ 172/ 756 ـ 788) مؤسساً إمارة أموية مستقلة حكمت إسبانيا المسلمة نحو ثلاثة قرون.

* * *

لقد كانت سياسة عبد الرحمن الرئيسة تهدف إلى السيطرة القوية على البلاد، والتقليل من نفوذ زعماء القبائل. ويبدو هذا واضحاً من موقفه الأول إزاء مؤيديه حينما حاولوا خلق جو من الفوضى بنهب العاصمة. وازدادت شكوكه من هؤلاء عندما اكتشف خطتهم للتخلص منه في الساعات الأولى بعد انتصاره على الحاكم السابق. وقد حاول أن يحيط نفسه بمواليه الأمويين، وأن يعهد إلى أقربائه وبعض القادة الموالين من الأجناد بالمناصب الحساسة في البلاد ونظراً لقلة عدد هؤلاء المؤيدين، فقد كان عليه في أول الأمر أن يكيف نفسه للظروف ويسترضي الأغلبية من رجال القبائل العرب خاصة اليمنيين. ولهذا، فقد عين زعيمهم أبا الصباح اليحصبي، الذي كان أول المنادين بالتخلص من عبد الرحمن، حاكماً على إشبيلية[86]. ولكن لم تمضِ سوى فترة قصيرة من تثبيت سلطة عبد الرحمن، حتى أدرك معظم رجال القبائل اليمنيين الذين كانوا يتألفون من العديد من الشاميين والبلديين السابقين، وحلفائهم البربر، الغرض الحقيقي لعبد الرحمن، وهدفه في تجريدهم من قوتهم العظيمة في البلاد. وتروى المصادر أن عبد الرحمن خشي من العرب بسبب ثورات اليمنيين، ولهذا فقد مال، إلى طلب التأييد من البربر، فدعا العديد منهم من شمال أفريقيا، وعاملهم بكرم زائد. وقد شجع هذا الموقف الذي اتخذه عبد الرحمن من البربر الجدد، المزيد من إخوانهم الآخرين للعبور إلى الأندلس والخدمة قوة رئيسة في جيوشه[87].

(86) **أخبار مجموعة**، ص 105؛ **فتح الأندلس**، ص 63.

(87) المصدر نفسه، ص 66 ـ 67؛ **أخبار مجموعة**، ص 108 ـ 109؛ المقري: 3/ 36 ـ 37.

وعلى الرغم من ذلك، يمكن للمرء أن يفترض بأن مخاوف اليمنيين الشاميين والبلديين وحلفائهم البربر، ازدادت بالتأكيد حينما أدركوا ما يرمي إليه عبد الرحمن في خلق هذه القوة الجديدة في شبه الجزيرة. ولهذا فمن المعقول أن يكون هذا الاتجاه الخاص لعبد الرحمن هو السبب في قيام العديد من هذه الثورات.

إن هذه الثورات التي شغلت كل عهد عبد الرحمن تمثل معارضة معظم مؤيديه السابقين، بالإضافة إلى أولئك الذين عارضوه منذ البداية. ومن الأمثلة على هذه الحركات، التمرد الذي وقع في طليطلة بقيادة هشام بن عروة الفهري، وبعض أعقاب البلديين، من أمثال حيوة بن الوليد التجيبي، وعثمان بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب[88]، وتمرد سرقطة بقيادة الحسين بن يحيى الأنصاري، وهو من المستقرين الأوائل من ذرية سعد بن عبادة[89]. ومن أهم انتفاضات اليمنيين التي قامت بمساعدة حلفائهم من البربر، خاصة في الغرب، حركة العلاء بن مغيث اليحصبي، وغياث بن علقمة اللخمي في باجة وشذونة[90]. وسعيد اليحصبي في نبلة[91]، وأبي الصباح اليحصبي في إشبيلية[92]، ويحيى بن ملامس الحضرمي، وعبد الغافر اليحصبي، وعمرو بن طالوت اليحصبي، وكلثوم بن يحصب في إشبيلية وكل المنطقة الغربية[93]. وإلى جانب مساعدتهم لهذه الحركات، قام المستقرون

(88) **أخبار مجموعة**، ص 101، 104؛ **فتح الأندلس**، ص 61 ـ 62 ـ 63؛ ابن عذاري: 2/ 53.

(89) المصدر نفسه: 2/ 56 ـ 57؛ **فتح الأندلس**، ص 67 ـ 68؛ **أخبار مجموعة**، ص 112 ـ 113.

(90) المصدر نفسه، ص 102 ـ 103؛ ابن القوطية، ص 32 ـ 33؛ **فتح الأندلس**، ص 62؛ ابن عذاري: 2/ 51 ـ 52.

(91) المصدر نفسه: 2/ 53؛ **أخبار مجموعة**، ص 105.

(92) المصدر نفسه، ص 105؛ **فتح الأندلس**، ص 63 ـ 64؛ ابن عذاري: 2/ 53 ـ 54.

(93) ابن القوطية، ص 30 ـ 32؛ **أخبار مجموعة**، ص 107؛ **فتح الأندلس**، ص 65 ـ 66؛ ابن عذاري: 2/ 50 ـ 51.

الأوائل من البربر بانتفاضات وتمردات خاصة بهم، مثل التمرد الذي قاده عبد الواحد المكناسي[94]، وكذلك تمرد بربر نفزة[95]، وتمرد إبراهيم بن شجرة البرنسي[96]، بالإضافة إلى القوات البربرية الجديدة[97]، التي بالغت المصادر في عددها فذكرت بأن مجموعها كان يبلغ الأربعين ألف رجل[98]، تمكن عبد الرحمن من القضاء على معظم هذه الحركات وثبت سلطته وسيادته التي لا تنازع على كل الأندلس أو ما يسمى بإسبانيا المسلمة.

(94) المصدر نفسه: 2/ 54، 56؛ **أخبار مجموعة**، ص 107؛ **فتح الأندلس**، ص 64 ـ 65.

(95) ابن عذاري: 2/ 58.

(96) المصدر نفسه: 2/ 56؛ **أخبار مجموعة**، ص 111.

(97) المصدر نفسه: ص 108، 113، 115؛ ابن القوطية، ص 32؛ **التكملة**، ط. القاهرة (برواية الرازي): 1/ 315.

(98) قارن: **فتح الأندلس**، (برواية الرازي)، ص 66؛ المقري (برواية ابن حيان): 3/ 36 ـ 37.



فهرست المصادر(*)

أولاً: المصادر الأصلية

أ ـ المخطوطات العربية.

ب ـ المصادر اللاتينية.

حـ ـ المصادر العربية المحققة والمنشورة.

ثانياً: المراجع الحديثة من كتب ومقالات.

أ ـ المراجع العربية.

ب ـ المراجع الإنكليزية.

حـ ـ المراجع الإسبانية.

د ـ المراجع الفرنسية.

هـ ـ المراجع البرتغالية.

و ـ المراجع الألمانية.

(*) إن المصادر التي احتوتها هذه القائمة تمثل المصادر التي أسهمت فعلاً في كتابة هذا البحث ووردت في هوامشه.

أولاً: المصادر الأصلية

أ ـ المخطوطات العربية

* الداوودي، أبو جعفر بن نصر.
1 . **كتاب الأموال**، مخطوط في مكتبة الأسكوريال (رقم 1165).
* الخشني، محمد بن حارث.
2 . **طبقات المحدِّثين**، مخطوط في مكتبة القصر الملكي في الرباط (رقم 6916).
* ابن الخطيب، لسان الدين محمد.
3 . **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مخطوط الأسكوريال (رقم 1673 و1674)، ومخطوط المكتبة الوطنية في مدريد (رقم 4891 و4892)، ومخطوط المكتبة الوطنية في تونس (رقم 8134 و8135 و8136).
* ابن حيان، حيان بن خلف.
4 . **المقتبس**، الجزء الخامس، مخطوط مكتبة القصر الملكي في الرباط (رقم 87).
* عبيد الله بن صالح، عبيد الله بن صالح بن عبد الحكيم.
5 . **كتاب الأنساب** (المنسوب خطأً إلى أبي حيان)، مخطوط في الخزانة العامة في الرباط، (رقم 1274ك).
* الغساني، محمد بن عبد الوهاب.
6 . **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، مخطوط المكتبة الوطنية في مدريد (رقم 5304).
* الفاسي، شهاب الدين أحمد.
7 . **الجمان في مختصر أخبار الزمان**، مخطوط في المكتبة الوطنية في تونس (رقم 18621).
* مجهول المؤلف.
8 . **الدرّة النثيرة في أخبار الجزيرة**، مخطوط في المكتبة الوطنية في تونس (رقم 18407).

* مجهول المؤلف.

9 . **ذكر بلاد الأندلس**، مخطوط في الخزانة العامة في الرباط (رقم 85ج)، ونسخة أخرى في مكتبة القصر الملكي في الرباط (رقم 558).

* مجهول المؤلف.

10 . **ذكر حدود بلاد أفريقية**، مخطوط في الخزانة العامة في الرباط (رقم 787د).

* مجهول المؤلف.

11 . **كتاب الجغرافية في مساحة الأرض**، مخطوط في المكتبة الوطنية في مدريد (رقم 4999).

* الهذيل، علي بن عبد الرحمن.

12 . **كتاب تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس**، مخطوط في المكتبة الوطنية في مدريد (رقم 5095).

* اليعمري، فتح الدين محمد بن سيد الناس.

13 . **الجواب على الأسئلة في الفقه**، مخطوط في مكتبة الأسكوريال (رقم 1160).

ب ـ المصادر اللاتينية:

14 . *Ghronicon Albeldense*, or *the chronicle of Albelda*,
(ملحق رقم 3 لكتاب **أخبار مجموعة**، نشر: لافوينتي القنطرة، مدريد، 1867، ص 163 ـ 165.

15 . *Chronicon Fontanellense*,
(ملحق رقم 8 لكتاب **أخبار مجموعة**، ص 169 ـ 170).

16 . *Chronicon Moissiacense*, or *the chronicle of Moissac*,
(ملحق رقم 4 لكتاب **أخبار مجموعة**، ص 165 ـ 166).

17 . *Continuador del Biclarense*, or *Continuatio Byzantina Arabica of 741*,
(ملحق رقم 1 لكتاب **أخبار مجموعة**، ص 145 ـ 146).

18. *La Crónica Rotense* or *the chronicle of Alfonso III*, ed. Manuel Gómez-Moreno, *Boletín de la Real Academia de la Historia*, 100, Madrid, 1932, pp. 609-21.

19. *Fredegarii Scholastici Continuatio II*, or *the second continuation of Fedgar*,
(ملحق رقم 7 لكتاب **أخبار مجموعة**، ص 168).

20. *Fredegarii Continuatio III*, or *the third continuation of Fredegar*,
(ملحق رقم 7 لكتاب **أخبار مجموعة**، ص 168 ـ 169).

21. *Isidoro Pacense* or *the chronicle of 754*,
(ملحق رقم 2 لكتاب **أخبار مجموعة**، ص 146 ـ 162).

22. Isidoro of Sevillee, *History of the Goths, Vandals and Suevi*, translated from the Latin by Guido Donini and Gordon B. Ford Jr., 2nd edition, Leiden, 1970.

23. *Paulus Diaconus, ex lib. vi*, or *Paul the Deacon, book 6*,
(ملحق رقم 6 لكتاب **أخبار مجموعة**، ص 167).

24. *Totius Latinitatis Lexicon* (The Universla Latin Lexicon), by: James Bally, London, 1828, vol. I.

جـ ـ المصادر العربية المحققة والمنشورة:

* ابن الأبار، محمد بن عبد الله.

25. **أعتاب الكتاب**، تحقيق: صالح الأشتر، دمشق، 1961.

26. **التكملة لكتاب الصلة**، جزءان، نشر: عزت العطار، القاهرة، 1955 ـ 1956. وقطعة أخرى نشر الأركون وكونثاليث بالنثيا:
«Apéndice a la Edición Codera de la *Tecmila* de Aben Al-Abbar» in: *Miscelánea de Estudios y Textos Arábes*, Madrid, 1915.

27. **الحلة السيراء**، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1963.

28. **المقتضب من تحفة القادم**، اختيار: إبراهيم بن محمد البلفيقي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة 1957.

29. **المعجم**، نشر: فرانسكو كوديرا، مدريد، 1885.

* ابن الأثير، عز الدين.

30 . **أسد الغابة**، المكتبة الإسلامية، القاهرة، 1280هـ.

31 . **الكامل في التاريخ**، 12 جزء، بيروت 1965 ـ 1966.

* الإدريسي، أبو عبد الله محمد.

32 . **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، نشره دوزي ودي غوية في ليدن، 1866 تحت عنوان: *«Description de l'Afrique et de l'Espagne».*

* الأنصاري، أبو عبد الله محمد.

33 . **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الأول بقسميه تحقيق: محمد بن شريفة، بيروت، بدون تاريخ، السفر الرابع والخامس والسادس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت. 1964، 1965، 1973 على التوالي.

* الأصطخري، أبو إسحق إبراهيم.

34 . **كتاب الأقاليم**، نشر: مويلير، غوته، 1939.

35 . **كتاب المسالك**، نشر: دي غوية، ليدن، 1870.

* ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم.

36 . **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، نشر: فون أوكست ملّر، جوتنجن، 1884.

* الأندلسي، محمد.

37 . **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تونس، 1287 هـ.

* الباجي، محمد.

38 . **الخلاصة النقية في أمراء أفريقية**، تونس، 1323هـ.

* ابن بسام، علي بن بسام.

39 . **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، المجلد الأول، القسم الأول، القاهرة، 1939، المجلد الأول، القسم الثاني، القاهرة، 1942، المجلد الرابع، القسم الأول، القاهرة، 1945.

* ابن بشكوال، أبو القاسم خلف.

40 . **كتاب الصلة**، جزءان، القاهرة، 1966.

* البكري، أبو عبيد.

41 . **جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، بيروت، 1968.

42 . **المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب**، نشر: دي سلان، الجزائر، 1957.

* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر.

43 . **فتوح البلدان**، نشر: دي غوية، ليدن، 1866.

* التجاني، عبد الله بن محمد.

44 . **رحلة التجاني**، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1958.

* الجزنائي، علي.

45 . **جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق: عبد الوهاب منصور، الرباط، 1967.

* ابن حبيب، عبد الملك.

46 . **استفتاح الأندلس**، تحقيق: محمود علي مكي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، الجزء الخامس، 1957، ص 221 ـ 243.

* ابن حزم، علي بن أحمد.

47 . **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، 1962.

48 . **رسالة التلخيص لوجوه التخليص**، نشرها آسين بلاثيوس في عنوان:
«Un códice inexplorado del cordobés Ibn Hazm», *Al-Andalus, II*, 1934, pp. 1-56 (27-46).

49 . **رسالة في فضل الأندلس**، نقلها المقري في نفح الطيب، تحقيق: إحسان عباس، جـ3، ص 156 ـ 186.

50 . **نقط العروس**، تحقيق: شوقي ضيف، **مجلة كلية الآداب**، جامعة فؤاد الأول، مجلد 13، جـ2، 1951، ص 41 ـ 89.

* الحميدي، محمد بن أبي نصر.

51 . **جذوة المقتبس**، القاهرة، 1966.

* الحميري، محمد بن عبد الله.
52 . **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار،** نشره وترجمه إلى الفرنسية: ليفي بروفنسال، القاهرة ـ ليدن، 1938.

* ابن حوقل، محمد.
53 . **صورة الأرض،** بيروت، 1979.

* ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف.
54 . **المقتبس،** نشر: ملشور أنطونيا، باريس، 1937.
55 . **المقتبس،** تحقيق: عبد الرحمن الحجي، بيروت، 1965.
56 . **المقتبس،** تحقيق: محمود علي مكي، بيروت، 1973.

* ابن خاقان، فتح بن خاقان.
57 . **مطمح الأنفس،** القسطنطينية، 1302هـ.

* ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله.
58 . **المسالك والممالك،** نشر: دي غوية، ليدن، 1889.

* الخشني، محمد بن حارث.
59 . **قضاة قرطبة وعلماء أفريقية،** نشر: عزت العطار، القاهرة، 1952.

* ابن الخطيب، لسان الدين محمد.
60 . **الإحاطة في أخبار غرناطة،** جزءان، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة 1973، 1974.
61 . **أعمال الأعلام،** القسم الثاني، الأندلس، نشر: ليفي بروفنسال، بيروت، 1956، القسم الثالث، شمال أفريقيا وصقلية، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، بالرمو، 1910.
62 . **اللمحة البدرية في الدولة النصرية،** تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة، 1347هـ.

* ابن خلدون، عبد الرحمن.
63 . **كتاب العبر،** 7 أجزاء، بيروت، 1956 ـ 1961.
64 . **كتاب التعريف بابن خلدون،** ملحق كتاب العبر، جـ7، ص 795 ـ 1224.

* ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد.
65 . **كتاب وفيات الأعيان،** 5 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت.
* ابن خياط، خليفة بن خياط.
66 . **تاريخ خليفة بن خياط،** جزءان، تحقيق: أكرم العمري، النجف، 1967.
* الدباغ، عبد الرحمن.
67 . **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،** 4 أجزاء، تونس، 1322 ـ 1325هـ. والجزء الأول من طبعة القاهرة، 1968 بتحقيق: إبراهيم شبوح.
* ابن دحية، عمر بن حسن.
68 . **المطرب من أشعار أهل المغرب،** تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، بيروت، 1955.
* ابن دريد، أبو بكر محمد.
69 . **الاشتقاق،** تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، 1958.
* ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم القيرواني.
70 . **المؤنس في أخبار أفريقية وتونس،** تحقيق: محمد شمام، تونس، 1967.
* الرازي، أحمد بن محمد.
71 . *Cronica del Moro Rasis* نشر: د. كاتالان، مدريد 1975.
72 . La Cronica del Moro Rasis نشر: باسكال دي جاينجوس.
«Memoria sobre la autenticidad de la Crónica denominada del Moro Rasis», *Memorias de al Real Academia de la Historia, VIII,* Madrid, 1852, pp. 67-100.
73 . «La description de l'Espagne d'Ahmad al-Razi, *Al-Andalus, XVII,* 1953, pp. 51-108.
نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال.
74 . Framentos inéditos de la crónica llamada del Moro Rasis,

نشرها سافيدرا ملحقاً لدراسته عن فتح المسلمين للأندلس.

Estudio sobre la invasion de los arabes en España, Madrid, 1892, pp. 145-154.

* الرعيني، محمد بن علي.

75 . **برنامج شيوخ الرعيني**، تحقيق: إبراهيم شبوح، دمشق، 1962.

* الرقيق القيرواني، أبو إسحق إبراهيم.

76 . **تاريخ أفريقية والمغرب**، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، 1968.

* الزبيدي، محمد الحسن.

77 . **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1954.

* ابن الزبير، أبو جعفر أحمد.

78 . **صلة الصلة**، نشر: ليفي بروفنسال، الرباط، 1938.

* الزبيري، أبو عبد الله مصعب.

79 . **نسب قريش**، نشر: ليفي بروفنسال، القاهرة، 1953.

* الزهري، أبو عبد الله محمد.

80 . **كتاب الجغرافية**، تحقيق: محمد خاج صادق، مجلة الدراسات الشرقية، م21، دمشق، 1968

* ابن سعيد، ابن سعيد المغربي.

81 . **المغرب في حلى المغرب**، جزءان، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، 1964.

* السلفي، أحمد بن محمد.

82 . **أخبار وتراجم أندلسية** (مستخرجة من معجم السلفي) تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1963.

* السلاوي، أحمد بن خالد الناصري.

83 . **الاستقصار لأخبار دول المغرب الأقصى**، الجزء الأول، الدار البيضاء، 1954.

* ابن الشباط، محمد بن علي.
84 . **صلة السمط وسمة المرط**، تحقيق: أحمد مختار العبادي، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**، العدد الرابع عشر، 1967 ـ 1968، ص 99 ـ 163.

* صاعد، أبو القاسم.
85 . **طبقات العلماء**، القاهرة، بدون تاريخ.

* الضبي، أحمد بن يحيى.
86 . **بغية الملتمس**، نشر: فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884.

* الطبري، محمد بن جرير.
87 . **تاريخ الرسل والملوك**، 3 أجزاء، نشر: دي غوية، ليدن، 1879 ـ 1901

* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف.
88 . **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 4 أجزاء، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة.

* ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله.
89 . **فتوح مصر وأخبارها**، نشر: شارلس توري، نيوهيفن، 1922.

* عبد الله، الأمير عبد الله.
90 . **مذكرات الأمير عبد الله**، نشر: ليفي بروفنسال، القاهرة، 1955.

* عبيد الله بن صالح، عبيد الله بن صالح بن عبد الحكيم.
91 . **نص جديد عن فتح العرب للمغرب**، تحقيق: ليفي بروفنسال، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**، العدد الثاني، 1954، ص 193 ـ 239.

* ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد.
92 . **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، جـ1 و2، نشر: كولن وليفي بروفنسال، ليدن، 1948، جـ3، نشر: ليفي بروفنسال، باريس 1930.

* العذري، أحمد بن عمر.
93 . **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار**، تحقيق:

عبد العزيز الأهواني، مدريد، 1965.

* أبو العرب، محمد بن أحمد التميمي.

94 . **طبقات علماء أفريقية وتونس**، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، تونس، 1968.

* العمري، أحمد بن يحيى.

95 . **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: أحمد زكي، القاهرة، 1924.

96 . **وصف أفريقية والمغرب والأندلس**، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس.

* ابن غالب، محمد بن أيوب.

97 . **كتاب فرحة الأنفس**، تحقيق: لطفي عبد البديع، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، العدد الأول، القسم الثاني، القاهرة، 1955 ـ 1956، ص 281 ـ 310.

* ابن الفرضي، عبد الله بن محمد.

98 . **تاريخ علماء الأندلس**، القاهرة، 1966.

* ابن الفقيه، ابن الفقيه الهمداني.

99 . **مختصر كتاب البلدان**، نشر: دي غوية، ليدن، 1885.

* ابن قتيبة (المنسوب).

100 . **الإمامة والسياسة**، الجزء الخاص بالأندلس، منشور مع كتاب ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص 120 ـ 188.

* ابن القطان، علي بن محمد.

101 . **نظم الجمان**، تحقيق: محمود علي مكي، تطوان، 1966.

* ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر.

102 . **تاريخ افتتاح الأندلس**، نشره وترجمه إلى الإسبانية: خوليان رايبيرا بعنوان: *Historia se la conquistas de España*, Madird, 1926.

* ابن الكردبوس، عبد الملك.

103 . **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، تحقيق: أحمد مختار العبادي، **صحيفة**

معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد الثالث عشر، مدريد، 1965 ـ 1966، ص 41 ـ 126.

* الكندي، محمد بن يوسف.

104 . **الولاة والقضاة**، بيروت، 1908.

* المالكي، أبو بكر عبد الله.

105 . **رياض النفوس**، الجزء الأول، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1951.

* مجهول المؤلف.

106 . **أخبار مجموعة**، نشر: لافوينتي القنطرة، مدريد، 1867.

* مجهول المؤلف.

107 . **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، 1958.

* مجهول المؤلف.

108 . **الرسالة الشريفة**، نشرت بدون اسم مؤلف ملحقاً لكتاب ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص 191 ـ 214، وهي على ما يُعتقَد جزء من كتاب **رحلة الوزير في افتكاك الأسير للغساني**.

* مجهول المؤلف.

109 . **فتح الأندلس**، نشر: دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889.

* مجهول المؤلف.

110 . **مفاخر البربر**، نشر: ليفي بروفنسال، الرباط، 1937.

* المراكشي، عبد الواحد بن علي.

111 . **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، أمستردام، 1968.

* المسعودي، علي بن الحسين.

112 . **مروج الذهب**، 4 أجزاء، بيروت، 1973.

* المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد.

113 . **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، نشر: دي غوية، ليدن، 1906.

* المقري، أحمد بن محمد.
114 . **أزهار الرياض في أخبار عياض،** 3 أجزاء، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، 1939 ـ 1942.
115 . **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،** 8 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1968.
* المقريزي، أحمد بن علي.
116 . **الخطط،** جزءان، القاهرة، 1249هـ.
* ابن منظور، محمد بن مكرم.
117 . **لسان العرب المحيط،** نشر: يوسف خياط، ونديم مرعشلي، بيروت.
* النباهي، أبو الحسن بن عبد الله.
118 . **تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا)،** نشر: ليفي بروفنسال، بيروت.
* النويري، أحمد بن عبد الوهاب.
119 . **نهاية الأرب،** الجزء الثاني والعشرون بقسمية الأول والثاني. نشره وترجمه إلى الإسبانية: جاسبار راميرو تحت عنوان:
Historia de los Musulmanes en España y Africa,
غرناطة، 1917.
* ياقوت، شهاب الدين.
120 . **معجم البلدان،** 5 أجزاء، بيروت، 1957.
* اليعقوبي، أحمد بن أحمد يعقوب.
121 . **كتاب البلدان،** نشر: دي غوية، ليدن، 1892.

ثانياً: المراجع الحديثة من كتب ومقالات

1 ـ المراجع العربية:

* سالم، السيد عبد العزيز.
122 . **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس،** بيروت، 1962.
* طرخان، إبراهيم علي.

123 . **دولة القوط الغربيين**، القاهرة، 1958.

* عبد الحميد، سعد زغلول.

124 . **تاريخ المغرب العربي**، القاهرة، 1965.

* عباس الوهاب، حسن حسني.

125 . **عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية**، جا، تونس، 1964.

* عنان، محمد عبد الله.

126 . جغرافية الأندلس والمصطلحات الجغرافية الأندلسية، **مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية**، العدد 3 ـ 4، تطوان، 1958 ـ ص 37 ـ 47.

127 . **دولة الإسلام في الأندلس**، جا، القاهرة، 1969.

* محكي، محمدود علي.

128 . التشيع في الأندلس، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**، العدد 2، 1944، ص 93 ـ 145.

129 . ملحمة آخر ملوك القوط، **المجلة**، العدد 74، 1963، ص 30 ـ 35.

* مؤنس، حسين.

130 . رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامة في مدريد**، العدد 18، 1974 ـ 1975، ص 79 ـ 130.

131 . **فتح العرب للمغرب**، القاهرة، 1947.

132 . التنظيم الإداري والمالي لأفريقية والمغرب خلال عصر الولاة، **مجلة كلية الآداب والتربية**، العذذ الأول، جامعة الكويت، 1972، ص 68 ـ 100.

133 . **فجر الأندلس**، القاهرة، 1959.

134 . وصف جديد لقرطبة الإسلامية، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**، العدد 13، 1965 ـ 1966، ص 161 ـ 181.

المراجع الإنكليزية

135. Abun-Nasr, Jamil, A History of the Maghrib, Cambridge, 1971.

136. * Altamira, Rafael, *A history of Spain*, translated from the Spainish by Muna Lee, Toronto, Canada, 1949.

* Ashtor, Eliyah, *The Jews of Moslem Spain*, Vol. I, translated from the Hebrew by Jenny Machlowits Klein and Aron Klien, Philadelphia, 1973. . 137

* Atkinson, William c. *A History of Spain and Portugal*, london, 1960. . 138

* Bear, Yitzhak, *A Hisyory of the Jews in christian Spain*, vol. I, translated from the Hebrew by Louis Schoffman, Philadelphia, 1971. . 139

* Barbour, Nevill, «The Berbers in al-Andalus», *in Actes du I Congrès des études de culture méditerranéenne d'influence arabe-berbère*, ed. Micheline Galley and D. R. Marshall, Algiers, 1973, pp. 107-174. . 140

* Barceló, Miguel, «Some commentaries on the earliest Muslim invasion of Spain, *Islamic Studies, IX*,1970, pp. 183-190. . 141

* *The Cambridge History of Islam*, 2 vols. ed. P.M. Holt, Ann Lambton and Bernard, Lewis, Cambridge, 1970. . 142

* *The Cambridge Medieval History*, vol. II, Planned by J. B. Bury, ed. H. M. Gwatkin and J. P. Whitney, Cambridge, 1964. . 143

* Condé, José Antonio, *History of the Dominion of the Arabs in Spian*, translated from the Spanish by Mrs. Jonathan Foster, vol. I, London, 1854. . 144

* Creasey, Edward, *Fifteen Decisive Battles of the World*, London, 1862. . 145

* Davidson, Basil, *Africa in History*, London, 1968. . 146

* Dozy, Reinhart, *Spanish Islam* English translation from *Histoire des Musulmans d'Espange*, by F. G. Stokes, London, 1913. . 147

* *Encyclopaedia of Islam*, First Edition, Leiden, 1913-1938. . 148

* *Encyclopaedia of Islam*, Second Edition, Leiden, 1954. . 149

* Gayangos, Pascual, *The History of the Mohammedan Dynasties in Spain*, 2 vols. New York-London. 1964, reprint of London edition, 1843. . 150

* Goldman, S., «Ibn Hayyan and his place in Spanich-Muslim Historiography», *Transactions of the Glasgow University Oriental Society*, VII, 1934-1935, pp. 1-4. . 151

* Hasan Mas'ud, «Ibn Hazm and his Jamharatu'l-Ansab», *Journal of the Royal Society of Bengal*, Letters, XII, No. 1, 1947, pp. 7-18. . 152

* Hitchcok, Richard, «Muslim Spain (711-1492),» in *Spain a Companion to Spanish Studies*, ed. P.E. Russell, London, 1973, pp. 41-63. . 153

* Imamuddin, S.M., «Sources of Muslim History of Spain», *Journal of the Pakistan Historical Society, I*, 1953, pp. 375-379. . 154

* Julien, C.A., *History of North Africa*, translated from the French by John Petrie, London, 1970. . 155

156. * Katz, Solomon, *The Jews in the Visigothic and Frankish Kingdoms of Spain and Gaul,* New York, 1970.

157. * King, P. D., *Law and Society in the Visigothic Kingdom,* Cambridge, 1972.

158. * Laroui, 'Abdullah, *The History of the Magrib,* translated from the French by Ralph Manheim, New Jersey, 1977.

159. * Livermore, H. V, *The Origins of Spain and Portugal,* London, 1971.

160. * Al-Ma'suni, M. Saghir Hasan, «The Earliest Muslim Invasion of Spain», *Islamic Studies, III,* 1964, pp. 97-102.

161. * Miles, George C., *The Coinage of the Umayyads of Spain,* New York, 1950.

162. * Murphy, Francis X., «Julian of toledo and the Fall of the Visigothic Kingdom in Spain», *Speculu, XXVII,* 1952, pp. 1-27.

163. * Norris, H. T., «The Early Islamic Settlement in Gibraltar», *Journal of the Royal Anthropoligical Istitute of G.B.,* 91, 1961, pp. 39-51.

164. * O'Callaghan, Joseph F., *A History of Medieval Spain,* Ithaca and London, 1975.

165. * Reinaud, M., «Incursions of the Muslim into France, Pednont and Switzerland», translated from the French by Haroon Khan Sherwani, *Islamic Culture, IV,* V, 1930, 1931.

166. * Rosenthal, F., *A History of Muslim Historiography,* second edition, Leiden, 1968.

167. * Shaban, M. A., *Islamic History,* Vol. I, Cambridge, 1971.

168. * Shaw, R. D., «The Fall of the Visigothic Power in Spain», *The English Historical Review, XXI,* 1906, pp. 209-228.

169. * Tate, R. B., «The Medieval Kingdoms of the Iberian Peninsula», in *Spain, a companion to Spanish Studies,* ed. P. E. Russell, London, 1973, pp. 56-105.

170. * Terrasse, Henri, *History of Morocco,* translated from the French by Hilary Tee, Casablanca, 1952.

* Thompson, E. A.,.

171. i) *The Goths in Spain,* Oxford, 1969.

171. ii) «The Settlement of the Babarian in Southern Gaul», *Journal of Studies, XIVI,* 1956, pp. 65-75.

173. iii) *The Visigoths in the time of Ulfila,* Oxford, 1966.

174. * Al-'Uqayli, U. S., *The Life and Reign of the Umayyad Caliph Mu'awiya*

b. Abi Sufyan, unpublished M. A. thesis, University of Exeter, 1976.

175 . * Velozo, F. J., «The Problem of Arabic-Islamic Influence in Portuguese Civilization», *Journal of the Pakistan Historical Society, XIV,* 1966, pp. 42-56.

ج ـ المراجع الإسبانية:

176 . * Abadal y Vinyals, Ramón, «El paso de Septimania del donino godo al franco a través del al invasión sarracena (720-768)», *Cuadernos de Historia de España, XIX,* 1953, 5-54.

177 . * Asín Palacios, Miguel, *Contribución a la toponimia árabe de España,* Madrid, 1944.

178 . * Ballestros y Beretta, Antonio, *Historia de España y su influencia en la historia universal,* vol. I, Barcelona, 1918.

179 . * Bosch Vitá, Jacinto, «El Elenento humano norteafricano en la hidtoria de la España musulmana», *Cuadernos Bibl. Esp. II,* Tetuan, 1964, pp. 17-37.

180 . * *Diccionario de la Lengua Española,* Real Academia Española, Madrid, 1925.

181 . * Dubler, César E., «Sobre la crónica árábigobizantina de 741 y la influencia bizantina en la península ibérica», *Al-Andalus, XI,* 1946, pp. 283, 349.

182 . * Elías Terés, «Linajes árabes en al-Andalus según la «Yamhara» de Ibn Hazm», *Al-Andalus, XXII,* 1957, pp. 54-III.

183 . * García Gómez, Emilio, «Novedades sobre la Crónica anónima titulada «Fath al-Andalus», *Annales de l'Institut d'Etudes orientales d'Alger, XII,* 1954, pp. 31-42.

184 . * González Palencia, Angel, *Historia de la Literatura árábigo-española,* 2nd. edition, Barcelona, 1945.

185 . * Guichard, Pierre, *l-Andalus,* Barcelona, 1976.

186 . Hernández Giménez, Félix,.

i) «Acerca de Majadata al-Fath y Sauguyne», *Al-Andalus, XXX,*1964, pp. 1-21.

187 . ii)«Gafiq, Gahet, Gahete: Balalcázar», *Al-Andalus, IX,* 1944, pp. 71-109.

188 . * Machado, Osvaldo, A., «Los nombres del Uamado conde don Julián» *Cuadernos de Historia de España, III,* 1945, pp. 106-116.

* Madoz, Pascual, *Diccionario geográfica-estadistico-historico de España y sus posrsiones de Ultramar,* 16 vols. Madrid, 1848-1850. . 189

* Maddki, ahmud 'Àli, «Egipto y los origenes de la historiografía árabe - española, *R. El, V,* 1957, pp. 157-248. . 190

* Menéndez Pidal, Ramón, *Historia de España,* Madrid, 1955. . 191

* Olague, Ignacio, *La revolución islámica en Occidente,* Guadarrama, 1974. . 192

* Pone Boigues, Francisco, *Los historiadores y géografos arábigo españoles,* Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition, 1898. . 193

* Reinhart, W., «Sobre el asentamiento de los visigodos en la península», *Archivo Español de Arqueología,* XVIII, 1945, pp. 124-139. . 194

* Ribera y Tarragó, Julián, «Las tribus árabes en Valencia», *Disertaciones y opúsculos II,* Madrid, 1928, pp. 210-214. . 195

* Saavedra, Eduardo, *Estudio sobre la invsión de los árabes en Espaná,* Madrid, 1892. . 196

* Sánchez - Ablornoz, Claudio, . 197

i) *«El Ajbar Maymu'a», cuestiones historiográficas que suscita,* Buenos Aires, 1944.

ii) *Fuentes de la historia hispano-musulmana del siglo VIII,* Mendoza, 1942.

iii) «Itinerario de la conquista de españa por los musulmanes,» *Cuadernos de Historia de España, X,* 1948, pp. 21-74.

iv) «Otra vez Gaudalete y Covadonga», *Cuadernos de Historia de España, I-II,* 1944, pp. 1-114. . 200

v) «Precisiones sobre «Fath al-Andalus», *RIEI,* IX-X, 1961-1962, pp. 1-21. . 201

* Simonet, Fracisco Javier, . 202

i) *Glosario de voces ibéricas y latinas usadas entre los mozarábes,* Amsterdam, 1967, Reprint of Madrid edition, 1888.

iii) *Historia de los mozarábes de España,* Amsterdam, 1967, reprint of madrid edition, 1903. . 203

* Ubieto, Antonio, and others, *Introducción a la historia de España,* Barcelona, 1970. . 204

* Valdeavellano, Luis G. de., *Historia de España,* vol. I, Madrid, 1968. . 205

* Valvé Bernejo, Joaquín, «Sobre algounos problemas de la inbasión musulmana, *Anuario de Estudios Mediebales, Iv,* Barcelona, 1967, pp. . 206

361-367.

207. * Vila Hernádes, Salvador, «El nombramienti de los Walies de la andalus», *Al-Andalus, IV*, 1936, pp. 215-220.

د ـ المراجع الفرنسية :

208. * Dozy, Reinhart, *Recherches sur l'histoire et la littérature des Arabes d'Espagne*, 2 vols. Amsterdam, 1965, reprint of Leiden edition, 1881.

209. * Lévi-Provencal, Evariste,

i) *Histoire de l'Espagne Musulmane*, 3 vols. Paris, Leiden, 1950.

210. ii) «Un nouveau récite de la conquêt de l'Afrique du Nord par les Arabes, *Arabica, I*, pp. 17-43.

211. * Marcais, Georges, «Sidi 'Uqba, Abul-Muhajir et Kusaila», *Cahiers de Tunisie, I*, 1953, pp. 11-17.

212. * Marcais, Willaim, «Comment l'Afirque du Nord a été arabisée», *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales de l'Université d'Alger, XVII*, 1938, pp. 1-22.

213. * Sebag, Paul, «Les travaux maritimes de Hasan Ibn Nu'man», *Instutut de Belles Letters Arabes, XXXIII*, 1970, pp. 41-55.

214. Talibi, Muhammad, «Un nouveau fragment de l'histoire de «Occident musulman 62-196/682-812 l'épopée d'al-Kahina», *Les Cahiers de Tunisie, XIX*, no. 73-74, 1971, pp. 19-52.

هـ ـ المراجع البرتغالية :

215. * García Domigues, José D., «Invasáo e conquista de lusitánia por Muca Ben Nocair e seu Filho 'Abdalaziz», *Congreso de Estudios Arabes e Islamicos*, Actas, Held, Córdoba, 1964, pp. 215-230.

و ـ المراجع الألمانية

216. * Dubler, César E., «Uber Berbersiedlungen auf der iberischen Halbinsel» (sache ort und wort), *Festschrift Jakob Jud Romanica Helvetica*, Band 20, 1943, pp. 182-199.

SUMMARY

THis book sets out to study the Muslim conquest and settlement of North Africa and Spain, The First chapter deals with the social and political background of both North Africa and Spain before the Muslim conquest.

The second chapter is concerned with the Arab Conquest of North Africa from the very First attempts of 'Amr b. al'As, the conqueror of Egypt, up to the Time of Musa b. Nusayr, who accomplished the conquest of the whole of the North Africa.

He Muslim conquest of pain is thoroughly discussed in the third chapter, which also includes an attempt to explain the role of both the Arabs and the Berbers in this conquest.

Chapter IV is devoted to the Muslim Settlement in Spain, It consists of two major sections: the settlement of the Arab tribes, that is, the early Arab settlers, al-Baladiyyun, who entered with Tariq b. Ziyad and Musa b. Nusayr, and the Syrians, al-Shamiyyun, who arrived later with Balj b. Bishr al-Qushayri. The second section deals with the settlement of the Berbers, who dominated various districts of Spain.

The Governor's Perid, *'Asr al-Wulat,* is studied in the fifth and the sixth chapters. They include many important issues, such as the relationships between the governors of al-Andalus and the central government, which was represented by the governor of North Africa in al-Qayrawan, the Muslim campaigns in Southern France, the internal tension and the strife between the early settlers and the Syrian new-comers, and the Berber revolts in North Africa and Spain.

Chapter VII deals with the end of the Governors' Period and the establishment of the Umayyad Emirate in Spain. An attempt is Also made to explain the situation at the time of the netry of 'Abdulrahman b. Mu'awiya into Spain. The circumstances of the crossing, his supporters and his opponents, his rivalry with the last governor, Yusuf al-Fihri, and the most influential leader, al-Sumayl b. Hatim al-Kilabi are also discussed in this chapter.

المحتويات

